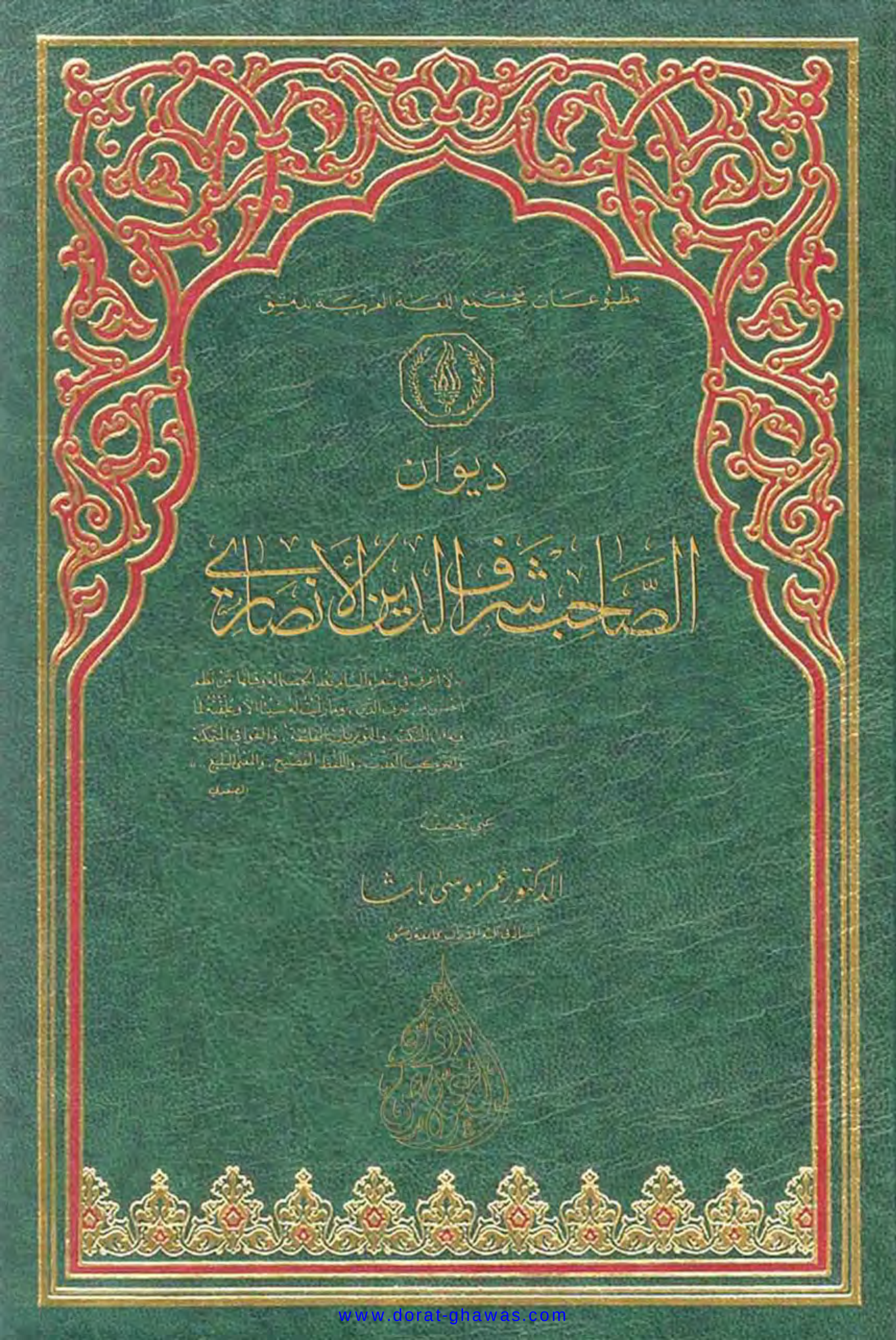


مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق
ديوان
الصاحب شرف الدين الأنصاري
عني بتحقيقه
الدكتور عمر موسى باشا

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



ديوان

الصاحب شرف الدين الأنصاري

«لا أعرفُ في شعراءِ الشام بعدَ الخمسمائة وقبلها مَنْ نظمَ أحسنَ مِن شرفِ الدين، وما رأيتُ له شيئاً إلا وعلقتُه لما فيه من النكت، والتوريات الفائقة، والقوافي المتمكنة والتركيب العذب، واللفظ الفصيح، والمعنى البليغ..»

الصفدي

عني بتحقيقه

الدكتور عمر موسى باشا

أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يمثل أدبُ الدول المتتابعة ، على اختلاف نظرات النقاد المحدثين في تقويمه ، مرحلةً هامةً وتطوراً خطيراً في تاريخنا الأدبي ، إذ لم يعرف التاريخ الإنساني عصراً كان فيه الصراع بين الشرق والغرب على أشده كما عرفناه في هـذا العصر ، فلقد حدثت حروب طاحنة حين احتل الصليبيون الفرنجة بعض البقاع من أرض الأنبياء المقدسة ، وجاء من بعدهم التتار المغول ، فغزوا أرضنا الطهور • وهكذا سجل تاريخنا هذه الأحداث الكبرى والملاحم الخالدة ، وشهد هذه الانتصارات الباهرة في المعارك المحتدمة التي عرفها الطراز الأخضر الشاميّ ، والهلال الأخضر الخصيب ، في تل حطين وعين جالوت ، وتطالعنا من خلاله أسطورة قوادنا العظام ، وأسمح لنفسي أن أسميها أسطورة لما فيها من خوارق ومعجزات ، وأخص بالذكر هنا الناصر صلاح الدين يوسف ، والمنصور سيف الدين قطز ، اللذين كان لهما فضل تخليد هاتين المأثرتين في تاريخنا •

إنني لأعجب كل العجب حين يحاول مؤرخونا وأدباؤنا أن يطمسوا هذه الحقبة من تاريخنا أو يهملوا شأنها ، فهم يقفون عند سقوط بغداد ، فيجعلونها نقطة النهاية بالنسبة للحضارة الإسلامية كلها • إنهم يقعون في خطأ جسيم لا يغتفر لهم ، ذلك أن الدول المتتابعة التي بدأت تستقلُّ عن الخلافة العباسية في بغداد ، كانت ــ في الواقع ــ تحاول أن تنافس كعبة الحضارة العباسية • ظهر الفاطميون في المغرب ومصر ، وظهر

الزنكيون الأتراك في بلاد الشام ، وخلفهم الأيوبيون الأكراد في مصر والشام وغيرهما من أقطار العالم الإسلامي ، وجاء من بعدهم مواليهم من مماليكهم ، وحكموا رقعة واسعة بعد أن وحدوا البلاد من جديد ، وقامت نهضة جديدة تسد الثغرة التي حدثت إثر سقوط بغداد ، فكانت أمهات البلاد في عصور الدول المتتابعة تنشر نور المعرفة شرقاً وغرباً على السواء . أمّا الغرب فكان يغفو في دياجير قرونه الوسطى .

هذه نظرة عابرة على الأحداث التاريخية الكبرى في هذا العصر الذي تتحدث عن أحد شعرائه الرواد الأعلام ، والأدب بالطبع مرآة الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان ، فلا غرابة إن رأينا أدب الدول المتتابعة يمثل في معظم مراحله أصدق تمثيل الحياة الإنسانية الحقيقية في مختلف مظاهرها ، وتعدد جوانبها ، وتشعّب مفاهيمها . وقد لاحظت في أبحاثي المختلفة عن هذه العصور أنها أعطتنا كثيراً ، ولكننا ــ مع الأسف ــ لم نعطها ما تستحقه من بحث ودراسة ، وإنما تنكرنا لها ونعتناها بأقبح النعوت . لقد عُنينا بدراسة مختلف العصور الأدبية ، درسنا أدبنا العربي قديمه وحديثه ، وأهملنا واسطة العقد ، وكتبنا كثيراً عن العصور الجاهلية والإسلامية والعباسية والحديثة ، وما أقلّ ــ ويا للعجب ــ ما كتبناه عن عصور الدول المتتابعة، فهي تؤلف مرحلة زمنية تعدل في مداها ما سبقها من عصور ، إذ تمتد من وقوع بيت المقدس بيد الصليبيين ، وتستمر حتى بزوغ فجر النهضة الحديثة . ولو حاولنا أن نستقصي ما كتب عنها لوجدناه نزراً يسيراً ، ولا نغالي إن قلنا : إنه يكاد يكون معدوماً . يبدو لي أن سبب هذا الإعراض يرجع إلى فكرة سابقة عن هذه العصور ، وهي أن أدبها يمثل التأخر والانحطاط ، وقد دفع مثل هذا الاعتقاد إلى نعته بالعقم والجمود ، فهو في نظر بعض النقاد المحدثين قاصر على وصف شموع وقناديل ، والاهتمام بذكر أحاجٍ وألغاز ، وقالوا : إن أساليبه تمثل التصنّع والتقيد بمذاهب بيانية وتيارات بلاغية ، لا قيمة لها ، إذ إنها بعيدة عن النفس الإنسانية ، فلا نحس فيها بحرارة العاطفة ، وتوقد الإحساس الذاتي ، والنغمة الوجدانية ، وإنها أيضاً لا صلة

لها بالعصر والأحداث التي تمر فيه ، والغريب بعد ذلك كله أن صلاح الدين يعلن أنه لم يقم دولته بسيوف الناس ، وإنما أقامها بقلم وزيره القاضي الفاضل نفسه •

لم نعرف هذه النظرة إلا في أوائل العصر الحديث عند بعض النقاد والمؤرخين ممن تصدى لتأريخ آداب هذه العصور ، ولعل جرجي زيدان أول من أطلق لفظ الانحطاط ــ على ما نرجحه ــ على العصور المذكورة ، ويظهر أن إطلاق هذه التسمية كان في أصل الوضع تعريباً لاصطلاح أجنبيّ هو لفظ (Décadence) ، وقد أطلق على المرحلة التي تطور فيها الفن وتعقد ومال إلى التأنق الزائد في الصور والألوان والأشكال والزخارف •

إننا نلاحظ الخطأ في استخدام هذا الاصطلاح الأجنبي المعرّب ، فهو لا يؤدي الغرض المطلوب ، ولا يجوز لنا استعماله إطلاقاً ما دمنا لم نقم بدراسة آثار هــذا العصر ، ولم ننشرها بعد ، بل إنها ــ كما هو معروف ــ ما زالت محفوظة في دور الكتب ، لم ننفض عنها غبار الزمن المتراكم عليها عبر تطاول السنين وكر الأيام •

إنني أقف موقف التقدير عند بعض هؤلاء العلماء العاملين بصمت وأناة ، ممن تصدى منهم لبعض الأبحاث والدراسات في عصور الدول المتتابعة ، فطالعونا ببعض النظرات النقدية والأدبية التي تؤيد وجهة نظرنا ، وكان هذا عوناً لنا ، فشددنا به أزرنا ، وأثبت لنا أن الإهمال وحده كان عاملاً من عوامل جهل هذه العصور ، ونعتها بأمثال هذه النعوت •

كما أحبُ أن أثبت في هذه المقدمة ما وقع بين يديّ عرضاً خلال مطالعاتي من آراء هؤلاء العلماء العاملين ، فأشير بادىء ذي بدءٍ إلى المقالة الهامة التي كتبها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف عن هذا العصر الذي سماه عصر إحياء التراث العربي وتجديده ، ومما قاله :

« لعل عصراً لم يظلمه الباحثون المعاصرون من عرب ومستشرقين كمـــا ظلم العصر ••• فقد سموه خطأ باسم العصر المغولي ، ونعتوه بأنه كان عصر انحطاط وضعف ••• وهو حكم جائر ، كتب له أن يذيع ويشيع على الألسنة ، وأن يلقي أستاراً صفيقة على هذا العصر ، تحجب حقائقه العلمية والأدبية عن أنظار الباحثين

المعاصرين ... ومن الظلم البين لهذا العصر الذي سحقنا فيه المغول والصليبيين ، ودمرنا جموعهم تدميراً أن يوصف في ديارنا المصرية الشامية بأنه كان عصر انحطاط وإعياء فكري وعقم شديد[١] » .

وأشير أيضاً إلى ما كتبه الدكتور أحمد أحمد بدوي خلال دراسته أدب الحروب الصليبية ، ومما قاله في ختام حديثه :

« وبعد ، فإن واجب البحث العلمي يقتضي أن أقرر أن كثيراً من أدب عصر الحروب الصليبية لا يزال خبيئاً في الخزائن ، مخطوطاً أو مصوراً ، لم يحقق تحقيقاً علمياً ، يظهره في أكمل صورة ممكنة ، وأن من الواجب تضافر القوى على نشر هذا الأدب وإذاعته ، حتى يكون من الميسور دراسته في صورة أوسع من هـذه الدراسة التي أقدمها .. » [٢]

وأشير أيضاً إلى ما كتبه الدكتور حسين مؤنس في مقاله عن أبي المحاسن المؤرخ ابن تغري بردي أمير المؤرخين في القرن التاسع الهجري ، ومما قاله :

« لو وهبني الله شيئاً من فراغ الوقت ... لأنشأت كتاباً عن القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، ذلك القرن الذي جمع من حوادث التاريخ الحاسمة في الشرق والغرب ما يجعله عصراً قائماً بذاته ... وتألقت القاهرة كعاصمة كبرى لعالم العرب والإسلام ، وقام بالحكم فيها مماليك كانوا جنوداً عظاماً ، قاموا بواجبهم العسكري خير قيام ، فاستنقذوا الشام من أيدي التتار ، وحموا بقية عالم الإسلام غرباً من بلائهم الشديد ، وفي ذلك القرن ازدهرت كذلك دمشق وبقية عواصم الشام ، وزخرت كالقاهرة بالعلماء من كل صنف ، وبلغ العصر الذهبي الثاني لعلم التاريخ عند العرب أوجه » [٣] .

---

(١) انظر المقالة المذكورة في (المجلة) ، العدد ١٢٢ ، شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٦٧ .

(٢) بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، ص ٥٦٦ .

(٣) انظر المقالة المذكورة في مجلة (العربي) العدد ٩٩ شهر شباط (فبراير) ١٩٦٧ .

هذه بعض الانطباعات الذاتية الهامة لدى بعض العلماء الباحثين عن عصور الدول المتتابعة ، وقد بينت لنا أهمية هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا السيـــاسي والأدبي ، وهذه ــ بالطبع ــ قد حثتني على تخصيص معظم أبحاثي في الماضي والحاضر ، وحتى في المستقبل ، على دراسة هذه العصور ، كما حاولت من خلال كتابي « أدب الدول المتتابعة » أن ألقي نظرة عامة تكشف بعض الصفحات المنسية ، فتشق أمام العاملين السبل المجهولة التي لم تطأها أقدام الرواد من البـــاحثين ؛ ويعلم الله أني بذلت في سبيل ذلك ريّق العمر وغلواء الشباب . ولا بد لي من أن أذكر أنّ الفضل يرجع إلى أستاذي المرحوم الدكتور محمد كامل حسين الذي دفعني إلى دراسه أدب الدول المتتابعة ، وكان كتابي عن « ابن نباتة المصري » باكورة أبحاثي في حلبة هذا المضمار ، وقد شجعني قبيل وفاته بأسابيع معدودة على متابعة الطريق في رسالة بعث إليّ بها ، وحدثني عن أهمية القرنين السادس والسابع الهجريين ، وذكرلي أن موضوع الأدب في هذا العصر واسع جداً ومتشعب كثيراً ، تكثر فيه الانجاهات الأدبية المختلفة والمدارس الفنية المتباينة ...

لقد اطلعت على كثير من الشعراء الذين لا نعرف من أمرهم شيئاً يذكر ، ووقفت عند الأعلام منهم ، ممن كان مبرزاً في عصره ، فوجدت بعضهم كالشاعر شرف الدين الأنصاري ، شيخ الشيوخ ، يملأ ذكره الدنيا في عصره ، ويشغل النقاد والشعراء والملوك ، ولكننا لا نجد من المعاصرين من يذكر شيئاً يسيراً عنه ، ولا سيما أنه كان إمام مذهب شعري كبير في بلاد الشام ، وقد أطنب ابن حجة وغيره من النقـــاد والبلاغيين بذكره ، وأظهروا إعجابهم بعبقريته الشعرية لأنه صاحب مدرسة التورية والانسجام في بلاد الشام .

لم أكن أعرف شيئاً البتة عن هذا الشاعر الكبير ، وإنما هدتني إليه أبحاثي في أدب الدول المتتابعة ، وقد بدأت دراسته قبل أن يتيسر لي ديوانه ، مكتفياً بهذه النماذج التي أوردها ابن حجة في خزانته ، واليونيني تلميذ الشاعر نفسه في ذيل مرآة الزمان ؛ وكم كانت فرحتي عظيمة حين أطلعني صديقي المؤرخ الأستاذ قدري

الكيــلاني على نسخة مصورة استحضرها عن الديوان الموجود في القسطنطينية ، وقد أهداني المصورة المذكورة ، فعكفت دائباً على تحقيقها لأقوم بنشرها ، عــلى الرغم من أعمالي الجامعية الكثيرة في التدريس ، فكنت أختلس بعض الساعات من أوقات راحتي لأنهي هذا العمل ، وأؤدي بعض الواجب الذي يقتضيه البحث الأدبي ، والمنهج العلمي السليم .

يبقى عليّ ــ وفاء للحقيقة ــ أن أذكر فضل مجمع اللغة العربية ، فأخصّ بالذكر رئيسه الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي ، وأمينه الأستاذ العلامة الأمير جعفر الحسني الذي شجعني كثيراً على إنجاز هذا العمل ليتبنى المجمع نشره ، وقدم لي كل عون وتوجيه ، ولولاه لم يكن هذا العمل ليأخذ طريقه إلى النور ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأثابه خير الثواب .

وبعد ، فهذا ديوان شرف الدين بين النــاس ، أضعه أمام الباحثين المعجبــين بأدب الدول المتتابعة ليكون لبنة متواضعة في إقامة هذا الصرح الجديد ، وأرجو من الله أن يمدني بالأيد والعون ، فأتابع دراساتي في أدب هذه العصور المهملة المنسية ، وأكشف منها صفحات رائعة مطوية .

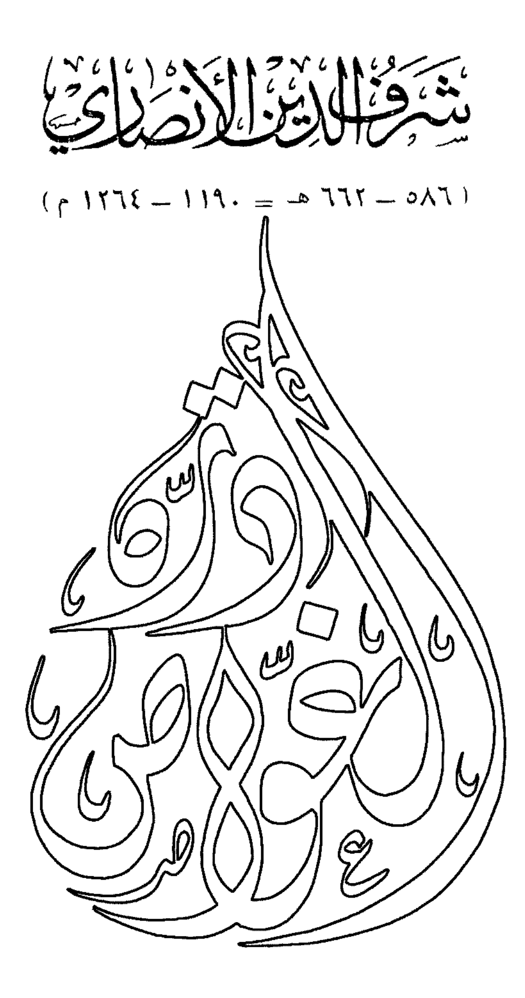
والله َ تعالى أسأل راجياً أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وهو وحد َه وليُّ الأمر والتدبير ، نعم المولى ونعم النصير .

الجمعة ٦ من جمــادى الأولى ١٣٧٨ هـ
١١ من آب (أغسطس) ١٩٦٨ م

عمر موسى باشا

شرف الدين الأنصاري

(٥٨٦ - ٦٦٢ هـ = ١١٩٠ - ١٢٦٤ م)





القسم الأول
حياته وآثاره

مراحل حياته

في دمشق الفيحاء[1] ، وفي درب الكشك[2] ، أحد أحيائها القديمة ، ولد الشاعر الكبير ، شيخ شيوخ حماة[3] ، ورئيسها الصاحب شرف الدين [4] ، أبو محمد ،

---

(١) سبق أن نشرنا هذا البحث بقسميه الأول والثاني في مجلة المجمع العلمي العربي في الجزءين الثاني والثالث من المجلد الاربعين لسنة ١٩٦٥ .

(٢) يقع درب الكشك في حارة اليهود الحالية بين محلتي باب شرقي والشاغور جنوب الدرب المستقيم الممتد من باب الجابية إلى باب شرقي (الأعلاق الخطيرة في تاريخ الشام والجزيرة لابن شداد ص : ٢١٥) .

ــ كان نور الدين زنكي يجلس يوم الثلاثاء في المسجد المعلق الذي بالكشك ليصل إليه كل احد من المسلمين وأهل الذمة حتى يساويهم واحاط السور على حارة اليهود . (البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٨/١٢) .

ــ مسجد الكشك الذي فوق الأعمدة مسجد ، وكان داراً ، فبناه الملك العادل نور الدين مسجداً وبنى له منارة (الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ٣١٥/٢) وهو اليوم خراب ، ويعرف بالجامع الأحمر في محلة اليهود .

(٣) تحدث القلقشندي عن أرباب الوظائف الدينية ممن لا مجلس له بالحضرة السلطانية ، وهذه الوظائف منها ما هو مختص بشخص واحد ، ومنها ما هو عام في اشخاص . فأما التي هي مختصة بشخص واحد فنقابة الأشراف ومشيخة الشيوخ . والمراد بهذا اللقب في أصل الوضع مشيخة الخانقاه التي انشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون بسرياقوس من ضواحي القاهرة ، اما مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء ، فإنها وإن قدم زمنها وعظم قدرها دون تلك في المشيخة . هذا هو منشأ هذا اللقب ، ونرجح ان أول من لقب به في بلاد الشام هو الشاعر عبد العزيز بحكم علاقته بالسلاطين الأيوبيين في حماة في عصر المماليك (القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٨٢٣٧) .

(٤) ــ السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٠٨ ، وابن شاكر : فوات الوفيات ،

عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف المعروف بـ « ابن الرفاء » ؛ ضحى الأربعاء في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥٨٦ هـ .

وهو عربي صميم من قبيلة أوس الأنصارية ، وكانت تسكن كفر طاب[١] مع سكانها من بهراء وتنوخ ، وقد تكررت الإشارة إلى نسبه هذا في شعره كما في قوله ذاكراً الأوس :

وإذا مـا الأوس عـدّوا فإني   من ذويهم في لبـاب اللبـاب [٢]

وأشار إلى الأنصار قائلاً :

إن كنت لـم أفتقد غمضي لفقدكمُ   فلا وجدت من الأنصار أنصاري[٣]

وتحدث عن مبايعتهم للرسول تحت الشجرة قائلاً :

مـن يشاجره يصـادف قومـه   جـلّ من بايـع تحت الشجره [٤]

ثمة في الديوان إشارات أخرى إلى هذا المعنى في الديوان المذكور تـدور حول الأنصار والتغني بذكرهم .

أما أبوه فهو القاضي أبو عبد الله زين الدين محمد بن عبد المحسن [٥] ، وكان

ج ١ ص ٣٦٥ ، وأبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٢٣١ وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٢٣١ ، والمنهل الصافي(مخطوط) ج ٢ و ٣٢٩ ، واليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٠٩ ، والسيوطي : بغية الوعاة ، ج ١ ص ٣٠٩ ، والصابوني : تاريخ حماة ص ١٣١ ، وعباس عزاوي : تاريخ الأدب العربي في العراق ، ص ٣٣٣ .

(١) كفرطاب : ذكر ياقوت انها بلدة بين المعرة وحلب في برية معطشة ، واهلها ليس لهم شرب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج (معجم البلدان ، ج ٤ ص٤٧٠) .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٨ .

(٣) مصور الديوان ، ل ٣٢

(٤) مصور الديوان ، ل ٣٤

(٥) أورد الصفدي في الوافي خلال ذكر نسبه انه « الصاحب ابن قاضي حماة » الوافي ج ١٩ ل ١٥ .

الشاعر بَرّاً له ومعجباً به ، فقد عرف أنه ألف كتاباً أسماه (تذكار الواجد بأخبار الوالد) ، ذكر فيه أخباره وحياته .

يقول اليونيني في ترجمته : « وكان والده من الأعيان الأفاضل الرؤساء ، متفنناً في العلوم ، له معرفة بالفقه والأحكام ، ولي القضاء غير مرة نيابة واستقلالاً ، وصحب القاضي ضياء الدين محمد بن المنصور بن الشهرزوري ، وكان له به اختصاص كثير ، وناب عنه في الحكم وفي نظر الأوقاف وغير ذلك ؛ ووقفت على كتاب جمع فيه الشيخ شرف الدين المذكور ، رحمه الله ، أشياء من أخبار والده القاضي زين الدين محمد بن عبد المحسن المشار إليه ، رحمه الله [(١)] » .

هاجمت الروم والفرنجة هذه المدينة ، فشتت شمل سكانها ، إذ أخرجتهم من دارهم ،فانتقل أبوه إلى دمشق ، وجمع بين عمله التجاري في سوق الخواصين والنيابة عن ضياء الدين بن الشهرزوري في القضاء والأوقاف سنة ٥٨٢ هـ ، ثم انتقل أبوه بعد ذلك إلى حماة ، وولي نظر أوقاف الملك المنصور الأول بطلب منه ، وكان في الوقت نفسه ناظر أوقاف الخليفة العباسي . يؤكد ذلك قوله للرشيد المصري القائم على وزارة ماله لما امتنع عن الحضور عنده :

« وهذا ليس لك عليه اعتراض ، ولاوليته إلا بالإكراه ليكون ناظر أوقاف الخليفة ناظر أوقافي [(٢)] » .

يؤكد هذا الخبر أنه انتدب من قبل الديوان العزيز ببغداد لعقد نكاح بعض مماليك الخليفة على بعض جواريه ، فارتجل بديها أمام الحاضرين خطبة من روائع خطب العقود[(٣)] ، إذ المعروف عنه أنه كان ماهراً في الخطابة والترسل ومطبوعاً على نظم الشعر . وقد حاول أن يدرب ابنه عليه بتلك المطارحات الشعرية الجميلة منذ نعومة أظفاره .

كان شرف الدين معجباً بأبيه ، وقد أشار إلى جلالة قدره وكريم محتده في معرض قوله يفتخر به :

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان و ١٣٨ . انظر ما كتبه الشاعر عن ابيه فيما أوردناه من كتابه (تذكار الواحد بأخبار الوالد) نقلا عن القطب اليونيني فيما استدركناه من أشعار وأخبار في الملحق الثاني .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، و ١٤١ .

نَفَرٌ كالحُمُـر المستنفره · أجفلت هاربـة من قسوره
طلبـوا شأوي ولما يلحقـوا · بعـد لأي من غبـاري أثره
من يسالمنـي أسالمـه ومن · رام حـربي فإليـه المعذره
وأبي من قـد علمتم قـدره · مجهر بالخطبـة المسحنفـره
من يشاجـره يصادف قومـه · جل من بايع تحت الشجـره (٢)

في مملكة حماة الأيوبية وفي بيئتها العلمية التي ازدهرت في عهد ملوكها من أحفاد الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين ، وفي عصرها الذهبي خلال حكم أكبر ملوكها المنصور الأول ، الأديب العالم الذي سمع الحديث في الإسكندرية عن الحافظ السلفي ، وصاحب التآليف المشهورة ، نشأ شرف الدين ، فاستكمل علومه الدينية والأدبية بإشراف والده ، وقرأ القرآن الكريم برواياته المختلفة ، واشتغل بالأدب على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي ، وسمع منه كثيراً (٣) ، حتى إذا نال قسطه من العلوم والمعرفة ، شرع يرتحل مستزيداً من ثقافته وعلمه ، والتقى بمشاهير العلماء في عصره ، نذكر منهم شيخه سيف الدين الآمدي ، وكان يكاتبه(٤). كما ذكر ابن شاكر أن والده رحل به ، وأسمعه جزء ابن عرفه من ابن كليب ، وأسمعه المسند كله من عبيد الله بن أبي المجد الحربي (٥) .

نظم الشاعر في بعض رحلاته عن حماة في أيام صباه قصيدة ، صور نفسيته ، ووصف طموحه إلى المجد والمعالي :

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان و ١٤١ .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٥ .

(٣) اليونيني ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١١٩ ، وابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ .

(٤) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٩ .

(٥) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ .

أآملُ كتمانَ الهوى وهو واضح ... ودمعيَ يومَ البينِ بالسِّرِّ بائحُ
لعمري ، لقد حاولتُ ما لا أناله ... كما حاولتْ إمساكَ قلبي الجوارحُ
لعلَّ بعادي عن حماةَ يعيدني ... تخافُ السَّطامني وتُرجى المنائحُ
لأهزمَ جيش المالِ وهو عرمرمٌ ... وأدفع صدر الخطب والخطب فادح
على أنني قد كنتُ فيها مكرماً ... تراعُ لكرَّاتي القرومُ الجحاجح
مقيماً بربعِ الدَّيرِ جسمي وصحبتي ... وقلبي بربعِ القفرِ غادٍ ورائحُ
يُهيِّجُ أشجاني بهِ كلَّ ليلةٍ ... وتصرفني ، عمَّا يقولُ ، النَّواصحُ
بدورٌ من البابِ المصرَّع طُلَّعٌ ... ومِسكٌ من البابِ المصرَّعِ فائحُ[١]

كان سعيداً في حماة خلال سني طفولته وصباه ، فأبوه قاضي قضاتها يثقفه ويرعاه ، وكانت ملامح النجابة تلوح عليه منذ صغره ، داعب الغرور نفسه في مثل هذه السن المبكرة .

صحب والده فزار بغداد وغيرها ، وسمع فيها عن مشاهير علمائها ومحدثيها ، وعاد إلى بلاد الشام ، وتنقل في أرجائها فترة من الزمن ، وأُثر عنه أنه حدث بدمشق وحماة والقاهرة ، وانتهى به المطاف إلى بعلبك فأقام فيها وقتاً قصيراً ، تخرج على يديه تلامذة كثر ، منهم تلميذه ابن الموفق البعلبكي وكان يكاتبه [٢] ، ويظهر أنه ترك في هذه المدينة القديمة صداقات وثيقة استمرت مدى حياته .

لم تطل إقامته فيها طويلا ، فرجع إلى حماة ، واستقر فيها نهائياً ونسب إليها ، ولقي الإقبال عليه والتشجيع من ملوكها ، فنبه شأنه ، وسار ذكره في الآفاق ، فأمه طلبة العلم ، وغدا كعبة القصاد ، يدلفون إليه لينالوا منه الإجازة من مختلف الأقطار والأمصار ، نذكر منهم : الدمياطي ، وأبا الحسين ، وابن الظاهري ، وبدر الدين ابن جماعة ، وعز الدين ابن القاضي الفاضل ، وسبط ابن الجوزي ، وغيرهم كثير ، وكان بعضهم أكبر منه سناً ، وقد عده الأقدمون من أذكياء بني آدم المعدودين [٣] .

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣١ .
(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ١٣ .
(٣) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ ، والسبكي : طبقات الشافعية ، ج ٥ ص ١٠٨ .

كانت منزلته العلمية في صعد مستمر ، فأصبح يدعى بشيخ شيوخ حماة بجانب والده الذي كان قاضي قضاتها ، فاحترمه ملوكها ، ونظروا إليه نظرة الإجلال والتقدير ، فاعتمدوا عليه في توطيد أركان ملكهم ، واستشاروه في كثير من أمرهم ، لأنه كان مستقيماً في سيرته .

مدح الشاعر الملك المنصور الأول بمدح كثيرة ، فهو وزيره وشاعره ، ولما ولدت له زوجه ولده محموداً ، لم يقتصر على مدحه بل مدحها بقصيدة مستقلة . وذكر في عنوانها « وقال يمدح الملكة عصمة الدين مهنئاً » :

يا عصمةَ الدِّينِ والعلياءِ والجُودِ ... لكِ الهناءُ بعزٍّ غيرِ محدودِ
يا من غدتْ خيرَ أملاكِ الزَّمانِ لقدْ ... ولَدْتِ ملكَ البرايا خيرَ مولودِ
ظفرتِ بالحمدِ منّا إذْ أتيتِ بهِ ... مُظفَّراً من بني أيوبَ محمودِ
وافى يُبشِّرُ من ميلادِ إخوتهِ ... في إثرهِ بالملوكِ السّادةِ الصِّيدِ
فدامَ في ظلِّك الضّافي ودُمتِ لهُ ... ونلتِ منهُ وفيهِ كلَّ مقصودِ
وإنْ يكنْ جاءَ بعدِ العيدِ مولدُهُ ... فإنّنا كلَّ يوم منهُ في عيدِ [1]

مات المنصور الأول واضطرب أمر الملك من بعده ، فاستولى الملك قلج أرسلان على زمام الحكم سنة ٦١٧ هـ بمساعدة خاله الملك المعظم صاحب دمشق ، وهو ليس بصاحب الحق الشرعي ، ذلك أن أخاه المعهود إليه بالملك كان غائباً بمصر في زيارة خاله الملك الكامل ، ولما عاد لتسلمه حذره وخوفه من التعرض لأخيه ، لكن المظفر الثاني لم يكف عن المطالبة بحقه فحاصر حماة بمساعدة عمه ، وراسل حكامها خفية ، واتفق معهم أن يفتحوا له باب النصر في وقت السحر ، فتم له ما أراد ، ودخل المدينة مظفراً وتربع على عرش الملك سنة ٦٢٦ هـ .

كان الشاعر من أنصاره ، وكان على رأس المهنئين ، فمدحه بقصيدة جاء فيها قوله :

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٢٤ .

تناهى إليك الملكُ واشتدَّ كاهلُه وحلَّ بكَ الرَّاجي فحطَّت رواحلُه
ألا هكذا فليمنعِ المجدَ مانعٌ ألا هكذا فليبذلِ الرِّفدَ باذلُه
سبقتَ إلى وردِ العلا كلَّ سابقٍ فما نال إلا فضلَ ما أنتَ نائلُه
إذا فاعلٌ رامَ ارتفاعاً بفعلِهِ ففعلكَ مرفوعٌ لأنَّكَ فاعلُه
أبرُّ تقيُّ الدين جوداً وسؤدداً فتمَّت عطاياهُ وتمَّت فضائلُه
فمالبني أيوب ملكٌ مساجلٌ ولا في بني أيوبَ مَلْكٌ يُساجلُه[١]

تؤكد هذه القصيدة أن الشاعر كان غير راض إطلاقا عن حكم الملك المغتصب حق أخيه ، فعارضه وناهضه حتى عاد الحق إلى نصابه وكان هذا الحدث فاتحة عهد جديد في حياته .

اختاره المظفر الثاني ليلي وزارته ، ويسوس أمور الملك بما عرف عنه من رجاحة العقل وأصالة الرأي وطيب الأحدوثة ، فمدحه بقصائد كثيرة ، نذكر منها تهنئته بميلاد ولي عهده المنصور الثاني ، وجاء فيها قوله :

غدا الملكمحروسَ الذرا والقواعدِ بأشرفِ مولود لأكرم والدِ
مليكٌ تمنتهُ الممالكُ حقبةً فأوفى عليها مرغماً كلَّ حاسدِ
حُبينا بهِ يومَ الخميسِ كأنَّهُ خميسٌ بدا للنَّاسِ فيشخصٍواحدِ
وسميتَه باسم النبيِّ محمدٍ وجدَّيه فاستوفى جميعَ المحامدِ[٢]
كأنِّي بهِ في سُدةِ المُلك جالساً وقد سادَ في أوصافهِ كلَّ سائدِ
ووافاكَ من أبنائهِ وبنيهمُ بأنجمِ سعدٍ نورُها غيرُ خامدِ
ألا أيُّها الملكُ المظفَّرُ دعوتي سيُوري بها جدي ويشتدُّ ساعدي
هنيئاً لكَ الملكُ الذي بقدومهِ ترحَّلَ عنَّا كلُّ همٍّ مُعاودِ[٣]

يتضح لنا مما تقدم أن شرف الدين كان مكين الصلة بالأسرة الأيوبية الحاكمة ، وهو في الواقع القاعدة الراسخة التي أقيمت عليها دعائم هذا الحكم المستقر بحماة ،

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٦٧ ، ٦٨ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) جداه : هما أبو أمه الكامل محمد ، وأبو أبيه المنصور صاحب حماة أيضاً .

وهو في غيرها يعتوره الاضطراب والتقلب حتى زال نهائيا ، وبقي وحده في حماة خلال عصر سلاطين المماليك .

تتأكد هذه الحقيقة فتبدو جلية حين موت الملك المظفر ، وكان ولي عهده المنصور الثاني حدثاً غراً لم يتجاوز العاشرة من عمره ، وتتجه الأنظار إلى إقامة أوصياء على الحكم ، ويمر الأمر بسلام ، ويكون الإجماع على الشاعر ليكون الرأس المدبر لهذا المجلس الذي أقامته أم المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل . وأما سائر أعضائه فهم الوزير بهاء الدين بن التاج ، والطواشي مرشد وسيف الدين طغريل . تربع المنصور على عرش ملكه بعد بلوغه سن الرشد ، وساد الأمن والاستقرار في ربوع المملكة ، حتى إذا ما توفيت غازية خاتون برز الخلاف على أشده بين الملك وأخيه الأفضل ، فعزم على أن ينتزح من حماة ، ويغادر أخاه ، بيد أن شرف الدين تدارك بحكمته هذا الخلاف ، فاجتمع بهما ، وأزال ما كان عالقاً في خاطريهما من سوء وعادت الأمور على خير مما كانت ، وساد ملك حماة السلام والوئام بين الأخوين .

كان المنصور يحب وزيره الشاعر ، وكانت تربطه به صلة من الصداقة ، فقد كتب إليه مرة يعاتبه فأجابه قائلا :

برقٌ سرى من غوادي جِلّقٍ فغدا ... لنورِهِ مثلُ قدحِ النار في كبدي
أهدى إليَّ عتاباً من مليكٍ هُدىً ... أرقَّ من والدٍ يحنو على ولدِ
أودى بجوهرِ لفظي بعدكمْ عرضٌ ... أفنى الذي أبقتِ الأيام من جلدي
وسار في ركبكمْ قلبي وذُبتُ ضنىً ... فاعجبْ لروحٍ بلا قلبٍ ولا جسدِ
حتى أتانيَ سالٍ ، ردَّ لي فرحي ... فرحتُ أرفلُ في أثوابهِ الجدُدِ (١)

أسهم شرف بما له من مكانة في توطيد الصلات بين ملوك مصر والشام على السواء ، إذ كان أبعد نظراً من هؤلاء الذين كانوا يثيرون الخصومات ، ويرون ضرورة استقلال كل ملك ببلده ، ويود لو عادت الوحدة السياسية كما كانت في زمن ملكيها صلاح الدين وأخيه العادل سيف الدين ، ولهذا السبب كنا نراه يتردد على دمشق والقاهرة في مهمات ملكه المنصور .

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٢٤ .

يؤكد ذلك أنه سافر إلى القاهرة صحبة الملك الناصر سنة ٦٤٨ هـ ، وأغلب الظن أن سفره كان بسبب الخطر الداهم بعد استفحال أمر التتار القادمين من الشرق ، والذين باتوا يهددون معالم الحضارة الإسلامية في بلاد الشام بعد أن طرقوا أبواب بغداد . ولم تمر أعوام معدودة حتى حدث ما كان في الحسبان ، فأحرقت بغداد ، واكتسحت جيوش هولاكو الغازية أرض الشام بعد عام واحد من سقوط بغداد .

فر الملك المنصور إلى مصر بحريمه وأولاده ، وطلب نجدة السلطان قطز ؛ فلبى طلبه ، وخرج على الفور معه ، إذ بات الخطر يهدد مصر نفسها .

التقى الجمعان ، وولى التتار الأدبار ، وهرب معهم خسروشاه عامل هولاكو على حماة ، وعاد المنصور إلى ملكه ، فأقبل عليه شاعره شرف الدين مهنئاً ومادحاً :

رُعتَ العِدا فضمنت ثلَّ عروشِها ... ولقيتها فأخذتَ فلَّ جيوشِها
نازلتَ أملاكَ التتارِ فأنزلتْ ... عن فحلها قسراً وعن إكديشِها
فغدا لسيفكَ في رقابِ كماتِها ... حصدُ المناجلِ في يبيسِ حشيشِها
رويَّت أكبادَ القنا بدمائهمْ ... لمّا أطالَ سواكَ في تعطيشِها
أقدمتَ مقتحماً على نشّابِها ... تكسو الجيادَ رياشها من ريشِها
دارت رحى الحربِ الزبونِ عليهمْ ... فغدتْ رؤوسهمُ حطامَ جريشِها
وطويتَ عن مصر فسيحَ مراحلٍ ... ما بين بِركتِها [1] وبين عريشِها
حتى حفظت على العباد بلادها ... مِنْ رومها الأقصى إلى أحبوشِها [2]

وذكر هذه الموقعة الهامة الفاصلة في التاريخ الإسلامي ، في مدحة ثانية :

محمّدٌ خيرُ ما جدٍ يقظٍ ... يرضى هداهُ محمدُ القرشي
صادمَ جيشَ التتار مقتحماً ... وأجشأتْ نفسه ولم تجشِ
لما طغى كبشه تعمّدَه ... فصيّر الرأسَ منه في الكرشِ
فأسلموا الشّام بعدما طمعوا ... في مُلكِ أرضِ الحجازِ والحبش [3]

---

(١) بِركتها : نظن أنها بركة الحبش ، وهي أرض في وهدة من الأرض واسعة طولها نحو ميل ومشرفة على نيل مصر خلف القرافة (معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٠١) .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٤٣ ، ٤٤ . والأحبوش : جماعة الحبش .

(٣) المصدر السابق ، ل ٤٣ .

كما كان يترسل إلى الخليفة في بغداد وغيره من ملوك الأقاليم ، وكـان مؤتمناً ومحبوباً لدى الجميع لنبل أخلاقه وسمو مقصده ، وكانت له صداقات شخصية تربطه بكثير ممن عرفهم من ملوك عصره ، نخص بالذكر منهم الملك الناصر والملك الأمجد وغيرهما . وكنا أشرنا إلى أنه توجه إلى مصر صحبة الملك الناصر وكثيراً ما كان يراسله ويكتب إليه بخطه رسائل يضمنها بعض شعره الذي ينظمه في مدحه . وكان في بعض الأحيان يوفد إليه رسولاً يستدعيه ليقيم عنده بعض الوقت ، كما حدث ذلك عندما توجه إلى حلب وعمان .

حدث ذات مرة أن توجه الناصر إلى حلب ، فأرسل إليه كاتبه يستدعيه للقائه فحضر إليه ، وأقام عنده ، ثم عزم على العود إلى حماة لخدمة مولاه ، فخرج الملك الناصر لوداعه ، فلما أبعد عن البلد أقسم شرف الدين عليه فأنشده :

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم وِجداننا كلَّ شيء بعدكمْ عدم

فأجابه شرف الدين ببيت آخر من قصيدة المتنبي نفسها :

إذا ترحلتَ عن قومٍ وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون همُ

فقال له : « والله لتعودن » ، فرجع وأقام عنده عشرين يوماً أخرى [(١)] .

تلك هي حياة الشاعر الوزير ، مرت بهدوء وسلام ، فأحبه الناس ، واصطفاه الملوك لأنفسهم ، ولم يعرف عنه أنه أساء إلى إنسان أو انتقم منه ، ولم يعرف عنه أنه اضطهد أو عزل من أحد مناصبه خلال حياته المديدة التي عاصر فيها معظم الملوك الأيوبيين في حماة ، وشملت في الوقت نفسه شطرين من تاريخ الأيوبيين والمماليك على السواء .

استمر على عمله مدى حياته حتى أيام المظفر الثالث ، فوافته منيته ليلة الجمعة الثامن من رمضان سنة ٦٦٢ هـ ، ودفن بظاهر حماة في التربة الخاصة التي أعدها قبيل موته .

---

(١) ابن تغري بردي : المنهل الصافي (مخطوط) ج ٢ و ٢٣٠ .

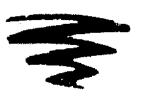
ذكرأبو شامة المقدسي أن خطيب جامع دمشق صلّى عليه صلاة الجنازة غياباً عقب صلاة الجمعة خامس عشر شهر رمضان [١] بعد وصول نعيه إلى دمشق .

آثاره الأدبية

نظم شرف الدين في حياته الشعر الكثير ، وقد أشار الأقدمون إلى وجود ديوانين له ، أما أولهما فيضم طائفة من شعره المختار ، وأما ثانيهما فقد نظمه في اللزوميات ، وسوف نخصهما بالدراسة في القسم الثالث من هذه المقدمة .

ثمة مؤلفات أخرى للشاعر ، أشار صاحب كشف الظنـــون إلى اثنين منها : أولهما « نظرة المعشوق إلى وجه المشتوق » [٢] ، وقد ذكر الزركشي أن العكس في التسمية أولى كما يتبادر ، وثانيهما « تذكار الواجد بأخبار الوالد » ، وهو منظومة تحدث فيها عن والده وشيوخه ورحلته [٣] ، وقد أورد قطب الدين اليونيني شيئاً منه في ترجمة والده ، وأشار إليه بقوله : « ووقفت على كتاب جمع فيـــه الشيخ شرف الدين المذكور أشياء من أخبار والده » [٤] .

كما أن المصادر القديمة كذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات وخزانة الأدب وغيرها أوردت في معرض ترجمته نماذج كثيرة مختارة من شعره ، بعضه مما لم يرد في الديـــوان .



(١) ابو شامة المقدسي : ذيل الروضتين ، اخبار سنة ٦٦٢ هـ
(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ، ص ١٩٦٠ .
(٣) المصدر السابق ، ج ص ٣٨٢ .
(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣٨ ، انظر الملحق الثاني ، وقـــد استدركنا فيه ما عثرنا عليه من الكتاب المذكور في ذيل مرآة الزمان .

القسم الثاني
شعره ومذهبه الفنّي

أغراض شعره

نستطيع أن نتبين في شعره أغراضاً ثلاثة هي : مدح وأحداث ، ونسيب وغزل ، ومطارحات وألغاز ، ويقتضي منا هذا دراستها لنبين من خلالها مذهب الشاعر الفني ومكانته كرائد كبير لشعراء عصره في مذهب التورية والانسجام .

مدح وأحداث

ذكر أبو شامة في ذيل كتابه الروضتين أن له نظماً حسناً في مدح النبي وغيره،[1] ففي ديوان الشاعر قصائد نبوية متعددة ، مدح بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وجرى فيها على سنة من سبقه من الشعراء . أشار قطب الدين اليونيني إلى نبوية غير موجود في الديوان ، وذكر أنها أول مدحة قالها فيه ، وأنشدها في حجرته النبوية الشريفة سنة ٦١٩ هـ ، وأورد ما قدمه الشاعر في طرتها ، وهو قوله : مدحَهُ العبدُ الضَّعيفُ عن حسنِ تدبيرِهِ ، القويُّ في سوءِ تقصيرِهِ ، المستوحشُ من انفرادِهِ بذنبِهِ ، المستأنسُ إلى شفاعةِ نبيِّهِ المشفوعةِ برحمةِ ربِّهِ ، عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ الأنصاريُّ ، جعلَ اللهُ عليهِ عاجل جائزتهِ ، مواصلة صالحِ العملِ ، ومقاطعة كاذبِ الأملِ ، والغنى عن الضَّراعة بالقناعةِ ، والتوفيقَ لتلقي أوامرِهِ بالسَّمعِ والطاعة ، وآجلها استقامتهُ ، على الصّراطِ المستقيم ،

(١) أبو شامة المقدسي : ذيل الروضتين ، أخبار سنة ٦٦٢ هـ .

وإقامته في جنانِ النَّعيم المُقيم ، وإدخاله برحمتِهِ في عبادِهِ الصَّالحين ، اللَّهمَّ آمين » [١] .

انتقد الشاعر في النبوية المذكورة صرف الشعراء مدحهم إلى الملوك طمعاً بالإثابة والعطاء ، وطلب منهم أن يوجهوه في غير هذا السبيل المادي :

يا ناظمَ الدُّرِّ الثمينِ ومهديَ النـ ظم الرصين لفاضلٍ ومفضّلِ
جانبْ مخادعة الملوكِ عن النُّهـى فالمالُ يذهبُ والخصاصةُ تنجلي [٢]

كانت هذه النظرة المثالية في نفس الشاعر يوم كان في ريق صباه وريعان شبابه ، لكنه لم يصرف مديحه عن مخادعة الملوك كما ينصح غيره ، فلقد مدح بعضهم ، وخص بشعره منهم من رآه أهلاً له ، لا طمعاً في جاهه ، ولا سعياً وراء زخارف الدنيا ، وهو الذي كانت الملوك تراسله وتخطب وده . نذكر منهم الملك الناصر الذي كان يكاتبه ، ويضمن كتابه شعراً يمدحه به ، ويخطه بيده فقط دون سائر الرسالة ، وقد حدث أن احتجب الناصر مرة لأمر يهمه ، فعاتبه بقوله :

يا ملكاً تخضعُ الملوكُ لـهُ إنْ غابَ عن دارِها وإن حضَرا
قد حَسدَتْ عينيَ الفؤادَ على قربِكَ حتى أطالتِ السَّهرا
ولستُ أرضى لعدلِ مجدكَ أنْ يُعطي نُضاراً ويمنعَ النَّظرا [٣]

توجد في الديوان مدح ناصرية كثيرة ، نذكر منها هذه المدحة التي تفنن الشاعر فيها ، فذكر نعوت المدح المعروفة من جود وحلم وبأس :

بكَ افتخرَ الأملاكُ من آل أيوبٍ وعندكَ نالوا في العُلا كلَّ مطلوبِ
كفيتهمُ الأحداثَ طفلاً ويافعاً تُبيدُ عدّواً أو تجودُ بموهوبِ

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٢٤ .
(٢) المصدر السابق ، و ١٢٤ .
(٣) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٧ .

فكم مَلِكٍ جبّارٍ سلبتَ بجحفلٍ ... يوسّع بالإقدام ضنكَ الأساليب
ودهياءَ في يومٍ عصيبٍ أدرتها ... على رأس مَلْكٍ فيه بالتاج معصوبِ
برزتَ لنا يا يوسفُ بن محمّدٍ ... فخِلنا ابن أيّوبٍ بدا وابن يعقوبِ
جهادٌ إلى أهلِ المحاريبِ محسنٌ ... وحسْنٌ به تُسبى الدُّمى في المحاريبِ
تجولُ الأماني والمنايا فتنتهي ... إلى أمرِهِ في كلِّ بشرٍ وتقطيبِ
وما عرفتْ تركُ الأعاجم ذلّةً ... لغيرك مذ حلتْ بلاد الأعاريبِ
جلالة ملكٍ في جمالِ نبوة ... لأزهرَ مرجّو العواطفِ موهوبِ
لكَ اللهُ من ملكٍ كريمٍ مؤيدٍ ... من اللهِ محبوٍّ المهابةِ مرهوبِ
نظمتُ الدراري فيكَ لا الدّرَّ مدحةً ... لأنّكَ بحرٌ زاخرٌ بالأعاجيبِ
وأرسلتُ مكتوبي إليك مسلّماً ... وبالرّغم مني أنْ بعثتُ بمكتوبي[1]

فصر شرف الدين جل مدحه على الملوك الأيوبيين الذين عاصرهم ، فهم في نظره أعلى ملوك الأرض مقداراً ، وقد أشار إلى هذا المعنى في مدح الملك الأمجد :

أعلى ملوكِ بني أيوبَ منزلةً ... وهمْ أجلُّ ملوكِ الأرض مقدارا
شُمُّ الجنان إذا احمرَّ القنا دلفوا ... يدعون منهُ على الأعداءِ سوّارا[2]

كان الشاعر في معظم الأحيان ينظم في المناسبات الخاصة كالتهنئة بدخول السنة الهجرية ، أو بحلول شهر رجب ، أو رمضان ، أو أحد العيدين ، أو بالعافية والشفاء من مرض ، أو بمولود ، أو بالعودة من غزاة [3] .

وكان أثيراً لدى الملوك الأيوبيين الذين مدحهم ، حتى إنه كان ينشد الملك المظفر بعض مدحه ، وهما راكبان في الموكب الملكي [4] .

(١) المصدر السابق ، ل ٧ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٣١ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٢١ ، ٤ ، ١٥ ، ٣٦ ، ١١ ، ٢٤ ، ٢٣ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٣٠ .

ونراه في مدحه يصف حياتهم في حربهم وسلمهم ، نذكر من ذلك القصيدة التي مدح بها الملك المنصور ، ووصف ما يعانيه في الصيد رياضة ولهواً :

أكملتَ كـلَّ المناقبْ ... يا خيرَ ماشٍ وراكبْ
تسابقُ الوحشَ حتى ... تخـاله كـالجنائبْ[1]
وكـم ضربت عليهـا ... من حلقـة بالمقانبْ[2]
جلبتَ فيها صنوف الأ ... ضداد يا خيرَ جالبْ
ومن وعولٍ تبـاري ... غزلانهـا والأرانبْ
يا من يُخافُ وتُرجى ... منهُ السُّطا والرغائبْ
لكَ الصفـاتُ اللواتي ... لم يُحصِها عدُّ حاسبْ
كملْتَ مذْ كنت طفلاً ... وزِدْتَ بعدَ التجاربْ
حتى قهرتَ الأعادي ... بشأمِنا غـيرَ هائبْ
وارتحتَ للصَّيد لهواً ... إذْ لم تجدْ من تحاربْ[3]

كما كان الشاعر يضمن مدحه وصف الأحداث الكبرى ، فينوه بذكر انتصارات المسلمين على التتار في الوقائع الهامة التي حدثت في هذا العصر . نذكر من ذلك مثلاً قصيدته التي مدح بها الملك المنصور ، وقد أشار فيها إلى معركة عين جالوت المشهورة ، وجاء فيها قوله :

لك العُـلا أعيت المبارينا ... تقرعُ منهـا الأبكار والعُونا
يا ملكاً لم تزلْ عزائمـُـهُ ... تكفُّ عنّـا الأذى وتكفينا
أنتَ المليكُ المنصورُ أشرفُ من ... فاقَ البـرايا عزّاً وتمكينـا

---

(١) الجنائب : جمع جنيبة ، وهي الدابة التي تقاد إلى جانب الفرس .
(٢) المقانب : جمع مقنب ، وتطلق على جماعة الخيل والفرسان .
(٣) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ١٠ .

بعين جالوتَ خُضتَ بحرَ وغىً يُخالُ فلكاً بالأسدِ مشحونا
وكُنتَ للجيشِ غرّةً شدخت أنوفَهمْ فانثنوا مهابينا
أخذتَ ثأرَ الإمامِ إذ فتكوا به وصالوا عليه عادينا
أذكرتهمْ ما صنعت قبلهمُ بكَتْبُغا فانثنوا مُولّينا
وما نجا منهمُ سوى خبرٍ أسكن قازانَ خبرُه الصّينا
يا ناصر الدّين يا مُحمّدُ ما أولى بحمدٍ من ينصرُ الدّينا
تهنَّ ما شئتَ من مدائحنا كما لنا منْ نداكَ ماشينا[1]

ننتهي مما تقدم معنا من مدحه لنقول : إنها كانت تمثل الحياة السياسية في هذا العصر ، وكان كما يظهر يؤيد سياسة ملوكه ، ويقرهم على ما يراه أنه الحق ، ففي إحدى مدحه المظفرية ذكر نصرته للملك الصالح [2] ، وفي مدحة أمجدية هنأ الملك الأمجد بقدومه عندما عاد الملك المعظم وشفي [3] • يضاف إلى ذلك أن مدحه تضمنت كما رأينا وصف الأحداث الكبرى وبخاصة منها الحروب المريرة ضد التتار ، ولا نعرف بين شعراء العصر من عبر عنها مثله • كما لاحظنا في بعض مدحه أنه كان يعرض عن ذكر النسيب [4] ، وفي بعضها الآخر كان يطيل نفسه فيها •

نسيب وغزل

أعجب الأقدمون بالرقة المتناهية في شعره ، وبخاصة منه مطالع النسيب وقصائد الغزل ومتطعاته الغنائية ، فهو ينهج في معانيه بشكل عام نهج غيره ، بيد أنه لا يقتصر

---

(١) المصدر السابق ، ل ٨٢ •
(٢) المصدر السابق ، ل ٦ •
(٣) المصدر السابق ، ل ٤ •
(٤) المصدر السابق ، ل ٤ •

على اقتباس المعاني الشائعة منها ، وإنما كان يبتكر ويجدد في بعضها الآخر ، وبخاصة منها ما يتعلق بتصنع التورية مذهب العصر في الشام ومصر على السواء .

تحدث عن خال وجنة الحبيب ، وعقارب الأصداغ وليل الشعر .. كما وصف ذلة العاشق وبكاءه ،وصدود الحبيب وإعراضه ، وتجني الرقيب على المحب ، ولوم العاذل والكاشح والرقيب .

لاحظ ابن حجة هذه الطريقة التي تفرد بها في شعر الغزل والنسيب ، فأعجب به لسلوكه هذه الطريقة الغرامية التي اعتبرها جرياً على سنة البلاغين في التنويع مظهراً جديداً مبتكراً في البديع ، وقد أشار إليها في معرض حديثه عن الانسجام ، فعرفه تعريفاً واضحاً بقوله : « المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة ، ولعمري إن طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعة ، وبمحاسنه الغضة بين الأوراق ساجعة . وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه وسكان مرابعه ، فإنهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع ، اللهم إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد . وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري ماش على هذا التقرير [١] » .

اعتنق الشاعر في طريقته الغرامية غزلها ونسيبها مذهب الانسجام في معظم شعره، وتجلت عبقريته في هيكل القصيدة العام ، وفي أبياتها التي تكاد تذوب رقة ، وتنطق بخفة الوزن وحلاوة الجرس الموسيقي ، فقد كان يحاول دوماً أن يختار لها البحر المجزوء والقافية الراقصة التي كانت لا تنسجم مع ما عرف به من سمت ووقار في حياته الرسمية . يظهر أنه كان يشعر بذنبه في استرساله متغزلاً ، لكن شيطان

---

(١) ابن حجة : الخزانة ؛ ص ١٩٠ .

شعره يطغى عليه ويندم حين لا ينفع الندم ، وحين يجد أمامه قصيدة جميلة ، يعز عليه أن يقذف بها في زوايا الإهمال ، ويعزيه الشفاعة وخلاصه في يوم بعثه كما في القصيدة الغزلية التي نظمها على وزن قصيدة للقاضي الفاضل :

لعيني كلَّ يومٍ منهُ عَبْرَهْ ... تُصيرُني لأهلِ العشقِ عِبرهْ
فعسجدُ جفنِها لا نقصَ فيهِ ... وكم جهَّزْتُ منهُ جيشَ عُسرَهْ
إذا غَفَلَ الوُشاةُ أسلتُ دمعي ... فيغدو مُرسلاً في وقتِ فترَهْ
علامةُ شقوتي في الحبِّ أنِّي ... ثَقَلْتُ عليكَ لاعن طولِ عِشره
فوترُ الوصلِ لم يُشفعْ بشانٍ ... وهجرُكَ مرةً في إثرِ مَرَّهْ
وجفنُكَ أكحلٌ مِن غير كحلٍ ... وخدُّكَ أحمرٌ مِن غيرِ حُمْرَهْ
وصبري فيكَ ليس له وجودٌ ... ووجدي منكَ لا أحصيه كَثْرَهْ
سألزمُ باب خمّار الثّنايا ... ليطلقَ لي، ولو في العمر، سكرَهْ
وقدماً كنتَ مستوراً إلى أن ... لبستُ مِن الخلاعةِ ثوبَ شُهره
أطعتُ غوايتي وعصيتُ رشداً ... مُناصح كَرّةً مِنْ بعدِ كرَّهْ
وما تنقى مِن الأدناسِ نفسي ... ولو غَسلتْ بصابونِ المَعَرَّهْ
وأعجبُ حادثاتِ الدَّهرِ أنّي ... أحاولُ طاعةً فتعودُ حَسْرَهْ
وأطمعُ في خلاصي يوم بعثي ... وما أخلصتُ في مثقالِ ذَرَّه[1]

جمعت هذه القصيدة الغزلية بين سحر المعاني وجمال الأسلوب : فأما في المعاني فقد رأيناه يتحدث عن العبرات والوصال والهجران ، وصور محاسن الحبيب ، وخلص إلى التحدث عن ضلاله في هواه ، ولزومه باب خمار ثناياه ورجائه في الخلاص يوم النشور ؛ وأما في أسلوبه فقد أخذ من البديع محاسنه ، وجمع فيه من التورية

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٧ ، ٣٨ .

والانسجام أوفر نصيب ، وطبع كل ذلك بطابعه الخاص ، ورمز في أسلوب التورية إلى جيش العسرة ، والمرسل في غيرفترة ، وباب خمار الثنايا ، وصابون المعرة .

وما دام قد أضله شيطان هواه ، وطرق باب الخمار ، فلنستمع إليه يحدثنا عن جارته ربة الخالين التي حوت حسن البداوة وجمال الحضارة ، وذلك في مطلع نسيب مدحة مظفرية أنشده إياها وهما راكبان في الموكب الملكي :

لنا مِنْ ربةِ الخالين جارَهْ	تواصلُ تارةً وتصدُّ تارَهْ
تؤانسني وتنفرُ مِنْ قريبٍ	وتعرضُ ثم تقبلُ في الحرارَهْ
وتعلقني بما يحلي سُلوّي	ولكنْ ليس في جوفي مرارَهْ
ومالي في الغرامِ بها شبيهٌ	وليس لها نظيرٌ في النَّضارَهْ
وفي الوصفينِ مِنْ كَحَلٍ وكُحل	حَوَتْ حسنَ البداوةِ والحضاره
وقتلُ العمدِ قد قتلتهُ علماً	وما وَصَلَتْ إلى بابِ الإجارَهْ
وقالوا: قدخَسِرْتَ الرُّوحَ فيها	فقلتُ: الرِّبحُ في تلكَ الخسارَهْ
بأيسرِ نظرةٍ أسرتْ فؤادي	كما نشأَ اللّهيبُ من الشَّرارَهْ
أطارتْ شملَ حسنِ الصَّبرعنّي	بأحسنِ شملةٍ مِنْ فوقِ طارَهْ
شَمَرْتُ إزارَها عنها فصدَّتْ	فقُلْتُ : تقدّمي ودعي الشَّمارَهْ
أدرْتُ على مُزرَّرِها عناقي	فبِتُّ ومِعصمي للبدرِ دارَهْ
إذا استسقى بريقتِها نديمٌ	أزالت خَمْرُها عنه خمارَهْ[1]

نرى في المدحة المذكورة هذا المطلع الغزلي الرقيق ، فهو يحاول أن ينسج خيوط قصته مع جارته الحسناء ، وقل أن يجاريه فيها شعراء الغزل المشهورون ، إذ

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٠ .

نلاحظ أنه ينحو فيه منحى مادياً محضاً بأسلوبه الرشيق الشيق ، بما فيه من انسجام بديعي وتورية جميلة .

تلك هي قصة جارته المتخيلة في معرض النسيب ، بيد أن للشاعر قصة حقيقية عن جارية مما ملكت أيمانه ، وقد خلدها في شعره من خلال قصيدتين ، وكانت النهاية فاجعة أليمة في حياة الشاعر ، لم يفطن أحد لها ممن عاصروه ، لكننا قرأنا قصتها في تضاعيف شعره : أما القصيدة الأولى فقد روى لنا فيها قصة الجارية الحسناء التي عشقها ، وجاء فيها قوله :

سروري بساقيةٍ جاريَهْ ووجدي بجاريةٍ ساقيَهْ
أهزُّ بهاتيكَ عِطفَ القريضِ ليثني على هـذه الثانيَهْ
سبتنيَ كاسيـةٌ بالجمـالِ فروحيَ عندي لهـا عاريَهْ
على الجسمِ حاكمةٌ بالضنَى وفي القلبِ آمرةٌ ناهيَهْ
تراني إذا لم أزر بيتَهـا كأنّيَ بيتٌ بلا قافيهْ
تواصلني فأحوزُ المُنى وأجلسُ في الدّستِ والحاشيهْ
وتنأى فأجلسُ في مسجـدي وحيـداً وألتفُّ بالباريَهْ.[1]
ولمّا شكوتُ إليهـا الجوى وعتْهُ لهـا أذنٌ واعيَهْ
فقالتْ : بعينيَ هذا السّقامُ فقلتُ : على عينِكَ الواقيَهْ
أضاحكـةَ السّنِ لو زرتِني عجبتِ لمقلتيَ الباكيَهْ
وإنّي ، وإنْ نالَ منّي الأذى معافىً إذا كُنتِ في عافيَهْ.[2]

نبضات جديدة من الغزل الرقيق سكب الشاعر فيه قلبه وروحه ، فابتعد عن التقليد الذي عرفناه في غزل هذا العصر ، ونلاحظ أن الشاعر كان يعاني تجربة حب

---

(١) البارية : أورد صاحب اللسان ذكر الباريّ والبارياء ، وفسرهما بالحصير المنسوج ، وهما من أصل فارسي معرب .
(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٩٠ .

حقيقية لجاريته مارية [١] التي كان يحبها كثيراً . أما نهاية هذه القصة فقد اختتمت بغرقها في نهر العاصي ، فرثاها بقوله :

وجاريــةٍ مُذْ تعلّقتُها ... نَبَذْتُ إليها جميعَ العَلَقْ
تملكتُهــا فاعتراني لهــا ... غرامٌ تملّكني فاسترَقْ
وقــد كنتُ أغــرقُ حبّهــا ... وما كنتُ أخشى عليها الغَرَقْ
وكنتُ أخافُ عليها العيونَ ... فقد حقّقَ النّهرُ ذاكَ الفَرَقْ .[٢]

استخدم الشاعر في أغزاله الأبحر المجزوءة التي تثير في القصيدة جرساً ناعماً ، وكان يختار لها القوافي المستساغة التي تولد في النفس النشوة والارتياح ، وتهزها هزة الثمل والطرب ، ومن خلال الأوزان والقوافي يسير الشاعر بخطاه الحثيثة نحو الانسجام المنشود في شعره ، ويبلغ ذروة نضجه الفني المشفوع بالذاتية والطبع السليم كما في هذهالقصيدة الغنائية ذات الوزن الراقص :

رفقاً بروحي فهيَ لــكْ ... وعلى السخيّ بمــا ملَكْ
أفضلْ بحقٍّ من اصطفــا ... كَ على المــلاحِ وفضّلــكْ
وكأنَّ ربّــك بالجمــا ... لِ على اقتراحي مثّلَكْ
أحظــاكَ فيــكَ بمنصبٍ ... سوّاكَ فيــه وعدَلكْ
مَنْ فرَّ مِنْ ذلِّ السؤا ... لِ فعزّتي أن أســألكْ
إن تحمِ طرفي أنْ يرا ... كَ جعلتْ قلبي منزلكْ
إنّي أغــارُ إذا الأرا ... كُ دنا إليــكَ فقبّلكْ
ويروعُــــني واشي النّســ ... يم إذا ثنــاكَ وميّلكْ
ما أقبــحَ الصّبرَ الجميـ ... لَ بعاشقيــكَ وأجملــكْ ![٣]

---

(١) عرفنا اسم هذه الجارية من أحد أبيات القصيدة المذكورة ، ولم يرد في الديوان، وإنما عثرنا عليه في ذيل مرآة الزمان (و ١٢٧) .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٦٣ .

تنبض هذه الغزلية الغنائية بالعاطفة الصادقة والشعور الفياض ، وتتسم بالرقة المتناهية التي عرف بها شعره ، ونلمح فيها مظاهر الانسجام بين اللفظ والمعنى من ناحية ، والوزن والقافية من ناحية أخرى ؛ حتى ليشعر الإنسان وهو يتلوها بإيقاع الجرس الشعري العذب ينساب من خلال حروفها وكلماتها وأبياتها . وهي بالتالي تعبر عن نفسية الشاعر الحقيقية التي تنبض من خلالها ، وهي تختلف عن نفسية شرف الدين الوزير الكبير المعروف في كل الأوساط بالسمت والوقار . مهما احتجبت النفس الإنسانية ، فلا بد لها حين تجد أمامها متنفساً أن تتعرى على حقيقتها في حُميَّا الأهواء ، وحينئذ لا يحجبها عن العاطفة الحقيقية منصب أو سلطان أو زهد أو ورع ، كما في هذه المقطوعة التي يقول فيها :

أبعَدتَهُ وهو القريبُ ... وجفوتهُ وهو الحبيبُ
فغدا غريباً وانفردْ ... تَ بشوقهِ فأنا الغريبُ
يا مَنْ بهِ دائي يَطِـ ... بُ ومن بهِ عيشي يطيبُ
خذ ما تشاءُ من السرو ... رِ فليس لي منهُ نصيبُ [1]

يؤكد ما نذهب إليه أنه كان يحضر مجالس الغناء الملكية ، وقد غُنِّي مرة بين يديه لحن فأعجبه ، فنظم قصيدة على وزنه ، مطلعها قوله :

لا بدَّ لي منهمْ وفوا أو لم يَفُوا ... أو بخلوا الوصلِ أو تعطَّفُوا [2]

يظهر أن شعره كان ينشد في حلقات المتصوفة ، ويغنى في مجالس الطرب ، وكان يكرر في شعره بعض الألفاظ التي يتخذها المغنون تكأة لازمة لهم في أغنياتهم ، نذكر من ذلك قوله في مدحة معظمية :

وعافيةُ المعظم وهي أحلى ... هناءٍ في هناءٍ في هناءِ [3]

(١) المصدر السابق ، ل ٧ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٥٦ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٤ .

ونذكر من ذلك قوله في قصيدة ، وقد ضمن البيت المجزوء الأخير لفظة الليل أربع مرات ، يبدأ ليلته الأولى بابتداء غايته الزمانية في (من) الجارة ، ويطيب سمره ولهوه ، فلا تأخذه سنة ولا نوم ، ويصل الليلة بالليلة بـ (إلى) الجارة ، فلا يصحو إلا بعد انقضاء رابعة لياليه الأنصارية :

غرامي فيكَ لا يُحصى … بميزان ولا كيلِ
وأما دمعُ أجفاني … فلاتسألْ عن السَّيلِ
وما أنسَ فلا أنس … مراحي ساحباً ذيلي
وإجلابي على اللذّا … تِ بالرَّجلِ وبالخيلِ
من الليلِ إلى الليلِ … إلى الليلِ إلى الليلِ [1]

يزداد الشاعر رقة في بعض مقطوعاته الغزلية حتى يصل بها إلى درجة من اللين ، تغدو أقرب ما تكون إلى الأسلوب العامي :

لا وُفّقتْ بنتُ الحُميصيه … دانيةَ الدّار ومقصيَّهْ
صوفيّةُ المذهبِ لكنّها … ناعمةُ الجسمِ حريريَّه [2]

آنس الشاعر في أغزاله هذه الرقة المتناهية التي طبع عليها ، فقد صرح بها عرضاً في بيتين :

جد لي بها ، يا سيِّدي ، حُلّةً … تُحلي بها عاطلَ أحوالي
أرقَّ من قلبي ومن عبرتي … وخدِّ محبوبي وأغزالي [3]

وجاء في قصيدة أخرى قوله :

أقسمت .ا خدُّهُ القاني منَ الخجلِ … أرقُّ من مدمعي الجاري ولا غزلي [4]

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٧٢ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٩٠ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٧٢ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٦٦ .

نلاحظ أنه يعترف بهذه الرقة المتناهية ، فهو إذن يتعمدها تصنعاً ، على الرغم من أنها موجودة في شعره طبعاً ، وهذه الصفة هي التي أهلته ليكون رائد شعراء عصره في مذهب التورية والانسجام ، وسنوضح أهميته في حديثنا عن مذهبه الفني .

مذهبه الفني

استخدم الشاعر في طرائق تعبيره كثيراً من الأساليب البلاغية المستجدة في هذا العصر ، بيد أنه تفرد دون غيره بسلوك مذهب بلاغي معين في تصنعه البديعي ، فأبدع فيه كل الإبداع ، وقد أعجب الأدباء المعاصرون بهذا الاتجاه الجديد الذي يسير جنباً إلى جنب مع الاتجاه الذي بدت تباشيره قبيل ذلك في مصر على يد القاضي الفاضل وجماعته من بعده ، فنهجوا نهجه ، واقتدوا به ، وتداولوا معانيه ، ولا نبالغ إن قلنا إن معظم شعراء النصف الثاني من القرن السابع الهجري كانوا من تلامذته ، فاستمدوا منه كثيراً من معانيهم الشعرية .

نوه الصفدي بعبقرية الشرف الأنصاري ، وأعجب بمذهبه الشعري ، وأشار إلى أهميته كأكبر شاعر عرفته بلاد الشام كما أجمع على ذلك معاصروه ، ومما قاله : « لا أعرف في شعراء الشام بعد الخمسمائة وقبلها من نظم أحسن من شرف الدين ، ولا أجزل ، ولا أفصح ، ولا أصنع ، ولا أسرى ، ولا أكثر ، وما رأيت له شيئاً إلا وعلّقته ، لما فيه من النكت والتورية الفائقة ، والقوافي المتمكنة ، والتركيب العذب ، واللفظ الفصيح ، والمعنى البليغ [1] » .

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٢٧٩ .

يلاحظ أن الشاعر أكثر من تصنع التورية في شعره ، وهي لباب مذهبه الفني ، فهو لا يكتفي بإيرادها مرة واحدة ، وإنما يكثر من ذكرها ماوسع إلى ذلك سبيلاً ، فهو رائد المذهب الرمزي في أدبنا العربي خلال هذا العصر في بلاد الشام ، نذكر من ذلك قوله في جاريته مارية :

أوقعني في قيدِ أسرِ الهوى   جاريةٌ أوصافُها جامعه
ثالثةُ البدرينِ في حسنها   مع أنّها في نسكها رابعه[(١)]

وكنا أشرنا بالتفصيل إلى ما في شعره من توريات ، ونكتفي منها بهذا القدر ، فهي منتشرة فيه كل الانتشار ، وقد عرف بين الأقدمين بهذه الصفة المميزة . ويلاحظ من طرف آخر أن الشاعر حاول أن يوسع مدى التصنع البديعي في باب التورية ، فلم يقتصر منها على ما عرفه البلاغيون ، وإنما كان يحاول أن يوري بغير الألفاظ ، وذلك عن طريق عبثه اللفظي بالكلمات والحروف ، والشواهد على ذلك كثيرة ، نذكر منها قوله وقد أنشد الملك المنصور من شعر المتنبي بعضه :

تملّكَ الحمدَ حتى ما لمُفتخرٍ   في الحمدِ حاءٌ ولا ميمٌ ولا دالُ

فعقب على ذلك بقوله :

يا أيُّها الملكُ المنصورُ يا ملكاً   أوصافُه كاملاتٌ وهي أصنافُ
رفقت بالخلقِ حتى مالذي وَرَعٍ   في الرِّفقِ : راءٌ ولا فاءٌ ولا قافُ
وفزتَ بالمُلكِ حتى مالذي شرف   في الملكِ : ميمٌ ولا لامٌ ولا كافُ
وكم كتائبَ رعتَ المارقينَ بها   فيهنَّ من ألفاتِ الخطِّ آلافُ[(٢)]

انتشرت هذه الصفة كثيراً في شعره ، وغدت مظهراً مميزاً من مظاهر مذهبه الفني ، نذكر من ذلك قوله يعبث بلفظه « شرخ » :

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ١ ٥ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٥٥ .

وقد خانني شرخُ الشبَّاب وراعني مشيبٌ ، وحالي منهُ شرخٌ بلا خاء[١]

وقوله يعبث باسم ممدوحه « يوسف » الملك الناصر :

يَسْمَى فيُعزى كلُّ مجدٍ وسؤددٍ إلى يائه والواو والسين والفاءِ [٢]

وقوله يعبث بلفظتي « الحب » و « الحس » :

فلو أصبحتَ ذا حاءٍ وسين لما عنَّفتَ في حاءٍ وباءِ [٣]

كما نلاحظ بالإضافة إلى ذلك استخدامه التورية بالاصطلاحات النحوية ، نذكر من ذلك قوله :

ومعربِ اللفظ لي من نحوه أبداً حذفٌ وصرفٌ وإعلالٌ وتنكيرُ
ولحظُهُ ساكنٌ والقدُّ منتصبٌ والقرطُ مرتفعٌ والمرطُ مجرورُ[٤]

وقوله :

لا تسألوا صبَّكمْ عن حبِّه فلهُ من الإضافةِ ما يغني عن النَّسب
وراقبُوا منه حالاً غيرَ حائلةٍ كما عهدتم وقلباً غيرَ منقلبِ [٥]

كثرت المصطلحات النحوية وغيرها كثرة ظاهرة ، فقد استخدم معانيها ، لا كما وضعت لها ، وإنما استخدمها بحسب مفهومه الخاص كمظهر من الرمز والإيحاء ، من ذلك قوله :

مديحٌ تخيَّرتُ القوافي محليّاً به رفعها والنَّصبَ والجزمَ والجرّا[٦]

وقوله :

رفعتَ ذوي الإعرابِ من بعدِ خفضهمْ فأثنى عليكَ الرَّفعُ والنَّصب والجرُّ[٧]

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٣ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٢ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٤ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٢ .
(٥) المصدر السابق ، ل ١٠ .
(٦) المصدر السابق ، ل ٣٠ .
(٧) المصدر السابق ، ل ٣٦ .

وقوله :

إذا فاعلٌ رامَ ارتفاعاً بفعلهِ ففعلك مرفوعٌ بأتَك فاعلُه[١]

ولم يكتف بذلك بل كان يحاول استخدام بعض المصطلحات العروضية أو البديعية منها قوله :

وبحرٌ طويلُ الباعِ منسرحُ النّدى بسيطُ المعالي وافرُ الفضلِ كاملُه[٢]

وقوله :

ووشّتْ يدُ الأنواء بُرْدَ رياضهِ بغرائبِ التّوشيعِ والتّفويفِ [٣]

يضاف إلى ما تقدم ذكره وجود الجرس الموسيقي الشعري في قصائده ، وقد رأينا أن الشاعر قد صرح برقة أغزاله ، ومصدر هذه الرقة في نظرنا حسن اختياره الألفاظ الجميلة المعبرة ، والقوافي ذوات الروي الموحي ، والأوزان المجزوءة التي تلائم أغراضه ومعانيه . ذلك كله مع ما لاحظناه من تصنع بديعي يؤلف الانسجام في مذهبه الفني ، وقد أشار إلى هذه الصفة من خلال قوله :

واسمعْ بديعَ نظيمٍ لا يساجلُه جزلٌ من المدحِ في سهلٍ من الغزَلِ[٤]

يتضح مما أسلفنا أن الشرف الأنصاري كان رائد الشعراء الأول في مذهب التورية والانسجام ، وقد أشار ابن حجة في خزانته إلى الفرقتين اللتين اعتنقتا هذا المذهب في مصر والشام على السواء .

أما الفرقة الأولى فهي « العصابة التي مشت تحت العصائب الفاضلية »[٥]

---

(١) المصدر السابق ، ٦٧ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٦٨ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٥٤ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٦٧ .
(٥) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٧٦ .

بزعامة القاضي الفاضل ، ومن روادها الأوائل ابن سناء الملك ، وأبو الحسين الجزار، والسراج الوراق ، والنصير الحمامي ، وشمس الدين بن دانيال ، ومحيي الدين بن عبد الظاهر . وأما الفرقة الثانية الشامية « فإمام جماعتها الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري شيخ شيوخ حماة »[١] ، وكان من روادها أبرز شعراء النصف الثاني من القرن السابع ، وهم كلهم من تلامذته ، ساروا في الطريق التي سبقهم فيها .

أورد ابن حجة ذكرهم فقال : « وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم ، وتأزر نصرهم ، ولان في هذا النوع هصرهم ، وبعد حصرهم فيما أرادوه كما زاد حصرهم ، كل ناظم تود الشعري لو كانت له شعراً ، ويود الصبح لو كان له طرساً ، والغسق مداداً ، والنثرة نثراً . منهم شرف الدين عبد العزيز الأنصاري ، والأمير مجير الدين بن تميم ، وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي ، ومحيي الدين بن قرناص ، وشمس الدين محمد بن العفيف ، وسيف الدين بن المشد . . . »[٢]

ذكرني قول ابن حجة : « كل ناظم تود الشعرى لو كانت له شعراً » بقول شرف الدين نفسه في وصف شعره :

زيّنتُ مِنْ فكري سمــاءَ العُلا منكَ بشعرٍ يُخجلُ الشِّعرَى[٣]

ولا يكتفي الشاعر من وصف فنه الشعري بأنه يخجل الشعرى فحسب وإنما يرى أنه يزهد البحر بأبهى جواهره :

ولي قصائدُ في مــدحيهِ باهــرةٌ تُزهّدُ البحرَ في أبهــى جواهرهِ[٤]

---

(١) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٧٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤ .
(٣) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٨ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٣٩ .

غدت هذه القصائد المدبجة عرائس تجل عن نظرائها إذ أنها توشحت بجواهر التورية :

أجلو عرائسَ مَدحِهِ فتَجِلُّ عن نظرائِها إذْ جلَّ عن نظرائِهِ [١]

تتضح بعد ذلك أهمية هذا الشاعر في عصره ، وننتهي مما أسلفنا لنذكر أنه كان ذا طبع سليم ونهج قويم ، وقد اتخذ من الانسجام سبيله ومن التورية وكده ، فأصبح صاحب مذهب أدبي هام ، يشيع السحر اللفظي والجمال المعنوي دون تكلف ذميم أو تعسف ممقوت ، واستطاع بعبقريته ومهارته الفنية أن يبعد التعقيد والإغراب عن الشعر العربي في هذا العصر بعد أن طغت عليه أساليب الصنعة والتصنيع والتصنع ، وهذا هو وحده السبب الذي جعله موضع إعجاب القدماء وتقديرهم ، فقدموه على من جاء قبله ، ومن جاء بعده من شعراء هذا العصر البديعي [٢] كما يقول المرحوم أستاذنا التنوخيّ .



(١) المصدر السابق ، ل ٣ .

(٢) انظر البحث الهام الذي تحدث فيه المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي عن عصر التورية وجمالها في هامش الإيضاح (ج ١ ص ٩٤ — ٩٩) .

القسم الثالث
ديوانه ولزومياته

عرف الأقدمون غزارة شعر الشرف الأنصاري ، فأشار إلى ذلك قطب الدين اليونيني بقوله : « وللشيخ شرف الدين أشعار كثيرة لا يجمعها ديوان ، وكان من حسنات الدهر ومحاسنه » [1] . كما أشار الأقدمون إلى وجود ديوان له ، فقد ذكر ابن حجة أنه رآه واختار زاوية أتحف بها خزانته [2] ، وذكر الشاعر جمال الدين بن نباتة المصري أنه اختار منه جملة ، وصنّفها في مجموع خاص [3] .

كما ذكر الصابوني ، أحد المؤرخين المحدثين ، في تاريخه أنه رأى بحماة جزءاً مختصراً من أشعاره غير مطبوع [4] ويبدو لي أن الجزء المذكور من الديوان المشار إليه مفقود أيضاً .

توجد من هذا الديوان نسخة مخطوطة نفيسة محفوظة في مكتبة بايازيد باستنبول ، وهي الوحيدة التي بقيت لنا من سائر نسخ ديوانه ، وجدير بالذكر أن الأستاذ عباس عزاوي أول من أشار إليها في كتابه تاريخ الأدب العربي في العراق [5] ، وقد أفلح صديقي الأستاذ قدري الكيلاني في الحصول على مصورة الديوان المذكور ، فتفضّل مشكوراً ، ووضعها بين يديّ ، فله مني أخلص الشكر على هذه الهدية التي حملتني منّةً في عنقي لن أنساها .

لقد وجدت من واجبي القيام بتحقيقه ونشره ، بعد أن قمت بدراسة مفصلة عن حياة الشاعر المذكور في كتابي « أدب الدول المتتابعة » ، والمعروف عن هذا الشاعر العبقري أنه كان أعظم شعراء عصره كما أجمع على ذلك أئمة الأدب والنقد في العصر المذكور .

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣٨ .
(٢) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٥٦ .
(٣) انظر كتابنا ابن نباتة المصري ، ص ٢١٩ .
(٤) الصابوني : تاريخ حماة ، ص ١٢٣ .
(٥) عزاوي : تاريخ الأدب العربي في العراق ، ص ٣٣ .

يتألف ديوان الشاعر من إحدى وتسعين ورقة كتبت بالخط الفارسي ، وهي مقروءة واضحة لم يطرأ عليها ما يمس سلامتها ، وكتابتها حسنة ، وقد لوحظ أن الناسخ كان كعادة كتاب هذا العصر يهمل همز الكلمات، ويكتفي بتليين الهمزة إن جاءت وسطاً، أو حذفها إن جاءت متطرفة ، وقد لوحظ في بعض الأحيان النادرة وجود الهمزة، وتبين لنا أنها ليست من الخط الأصلي ، وإنما أدخلها بعض من طالع الديوان من المتأخرين. يضاف إلى ذلك رسم التاء المربوطة دون إعجام ، كما أن كثيراً من الحروف المعجمة كانت تهمل نقطها ، وقد أوقعنا هذا الأمر في كثير من اللبس ، ولا سيما أننا نعتمد على نسخة وحيدة من الديوان المذكور .

أورد جامع الديوان في الورقة الأولى منه العنوان على الشكل التالي : (ديوان عبد العزيز الحموي بخطه) ، وقد تأكد لنا أنه ليس بخطه ، وإنما هو مختارات من ديوان الأصل ، وذلك وفق ما جاء في الورقة الواحدة والتسعين : (فرغه اختياراً محمد عبد الرحمن الأنصاري عفا الله عنه في شهور سنة ٨١٢) أي بعد قرن ونصف من وفاة الشاعر .

يدلنا هذا النص بما لا يدع مجالا لأي شك أن جامع الديوان كان يمت بصلة النسب إلى الشاعر المذكور ، وأنه اعتمده في مختاره على نسخة أصلية كاملة للديوان، لعلها التي كانت محفوظة لدى الأسرة الأنصارية التي توارثتها ، وقد رأى جامع الديوان أن يختار منها ما يروقه من أجمل أشعاره ، بالإضافة إلى ما يختاره من اللزوميات ، ديوان الشاعر الثاني ؛ ومما يؤيد هذا الرأي ما ذكرته نقلاً عن اليونيني أن له أشعاراً كثيرة لا يجمعها ديوان . يضاف إلى ذلك أنني لاحظت بعض الاضطراب في عزو بعض المدح ، فنراه يقول مثلاً : (وقال يمدحه) ، أي : يمدح ممدوحه السابق، ونرى بالفعل أن القصيدة هي في مدح ممدوح آخر ، وقد وقع هذا اللبس بسبب حذف بعض المدح السابقة المتعلقة بالممدوح الأخير ، فجاءت على هذا النسق للممدوح السابق ذكره ، وقد أوضحنا ذلك في تحقيق القصائد المذكورة .

مهما يكن من أمر فمما لا شك فيه أن هـذا الديوان ليس في الحقيقة إلا مختارات من ديوان الأصل كما اتضح لنا ، ويؤكد هذه الحقيقـة أيضاً أمران ، أولهما : عثورنا في ذيل مرآة الزمان على قصائد كاملة في مختلف الأغراض غـير موجودة في هذا الديوان المختار ، ولا ندري أيضاً إن كانت غير موجودة في ديوان

الأصل ، وقد جمعنا هذه القصائد في الذيل الذي ألحقنا به الديوان المختار المذكور ، وهو الملحق الأول :

وثانيهما : أننا نجد في بعض الأحيان بعض القصائد في كتب التراجم ، ولكن لم يرد منها في الديوان غير بيت واحد أو بيتين اثنين أو أكثر من ذلك ، وقد رأينا إثبات القصائد المذكورة في مكانها الملائم .

والغريب أن جامع الديوان كان في بعض الأحيان يشير إلى هذا الأمر بقوله : (وقال من أبيات) ، وقد وردت هذه الإشارة في بعض المرات ، وكان في معظم الأحيان يغفل الإشارة إلى أنه كان يورد شذرات منها، وربما كان هذا الأمر في الأصل موجوداً في الديوان الذي كان يختار منه .

يضاف إلى ذلك أن جامع الديوان المذكور أسقط منه كل ما قاله الشاعر في أوائل حياته وما نظمه من مقطوعات في الأحاجي والألغاز ، وهذا يضطرنا إلى القول إن الديوان المعتمد في هذا المختار ربما كان من صنع الشاعر نفسه ، فهو الذي قام بعملية الاصطفاء من ديوان الأصل في أواخر حياته كما يفعل غيره من الشعراء . ومما يؤيد هذا الاعتقاد أن كثيراً من الأبيات الغزلية ذات الطابع المادي أو التي ظهرت فيها المبالغة قد حذفت من أشعاره ، ولعله أراد أن تكون منسجمة مع ما عرف عنه في حياته الرسمية والخاصة من سمت ووقار . يؤكد ذلك وجود كلمة (بخطه) في العنوان ، وهذا يعني في نظرنا أن هذا الديوان المختار الذي بين أيدينا هو منتخب من الديوان الذي كتبه الشاعر بخطه ، وقد أثبت جامعه بعد قرن ونصف هذا النص لكي يدلنا على صحة النسخة التي اختارها من الديوان الذي صنعه الشاعر على عينه ، وكتب بخطه في أواخر حياته .

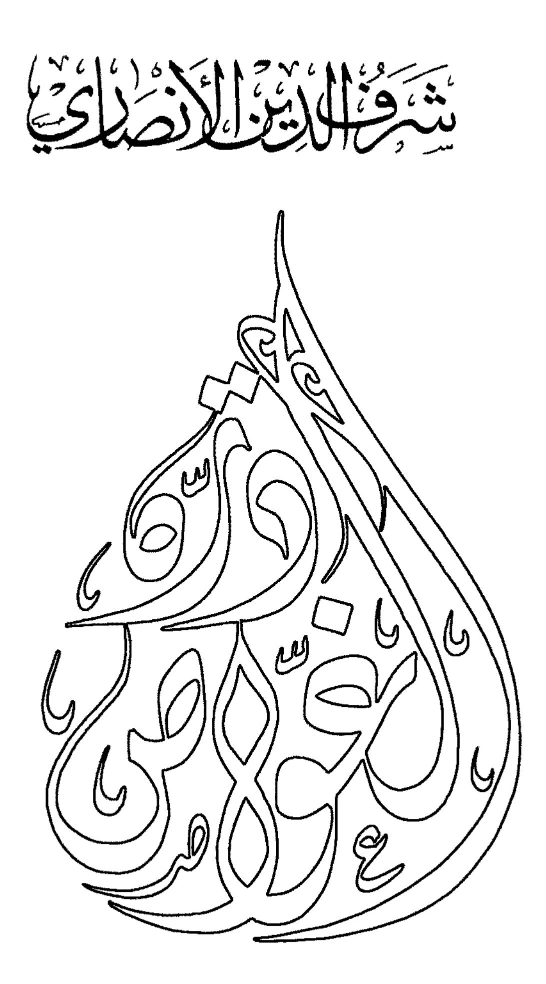
أما الديوان الثاني فقد أشار الصفدي إلى « أن له في لزوم ما لا يلزم مجلداً كبيراً »[1] ، بيد أننا لم نهتد إلى مكان وجوده ، وأغلب الظن عندنا أن قصائد

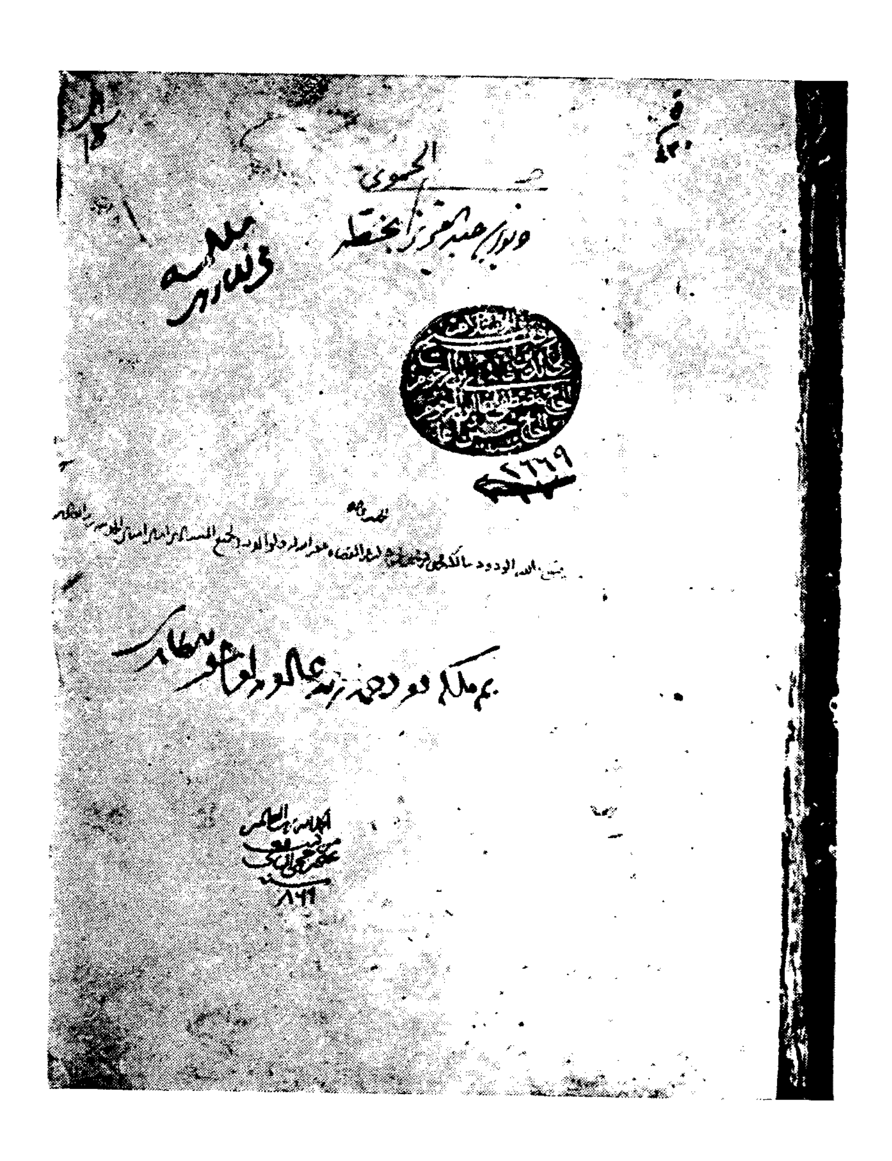
(١) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٢٨٩ .

هذا الديوان أو معظمها موجودة في الديوان المختار الذي نحن بصدده ، ولقد لاحظنا كثرة اللزوميات فيه بشكل يسترعي الانتباه حقاً ، حتى إنه كان في معظم الأحيان يشير إلى كل لزومية واردة فيه ، ويكتب الحرف الذي التزم في القافية بالإضافة إلى الروي . يضاف إلى ما ذكرناه أن الشاعر نظم هذه اللزوميات ــ على الأغلب ــ في أواخر حياته ، وأن معظمها كان جرياً على مذهبه في التورية والانسجام، وكان يدور حول المعاني الذاتية التي عبر فيها الشاعر عن نفسه وأحواله .



شرف الدين الأنصاري





اللوح رقم (١) وجه الورقة الأولى من مصورة الديوان ، وفيها عنوانه واسم الشاعر ، وذكر بعض من تملكه وطرة الوقف .

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

قال الإمام العلامة شرف الدين شيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصاري الحموي يمدح الناصر بن العزيز [illegible]

حروف علائي كلها حرف إغراء على أن سعيي بعض أفعال أسماء

غزال أنيس كالغزالة بهجة كحيل أعادت [illegible]

لقد [illegible] وحل بقلبي ذلك النازح النائي

وأسلمني ذاك الوداع المودع تسامى بها كتمان سري وإفشائي

ضنيت بذكراها فكم بت ساهرا دجى ليله من بعد ليلاي ليلائي

أما آن لي قبض العنان عن الهوى إذا ركضت في اللهو خيل أخلائي

وقد حان لي شرخ الشباب وباعني مشيب وقال لي منه شرخ بلا خاء

وتثقف عن إحدى وستين حجة وحاجات نفسي مولعات بأشياء

تألفت مطرود الكرى لتجربي خيال لذات اللثم يطرد [illegible]

ولولا ترجي زورة الطيف موهنا لما سمحت أجفان عيني بإغفاء

ولولا معالي يوسف بن محمد بن غازي لضاق الناس عن كل علياء

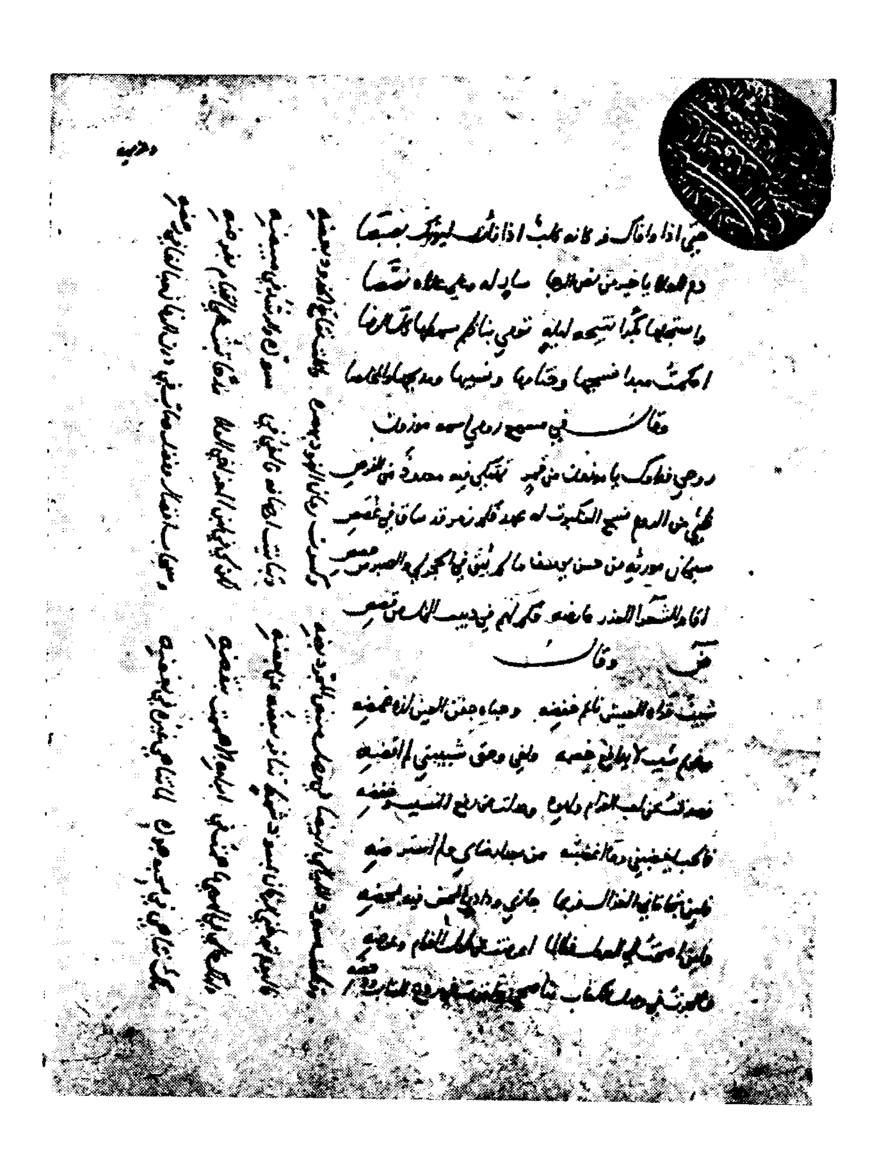
مليك براه الله أشرف قومه وأكرم خير أبناء لأشرف آباء

وأنشأه مما صفا من جدوده من الفضل [illegible] من ماء

[illegible] حواء

هو الملك يستولي على الغي رشده [illegible]

اللوح رقم (٢) ظهر الورقة الثانية من مصورة الديوان ، وفيها البسملة والمقدمة وما جاء من أول قصيدة في باب قافية الهمزة .



اللوح رقم (٣) ظهر الورقة الخامسة والأربعين وفيها طرة الوقف ، وأواخر ما جاء من قافية الصاد وأوائل ما جاء من قافية الضاد .

اللوح رقم (٤) وجه الورقة الأخيرة من مصورة الديوان ، وقد اشتملت على أواخر قافية الياء ، وخاتمة إنجاز الديوان والترحم على الشاعر .

بسم الله الرحمن الرحيم

اَللّٰهُمَّ ، صلِّ على سيِّدِنا محمدٍ وصحبِهِ ، وسلِّمْ تسليماً كثيراً .

ل 1 / ظ

قافيـة الهمـزة

١

قالَ الإمامُ العلّامـــةُ شرفُ الدِّينِ ، شيخُ الشُّيوخِ ، عبـدُ العزيزِ الأنصاريُّ الحمويُّ ، يمدحُ النّاصرَ بنَ العزيزِ (*) ، رحمَهُ اللهُ تعالى :

(*) الناصر بن العزيز : هو الملك يوسف ابن الملك محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . ولد سنة ٦٢٧ هـ ، وقد ولي الملك صغيراً في مملكة حلب بعد أبيه العزيز ، وعمره سبع سنين ، وقد قامت جدته ضيفة خاتون بنت الملك العادل بتدبير أمور الملك ، واستقل بعد وفاته بالأمر ، وكان إذ ذاك في الثالثة عشرة من عمره .

اتسعت مملكة حلب في عهده ، فشملت : الرها وحران والرقة ورأس عين وغيرها . ثم ملك بعد ذلك حمص ودمشق وبعلبك والأغوار والسواحل حتى غزة . وقد عظم شأنه بعد هذه الفتوح ، فكسر عساكر مصر ، وخطب له بمصر وبقلعة الجبل .

قتل الملك الناصر بعد معركة «عين جالوت» ومقتل «كتبغا» بيد هولاكو نفسه =

حُرُوفُ مَلامي كُلُّها حَرْفُ إغْراءِ[١] على أنَّ سُقْمي بعضُ أَفْعالِ أسْماءِ[٢]

غَزَالَةُ إِنْسٍ كالغَزالَةِ بَهْجَـةً كحيلَةُ أجفَانٍ بَديعَةُ لَألَاءِ

لَقَدْ نَزَحتْ لَمَّا نَأَتْ ماءَ مُقْلَتي وحَلَّ بقَلْبي ذلكَ النَّازحُ النَّائي

وأَسْلَمَني ذاكَ الوَدَاعُ لِلَوْعَـةٍ تَساوَى بها كِتْمانُ سِرِّي وإفْشَائي

جُنِنْتُ بِذِكْرَاها ، فَكَمْ بِتُّ ساهِراً دُجَى لَيْلَةٍ ، مِنْ بعدِ ليلايَ ، لَيْلاءِ

أَمَا آنَ لي قَبْضُ العِنَانِ عَنِ الهَوَى إذا رَكَضتْ في اللَّهْوِ خَيْلُ أَخِلَّائي

وقَدْ خانَني شَرْخُ الشَّبابِ ، وَرَاعَني مشيبٌ ، وَحالي مِنْهُ شَرْخٌ بلا خاءِ[٣]

ونَيَّفَ عَنْ إِحدَى وستِّينَ حِجَّةً وحاجاتُ نَفْسِي مُولَعاتٌ بأَشْياءِ

= وقتل معه أخوه الظاهر غازي والملك الصالح ابن صاحب حمص ؛ وذلك سنة ٦٥٩ هـ .

يقول ابن تغري بردي : « وكان الشيخ شرف الدين المذكور من أصحاب الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي صاحب حلب ، وكان الناصر يعظمه ويكرمه ويقع بينه وبينه مكاتبات كثيرة ، وسافر في خدمته إلى الديار المصرية .

(ابن تغري بردي : المنهل الصافي (مخطوط) ج ٢ و ٣٢٨ ؛ و أبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ؛ والزركلي : الأعلام ، ج ٩ ص ٣٣٠ ، ٣٣١) .

(١) استشهد ابن حجة بهذا المطلع في معرض حديثه عن براعة الاستهلال ، وقال : « وما أحسن ابتداءات الشيخ عبد العزيز الأنصاري ! فجميعها نسجت على هذا المنوال ، منها قوله : حروف غرامي . . . » .

(٢) يلاحظ الخلاف بين رواية الديوان ورواية الخزانة بين (ملامي) و (وغرامي) (ابن حجة : الخزانة ، ص ٧) .

(٣) أي : وحالي شر .

تَأَلَّفْتُ مطرودَ الكَرَى لِلِمَّ بي ... خيالٌ لِذاتِ الظَّلْمِ[1] يَطْرُدُ ظلمائي

ولَوْلا تَرَجِّي زَوْرَةِ الطَّيْفِ مَوْهِناً ... لما سَمحَتْ أَجْفانُ عَيْني بإغْفاءِ

ولوْلا مَعَالي يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْـــنِ غَازٍ لَضَلَّ النَّاسُ عَنْ كلِّ عَلْياءِ

مَليكٌ بَرَاهُ[2] اللهُ أَشْرَفَ قَوْمِهِ ... وهُمْ خَـــيْرُ أَبْناءٍ لأَشْرَفِ آباءِ

وأَنْشَأَهُ مِمَّـــا صَفا مِنْ جَوَاهِرٍ ... مِنَ الفَضْلِ لَمَّا أَنْشَأَ الخَلْقَ مِنْ مَاءِ

فَتىً لاذَ مِنْــــهُ نَسْلُ شاذِ[3] بِمالِكٍ ... تَعُمُّ أيادي بِرِّهِ نَسْلَ حَـــوَّاءِ

هُوَ المَلْكُ يَسْتَوْلي عَلَى الغَيِّ رُشْدُهُ ... فَيَمْلِكُهُ ، والنَّـاسُ عُبَّادُ أَهْواءِ

إذا اعْتَقَلَ السُّمْرَ العَواسِلَ عَاقَهُ ... بِهَا لَعَسٌ عَنْ كلِّ أَلْمَى ولَمْيَاءِ

أَوَصَّالَ هَيْجَاءٍ وجُـودٍ وسُؤْدُدٍ ... وقَطَّاعَ أَقْرانٍ وهَـــامٍ وبَيْداءِ

تَرَكْتَ أَخا الحَدْباءِ[4] يَهْوي لَوَ انَّهُ ... عَلَى آلةٍ ، مِنْ قَبْلِ سُخْطِكَ ،حَدْباءِ

حَصَدْتَ ضَوَاحِي أَرْضِهِ مِنْ رِجالِهِ ... فَأَضْحَتْ كَشَجْراءٍ،وأَمْسَتْ كَجَرْدَاءِ

---

(١) الظَّلْم : ماء الأسنان وبريقها . قال أبو مالك : الظَّلْم كأنه ظُلْمة تركب متون الأسنان من شدة الصفاء .

(٢) براه : أي برأه بتخفيف الهمز أي خلقه .

(٣) هو شاذيٌّ بن مروان جد الملوك الأيوبيين .

(٤) الحدباء : الصعبة الشديدة ، والآلة الحدباء : النعش ؛ وقد فُسّرت الآلة في بيت كعب المشهور بالحالة ، والحدباء بالصعبة الشديد .

وأفنيتَهم طعناً وضرباً كأنّما ... تردّدُه فيهم (١) تلجلجُ (٢) فأفاءِ

وما أدركَ الحصْباءَ حتّى رأيتَهُ ... يُعفّرُ وجهَ الذّلِّ في كلِّ حَصْباءِ

و 2 / ظ فألهاهُ عن بيضِ الدُّمَى حذرُ الظُّبي ... وأسلاهُ خوفُ الطّعْنِ عن كلِّ نجْلاءِ

إليكَ ، صلاحَ الدّينِ ،أعملتُ جسْرةً ... نضَا القُرْبُ عنها كلَّ بؤسٍ وإنْضاءِ

وأبعدْتُ عنْ مَغْنايَ شُقّةَ (٣) شقوتي ... بِبُرْقيّةٍ (٤) برقيّةِ (٥) الحُضْرِ (٦) شقّاءِ (٧)

فَياطِيبَ مُصْطافي لديْكَ ومرْبَعي ! ... ويا عِزَّ إصْباحي لديْكَ وإمْسائي !

حَبَاني بِما يُرْضِي الأحِبَّاءَ ماجِدٌ ... وَفَى لي بما أرْضاهُ مِنْ كَبْتِ أعدائي

يُسمَّى فيُعْزَى كلُّ مجدٍ وسُؤْدُدٍ ... إلى يائهِ والْواوِ والسِّينِ والْفاءِ

(١) اللجلجة : ثقل اللسان ، ونقص الكلام ، فلا يخرج بعضه في إثر بعض . ورجل لجلاج ، وقد لجلج وتلجلج .

(٢) الفأفاء : على زنة فعْلال ، وهو الذي يكثر ترداد الفاء إذا تكلم ، وهو يمد ويقصر . يقال رجل فأفأ وفافاء ، وامرأة فأفأة .

(٣) الشُّقة : الطريق الذي يشق على سالكه قطعه ، ويقال : شقّة شاقّة .

(٤) البُرقية : أي بجسرة بُرقية ، وهي نسبة إلى البُرقة ، والأبرق والبرقاء من كل شيء إذا اجتمع فيه سواد وبياض .

(٥) بَرقية : نسبة إلى البرق في سرعتها ، والبُراق فرس جبريل ، وهي الدابة التي ركبها الرسول (ص) ليلة الإسراء ، وسمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه ، وقيل لسرعة حركته كالبرق الخاطف .

(٦) الحُضْر : العدو ، أو هو ارتفاع الفرس في عدوه .

(٧) شقّاء : مؤنث أشق وهو الطويل من الرجال والخيل وغير ذلك .

وَيُخْفي عطَـــاياهُ الجِسامَ بِحَمْدِهِ لَوَ أَنَّ فتيقَ الْمِسْكِ يُطْوىٰ بِإِخْفَاءِ
سَرَيْتُ بِفِكْرِي في فَسِيحِ صِفَاتِهِ فَأَحْمَدَ صحْبِي عِنْدَ صُبْحِيَ إِسْرَائي
عَلىٰ جَبَهَاتِ الدَّهْرِ فيـــهِ مَدائِحٌ كُتِبْنَ بأَقْـلامِ السُّعودِ وإِمْلائي
وآلَيْتُ لا آلُوهُ نُصْحاً وعِلْمُـــهُ ولائِيَ يَكْفِيني مُؤُونَـــةَ إِيلائي
فَهُنِّئَ في الشَّهْرِ الأَصَمِّ بِنُصرَةٍ تُحَطِّمُ في أَعْـدائِهِ كلَّ صَمَّـــاءِ
وعــــاشَ إلى أَمثـــالِهِ مُتَمَتِّعاً بِسَعْدٍ وإِقْبالٍ وجَـــدٍّ ونَعْماءِ

٢

وقالَ [١] رحمهُ اللهُ تعالى :

إِذا ما كانَ وَصْلُكَ في فَنـــائي فإِني لَسْتُ أَرْغَبُ في البَقَـــاءِ
وَجَدْتُكَ إِذْ عَدِمْتُ وجودَ نَفْسي فَهِمْتُ بِذا الفِراقِ وَذا [٢] اللِّقَاءِ
غَدَوْتَ فَكُنْتَ شَمْسي في صَبَاحي وَرُحتَ فَكُنْتَ بَدْري في مَسَائي
وإِنْ أَغفَيْتُ كانَ عَلَيْكَ وَقْفي [٣] أَوِ اسْتَيْقَظْتُ كانَ بِكَ ابْتِدائي
وَمَـــا قَلَّبْتُ طَـرْفي قَطُّ إِلَّا رَأَيْتُكَ في تَقَلُّبِـــــهِ إِزَائي

---

(١) الوافي : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ (ج ١٩ ، ل ١٥) ؛ والفوات : ٣ ، ٢ ، ٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ (ج ١ ص ٥٩٨ ، ٥٩٩) .

(٢) رواية الوافي للشطر الثاني : «فأهلاً بالفراق وباللّقاء » .

(٣) اعتمدنا رواية الوافي ، وأصلها في الديوان « وإن أمسيت كان عليك وقفي » .

وَأَمّا إِنْ حَجَبْتَ ، فَلا أَمامي ... يُضيءُ لِيَ السَّبيلَ ، وَلا وَرائي
وَإِنْ تُسْفِرْ فإِنَّ الأَرْضَ أَرْضي ... بِأُنسِكَ ، والسَّماءَ إِذَنْ سَمائي
وَما الأَيَّامُ إِلّا مِنْ عَبيدي ... هُنالِكَ والَّليالي مِنْ إِمائي
أَحِبَّتَنا ، بِضَعْفي ، بِانْكِساري ... بِفَقْري ، بِانْقِطاعي ، بِالْتِجائي
بِذُلِّي بَينَ أَيْديكُمْ إِذا ما ... خَطَرْتُمْ في رِداءِ الكِبْرياءِ
صِلُوا ، وَتَعَطَّفوا ، وَاْعْفوا ، وَمُنّوا ... وَفُكّوا أَسْرَ قَلْبي مِنْ بَلاءِ
فَكَمْ وَعْدٍ لَكُمْ أَنْجَزْتُمُوهُ ... بِفَضْلٍ مِنْكُمُ قَبْلَ اْقْتِضاءِ
وَعَيْشي في الدُّنُوِّ ، فَإِنْ نَأَيْتُمْ ... نُعِيتُ ، وَإِنْ حُيِيتُ ، فَيا حَيائي
مَتى يَبْخَلْ بِمُهْجَتِهِ مُحِبٌّ ... سَخَوْتُ بِها ، وَقَلَّ لَكُمْ سَخائي
وَصِرْتُ لِكُلِّ عَشّاقٍ أَميراً ... إِذا ضَلّوا رَفَعْتُ لَهُمْ لِوائي
شَرِبْتُ كُؤوسَ حُبٍّ أَنْشَأَتْ لي ... مُعاتَبَةَ الجَهُولِ عَلى اْنْتِشائي
[فَيا سَعْدي إِذا ما دامَ سُكْري ... عَلَيَّ ، وَإِنْ صَحَوْتُ ، فَيا شَقائي[1]]
فَلا يَطْمَعْ بِإِبْلالي عَذولٌ ... يُعالِجُني ، فَدائي مِنْ دَوائي
وَقُلْتُ لِصاحِبي لَمّا لَحاني : ... عَلَيْكَ بِما عَناكَ ، وَلي عَنائي[2]

---

(١) استدركنا البيت المذكور من الفوات والوافي ، وهو غير موجود في أصل الديوان (ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٩٩ ؛ والصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٩، ل١٥).

(٢) في الديوان « وبي عنائي » ، وقد اخترنا رواية الوافي هنا .

أَصَمَّكَ سُوءُ فَهْمِكَ عَنْ خِطابي وَأَعْماكَ ٱلضَّلالُ عَنِ ٱهتِدائي
وَهُنْتَ ، فَكُنْتَ في عَيْني صَبِيّاً أُطارِحُـــهُ بِأَلفـاظِ ٱلْهِجاءِ
فَلَوْ أَصبَحْتَ ذا حاءٍ وسِينٍ لَمَا عَنَّفْتَ في حاءٍ وَباءِ
وكَمْ غِرٍّ سِواكَ عَصَيْتُ حَتّىٰ تَوَجَّه بِالْمَلامِ إلىٰ سَوائي[1] !
فَإنْ لَم يَخْشَ رَأْسُكَ مِنْ صُداعٍ يَهِيجُ ، فَأَلقِ دَلْوَكَ في ٱلدِّلاءِ
تَعاطىٰ ٱلحُبَّ أَقوامٌ ، فَدَلّوا عَلىٰ حَقِّ ٱلأَحِبَّـــةِ في ٱلْوَلاءِ
وقَوْمٌ لَجَّجُوا فيــــهِ لِيَحْظَوْا بِدَفعِ ٱلْبُؤْسِ ، أَوْ جَلْبِ ٱلرَّجاءِ
فَكُنْ مِنْ هٰؤُلاءِ تَعِشْ سَليماً إذا ما لَمْ تَكُنْ مِنْ هٰؤُلاءِ

٣

وقال يمدحُ الملك الأمجد(*) ، ويتقاضى رسمَه :

سَنَحَ ٱلْغَزالُ ، فَحالَ دُونَ رُوائِهِ أُسُدٌ ، هَوِيتُ لِقـاءَها لِلِقـائِهِ

---

(١) سَوَاء بالفتح والمد ، مثل سِوَى بالقصر والكسر ، وهي بمعنى غير .

(★) هو الملك مجد الدين ، بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وقد ولاه السلطان الملك الناصر ، صلاح الدين يوسف ، بعلبك سنة ٣٧٨ هـ بعد وفاة أبيه ، وبقي قائماً على ملكها حتى انتزعها منه الملك الأشرف عندما حاصره فاستسلم ، بعد طول الحصار عليه ، فعوضه عنها الزبداني وقصير دمشق ومواضع أخرى .

توجه الأمجد بعد سلب ملكه إلى دمشق ، فأقام في دار السعادة ، الواقعة في داخل باب النصر ، وقد وافته منيته غيلة على يد أحد مماليكه في داره سنة ٦٢٧ هـ . =

حَيَّيْتُــهُ مُسْتَشْفِياً ، فَأَجابَني : حَيٌّ يُميتُ ٱلْمُسْتَهامَ بِدائِهِ
ولَطالَما رَدَّتْ نُجومُ ظِبائِهِ عَنّي ، ورَدَّتْني بُدورُ ظِبائِهِ
وأمِنْتُ عادِيَةَ ٱلزَّمانِ ، فَراعَني في عَوْدِهِ ما راقَ في إبدائِهِ
أغْرى ٱلنَّوى بِظَعائِنٍ مِنْ عامِرٍ هَدَمَتْ رَجاءَ ٱلصَّبِّ مِنْ أرْجائِهِ
صَبٌّ يُذَكِّرُهُ ٱلْعُذَيبَ[1] وطِيبَهُ صابٌ تَجَرَّعَهُ عَلى جَرْعائِهِ
رَحَلَتْ ، فَكانَ ٱلدَّمْعُ مِنْ حُلَفائِها في جَفْنِهِ ، وٱلشَّوْقُ مِنْ حُلَفائِهِ
ونَأَتْ ، فَإنْ تُسْقِمْهُ كُلَّ سَقامِهِ فَخَيالُها يَشْفيــهِ بَعْضَ شِفائِهِ
فَيَصُدُّهُ بِٱلْحَقِّ عَنْ يَقَظاتِــهِ ويَصيدُها في الزَّوْرِ مِنْ إغْفائِهِ
ويَظَلُّ بِٱلْخَلْصاءِ مِنْ أعدائِهِ ويَبيتُ في لُبْنانَ[2] مِنْ خُلَصائِهِ

= يقول أبو الفداء : « كان الملك الأمجد أشعر بني أيوب ، وشعره مشهور » ، وقد خلّف هذا الملك الشاعر ديواناً شعرياً ما زال مخطوطاً ، وفي المجمع العلمي العربي الزاهر مصورة مخطوطة ديوانه ، رقمها ٢١٥ .

(أبو الفداء : المختصر ، ج ٣ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ؛ وابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ١٥٠)

(١) العُذَيب : وهو ماء واقع بين القادسية والمغيثة ، ويطلق هـذا الاسم على أربعة مواضع أخرى ، وقد أشار ياقوت إلى أن الشعراء أكثروا من ذكر العذيب ومائه (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٢) .

(٢) لبنان : جبـلٌ مطلٌّ يجيء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام ، فما كان بفلسطين فهو جبل الحمَل ، وما كان بالأردُنّ فهو جبل الجليل ، وبدمشق سنير ، وبحلب وحماة وحمص لبنان ، ويتصل بأنطاكية والمصّيصة فيسمى هناك =

وإذا ٱلنَّهارُ حَنا عَلَيهِ أَدالَهُ لَيلٌ ضِياءُ ٱلصُّبْحِ دونَ ضِيائِهِ ل 3/و

فَتَخالُ فيهِ ٱلبَدْرَ بَيْنَ نُجومِهِ بَهْرامَ بَيْنَ ٱلغُرِّ مِنْ أَبْنائِهِ

مَلْكٌ بَراهُ اللهُ ما بَيْنَ ٱلوَرَى فَرْداً لِتَهْزَأَ أَرْضُهُ بِسَمائِهِ

فَإذا تَقابَلَ وَجْهُهُ وهِلالُها أَوْلاهُ وَصفَ ٱلبَدْرِ مِنْ لَأْلائِهِ

أَمرَ ٱلأَكارِمَ بِٱلعُلا وشَآهُمُ فيها ، وَزانَ جَمالَها بِبَهائِهِ

فَالْمَجْدُ مِنْ أَفضالِهِ ، وٱلمَجْدُ مِنْ أَفعالِهِ ، وٱلمَجْـــدُ مِنْ أَسْمائِهِ

إنْ حلَّ حَلَّ ٱلجودُ فَوْقَ سَريرِهِ أَوْ سارَ سارَ النَّصْرُ تَحْتَ لِوائِهِ

يَغْشَى ٱلوَغَى وٱلحُمرُ مِنْ راياتِهِ مَشْفوعَةً بِالْبِيْضِ مِنْ آرائِهِ

لَمْ تَبْلُغِ الشِّعْرَى مَداهُ فَبالَغَتْ في مَدْحِهِ لِتُعَدَّ مِنْ شُعَرائِهِ

مُلِئَتْ قُلوبُ ٱلعالَمِينَ مَحَبَّةً وأَكُفُّهُمْ مَمْلوءَةٌ[1] بِحِبائِهِ

حَسْبي بِحَمْدِ ٱبْنِ ٱلمُعِزِّ وَشُكْرِهِ فَهِجاءُ صُنْعِ الدَّهْرِ مَدْحُ عَطائِهِ

فارَقْتُ لَهْوِي عاثِراً في بُؤْسِهِ ولَقيتُهُ ، فَدَخَلْتُ في نَعْمائِهِ

= اللكام ، ثم يمتد الى ملطية وسميساط وقالقيلا إلى بحر الخزر فيسمى هناك القَبْق ؛ وهو على وزن فُعلان منصرف . ذكر ياقوت أن رجلاً قال لآخر : « لي إليك حُوَيجة ، فقال : لا أقضيها حتى تكون لبنانية أي عظيمة مثل لبنان » (معجم البلدان ، ج ٥ ص ١١) وقد وردت في القاموس المحيط ممنوعة من الصرف كما استخدمها الشاعر ، وكما يجب أن تكون ، وإلا وجب أن يكون وزنها على (فُعلال) لا (فُعلان) .

(١) الحِباء : العطاء ، وقيل : العطاء بلا منٍّ ولا جزاء .

أَجْلو عرائِسَ مَدْحِهِ فَتَجِلُّ عَنْ ... نُظَرائِها ، إذْ جلَّ عَنْ نُظَرائِهِ
مُدَّتْ يَدُ السَّنَةِ ٱلْوَلودِ إلىٰ جَدا ... مَلِكٍ عَقيمُ ٱلْمُلْكِ مِنْ إجْدائِهِ
عَكَفَتْ عَلَيْهِ شُهورُها فَتَسَرْبَلَتْ ... حُلَلَ الرَّبيعِ بِشُكْرِهِ وثَنائِهِ
وأَعَزَّ أَيّاماً لَها ولَيالِياً ... فَتَشَبَّهَتْ بِعَبيدِهِ وإمائِهِ
عاماً تَعَوَّدَ أَنْ يُباشِرَنا بِما ... نَهْوىٰ ، فَبَشَّرَنا بِطولِ بَقائِهِ
وَأَحَلَّ رَسْماً أَرْتَجي أَضْعافَهُ ... مِنْهُ ، ولَسْتُ أَشُكُّ في إجْرائِهِ
ولَوِ ٱسْتَزَدْتُ لَزِدْتُ في إطْرابِهِ ... حَتّىٰ كَأَنّي زِدْتُ في إطْرائِهِ
أَعْدىٰ مُحِبِّيهِ عَلىٰ أَيّامِهِمْ ... فَٱللهُ يَنْصُرُهُ عَلىٰ أَعْدائِهِ

٤

وقال بديهةً :

دامَ لِلْعيدِ بِٱلأميرِ ٱلْهَناءُ ... وَبِبُقْياهُ لِلسَّماحِ ٱلْبَقاءُ
فَرَّغَ ٱلْجودُ وَفْرَهُ ٱلْجَمَّ ، لٰكِنْ ... مَلَأَ الأَرْضَ شُكْرُهُ والثَّناءُ
أَلْمَعِيٌّ ، يَجِلُّ[1] عَنْ هَذَيانٍ ... حَيْثُ عَمَّ ٱلسَّنا ، وَتَمَّ ٱلسَّناءُ
لَقَّبوهُ سَيْفاً وما كُلُّ سَيْفٍ ... مِنْ أَياديهِ لِلسُّيوفِ مَضاءُ

(١) في الديوان : « يجلّ مِنْ » ، واخترنا أن يكون الجار (عن) ، وهذا في الغالب تصحيف لتشابه رسم الحرفين الجارين المذكورين .

فَالمُغالونَ فيـهِ قَدْ حَفِظوا أَشْــيا[1] وغابَتْ عَن عِلْمِهِمْ أَشياءُ ل 3 / ظ
كَمْ دَعاني سِواهُ لِلمَجْدِ ظَنّاً أَنَّ كلَّ ٱلكِرامِ عِنْدي سَواءُ
قَسَماً ! لا سَأَلتُ مَقْسومَ رِزْقي مِنْ ثَرى ٱلأَرْضِ ، وٱلسَّماءُ سَماءُ

٥

وقال أيضاً :

هِيَ الدّارُ ، فَانْزِلْ بِأَفْنائِها وقَبِّلْ سَوابِغَ أَفْيائِها
وحَيٍّ لِسُعْدى بِهـا أَرْبُعاً يَحومُ ٱلرَّجاءُ بِأَرْجائِها
مُحَجَّبَـةٌ كَفَلَتْ لِلْغَيورِ صُدورُ ٱلرِّماحِ بِإِخْفائِها
مُعظَّمَةٌ أَنْ تُشيرَ ٱلبَنانُ إِلَيها بِأَطْرافِ إِيمائِها
ولٰكِنَّها تَستَنيبُ ٱلصَّبا لِحَمْلِ ٱلتَّحايا وإِهْدائِها
عَلى أَنَّهـا رُبَّما خامَرَتْ عَلَيْها ، فَنَمَّتْ بِأَنبائِها
غُزَيِّلَةٌ رَتَعَتْ بِالفَلا فَأَخْلَصْتُ وُدّي لِخُلْصائِها[2]
وَإِنّي لَأَعْرِفُ أَتْرابَهـا بِأَوْصافِها ، وبِأَسْمائِهـا
ولِي كَبِدٌ أُجِّجَتْ نارُهـا بِما أَجْرَتِ ٱلعَيْنُ مِنْ مائِهـا
ومِنْ حَذَرٍ لِمُرادٍ يَفوتُ ونَفْسٍ تَموتُ بِأَدْوائِها

---

(١) أصلها (أشياء) حذف الهمزة لضرورة شعرية من باب قصر الممدود .

(٢) سكنت اللام في (خُلَصاء) لضرورة الشعر ، ومفرده خِلْص ، وهو الخِدن الذي خلصت مودته .

فَيا غايَةَ ٱلسُّؤلِ مِنْ مُهْجَةٍ ... بِهِ لَبِسَتْ كلَّ أَسْوائِها

وفَتْ لِيَ ، لَمَّا نَأَيتَ ، ٱلْوَفاةُ ... فَأَعْفاني ٱلْقُرْبُ مِنْ نَأْيِها

فِداؤُكَ روحي ٱلَّتي كَمْ وَهَبْتَ ... شِفاءً لَهَا بَعْـدَ إِشْفائِها

وِدُونَكَ شُكْري عَلىٰ أنعُمٍ ... أُطيلُ ، فَأَعيا بِإِحصائِها

وخُذْها إِلَيْكَ عَرُوساً يَزِينُ ... لَآلِئَها فَرْطُ لَأْلائِها

ولَيْسَتْ كَفِيَّةَ هٰذا ٱلْجَمالِ ... ولِيسَ ٱلأَنامُ بِأَكْفائِها(١)

٦

وقال أيضاً ، رحمه الله :

آفَةُ ٱلعَقْلِ طاعَـةُ ٱلأَهْواءِ ... فَاعْصِها ما ٱسْتَطَعتَ ثُمَّ ٱلْهَواءِ

عَجَبي لِامْرِئٍ يَرى الأَرْضَ مَثْوا ... هُ ، وأَقْصى مُناهُ كَسْبُ ٱلثَّراءِ

أَيْنَ كِسْرىٰ ، وقَيْصَرٌ مِنْ مُلوكِـ ... الأَرْضِ ، والْمُنْذِرُ بْنُ ماءِ ٱلسَّماءِ

وكَفى ٱلْمَرْءَ مُنْذِراً بِدُنُوِّ ٱلْمَوْ ... تِ ، فَقْدُ ٱلأَتْرابِ وٱلْقُرَناءِ

---

(١) كفيّة : مؤنث كفيّ ، والكافي والكفيّ هو الذي يكفيك ويغنيك عن غيره.
أكفاء : مفردها كفء (بتثليث فاء الكلمة) ، وهو المثال والنظير .

٧

وقال يُهَنِّىء الملك الأمجد بقُدومه عندما عاد الملك المعظَّم(*) ، وشُفي :

ل 4/ و

قُدومُكَ جامِعٌ شَمْلَ ٱلهَناءِ   وشامِلُنا بِأنْواعِ ٱلسَّناءِ

وتَشْرِيفُ ٱلخَليفَةِ خيْرُ مُلْكٍ   تَكامَلَ في ٱلأُبُوَّةِ وٱلإباءِ

وعافِيةُ المُعَظَّمِ ، وهْيَ أحلى   هَناءٍ ، في هَناءٍ ، في هَناءِ

(*) هو الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، وقد ملك دمشق بعد الكرك سنة ٦١٥هـ ، وكان معروفاً بالشجاعة ، ولكنه كان يجامل أخاه الملك الكامل،فيسمح بإقامة الخطبة له ببلاده ، دون أن يذكر اسمه معه ، وذلك زهداً وعزوفاً عن الحياة الدنيا . كما عرف عنه أنه كان ضليعاً من الفقه والنحو ، وأنه كان يخالف جميع أهل بيته في مذهبه ، فإنهم كانوا شافعية ، أما هو فكان حنفياً متعصباً كثيراً لمذهبه ، فقد صنف كتاباً في فقه الحنفية ، هو (شرح الجامع الكبير للشيباني) ، وصنَّف كتاباً آخر في الرد على ما جاء في تاريخ بغداد من التعرض لأبي حنيفة سماه (السهم المصيب في الرد على الخطيب) ، وله كتاب ثالث في العروض ، وديوان شعر ؛ وقد روي عنه أنه جعل لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة . ولما توفي الملك المعظم سنة ٦٢٤ هـ ، خلفه ولده الملك الناصر ، صلاح الدين داود ، وقام بتدبير أمور المملكة مملوك والده ، وأستاذ داره الأمير عز الدين أيبك المعظمي (أبوالفداء : المختصر ج ٣ ، ص ١٤٥ ؛ والزركلي : الأعلام ، ج٥ ص ٢٩٣ ؛ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ؛ وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٦٧ ؛ وابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٨٣ ؛ والمقريزي : السلوك ج ١ ص ٢٢٤) .

بَلَغْتَ نِهايَةَ الإعْجازِ لَمَّا ... دُعيتَ لِقَصْدِ عيسى بِالشِّفاءِ
مَديحُكَ فَوْقَ كلِّ ٱلْمَدْحِ سامٍ ... لِأَنَّكَ فَوْقَ مَنْ تَحْتَ ٱلسَّماءِ
وما سَيَّرْتُ فيكَ ٱلشُّكْرَ حَتّى ... وَقَفْتُ عَلَيْكَ إِخْلاصَ ٱلْوَلاءِ

٨

وقال أيضاً :

لَمْ أَنسَ طَيْفَ خيالٍ مِنْكَ صالَ عَلَىٰ ... هَمِّي ولَيْلي بِآلاءٍ ولَأْلاءِ
فَباتَ يُطْلِقُ عَنْ خَدَّيْكَ لي قُبَلاً ... قَدْ كُنْتَ تَمْنَعُني عَنْها بِإيْماء
حَتّىٰ إذا اللَّيلُ أَعطى ٱلصُّبْحَ رايَتَهُ ... وَلّىٰ يُعَذِّلُ عَنْ أَخذي وإِعطائي
وَجَدْتُ وَجْدي ودَمْعي والسُّهادَ كَما ... فَقَدْتُ حِلمِي ولَذّاتي وإِغْفائي

٩

وقال أيضاً :

نَفْسي فِداءُ مُحَمَّدٍ(١) ... مَلْكاً ، وقَلَّ لَهُ فِدائي
يَحْكيهِ في قَلْبِ ٱلْخَميـ ... ـسِ ٱلْبَدْرُ في كَبِدِ السَّماءِ



(١) هو الملك المنصور الأول محمد .

قافيــة البــاء

١٠

قال يمدح الملك الأمجد(*) ، ويُهنّئه برجب :

أَمَّلْتُ مِنْ طَيْفِها إلمامةً ، فَأَبَى ... طائيَّةٌ لم يُناسِبْ فِعْلُهــا النَّسَبا

صادَتْ فُؤادي بإحسانٍ تَضَمَّنَهُ ... حُسْنٌ ،وصَدَّتْ،فوا عَجَبا !وياعَجَبا!

إنْ فاتَ مِنْ رِيقِها ماءُ الحَياةِ،لقد ... لَقِيتُ مِنْ سفري في حبِّها نَصَبا[1]

أَخلَصْتُ وُدِّي ، فأَصْلَتْني جحيمَ هوىً ... قلبُ المُنافِقِ لا يلْفى لها حَصَبا[2]

ماضَرَّ مَنْ نكِرَتْ وَجْدي بصُورَتِها ... لَوْ صيَّرَتْهُ إلى مَعْروفِها سَبَبا

وليــلةٍ أشرَقَتْ لي في دُجنَّتِها ... والغَرْبُ قَدْ مَدَّ مِنْ ظلمائه حُجُبا

(★) سبقت ترجمته في الصفحة ٥٥ .

(١) ضمّن الشاعر كعادته في مذهبه الفني آية من القرآن الكريم ، وهي قوله تعالى : « فلما جاوزا ، قال لفتاه : آتنا غداءَنا ، لقد لقينا من سفَرنا هذا نصَبا » .
(سورة الكهف ١٨ ، الآية ٦٤) .
يلاحظ أن جملة « لقد لقيت . . . » واقعة جواب قسم مقدر لدخول اللام في الجواب ، وإلا كان من حقها دخول الفاء الرابطة .

(٢) حَصَب جهنم : وقودها وما يرمى فيها .

فَعُذْتُ مِنْ ضلّتي فيها بِمَبْسِمِها الـــهادي، وعَوّذْتُها مِنْ غاسقٍ وَقَبا[1]

ودِمْنَةٍ زُرْتُ مَغْنى الغانياتِ بِها شَوْقاً، فلم يشفِ من كربي، ولا كَرَبا

جاوَرْتُ مُعْجَمَها، والعَيْنُ مُعْرِبَةٌ عن لوعتي مُذْ فَقَدْتُ الخُرَّدَ العُرُبا

أَقْضي حُقُوقَ دُماها بالبكاءِ دماً ولو قَضيْتُ لَمَا أَدَّيْتُ ما وجبا

لِلْوُرْقِ فيها أَغانيٌّ القِيانِ، ولي نَدْبٌ يُبيدُ، ويُبْدي في الحَشا نَدَبا[2]

أحالَ زِينَةَ دُنياهــا بِعادُهُمُ عنها، فَلَمْ تُبْقِ لي لَهْواً ولا لَعِباً

لم أَنْسَ أُنسي بها، والحالُ حاليةٌ بِقُرْبِهِمْ، وغُرابُ البَيْنِ ما نَصَبا

ودَهْرُنا غيرُ مَنْزُورِ الهِباتِ لَنا كأَنَّ، مِنْ كَفِّ مجدِ الدِّينِ، ماوَهَبا

مِنْ كَفِّ أَزْهَرَ وَضّاحِ الجبينِ، لَهُ جودٌ، إذا غالَبَتْهُ فاقةٌ غَلَبا

بَهْرامُ شاهُ الَّذي ماحَــلَّ ساحتَه مَنْ يطلبُ الجودَ إلا أَحْمَدَ الطَّلبا

ل/4 ظ

(١) المبسم: الثغر، والغاسق الواقب في البيت المذكور هو الشعر الأسود الفاحم الذي يتحدث عنه الشاعر تشبيهاً له بالليل، وجدير بالذكر أن الشاعر استخدم فعل التعويذ في هذا الموطن اقتباساً من مستهل سورتي الفلق والناس.

وفي البيت كذلك تضمين قوله تعالى «ومن شر غاسق إذا وَقَب» (سورة الفلق ١١٣، الآية ٣).

(٢) النَدَب أثر الجرح، والندْب (بتسكين الدال) مصدر فعل ندَبَ، وهو بكاء الميت.

سَما بِمقْدارِهِ قَدْرُ السَّميّ[١] لَــــهُ وشرَّفَ المجدَ لمَّا اختارَهُ لَقَبا
إذا تردَّدَ غِرٌّ في شجاعـــتِهِ رَدَّ اسْمَهُ فرأى بَهْرامَ ما رَهِبا
رأيتُهُ واحداً ، والمجْدُ قالَ : هو الْـــوَرى ، فما كذَّبتْ عَيني ولا كَذَبا
ما قَدْرُ قيسٍ إذا ما الخَطْبُ ضاق بِهِ سِواهُ ذَرْعاً ، وما قُسٌّ إذا خطَبا
يُمَوِّلُ الدُّرَّ إذْ يُمــلي قلائدَهُ وطالما كَبتَ الحُسَّادَ إذْ كـتَبا
كَمْ زارَهُ شاكياً جَوْرَ الزَّمانِ أخو ذلٍّ ، فعادَ بتاجِ العزِّ مُعْتَصِبا
وخائنُ المُلْكِ غرَّتــهُ سلامتُهُ في سَلْمِهِ ، فاجْتنَى في حَرْبِهِ الحرَبا
لمـا أتى رَجَبٌ أنْشَا فهنّأنا بهِ ، وعُدْنا فهنَّأْنا بـهِ رَجَبا
بمَـنْ ينوطُ بنفْـلٍ مِنْ رغائبِهِ فَرْضُ الرَّغائبِ يُهديها لمنْ رَغِبا
بِمُنْعِمٍ في شُهورِ اللهِ مُنْتَقِمٍ للهِ في اللهِ ما أعطى ومـا سَلَبا
مُرَجَّبٌ لعُفـاةٍ صَدْرُهُ لَهُمُ رَحْبٌ ، وإنْ ضاقَ نادِيهِ بما رَحُبا
لولا عجائبُ فيهِ مِنْ مكارِمِهِ ما قيلَ : عِشْ رجباً كيما ترى عَجَبا
فجَمَّعَ اللهُ شمـلَ الفَضْلِ أجْمَعَهُ فـيـهِ ، وأيَّـدَ في تأييدِهِ الأدَبا

(١) السميّ : أي المسمى باسمه ، تقول هو سَميُّ فلان وكَنِيُّه ، وذلك إذا وافق اسمه وكنيته ، وقد وردت في القرآن الكريم « لم نجعل له من قبل سميّا » أي لم يسمَّ أحدٌ قبله بيحيي ، وقيل : إن معناه لم نجعل له نظيراً يستحق مثل اسمه .

(٢) مُرجَّب : اسم مفعول من رجَّب ، ومعناها عظَّم ، ومنه رجب ، أحد الأشهر الحرم ، سموه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية ، ولا يستحلّون القتال فيه .

١١

وقالَ أيضاً يمدحُهُ (*) :

أَنِسْتُ بِوَجْدي ، وَهْوَ ذُلٌّ مُحَبَّبُ ... ونافَرْتُ عَذْلي ،وَهْو صِدْقٌ مُكَذَّبُ

وجاذَبَتْ أَيْديْ اللاّئمينَ حُشاشَةً ... تَجاذَبَها في الحبِّ سُعدى وزَيْنَبُ

وقالُوا: عَجِبْنا مِنْ هَوىً لم يَزَلْ هوىً ... فقُلتُ : وبُرْءِ الكَلْمِ بالكَلْمِ أعْجَبُ

فَلا تَخْدَعوا عَنْ مذهبِ العِشْقِ واسْأَلُوا ... فُؤادي بِهِ فَهْوَ الخَبيرُ المُجَرَّبُ

رأيتُ الهَوى خَمْراً يَزيدُ (٢) خُمارُها ... بِما زادَ مِنْها ، فاتْرُكُوها أَوِ اشْرَبُوا

وأَفْنَيْتُ في حبِّ الغَواني شَبيبَتي ... ولَمْ أَقْتَصِرْ عَنْهُنَّ والرَّأسُ أَشْيَبُ

فإنْ تَحْمِني أدْنى الوِصالِ (٣) فَطالَما ... دُعيتُ لأَقْصاهُ ولَمْ يُدْعَ جُنْدَبُ

فلا تَبْعُدَنْ سُعْدَى ، وإنْ كانَ بُخلُها ... يُباعِدُها ، والدَّارُ تَنأى وتَقْرُبُ

تَرَقَّبْتُ مِنْها نَظْرَةً تُرْغِمُ العِدا ... فَحالَ التَجَنّي دُونَها والتَّجَنُّبُ

وأَقْلَلْتُ مِنْ عَتْبي عليها تَيَقُّناً ... بِيَأْسي مِنْ إعْتابِها حينَ أُعْتِبُ

(★) هو الملك الأمجد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) حُشاشة وحُشاش : بالضم ، والمعنى بقية الروح في المريض أو الجريح .

(٢) خُمار : الخُمار والخُمرة من الخَمر . هو ما خالط من سكرها ، أو ما أصاب الإنسان من ألمها وصداعها وأذاها ، وقيل أيضاً الخُمار بقية السكر .

(٣) فإن تحمني أدنى الوصال : أي تمنعه ، فمن المجاز حميته أن يفعل كذا إذا منعته .

وكَيْفَ بِتَهْذِيبِ النِّسَاءِ ؟وقَدْ سَرَى مقالُهُمُ[١] :«أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ» ؟ ل 5 / و

وإِنِّي ، على ماكانَ مِنْكِ ، لَطَالِبٌ رِضاكِ بِجَهْدِي وهوَ[٢] عَنْقَاءُ مُغْرِبُ

وأَرْضَى هَوانِي في هَواكِ ، ولَمْ أكُنْ أُقادُ إلى مَرْعَى الْهَوانِ فأُصْحِبُ

وأَحْبُوكِ مِنْ نظمي نسيبَ قَصائِدٍ إلى مدحِ مجدِ الدِّينِ تُعْزَى وتُنْسَبُ

مليكٌ حوَى ، دونَ الملوكِ ، خَلائقاً بها القَوْلُ يَقْضِي ،أو بها القولُ يُقْضَبُ

يسيرُ لهُ في النَّاسِ شكرٌ ونائلٌ يُزَهِّدُ في نَيْلِ الغِنَى ويُرَغِّبُ

ويَبْدُو ، لَنا مِنْهُ ومِنْ كلِّ حادثٍ تَحيدُ الوَرَى عنْه ، عَلِيٌّ ومَرْحَبُ

هُمَــامٌ ، إذا ضاقَ المجـــالُ فصَدْرُه

بِخَوْضِ الوَغَى مِنْ ساحَةِ الأرضِ أرْحَبُ

---

(١) استخدم الشاعر هنا معظم الشطر الثاني من بيت النابغة مضمناً ، وتمامه قوله :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه على شعثٍ ، أيُّ الرجالِ المهذَّب ؟

(أشعار الشعراء الستة الجاهليين — اختيار الأعلم الشنتمري ، ج ١ ص ٢٢١) .

(٢) عَنقاء مُغرِب : والعنقاءُ المغربُ ، وعنقاءُ مغربةٌ ، وعنقاءُ مُغْرِبٍ بالإضافة ، طائر معروف الاسم لا الجسم ، أو طائر عظيم يبعد في طيرانه ، أو من الألفاظ الدالة على غير معنى ، وتطلق على الداهية أيضاً .

أورد ابن منظور بعض الأساطير التي رويت عن العرب لتفسير خرافة العنقاء المغرب ، وذكر أن العرب ضربتها مثلاً في أشعارها .

وأراد الشاعر هنا أن رضاكِ مستحيل ونمتنع ، شأنه شأن العنقاء المغرب .

ولا عيشةٌ إلا رِضاً منه تُرْتَجَى ... ولا مِيتَةٌ إلا سُطاً مِنْهُ تُرْهَبُ
ولا عِزَّ إلاَّ في بَوَادِيهِ يُقْتَنَى ... ولا كَنْزَ إلاَّ مِنْ أَيادِيهِ يُطلبُ
هُوَ الأَمْجَدُ المَلْكُ الَّذي عزَّ مثلُهُ ... فأَضْحَتْ به الأَمْثالُ في النَّاس تُضْرَبُ
حَجَبْتُ عذارى الشِّعْرِ عنْ غَيْرِ أَمْجَدٍ ... لَهُ عَرَضٌ[1] طَلْقٌ وعِرْضٌ مُحَجَّبُ
وأُوطِئْتُ مِنْ مَغْناهُ أَطيَبَ مَنْزِلٍ ... « وكلُّ مكانٍ[2] يُنبِتُ العِزَّ طَيِّبُ »
وَجَدْناكَ، مجدَ الدِّين، بَحْرَ مَواهِبٍ[3] ... يَسيرُ إلى العافي نَدَاه ويَعْذُبُ
وشِمْتُ بِجَدْواكَ المَواسِمَ صائغاً ... لها أوجهاً، أَمْواهُهَا لَيْسَ تَنْضُبُ
فَلاَحَ الرِّضا في جَبْهَةِ العيدِ غُرَّةً ... بأَفْضَلِ مَنْ لِلّهِ يَرْضَى ويَغْضَبُ
وتَمَّتْ لَهُ فيكَ المَسَرَّةُ فَهْوَ مِنْ ... دِماءِ الأَعادي والأَضاحي[4] مُخَضَّبُ
فلا زِلْتَ في أَمثالِهِ تَنْصُرُ الهُدى ... وتَكْسِبُ أَصنافَ المَعَالي، وتُكْسِبُ

---

(١) العَرَض : العطاء، أو حطام الدنيا، أو ما كان من مال قلَّ أو كثر .

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت هو الشطر الثاني من بيت للمتنبي في الحكم والأمثال وشطره الأول قوله :

« وكل امرىء يُولي الجميل محبَّبٌ »

(ديوان المتنبي ج ١ ص ١٨٣) .

(٣) المواهب : مفرد مَوْهِبة ومَوْهَبة، وهي العطية، أو السحابة تقع حيث وقعت .

(٤) الأضاحي : جمع أُضحية ويكسر، شاة يُضحَّى بها، وبها سُمي عيد الأضحى يوم النحر .

١٢

وقالَ يمدحُهُ (*) :

لولا مُغازَلَةُ البيضِ[١] الرّعابيبِ[٢] غالبْتُ هَزْلي بِجِدٍّ غيرِ مَغْلُوبِ
مُقَدِّماتُ غُرورٍ أَنْتَجَتْ عَرَضاً[٣] حُزْنُ ابنِ إسْحقَ مِنْ حُسْنِ[٤] ابنِ يعقوبِ
مَنْ لي بلمياءَ تُغْنيها محاسِنُهـــا عن الحُليِّ[٥] وريّاها عن الطِّيبِ
لمّا تَباهَتْ نَهتْ قَلْبي وعاذِلَتي عَنِ السُّلوِّ وَعَنْ لَوْمي وتَأْنيبي

(★) هو الملك الأمجد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) البيض : المقصود بها هنا النساء ، وقد نقل ابن منظور من التهذيب قوله : إذا قالت العرب : فلان أبيض ، وفلانة بيضاء ، فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب ، وذكر أن هذا كثير في شعرهم ، ولا يريدون بياض اللون ، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض .

(٢) الرعابيب : مفردها رُعْبوبة ، ورُعْبوب ، ورِعبيب ، وهي الشطبة التارّة ، أو البيضاء الحسنة ، أو الرطبة الحلوة الناعمة ؛ وقيل : هي البيضاء فقط .

(٣) العَرَض والمقدمات من مصطلحات المنطق ، وقد وضّح ابن منظور العرض بقوله : « والعرض في الفلسفة : مايوجد في حامله ، ويزول عنه من غير فساد حامله ، ومنه مالا يزول عنه ؛ فالزائل منه كأُدمة الشحوب وصفرة اللون وحركة المتحرك ، وغير الزائل كسواد القار والسّبج والغراب » (ابن منظور : لسان العرب ج ٧ ص ١٦٩) .

(٤) ابن إسحق : هو النبيّ يعقوب عليه السلام ؛ وابن يعقوب : هو النبيّ يوسف عليه السلام .

(٥) الحُليّ : جمع حَلْي ، وهو مايُزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .

حَيَّتْ فأَطْمَعَني فيهـا وأَيْأَسَني ... مِنهـا التَّبَسُّمُ مَقطوباً بتَقْطِيبِ

وراشَقَتْني إشاراتٍ رَجَوتُ بها ... تصديقَ ظنِّ الأماني بَعْدَ تكذيبِ

5 / ظ ثُمَّ اسْتَلَبْتُ حواشي بُرْدِها فَبَدا ... جَمالُها سالِبـاً في زيِّ مَسلوبِ

وأَنْجزَتْني وَعْـداً كانَ أَطْمَعَني ... بِرِيقِها العَذْبِ فاسْتَعْذَبتُ تَعْذيبي

فإنْ تُواصِلْ فنَزْرٌ غيرُ مُحْتَسَبٍ ... وإنْ تُهاجِرْ فجمٌّ غيرُ مَحْسُوبِ

وَدَّعتُها، وضُلوعي، في جحيمِ هوىً ... مَشْبوبةٌ، ودموعي كالشَّآبيبِ[1]

وسرَّني حَوْبُ أيامٍ تَعقَّبَهـا ... تَجريدُ عزمي على جرداءَ[2] سُرْحوبِ

أعومُ في بحرِ آلٍ أَرْضُهُ يَبَسٌ ... ما مَرْكَبي فيهِ إلاَّ سَرْحُ مركوبي

وأَطْرُدُ اللَّيْلَ عَنْ أَلْحاظِ مُقْرِبَةٍ ... يَبْدو لها ضُرُّ تَجْريبي فتَجْري بي

عاصانِيَ الوَفْدُ، وانقادَتْ شَكائِمُها ... مُطِيعةً أمـرَ إدْلاجي وَتأْويبي

فَلاحَ لي صُبحُ خِمْسٍ، وهي رابِعةٌ ... بِرَبعِ خَيْرٍ وَهُوبٍ خَيْرِ مَوْهُوبِ

بَهْرامُ شاهُ الَّذي يَروِي المكارِمَ عَنْ ... فَرُّخْشَهٍ عَنْ شَهَنْشاهٍ[3] عَنَ أَيُّوبِ

---

(١) الشآبيب: مفردها شُؤْبوب، وهو الدفعة من المطر، وقد شبه الشـاعر به غزارة دموعه .

(٢) جرداء سرحوب، فالجرداء: صفة الفرس ذات الشعر القصير، والسرحوب: (بضم السين) الفرس الطويلة .

(٣) الشاه بهاء أصلية الملك، وليست بالتاء التي تبدل في الوقف الهاء، وعلى ذلك قولهم (شَهَنْشاهْ)، ويراد به ملك الملوك . قال الأعشى :

=

مَنْ فعلُهُ غَـــيرُ مَحْذُوٍّ ومُتَّبَعٍ   وقَوْلُهُ غَـيرُ مَقْروءٍ ومَكْتوبِ
نَبِيءُ ثاقِبِ فِكْرٍ بَعْضُ مُعْجِزِهِ   تَنْظيمُ لُؤْلُئِهِ مِنْ غَـيرِ تَثْقيبِ
إذا الوَغى سَلَبَتْ ذا الحَوْلِ حِيلَتَهُ   في مَأْزِقٍ لِحِجٍ (١) ضَنْكِ الأساليبِ
عَطَفْتَ نَحْوَ العِـدا عَطْفـاً أعادَهُمُ   وَلَيْسَ فيهِمْ مُنادىً غَـيْرُ مَنْدوبِ
وصارَ أَلْفُهُـمُ بالضَّرْبِ مُنْقَسِماً   أضعافَ ضِعْفٍ لَهُمْ في الألفِ مَضْروبِ
يا أيُّهـــا المَلِكُ الحامي مَوارِدَهُ   عَنْ كُلِّ أَسْنٍ (٢) وتَكْديرٍ (٣) وتَنْضيبِ
يا بْنَ الْمعِزِّ لقَـدْ أذْلَلْتَ لي مِنَحـاً   تَساهَلَ الدَّهْرُ فيها بَعْدَ تَصْعيبِ
أوْطَأْتَني هَضْبَةً قَدْ كانَ طَرْفِي في   أطْرافِها بَيْنَ تَصْعيدٍ وَتَصْويبِ

= وكسرى (شَهَنْشاهُ) الذي سار ملكه   له ما اشتهى راح عتيقٌ وزنبق

قال أبو سعيد السكري في تفسير (شهنشاه) بالفارسية إنه ملك الملوك ، لأن الشاه الملك ؛ وأراد (شاهان شاه) . قال ابن بري : وأراد بقوله (شاهان شاه) أن الأصل كان كذلك ، ولكن الأعشى حذف الألفين منه ، فبقي (شهنشاه) .

يضاف إلى ماتقدم أن الشاه ساكنة الهاء في أصل الوضع ، ولكن الأعشى اضطر الى تحريكها بعد تعريبها ونحتها عند اقتضاء الضرورة الشعرية . أما من سمي من العرب باسم الشاه فقد ذكر صاحب القاموس أنه يمنع ويصرف .

(٤) عنَ ايوب : تسهيل همزة القطع بالنقل ، أي بنقل حركتها وهي الفتح إلى نون (عن) والأصل (عَنْ أيوب) .

(١) مأزق لحج : مأزق ضيق .

(٢) المورد الآسن : الآجن المتغير ، وأسْن مصدر أسن ، ومنها أسن الماء إذا تغير :

(٣) تنضيب : أي قلّ لبنها وبطؤ دَرُّها .

أهْدي إليكَ ألوفاً وَهْيَ شارِدَةٌ يُصاحِبُ الرَّكْبُ مِنْها خَيْرَ مَصْحوبِ
تُنْسي ، إذا سَغِبوا في البيدِ إذْ ظَمِئُوا بِطيبِها ، طِيبَ مَأْكولٍ ومَشْروبِ
فَلَيْسَ بالبِدْعِ مِنْها أَنْ تَتيهَ عَلى « مَنِ الجآذِرُ[٢] في زِيِّ الأعاريبِ ؟ »

١٣

وقالَ يمدحُ الملكَ المظفَّرَ(*) ، ويَذكرُ نصرتَه للملكِ الصَّالِحِ[٣] :

(★) هو المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد بن المظفر الأول تقي الدين عمر ، ثالث ملوك حماة الأيوبيين . ولد بقلعة حماة سنة ٥٩٩هـ ، ولما توفي والده المنصور الأول سنة ٦١٧هـ ، كان عند خاله الملك الكامل بديار مصر ، وهو المعهود إليه بالملك من بعده ، ولكن الوزير زين الدين بن فريج اتفق هو والأمراء والكبراء على استدعاء أخيه الناصر صلاح الدين قلج أرسلان لعلمهم بلين عريكته وشدة بأس المظفر ، لكنه استعاد حقه في الملك بمساعدة الملك الكامل سنة ٦٢٦ هـ .

كان المظفر الثاني كأبيه المنصور الأول محباً للعلم والعلماء ، فقد أثر عنه أنه استدعى المهندس علم الدين قيصر المشهور بتعاسيف ، فبنى له الأبراج والطواحين على نهر العاصي بشكل دقيق جداً ، كما وضع له كرة فلكية من الخشب ، فدهنها ورسم عليها النجوم والكواكب المرصودة ، وكان المظفر نفسه يشرف على صنع هذه الكرة ، وقد ساعد هذا العالم مؤرخ مشهور هو القاضي جمال الدين بن واصل الحموي .

توفي المظفر الثاني في حماة سنة ٦٤٢هـ ، ودفن في التربة التي أعدها لنفسه بجامع الكبير ، وقبره معروف مشهور ، عليه تابوت من الخشب المحفور (أبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ١٠٩)

(٢) الجآذر : ج جُؤْذر وجوذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، والمراد بها هنا النساء والأعاريب جمع عرب ، وهي جمع لاسم الجنس عرب ، يقال : عرب وأعراب وأعاريب وكله اسم جنس . إن الشطر الثاني من البيت الذي اختتم به الشطر قصيدته هو : « حُمْرُ الحُلَى والمطايا والجلابيب » .

(ديوان المتنبي ، ج ١ ص ١٥٩) .

(٣) أورد المؤرخ المشهور الملك المؤيد أبو الفداء ذكر هذه المناسبة في حوادث سنة =

لَكَ الهَـناءُ بِمُلْكٍ غيرِ مسْلوبِ ... ونيْلُ كُلِّ الْمُنى مِنْ كُلِّ مَطلوبِ

وموعِدٍ عاقَهُ أَمــــرٌ فأَنْجَـزَهُ ... أَمرٌ مِنَ اللهِ حَتمٌ غَـيرُ مَغلوبِ

ودولَةٍ شَرِقَتْ أَعـداؤُها أَسَفاً ... وأشرقَتْ شَمْسُها مِنْ بعْدِ تغريبِ

فبينَا الأُسْدُ في الأَغيالِ خادِرَةٌ ... وبيْضَةُ الْمُلْكِ في أيدي الثَّعاليبِ

والسُّمرُ مركوزَةٌ والبِيضُ مُغْمَدَةٌ ... والمجـدُ للدَّهـرِ في لَوْمٍ وتأْنيبِ

وأَسوَدُ الخلقِ مَغمورٌ وأَحْمَرُهُمْ ... في أَسودٍ مِنْ ظَلامِ الظُّلْمِ غِربيبِ

دَعا الهدى دَعوَةً صُمَّ الضَّلالُ بِها ... لكنَّها أَسمَعَتْ صُمَّ الأنابيبِ

وقامَ بالأَمرِ مَنْ دانَ الزَّمانُ لَهُ ... ودُكْدِكَتْ(1) هَيبَةً شُمُّ الأَهاضيبِ

نَجمٌ أَضاءَتْ لهُ الآفاقُ غانيَـةً ... لَدَيْهِ عَنْ ضوءِ شَمسٍ منهُ مكسوبِ

= ٦٣٦هـ ،فقال : « استولى الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل على دمشق وأعمالها بتسليم الملك الجواد يونس ، وأخذ العوض عنها سنجار والرقة وعانة ،وكان سبب ذلك أن الملك العادل [الثاني] بن الملك الكامل [الأول] ، صاحب مصر ، لما علم باستيلاء الملك الجواد على دمشق أرسل إليه عماد الدين بن الشيخ لينتزع دمشق منه ، وأن يعوض عنها إقطاعاً بمصر ، فمال الجواد يونس إلى تسليمها إلى الملك الصالح حسبما ذكرناه . . . ولما وصل الملك الصالح أيوب إلى دمشق ، وصل معه الملك المظفر [الثاني] صاحب حماة ، معاضداً له ، وكان قد لاقاه أثناء الطريق ، واستقر الملك الصالح أيوب المذكور في ملك دمشق » . (أبو الفداء : المختصر : ج ٣ ص ١٧١) .

(١) دكدكت:معنى الدكّ في الأصل هدم الجبل والحائط ونحوهما ،وقد تدكدكت الجبال، أي صارت دكاوات ، وهي روابٍ من طين واحدتها دكاء ، كما جاء في اللسان .

وفَيْتَهُ وهوَ محجوبٌ وفاءَ فتىً يمـدُّهُ بودادٍ غيرِ محجوبِ
أَنسيْتَنَا حزنَ يعقوبٍ على مَلِكٍ بدا فأذْكَرَنا حُسْنَ ابنِ يعقوبِ
أهلاً وسهلاً بإلمامِ البشيرِ به وقلَّ في ذاكَ تأهيلي وتَرْحيبي
فإنْ بَقِينا فعُقبى دعوةٍ سَبَقَتْ ونحنُ في جاحمٍ[1] ضَنْكِ الأساليبِ
ياكاشِفَ الضُّرِّ عنْ أيّوبَ حينَ دعا قدْ مسَّنا الضُّرُّ فاكْشِفْهُ بأيُّوبِ
توهَّمَ الغيدُ أنَّ اللّيثَ يَشْغَلُهُ مثواهُ في خِيسِهِ عن روغةِ الذِّيبِ
وما درى أنَّ للضِّرْغامِ بادرةً تَرْدى لها العُصْمُ[2] في شمِّ[3] الشَّناخيبِ
محمودُ تُحمدُ يابنَ الحربِ أنتَ لها ويا أخاها، ويا خَيْرَ الأصاحيبِ
لا أكذبنَّكَ في رأيٍ أُشيرُ به حاشا وكلَّا ولا رأيَ لمكذوبِ
عاضدْ خليلَكَ في مُلْكٍ تناهَبَهُ بمِصْرَ ذو الغَدْرِ فيها والأكاذيبِ
لكَ السُّطا، ولكَ الألطافُ تَعرِفُها بنو الحروبِ، وأبناءُ المحاريبِ

---

(١) جاحم: أصل معناها الجمر الشديد الاشتعال، ومنه نار جاحمة أي شديدة الحر مضطرمة، وقيل أيضاً: مكان جاحم. والجاحم من الحرب معظمها وشدة القتل في معركتها.

(٢) العصم: الأعصم من الظباء والوعول مافي ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، وهي عصماء. وجاء في اللسان نقلاً عن الأزهري أن أبا عبيد قال: الغراب الأعصم هو الأبيض اليدين، ومنه قيل للوعول عصم، الانثى منهن عصماء، والذكر أعصم لبياض في أيديها.

(٣) الشناخيب: الشُّنخوب بالضم أعلى الجبل كالشُّنخوبة والشِّنخاب.

إن شرَّقتْ مِدَحي أو غرَّبتْ فبما ... كفيتَني همَّ تشريقي وتغريبي

قلائدٌ تُفعِمُ الدُّنيا بأجمعِهـــا ... حُسْناً وتُفعِمُ أنفَ البدرِ بالطِّيبِ

فاخفِضْ بها العيشَ بكراً لا يُقاسُ إلى ... مخفوضِها كلُّ مرفوعٍ ومنصوبِ

واعطِفْ مع الصَّالحِ الميمونِ طائرُهُ ... على البلادِ بإصلاحٍ وتهـذيبِ

كفاكَ في كلِّ خطبٍ ما تحاذِرُهُ ... فاللهُ يكفيكَ فيهِ كلَّ مرهوبِ

١٤

وقالَ يمدحهُ (*) :

مشيبٌ زارَ في شرخِ الشَّبابِ ... حسبتُ بهِ صِباي مِنَ التَّصابي

وخلتُ صباحَـه في ليلِ[1] فَوْدي ... يُخِلُّ بوصلِ زينبَ والرَّبابِ

وراعكَ ما بدا لكَ مِنْ ولوعي ... بكأسِ الرَّاحِ أو كأسِ الرُّضابِ

فكنتَ محاولاً باللَّومِ رَدْعي ... لقدْ أضحكْتَ مِن بعدِ انتحابِ

عَجِلْتَ وما عَرَفْتَ حسابَ عُمري ... بلومٍ لم يكنْ لي في حسابِ

ولَوْ بَسَطَتْ لكَ العشرونَ عُذري ... ظَنَنْتَ بياضَ شيبي مِنْ خِضابِ ل 6 / ظ

وفي لينِ المعـــاطِفِ والسَّجايا ... وصالي دأْبُـــهُ ورضاهُ[2] دابي

دَعَتْ قلـبي محـــاسنُهُ فلبَّى ... ولم يعطِفْ على البِكرِ الكَعابِ

(*) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود ، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٧٢ .

(١) فودي : الفَوْد معظم شعر الرأس مما يلي الأذن ، ويقال : بدا الشيب في فوديه .

(٢) أي دأبي خففت الهمزة لضرورة الشعر .

ولم يَمْلِكْ عليَّ لُبابَ مَدْحي سِوى محمودِ الملِك[١] اللُّبابِ
فتىً وَجَدَ الثَّناءَ أعزَّ كنزٍ وما فوقَ التُّرابِ مِنَ التُّرابِ
عَطايا كفِّهِ أسْنى العطايا لنا ، وطِلابُه أسْنى الطِّلابِ
غمامٌ وفْقَ عزمتِهِ حسامٌ يصيدُ الأُسْدَ مِنْهُ[٢] بالذُّبابِ
رأيتُكَ ، يافتى المنصورِ[٣] ، طَوْداً يُنيفُ مِنَ الملوكِ على هِضابِ
إذا بَذَلوا القطائعَ للأعادي فَدَأْبُكَ فيهمُ قطعُ الرِّقابِ
وأنتَ البدرُ بهّارُ الدَّراري وأنتَ البحرُ زَخّارُ العُبابِ
وَصَلْتَ إلى نهايةِ كلِّ مجدٍ جوادُ البَرْقِ عَنْ أدناهُ كابِ
لِيَهْنِكَ[٤] فضلُ شَعبانَ المُباهي بِملكِكَ سالكاً أهدى الشِّعابِ
وعِشْ بالبذلِ مأهولَ المعاني ودُمْ بالعدلِ محروسَ الجَنابِ

---

(١) اللباب هو المختار الخالص من كل شيء ، وفي المجاز رجل لُباب من قوم لُباب ، وحسب لُباب وعيش لُباب .

(٢) ذباب السيف حدّه أو طرفه المتطرّف .

(٣) المنصور الأول محمد والد الممدوح .

(٤) ليهنك : أصلها ليهنئك ، وقد حذفت همزتها هنا لضرورة الشعر ، وحذفتها العامة لكثرة الاستعمال . وجاء في اللسان والعرب تقول : ليهنِئْك الفارس بجزم الهمزة ، وليهنيك الفارس ، بياء ساكنة ، ولا يجوز ليَهْنِك كما تقول العامة » .

١٥

وقالَ يمدحُ الناصرَ بنَ العزيزِ (*) :

بكَ افتخرَ الأملاكُ مِن آلِ أيُّوبِ ... وعندكَ نالوا في العُلا كلَّ مطلوبِ
كفيتَهمُ الأحداثَ طفلاً ويافِعاً ... تبيدُ عدواً أو تجودُ بموهوبِ
فَكَمْ ملكٍ جبارٍ سَلَبْتَ بجحفلٍ ... يُوسِّعُ بالإقدامِ ضَنْكَ (١) الأساليبِ
ودهياءَ في يومٍ عصيبٍ أدرتَها ... على رأسِ مَلْكٍ فيه بالتَّاجِ معصوبِ
وما عرفتْ تُركُ الأعاجمِ ذلَّةً ... لغيركَ مُذْ حلَّتْ بلادَ الأعاريبِ
بَرَزْتَ لنا يا يوسفُ بنَ محمدٍ ... فخلْنا ابنَ أيوبٍ بدا وابنَ يعقوبِ
جلالةُ مُلْكٍ في جمالِ نبوَّةٍ ... لأزهرَ مرجوِّ العواطفِ مرهوبِ
جهادُ إلى أهلِ المحاريبِ مُحْسِنٌ ... وحُسْنٌ به تُسْبَى الدُّمى في المحاريبِ
لكَ اللهُ من مَلْكٍ كريمٍ مؤيَّدٍ ... من اللهِ محبوٍّ المهابةِ محبوبِ
تجولُ الأماني والمنايا فتنتهي ... إلى أمرِهِ في كلِّ بِشْرٍ وتقطيبِ
نَظَمْتُ الدَّراري فيكَ لا الدُّرَّ مدحةً ... لأنَّكَ بحرٌ زاخِرٌ بالأعاجيبِ
وأرسلتُ مكتوبي إليكَ مسلِّماً ... وبالرغمِ منِّي أنْ بعثْتُ بمكتوبي

ل 7 / و

(*) هو الملك يوسف بن العزيز محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الأساليب : جمع أسلوب ، وهو لفظ أُطلق في أصل الوضع على السطر من النخيل ؛ وهو كل طريق ممتدٌ تأخذ فيه والوجه والمذهب ، وأساليب القول أفانينه المختلفة .

١٦

وقالَ :

لَنا مَليكٌ سَعيدٌ جَدُّ كَوْكَبِهِ ... جَمٌّ[١] ٱلتَّواضُعِ في عَلْياءِ مَنْصِبِهِ

إنْ سِرْتُ عَنْهُ سَرَتْ نَحْوي فَواضِلُهُ ... وَإنْ قَدِمتُ تَلَقَّاني بِمَوْكِبِهِ

نَدْبٌ[٢] نُجاوِرُهُ في شَرْعِ سُؤْدُدِهِ ... أَوْلَى بِمأْكَلِهِ مِنهُ ومَشْرَبِهِ

ٱلنَّاصِرُ بْنُ ٱلعَزيزِ بْنِ ٱلغِياثِ ومَنْ ... زُيِّنَتْ بِأَوْصافِهِ الدُّنيا ومَنْسِبِهِ

رَبُّ ٱلمَكارِمِ يُغْني عَنْ وَسائِلِنا ... وَفازَ مُسْتَشفِعٌ مِنّا إلَيْهِ بِهِ

١٧

وقالَ ، وقد سمعَ غزلاً[٣] مِن نظمِ الملكِ المنصورِ[*] :

يا ناصرَ الدِّينِ ، يا مَليكاً ... ثَناؤُهُ طِيبُ كُلِّ طِيبِ

---

(١) في الأصل (جمع) ، ولعل ذلك تحريف الناسخ .

(٢) نَدْب : السريع إلى الفضائل ، والخفيف في الحاجة ، والظريف النجيب .

(٣) لعل هذه الأبيات من أقدم ما نظمه الشاعر ، وقد عُرف عنه أنه مدح الملك المنصور الأول محمداً ، كما أثر عن هذا الملك أنه كان له نظم جميل ، وصلنا بعضه ، ومنه هذان البيتان اللذان ذكر فيها الغرام العجيب الذي استرعى انتباه الشاعر :

ادْعُني باسمها فإنّي مجيبُ ... وادْرِ أني ممّا تحبُّ قريبُ !

حكم الحبُّ أن أُذِلَّ إليها ... نخوةَ الملك ، والغرامُ عجيبُ !

(ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ٢ ص ٤٩٩) .

(★) هو الملك المنصور الأول محمد بن المظفر الأول تقي الدين عمر ، وقد سمع الحديث =

تَعَجُّبِي زائِـــدٌ ! وعُجْبِي مِنْ وَصْفِكَ الْمُعْجِبِ الْعَجِيبِ
مِنْ حِلْمِكَ الْجَمِّ في اقْتِدارٍ وخِصْبِ جَدْواكَ في الْجُدوبِ
ونَثْرِكَ الْهامَ مِنْ عَـــدُوٍّ ونَظْمِكَ الدُّرَّ في حَبيبِ
وقاكَ عَيْنَ الْكَمالِ رَبٌّ أَبْقَى لَكَ الْوُدَّ في الْقُلوبِ

١٨

وقالَ :

أَبْعَدْتَـــهُ ، وهُوَ الْقَريبُ وجَفَوْتَهُ ، وهُوَ الْحَبيبُ

=في الإسكندرية عن الحافظ السلفي قبل توليه ملك حماة . وكان شجاعاً « جرت له حروب مع الفرنج وانتصر فيها » كما أنه كان عالماً مشهوراً يحب العلم ويجل العلماء ، فقد ذكر المؤرخ أبو الفداء أنه « ورد إليه منهم جماعة كثيرة مثل الشيخ سيف الدين علي الآمدي ، وكان في خدمة المنصور قريب من مائتي متعمم من النحاة والفقهاء والمشتغلين بغير ذلك » من الحكماء والمنجمين والكتاب .

يضاف إلى ذلك أنه كانت له مؤلفات مشهورة ، منها كتاب تاريخي كبير على عدد السنين في عدة مجلدات ، وكتاب (مضمار سر الحقائق وسير الخلائق) ، وكتاب (طبقات الشعراء) في عدة مجلدات ؛ كما كان ينظم الشعر ، وقد سمع الشاعر شرف الدين بعضاً منه ، وأوردت كتب التـــاريخ نماذج مختارة منه . توفي في قلعة حماة سنة ٦١٧ هـ بعـــد حـكم دام ثلاثين عاماً .

(أبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ١٣٢ ؛ والصابوني : تاريخ حماة ص ١١٩ ، ١٢٠ ؛ وابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ٢ ص ٤٩٨ ، ٤٩٩) .

فَغَـدا غَريباً ، وٱنفَرَدْ تُ بِشَوْقِهِ ، فَأَنا الْغَريبُ
يا مَنْ بِـهِ دائي يُطَـبُّ ومَنْ بِهِ عَيْشي يَطيبُ
خُذْ ما تَشاءُ مِنَ ٱلسُّرو رِ ، فَلَيْسَ لي فيهِ نَصيبُ

١٩

وقالَ [١] :

قُلْتُ ، وقَدْ عَقرَبَ صُدْغاً لَهُ عَنْ [٢] مَشْقِهِ الحْاجِبُ لَمْ يُحْجَبِ :
قُدِّسْتَ يا رَبَّ الجَمالِ الّذي أَلَّفَ بَيْنَ النُّونِ والعَقْرَبِ

٢٠

وقالَ :

إذا الصَّديقُ اعْتَلَّتْ مَوَدَّتُهُ صَحِبْتُهُ آيِساً مِنَ ٱلْعَتْبِ
فَإنْ تَمـادى كَوَيْتُ قَرْحَتَهُ بِالهَجْرِ ، والْكَيُّ آخِرُ الطِّبِّ

٢١

وقالَ يرثي الملكَ المنصورَ (*) :

نَعِيٌّ أَغارَ الصَّبْرَ فَٱزْوَرَّ جانِبُـهْ وأَنْجَدَ فَيْضُ الدَّمعِ فانْهَلَّ ساكِبُهْ

(*) هو الملك المنصور الأول ، ناصر الدين محمد ، المتوفى سنة ٦١٧ هـ ، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٧٨ .

(١) ورد هذان البيتان في خزانة ابن حجة ص ٢٤٥ ، وابن تغري بردي : المنهل الصافي (مخطوطة) ج ٢ و ٣٢٨ ؛ والنجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٢١٥ .

(٢) في النجوم الزاهرة : « عن شِقَّةِ الحاجبِ لم يُحجَبِ » .

ورُزْءٍ أَمِنَّا كلَّ رُزْءٍ لِخَوْفِـــهِ وهالَ عَمودَ المُلْكِ فانْهالَ كاتِبُهْ

أَبالمَلِكِ المَنصورِ يُرْجِفُ قائِلٌ رُكِزْنَ عَوالِيْهِ وشِيْمَتْ قَواضِبُهْ

وقَرَّتْ سَراياهُ ، وحُطَّتْ سُروجُهُ وفاضَتْ رَزاياهُ ، وغاضَتْ مَواهِبُهْ

وغالَبَهُ المقـــدارُ مُقْتَحِماً بِهِ غِماراً تَجَلَّتْ عَنهُ والدَّهرُ غالِبُهْ

ل ٧ / ظ

وعهدي بِهِ لا يَحْرِبُ الدَّهرُ جارَهُ ولا يَصْطَلي نيرانَهُ مَنْ يُحارِبُهْ

جَداوِلُ أَمواهِ الحتوفِ سُيوفُهُ وغُدرانُ أَدراعِ الملوكِ ضَرائِبُهْ

تَعارَضَ فيهِ ظَنُّ صِدْقٍ وكِذْبُهُ فَأَصْبَحَ عِندي أَحسَنَ الظَّنِّ كاذِبُهْ

وأَظْلَمَ يَوْمٌ غُيِّبَتْ فيـــهِ شَمْسُهُ فَأَبْصَرْتُ منهُ اللَّيْلَ غابَتْ كَواكِبُهْ

وقالوا : مُحالٌ فَقْدُهُ ، فَأَجَبْتُهُمْ : فَمابالُ دَهري، أَكْلَفُ اللَّوْنِ شاحِبُهْ ؟

مَضى غَيْرَ مَرْدودٍ عنِ الوَفْدِ بابُهُ ولا حاجِبٍ يَوْماً عنِ الوَفْدِ حاجِبُهْ

مُوَقّىً صُروفَ النَّائِباتِ نَزيلُهُ ولا عِزَّ في الدُّنيا لِمَنْ ذَلَّ صاحِبُهْ

عَزاءَكَ[1] مَجْدَ الدّينِ عنـــهُ فإِنَّهُ لَرُزْءٌ يَهولُ الحازِمَ الثَّبْتَ حازِبُهْ

ولكِنَّكَ المَلْكُ الّذي لُجُّ صَبْرِهِ تَغيضُ لَهُ غُدْرُ الأَسى[2] ومَذانِبُـهْ

فَداكَ الوَرى مِنْ وافِرِ الفَضْلِ والجَدا

غَرائِبُـــهُ سارَتْ وسَرَّتْ رَغائِبُـــهْ

(١) في الأصل (عزاك)، وقد أهمل الناسخ الهمز على عادته ، إذ لا يستقيم الوزن بدونه .

(٢) المذانب : جمع مِذنب ، وهو مسيل الماء إلى الأرض ، ومسيل في الحضيض ، والجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها .

فَيا مانِعَ ٱلمَجْدِ ٱلمُذالِ[١] جَنابُـهُ ... ويا باذِلَ الرِّفْدِ ٱلمُمَنَّعِ جانِبُهْ
إليكَ ٱعتِذارَ الدَّهرِ مِمّا سَما بِهِ ... إلى ٱلكَوْكَبِ الهادي بِهِ وهْوَ هائِبُهْ
فَتًى غالَهُ جَيْشُ الرَّدي وهْوَ باسِمٌ ... فَقابَلَ عنهُ بالبُكاءِ[٢] مَقانِبُهْ
ولَوْ أنَّهُ خَطْبٌ تَلافيـهِ مُمْكِنٌ ... رأىٰ شاهِدٌ ما كانَ يَصْنَعُ غائِبُهْ
إذاً لَثَنىٰ عَنْـــهُ الرَّزايا مُظَفَّرٌ ... تَسيرُ المَنايا حَيْثُ سارَتْ كَتائِبُهْ
ولٰكِنَّهُ ٱلخَطْبُ الّذي لَمْ يَرُدَّهُ ... كِفاحُ مُلاقيهِ ولَمْ يَنْجُ هارِبُهْ
فَسِيّانِ مَنْ تَحْتَ الثَّرى مُسْتَقَرُّهُ ... لَدَيهِ ، ومَنْ فَوْقَ الثُّرَيّا مَراتِبُهْ
ومَنْ ذا الّذي تَبْقىٰ نَضارَةُ حالِهِ ... عَلَيهِ ، وهٰذا الدَّهرُ جَمٌّ نَوائِبُهْ ؟
تَبيدُ ٱلوَرى فيـــهِ وما نَوَّلَتْهُمُ ... يَداهُ ، ولٰكِنْ لا تَبيدُ عَجائِبُهْ !

٢٣

وقالَ[٣] مِنَ اللُّزومياتِ :

هِيَ الدُّنيا تُحِبُّ ، ولا تُحابي ... وتَصْحَبُ ، ثُمَّ تَغْدُرُ بالصِّحابِ
دَهَتْنِيَ في شَبابٍ خَوَّلَتْــهُ ... ولَمْ يُفْجَعْ[٤] بِمَنْعٍ مِثلُ حابِ

---

(١) المذال جنابه ، ومعنى أذاله : أهانه .

(٢) المقانب : جمع مِقنب بكسر الميم ، جماعة الخيل والفرسان ، قيل : هي دون المائة وقيل : مابين الثلاثين والأربعين ، أو زهاء ثلاثمائة .

(٣) ذيل مرآة الزمان : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٤) في مخطوطة الديوان : (ولم تفجع) ، وقد أثبتنا هنا رواية الذيل .

فَلا تَعْجَبْ مِنَ الأَضدادِ وانْظُرْ إلىٰ ضَحِكِ المَشيبِ مَعَ انْتِحابي

ولا تَثِقَنْ[1] بِهـا وأَقِلْ بَنيهـا جَرائِمَ ضَيَّقَتْ سَعَةَ الرِّحابِ

وعاشِرْهُمْ بأَخلاقٍ[2] كرامٍ طواهِرَ مثلِ أَمواهِ السَّحابِ

٢٣

ل 8 / و

وقالَ[3] رحمَهُ اللهُ[4] :

أَفدي حبيباً رُزقتُ منهُ عطفَ مُحبٍّ على حبيبِ

قدَّ فؤادي بحُسنِ قدٍّ كالغصنِ في بانهِ الرَّطيبِ

ومُقْلةٍ كَمْ لهـــا كليماً يَعْجَبُ مِنْ سحرِها العجيبِ

ووَجْنَـــةٍ[5] ما أَتمَّ رجحي وقَدْ غدا وَرْدُها نَصيبي

٢٤

وقالَ لزوميةً في المديدِ :

زارَني شَيْبي وَوَلّىٰ شَبـــابي مُسلياً عَنْ زَيْنَبٍ وَالرَّبابِ

(١) رواية الذيل : (فلا تثقن) .

(٢) رواية الذيل (بأخلاق عذابٍ) .

(٣) المنهل الصافي : ١ ، ٤ ؛ والخزانة : ١ ، ٤ .

(٤) أورد ابن حجة البيتين الأول والرابع خلال حديثه عن التورية ، وقد علق عليهما قبل ذكرهما : « وقال ، وتلطف ماشاء ، وأظنه أول من ورّى بهذه النكتة » (الخزانة ص ٣١٥) .

(٥) في الخزانة : (بوجنة) .

وَضحٌ مِنْ آيِ موسىٰ أَراني ... كَيدَ فِرعونِ الهوَى في تَبابِ

وَلَئِنْ غَلَّقْتُ سَبعينَ عـاماً ... مُغْلقاً مِنْ سَلوَتي كلَّ بابِ

فَبِما فُزْتُ بوصلِ الغَواني ... وَنَجا الغيْرانُ مَنْجى الذُّبابِ

وَبِمـا ذَبَّبْتُ[1] عنهُنَّ قَسْراً ... بِصَقيلِ المَتْنِ ماضي الذُّبابِ

وَبِما أَبعَثُها عـاثِراتٍ ... بالقنا في عِثْيَرٍ كالهِضابِ

وَإِذا ما الأوْسُ عُدُّوا فإنِّي ... مِنْ ذَوِيهِمْ في لُبابِ اللُّبابِ[2]

٢٥

وقالَ أيضاً في اللُّزوم :

قِفْ بِنَجـدٍ وَهِضابِهْ ... وَابغِ رِضوانَ غِضابِهْ

وَانْشُدَنْ لي فيهِ قَلبـاً ... غـالَ صَبْري بانقِضابِهْ

حَلَّهُ جَمْرُ الغَضا[3] مُذْ ... حَلَّ جيرانُ الغَضا بِهْ

---

(١) ذَبَّبَ : أكثر الذب . وذباب السيف : حد طرفه الذى بين شفرتيه ، وما حوله من حدّيه ظبتاه .

(٢) أشار الشاعر في هـذا البيت إلى كريم محتـده ونسبه ، وأنه من صفوة قبيلة أوس المشهورة .

(٣) شجر من نبات الرمل له هدب كهدب الأرض ، واحدته غضاة ، ونار الغضا من أجود الوقود عند العرب ، ومنه ذئب الغضا . قال ثعلب : يكتب بالألف ، ولا أدري لِمَ ذلك؟ والغضا الثانية أيضاً : أرض لبني كلاب ، وواد بنجد ، وأهل الغضا أهل نجد لكثرته هناك.

٢٦

وقالَ (١) رحمَهُ اللهُ :

لي في وَلهي عليكَ مَذْهَبْ بالصّونِ وَبالوفاءِ مُذْهَبْ

أرتاحُ إذا شَغَلْتُ روحي فيـهِ ، فإذا فَرغتُ أنْصَبْ

ألتذّ بِما يُذيبُ قَلْبي وَالحبُّ شَقـــاؤهُ مُحَبَّبْ

كَمْ تُبعِدني قِلَىً ، وَأدنو ! كَمْ تُغْضِبُني وَلستُ أغضَبْ !

لا شَيءَ سِوَى الوِصَالِ عَذْبٌ وَالهَجْرُ ، إذا رَضِيتَ ، أعْذَبْ

أفْدي قَمَراً دُجَاهُ يَغْشَى في صورَةِ حَيَّةٍ وَعَقْرَبْ

لكِنَّ رُضـــابَهُ يَقيْهِ مِنْ لَدْغِها فَلَيسَ يَرْهَبْ

(١) نظم الشاعر هـذه القصيدة على غير الأبحر الستة عشر المعروفة ، وقـد استخدم أحد الأوزان المخترعة التي انتشرت في هذا العصر ، وهو من بحر السلسلة ، من مجزوء الدوبيت ؛ وقد أشار أبو الفداء إلى هذا الوزن المخترع في معرض حديثه عن الشاعر البهاء زهير، كاتب ديوان إنشاء الملك الصالح أيوب قائلاً : « فمن شعره ، وهو وزن مخترع ، ليس يخرجه العروض ، أبيات منها :

يا من لعبت به شمولٌ ما ألطف هـذه الشمائلْ

مولاي يُحقّ لي بأني عن مثلك في الهوى أقاتلْ

ها عبدُك واقفٌ ذليلٌ بالباب ، يمدّ كفَّ سائلْ

من وصلك بالقليل يرضى والطلّ من الحبيب وابلْ »

(أبو الفداء : المختصر ، ج ٣ ص ٢٠٦ ؛ وديوان بهاء الدين زهير ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

مَنْ لي بشِفاءِ غُلَّتي ... نْ تِرْياقِ رَحيقه المُجَرَّبْ؟

مَوْلايَ ، أَجِرْ حَليفَ سُقْمٍ ... قَدْ جـدَّ بهِ ، وأَنتَ تَلْعَبْ

ظَنَّ الرُّقَبـاءُ بي ، فَراقِبْ ... ما يَخْتَلِفونَ فيهِ واعْجَبْ!

لَبَّسْتُ عَلَيْهِمُ ، فَأَعْيا ... مَنْ نَقَّرَ مِنْهُمُ وَنَقَّبْ

ل 8 / ظ

أُبْدي لِحُضورِهِمْ وَقاراً ... والوَجْدُ يَجيءُ بي وَيَذْهَبْ

والصَّبْرُ عَلى الرَّقيبِ صَعْبٌ ... والصَّبْرُ عَنِ الحَبيبِ أَصْعَبْ

٢٧

وقالَ[(١)] ، وكتبَ بها إلى شيخِهِ السيفِ الآمديِّ[(*)] :

لَئِنْ تَقَدَّمَ قَوْمٌ عَصْرَ سَيِّدِنا ... فَكَمْ تَقَدَّمَ خَيْرَ المُرْسَلينَ نبي

---

(١) أورد ابن حجة الأبيات الثلاثة المذكورة في بحثه عن الإيداع والتضمين (الخزانة ص ٤٧٥) .

(★) هو سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي ، أحد مشاهير العلماء الفقهاء الذين صنفوا في العلوم العقلية والدينية وغيرها .

ولد سنة ٥٥١هـ ، وكان في مستهل حياته حنبلياً ، ثم صار فقيهاً شافعياً ، وقد اشتغل بالأصول ، فصنف في أصول الفقه والدين والمعقولات عدة مصنفات هامة .

أقام في مصر مدة ، وتصدَّر للتدريس في الجامع والمدرسة الملاصقة لتربة الشافعية ، وقد اشتهر أمره ، فتحامل عليه بعض الفقهاء من أعدائه حسداً منه ؛ وعملوا فيه محضراً ، طعنوا فيه عليه ، ونسبوه إلى انحلال العقيدة وفساد الدين، واتهموه بالأخذ بمذهب الفلاسفة ، فتوارى عن الأنظار خوفاً على حياته ، وغادر مصر إلى بلاد الشام ، وانتهى به المطاف إلى بلاط =

وَإِنْ يَكُنْ عِلْمُهُ فَرْعاً لِعِلْمِهِمُ ... فَإِنَّ في الخَمْرِ مَعْنىً لَيْسَ في العِنَبِ
وَإِنْ أَتَتْ مِنْهُمُ كُتُبٌ مُؤَلَّفَةٌ ... فَـ«السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً مِنَ الكُتُبِ»[1]

٣٨

وكتب[2] إلى القاضي صدرِ الدِّين[*]، قاضي بعلبكّ:

= الأيوبيين في حماة، فالتحق بخدمة الملك المنصور، وكان في خدمته أكثر من مائتي متعمم من الفقهاء والنحاة والمشتغلين بغير ذلك ... وقد ترك حماة بعد وفاة مليكها العالم، وقفل عائداً منها إلى دمشق حيث وافته منيته فيها سنة ٦٣٢ هـ. (أبو الفداء: المختصر ج ٣ ص ١٦٣).

(١) يلاحظ أن شرف الدين ضمَّن الشطر الثاني من هذا البيت بالشطر الأول في مستهل قصيدة أبي تمام، وتمامه قوله:

«في حده الحد بين الجد واللعب» (ديوان أبي تمام ج ١ ص ٤٠)

(٢) الأبيات الثلاثة المذكورة وردت في مختصر مرآة الزمان وذيله خلال ترجمة الممدوح المذكور، وصدرت بقول المؤلف: «وكتب إليه الصاحب شرف الدين عبد العزيز، رحمه الله، وكان بينهما مودة».

(*) هو صدر الدين، أبو محمد، عبد الرحمن بن نصر بن يوسف الشافعي، قاضي بعلبك، اشتغل بادىء أمره بالفقه على الشيخ تقي الدين بن الصلاح وغيره، وسمع على الشيخ تاج الدين الكندي وغيره.

كان فقيهاً عالماً زاهداً ممدحاً جواداً، وله الحرمة الوافرة في الدولة، والمكانة العالية عند الخاص والعام، وقد بقي في القضاء حتى وفاته ببعلبك، وهو في عشر السبعين من عمره؛ وكانت له يد في النظم والنثر، ومن ذلك قصيدة له في وصف بعلبك.

(مختصر مرآة الزمان وذيله (مصورة) ل ١٨٠، ١٨١).

رِبَّ النَّدى عَبدَ الرَّحيمِ[١] استَمِعْ شِكايَـــةً مِنْ مُغْرَمٍ[٢] صَبٍّ
لَوْلا بِعـادي عَنْكَ ما كانَ لي عَلىٰ صُروفِ الدَّهرِ مِنْ عَتْبِ
والقَلْبُ في الصَّدْرِ عَلِمْنا بِـــهِ وأَنتَ أَنتَ الصَّدْرُ[٣] في القَلْبِ

٢٩

وقالَ[٤] :

لا تَنْسَ وَجْـدي بِكَ يا شادِناً بِحُبِّـــهِ أُنْسيتُ أَحْبـــابي
مالي عَلىٰ هَجْرِكَ مِنْ طاقَـــةٍ فَهَـلْ إلىٰ وَصْلِكَ مِنْ بابِ

٣٠

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ :

قَضَيْتُ لَكُمْ في الهَوىٰ ماوَجَبْ بِصَبْرٍ قَضىٰ وَبِقَلْبٍ وَجَبْ
وَأَوْرَيْتُ زَنْدي في حُبِّكُمْ . فَكَمْ لي مِنْ راحَـةٍ في التَّعَبْ
فَإِنْ كانَ في تَلَفي وَصْلُكُمْ فَيا حَبَّذا تَلَفي ثُمَّ حَبْ[٥] ! !

---

(١) يُلاحظ أن الشاعر جعل اسم القاضي عبد الرحيم بدلاً من عبد الرحمن لضرورة شعرية ووجود التشابه بينهما واقترانهما معاً في البسملة : (الرحمن الرحيم) .

(٢) في مختصر المرآة (مقالة من مغرم) .

(٣) في مختصر المرآة : (وأنت بدر حلَّ في القلب) .

(٤) ورد هذان البيتان في المنهل الصافي وخزانة الأدب وذيل مرآة الزمان .

(٥) أي : (حبذا) ، وهذا الأسلوب من الحذف معروف لدى شعراء هذا العصر .

ودادي في قُرْبِكُمْ وَالجَفا ودادِيَ عِنْدَ الرِّضا وَالغَضَبْ
فَكَمْ والِهٍ مِنْ بَني عُـذْرَةٍ إِليَّ انْتَمى في الهَوى وانْتَسَبْ!
وَقَدْ كُنْتُ أعجَبُ مِمَّنْ صَبا فَها أَنا يَعْجَبُ مِنِّي العَجَبْ!!
ويَحْرُمُ عِنْدي سَماعُ المَلامِ ومِنْ أجْلِ ذِكْرِكُمْ يُسْتَحَبْ
فَلي ما تَكَسَّبْتُ مِنْ لَذَّتي بِهِ وعَلى عاذلي ما اكْتَسَبْ
فَيا عُدَّتي إذْ تَروعُ الخُطوبُ وَيا عُمْدَتي إذْ تَنوبُ النُّوَبْ
أَعِدْ نَظَراً مِنْكَ في قِصَّتي وحالي فَمِنْكَ إِلَيْكَ الهَرَبْ
لَعَلَّكَ تَرْثي لِذي لَوْعَةٍ إذا ضَحِكَ العاذِلونَ انْتَحَبْ
أُؤَمِّلُ مِنْ عَبْرَتي نُصْرَتي متى كَشَفَتْ كُرْبَةٌ بِالكُرَبْ
وَلَوْ خالَطَتْ حُرُقاتُ الجَوى لَهَبَّ لَهـا في ضُلوعي لَهَبْ ل ٩ / و
وَلَوْ لَمْ أُضِعْ في هَواكَ الوَقارَ لَما صارَ يَأْخُذُ مِنِّي الطَّرَبْ
وَلا صِرْتُ أَفْهَمُ عَنْكَ الحَديثَ بِنَقْرِ الدُّفوفِ ونَفْخِ القَصَبْ[1]
فَلا يَدْخُلِ النّاسُ ما بَيْنَنا مُحِبٌّ وحِبٌّ ، وعَبْدٌ ورَبْ
وَلي مَذْهَبٌ فيكَ وَقْفٌ عَلَيْهِ لُبابُ ودادِيَ والمُنْتَخَبْ

---

(١) القصب : واحدتها قصبة ، وهي كل نبات كانت ساقه أنابيب وكعوباً ، والقصب هنا المزامير والقصّاب هو النافخ في القصب .

٣١

وقالَ [1] :

دَخلْتُ حَمَّامَكُمْ فَجاشَتْ ... بِألْف كَرْبٍ لِكَشْفِ كُرْبَهْ

فَقُلْتُ : تَبًّا لِحُبِّ دُنْيا ... نَعيمُها بالشَّقاءِ أَشْبَهْ

٣٢

وقالَ ، وقد هَرَبَ « هِبة » مِن قلعةِ حلبَ ، لزوميةً :

يا أيُّها النَّاصِرُ [2] يا ... مَلْكاً سُطاهُ مُرْهَبَهْ

قَلْعَتُكَ الشَّهْباءُ ما ... زالتْ حُلاها مُذْهَبَهْ

أَعْدَيْتَها بالجودِ فَهْـ ... ـيَ للجزيلِ مُذْهِبَهْ

وَلَيْسَ بِالبِدْعِ إذا ... ما هِيَ جادَتْ بـ « هِبَهْ »

٣٣

وقالَ :

شَمَخْتُ على زَماني في شَبابي ... فَسلَّ مِنَ المشيبِ عَلَيَّ عَضْبا

(١) أورد هذين البيتين اليونيني في الذيل (٢ و ١٣٢) .

(٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد ، ملك حلب ، وقد سبقت ترجمته .

وأضحَتْ هِندُ غَضْبي مِنْ وِصالي ... وقَدْ أوليتُها هِنداً [١] وغَضْبى

(هنـدُ الثانية علمٌ على مائتين مِن الإبلِ ، وغَضْبى علمٌ على مائةٍ مِن الإبلِ) .

٣٤

وقالَ [٢] :

دَعْني وشأْني مِنْ جِدّي [٣] ومِنْ لَعِبي ... فَراحتي بالَّذي أنكَرْتَ مِنْ تعَبي

أضْنى [٤] فؤادِيَ فتّانُ الجَمالِ إذا ... طلبتُ شِبْهاً لهُ في النَّاسِ لَمْ أُصِبِ

قرأْتُ خَطَّ عِذارَيْهِ فأَطْمَعَني ... بِواوِ عَطْفٍ وَوَصْلٍ مِنهُ عَنْ كَثَبِ

وَأعرَبتْ لِيَ نونُ الصُّدْغِ مُعْجِمَةً ... بالخالِ [٥] عَنْ نُجحِ مَقصودي [٦] ومُطَّلَبي

---

(١) هند في الشطر الثاني ، اسم للمائة من الإبل خاصة ، وقيل : هي اسم للمائة ، ولما دونها ، ولما فويقها ، أو للمائتين .

وغضبي في الشطر الثاني ، وهي أيضاً اسم للمائة من الإبل ، وهي معرفة لا تنون ولا يدخلها الألف واللام ؛ وقد أشار ابن منظور وغيره إلى أنه وجد في بعض النسخ حاشية جاء فيها أن هذه الكلمة تصحيف من الجوهري ومن جماعة ، وأنها غضيا باليـاء المثناة من تحتها مقصورة ، كأنها شبهت في كثرتها بمنبت ؛ وهذا الخطأ شائع في بعض معاجم اللغة .

(٢) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ؛ والشذرات ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ؛ والوافي : ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٣) في الذيل : (وشأني من وجدي) ، و (أنكرت من نصبي) .

(٤) » » : (أصبى فؤادي) ؛ وفي الشذرات : (سبى فؤادي) .

(٥) في الشذرات : (بالحال) .

(٦) في الوافي : (وعن طلبي) .

حتى رَنَا فسَبَتْ قَلبي لَواحِظُهُ و «السَّيفُ أَصْدَقُ أَنباءً مِنَ ٱلْكُتُبِ»

لَمْ أَنسَ لَيلَةَ طافَتْ بي عَواطِفُهُ فزارَني طيفُهُ صِدْقاً بلا كَذِبِ

حَيَّا بِما شِئتُ مِن وَرْدٍ بوَجْنَتِهِ نَهَبْتُهُ بالْتثامي[1] ، وهُوَ مُنْتَهِبي

وَكأْسُ ثَغْرٍ شَهِيٍّ مُنذُ فُزْتُ بِهِ قُلتُ : ٱلْعفاءُ عَلى كَأْسِ ٱبنَةِ ٱلْعِنَبِ

وَرُحتُ ، لَمْ أَدْرِ عَقْلي هَلْ فُجِعْتُ بِهِ مِنْ نَخْوَةِ ٱلْعِزِّ أَوْ مِنْ نَشْوَةِ الطَّرَبِ ؟

أَقسمْتُ ما في ضُروبِ السُّكْرِ أَبلَغُ مِنْ كأْسِ بَريقٍ[2] لهُ أَحلى مِنَ[3] الضَّرَبِ

نَشْوانُ أَسأَلُ عَنْ قَلْبي فَينكِرُهُ تيهاً ، ويَسأَلُ عَني وَهوَ أَعرَفُ بي

وكُلَّما قالَ : مِمَّنْ أَنتَ ؟ قُلتُ لهُ : مِمَّنْ إذا عَشِقوا جاؤوكَ بالْعَجَبِ

لا تَسأَلوا صَبَّكُمْ[4] عَن حُبِّهِ ، فَلَهُ مِنَ الإِضافَةِ ما يُغْني عَنِ النَّسَبِ

وراقِبُوا مِنهُ حالاً غيرَ حائِلَةٍ كَما عَهِدْتُمْ[5] ، وقَلْباً غَيْرَ مُنْقَلِبِ

٣٥

وقالَ رحِمَهُ اللهُ تعالى :

هَبْني - فَدَيْتُكَ يا حَبيبي - نَظَراً إِليكَ بِلا رَقيبِ

---

(١) في الشذرات : (بابتسامي) .

(٢) في الذيل : (سكري بريق) .

(٣) الضَّرْب والضَّرَب (وبالتحريك أشهر) : العسل الأبيض .

(٤) في الذيل : (لا تسألوا ميتكم) ؛ وفي الشذرات : (لا تسألوا صبكم) و (ما يغني عن السبب) .

(٥) في الذيل والشذرات (عما عهدتم) .

وانهَضْ ، فقَدْ سَكَنَتْ لنا ريحُ الوشاةِ عَنِ الهبوبِ

وخُذِ ٱليقينَ وخلِّهِمْ فالقَوْمُ في شَكٍّ مُريبِ

يا طَلعَةَ ٱلقَمَرِ المُنيرِ وقامَةَ ٱلغُصْنِ الرَّطيبِ

لكَ صولَةُ الأسَدُ الهَصُورِ[1] ونَفْرَةُ الرَّشَأِ[2] الرَّبيبِ

وأرى بِقَلبي مِثْلَ ما في وَجنَتيْكَ مِنَ اللَّهيْبِ

إنْ دامَ بي هٰذا السَّقامُ قَضيْتُ نَحبي بالنَّحيْبِ

مَرَضٌ تُؤَدِّيهِ العُيونُ إلى الجُسومِ عنِ القلوبِ

قالوا : ألا نَدْعو الطَّبيبَ؟ فقُلْتُ : دائي مِن طَبيبي!

وَخيالِ زورٍ زارَ مِنْكَ ، فَجاءَ بالعَجبِ العَجيبِ

أبدى الظَّلامَ على الضِّياءِ عَلىٰ القَضيْبِ على الكَثيْبِ

وأَباحَ رُوْحي مِنْ نصابِ وِصالِهِ أوفى نَصيبِ

حَتَّى بَخِلْتُ بِجُودِهِ فَعَدَدْتُ غَمْضِي مِنْ ذُنوبي

وَجَعَلْتُ صِحَّةَ جَفوَتي عِوَضاً عَنِ الوَصْلِ الكَذوبِ

عُدْ يا غَريْبَ الحُسْنِ بالـفِعلِ الجَميلِ على الغَريبِ

وَاحذَرْ إلٰهَكَ في دَمي وَارْجِعْ إلَيْهِ مِنْ قَريبِ

(١) الهصور : الشديد الذي يفترس ويكسر ويُميل .

(٢) الرشأ : الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه .

٣٦

وقالَ لزوميةً :

صَبابَتي إنْ شَكَكْتَ فيها فانظُرْ إلى دَمْعِيَ المُصَبّبْ
سَلْ عَنْ دَمي مِنْ ظِباءِ [١] سَلْعٍ عيناءَ كالشّادنِ [٢] المُرَبَّبْ
لَبَّيْتُها إذْ دَعَتْ بِجَفْنٍ كَصارِمِ الفارِسِ المُلَبَّبْ
لاحَتْ فَسبَّ الأنامُ [٣] لاحِ فيها إلى سَلوَتي تَسَبَّبْ
وَابْتَسَمَتْ فَارعَوى [٤] بغيضٌ يَلومُ في ثَغرِها المُحَبَّبْ

٣٧

ل 10 / و وقالَ في سنةِ ٦٦٢ [٥] يمدحُ الملكَ المنصورَ [*] ، ويصفُ ما يعانيهِ في الصَّيدِ :

---

(١) سَلْع : موضوع بقرب المدينة ، وقيل : جبل بالمدينة ، وسلع أيضاً حصن في وادي موسى بقرب البيت المقدس ، وجبل في ديار هذيل .

(٢) الشادن : من أولاد الظباء الذي قوي ، وطلع قرناه ، واستغنى عن أمه .

(٣) موقع (لاح) النصب بالفتح ، وقد أجازت إحدى اللغات الضعيفة كتابتها هكذا .

(٤) ارعوى فلان عن الجهل يرعوي ارعواء حسناً ، وهو نزوعه وحسن رجوعه . وارعوى يرعوي : أي كفَّ عن الأمور .

(٥) وهي سنة وفاة الشاعر ، وهذه القصيدة هي من أواخر ما نظمه .

(*) هو الملك المنصور محمد الثاني ابن الملك المظفر الثاني ، ولد سنة ٦٣٢ هـ ، وقد هنأ الشاعر والده يوم مولده بقصيدة سوف ترد معنا . توفي والده ، وهو ابن عشر سنين ، فقام بتدبير المملكة نيابة مجلس وصاية مؤلف من شيخ الشيوخ الشاعر شرف الدين ، =

أكمَلْتَ كلَّ المناقِبْ يا خَيْرَ ماشٍ ورا كِبْ
يامَنْ تُخافُ وتُرْجى مِنْهُ السُّطا والرَّغائبْ
ياناصِرَ الدِّيْنِ بِالعَدْ لِ عافياً ومُعاقِبْ[1]
لَكَ الصِّفاتُ اللواتي لَمْ يُحْصِها عَدُّ حاسِبْ
والمَكْرُماتُ أنارَتْ وسِرْنَ سَيْرَ الكَواكِبْ
كَمُلْتَ مُذْ كُنْتَ طِفْلاً وزِدْتَ بَعْدَ التَجارِبْ

= ومملوك أبيه سيف الدين طغريل، والطواشي مرشد ، والوزير بهاء الدين بن التاج، وكان مرجع الجميـع والدته الصاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل ملك مصر .

كان المنصور الثاني كريماً حليما ، يعفـــو ويتجاوز عن سيئات الآخرين ، وكان محبوباً ومقدماً عند سلاطين المماليك .

ذكر ابن تغري بردي أنه كان كثير اللعب والانهماك في اللذات ،وقد أصيب بذات الجنب، واشتد به المرض ، وتاب توبة نصوحاً ، لكن المنية عاجلته سنة ٦٨٣ هـ ، فدفن إلى جانب أبيه في الجامع الكبير من جهة الغرب ، ولا يزال قبراهما هناك ، وعليهما تابوت خشبي مزدوج محفور منذ ذلك العصر .

(ابن تغري بردي : المنهل الصافي (مخطوط) ج ٣ و ٣٠٢ ؛ وأبو الفداء : المختصر ، ج ٣ ص ١٨١ ؛ والصابوني : تاريخ حماة ، ص ١٢٣) .

(١) أشار الشاعر إلى بعض ما عرف عن الملك من حب للعفو ، فقد ذكر أن بعض أهالي حماة رفعوا إلى الظاهر بيبرس عندما قدم إليها عـــدة قصص يشكون فيها من الملك المنصور ، فأمر بيبرس بإهمالها وجمعها في منديل دون النظر فيها ، وسلمها للمنصور ، فأخذها وأمر بإحضار نار لتحرق فوراً دون أن يقف على شيء منها لئلا يتغير خاطره على رافعيها .

كمْ جحفلٍ ذلَّلتهُ ... لكَ القواضي القواضِبْ![1]

كانتْ لزوبٌ عليهِ ... منها نجوماً ثواقبْ

أقدمتَ بالسَّيفِ صلتاً ... والسيفُ أكرمُ صاحِبْ[2]

حتَّى قهرتَ الأعادي ... بشاْمِنا غيرَ هائبْ

فالقومُ بينَ قتيلٍ ... وبينَ عانٍ وهارِبْ

وارتحتَ للصَّيدِ لهواً ... إذْ لمْ تجدْ منْ تحارِبْ

تُسابقُ الوحشَ حتىٰ ... تخالَهُ كالجنائبْ[3]

تُغني عنِ النَّبلِ فيها ... بطاعِنٍ وبضارِبْ

وكمْ ضربتَ عليها ... منْ حلقةٍ بالمقانبْ[4]

ضيَّقتها بعدَ وسعِ الـ ... ـفضاءِ منْ كلِّ جانبْ

جلبتَ فيها صنوفَ الـ ... أضدادِ يا خيرَ جالِبْ

---

(١) القواضب : جمع قاضب وهو سيف شديد القطع . والقواضي : جمع قاضية وهي المنية والموت .

(٢) الصلت : السيف الصقيل الماضي إذا انجرد من غمده .

(٣) الجنائب : يقال جنَبَ الفرسَ : أي قاده إلى جنبه ، والجنيبة الدابة تُقاد واحدة الجنائب .

(٤) المقانب : جمع مقنب : وتطلق على جماعة الخيل والفرسان ، وقد سبق شرحها .

مِنْ خُمَّعٍ[1] ونَعـــامٍ وإيّـلٍ[2] وقَراهِبْ[3]
ومِنْ وُعُولٍ تُباري غُزْلانَهـــا والأرانِبْ
وتُشْغِلُ الأُسْدَ خَوْفاً عَنِ افْتِراسِ الثَّعالِبْ
ومـــا شَكَوْتَ لُغُوباً وهُنَّ عُـدْمٌ لَواغِبْ
ألْحاظُهـا[4] وطَلاهـــا لِلْغـــانِياتِ تُناسِبْ
سَلَبْتَهُنَّ وكـانَتْ أشْباهُهُنَّ سَوالِبْ
وكُنَّ قَبْـــلُ عَواطٍ فَصِرْنَ بَعْـــدُ عَواطِبْ
كَذٰلِكَ الدَّهْـرُ تَأْتي صُرُوفُـــهُ بِالغَرائِبْ
لَنا رَواتِبُ مِنْهـــا أغْنَيْنَ عَنْ كُلِّ راتِبْ
فافْخَـرْ فَحَسْبُكَ هٰـذي جِدّاً إذا كُنْتَ لاعِبْ
واسْلَمْ وعِشْ ما تَلاقَتْ شَمـــائِلٌ وَجَنائِبْ
في مَنْصِبٍ مِنْ عَـلاءٍ تُبيدُ كُلَّ مُناصِبْ[5]

(١) خُمَّع : جمع خامع ، يقال خمعت الضبع أي عرجت ، والخامعة الضبع لأنها تخمع إذا مشت ، والخمع : الذئب .

(٢) إيَّل : هو الذكر من الأدغال ، وقيل فيه ثلاث لغات إيَّل وأيَّل وأُيَّل ، والوجه الكسر ، والأنثى إيَّلة .

(٣) قراهب : جمع قَرْهَب ، وهو المسنّ الضخم من الثيران .

(٤) الطلا : ولد الظبية .

(٥) المناصب : اسم فاعل من ناصبه الشرَّ أي أظهره له .

وَاحْمَدْ إِلٰهكَ شُكْراً فَالشُّكْرُ لِلّهِ واجِبْ

٣٨

وقالَ لزوميةً :

ل 10 / ظ

أَعْدِدْ لِرِحْلَتِكَ الأُهَبْ فالعُمْرُ مُذهبُــــهُ ذَهَبْ

سابِقْ بِمــــالِكَ حادِثاً لا يَنتَهي أَوْ يُنْتَهَبْ

ضَعُفَتْ يَدي عَنْ بَطْشِها مُذْ شابَ رَأْسي واشْتَهَبْ[1]

وغَــدا قُصارى نُصْرَتي ضَمُّ الجَناحِ مِنَ الرَّهَبْ

ولقَد أكونُ وَلَوْ نَضا عَزْمي[2] لَهَبٌ لَهُ لَهَبْ

٣٩

ولهُ مِن اللُّزومياتِ :

جَرَّرْتَ أَعشارَ[3] ٱلعُلا بَيْنَ[3] الْمُعَلَّى والرَّقيبِ

وَسَعِدْتُ بِالمـالِ الْمُذا لِ وَما شَجاني إِذْ شَقِيْ بِي

---

(١) اشتهب : يقال اشتهب رأسه واشهابّ أي غلب بياضُه سوادَه .

(٢) نضا عزمي : أي ضعف وسكن .

(٣) أعشار : جمع عشر . والمعلّى سابع قداح الميسر ، والرقيب ثالثها .

قافية التاء

٤٠

وقال[1] — رَحِمَهُ اللهُ — يمدحُ السلطانَ الملكَ المظفَّرَ محموداً[*] :

حَتَّامَ تَعْذِلُني وحَتَّى ؟ ... هُوَ ما عَلِمْتَ وَمَا جَهِلْتَا

حُبٌّ لَو أنَّكَ ذُقْتَهُ ... لَعَذَرْتَ فيهِ مَنْ عَذَلْتَا

فَدَعِ السَّفاهَةَ لِي أنا ... وخُذِ الرَّشادَ إليكَ أَنْتَا

أَوْ لا فأَسْعِدْني عَلَىٰ ... شَوْقٍ سَهِرْتُ لَهُ وَنِمْتَا[2]

وَتَأَتَّ لِلرَّاحاتِ وَانْـ ... ـتَهِبِ السُّرورَ فَقَدْ تَأَتَّى[3]

أَدْنِ المُدامَ لَعَلَّني ... أَنْسَى بِها البَيْنَ المُشَتَّا

راحٌ هَوِيتُ صَريحَها ... فَمَنَحْتُ ماءَ المُزْنِ مَقْتا

فَإِذا شَرِبْتَ مَشُوبَها ... لا تَسْقِني مِمَّا شَرِبْتا

(★) هو الملك المظفر الثاني محمود ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ؛ والوافي : ٧ ، ٩ .

(٢) في الذيل : (سهرت به) .

(٣) وتأتَّ للراحات : أي تقصَّدَ لها . فقد تأتَّى : فقد تهيأ .

إنّ التي ناولتني فرددتها قُتِلَتْ قُتِلْتا

[أرحِ المزاجَ مِنَ المزا
ج ، وهاتِ صِرْفَ الرّاحِ بَحْتا][1]

وبحمدِ محمودٍ فقضّ زمانَنا وقتاً فوقتا

امْدَحْه غيرَ مقصّرٍ فهو الحقيقُ بما مدحتا

وامْتُتْ إليهِ بما أشعْتَ مِنَ الثّناءِ وما أذعتا[2]

وكفى الولاءُ وسيلةً مَنْ بالثّناءِ إليه متّا

ملكٌ سما أملاكنا فضْلاً وإفضالاً وسَمْتا[3]

ترضى المعالي ما ارتضاهُ ، فهل رأيتَ أخاً وأُختا

أفتى العدوُّ بأنّهُ أسخى بني الدُّنيا وأفتى

خلّدتُ فيه قصائداً تُغني المدى سبْتاً فسبْتا

ورأيتُ جودَ يمينِهِ طلْقاً وجودَ سواهُ سُحْتا[4]

---

(١) استدركنا البيت المدور من ذيل مرآة الزمان ، وهو ليس موجوداً في أصل الديوان (و ١٢٨).

(٢) متَّ إليه بحرمة متاً ، وهو توصل بقرابة أو دالّة.

(٣) السمت : القصد والطريق ، وحسن النحو في مذهب الدين ، وهيئة أهل الخير .

(٤) السُّحْت والسُّحُت : كل حرام قبيح الذكر ، وقيل : هو ماخبث من المكاسب وحرم ، فلزم عنه العار ، وقيل : الحرام الذي لا يحل كسبه لأنه يسحت البركة أي يذهبها .

أَتقيَّ دِيْنِ اللهِ كَمْ ... لِعُداةِ دِينِ اللهِ رُعْتا!
وَلَكَمْ نَهِبْتَ نفوسَهُمْ ... فوَهبْتَ للحُسّادِ كَبْتا
كافَحْتَهُمْ قَبْلَ الجيو ... شِ،وَماوَكَلْتَ ولا نَكَلْتا[1]
وَرَدُوا الحروبَ فما صَدَرْ ... تَ ولا إلى سِلمٍ جَنَحْتا
أَنتَ المليكُ على الملو ... كِ بِما نَهَيْتَ وَما أَمَرْتا
وَلَكَ الجيادُ الصّافنا ... تُ إذا لَقيتَ بها ظَفِرْتا
تَغْزو العِدا شُهْباً فَتَرْ ... جِعُ عَنهُمُ دُهْماً وَكُمْتا

ل 11 / و

يا أَيُّها المِلكُ المُظفَّـــرُ دامَ ما تَهْوى وَدُمْتا
فَلَقَدْ مَنَنْتَ على الرَّعيَّـــةِ إذْ سَطَوْتَ وَإذْ حلمتا
وَرَعيْتَ بالعَدلِ الورى ... فَرَعاكَ رَبُّكَ حَيْثُ كُنْتا

٤١

وَقالَ يمدحُ الملكَ الناصرَ[*]، ويهنئهُ بالعافيةِ وَبِشهرِ رمضان :

حُوشيتَ مِنْ عرضٍ يوديكَ حُوشيتا ... وَبالمُنى وَبِشَهْرِ الصَّوْمِ هُنِّيتا
وَلا بَرِحتَ قَريرَ العَينِ في دَعَةٍ ... تُشَتِّتُ الجورَ والإقتارَ تَشْتيتا
يا أَيُّها النَّاصِرُ المَلْكُ الذي قُهِرَتْ ... بِهِ الملوكُ، فأَضحى عَيْشُها[2] مَوتا

(١) في أصل الديوان (كافحتم)، والصواب ما أثبتناه، فإن ذلك من سهو الناسخ .
(٢) في أصل الديوان (قوتاً) .
(★) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز، وقد سبقت ترجمته .

وَفَّيْتَ أَقسامَ وافيها لَهاَ وَعُلاً ... وَباتَ غادِرُها لايَملكُ[1] البِيْتَا

أَنتَ الوَقورُ إذا طاشَتْ حُلومُهمُ ... فَزادَكَ اللهُ تَوقيراً وَتَثْبِيتا

بَيَّضْتَ باسْمِكَ وَجهَ المُلكِ مُقتَدِياً ... باليُوسُفينِ[2]، فَعاشا منذ سُمِّيتَا

وَقَيْتَ جِلَّقَ أَقصى مايُخاف، فَلو ... تُطِيقُ نطْقاً. لقالَتْ: أَلفَ وُقِّيتَا

وَهٰذِهِ مصرُ قد أَلْقَتْ مقالِدَها ... تَكفيكَ أَنْ تَعمَلَ البِيضَ المصاليتَا

حَقَقْتَ ظَنَّ بَني الآمالِ فيكَ فبالـ ... آباءِ منهُـــمْ، وَبالأبناءِ فُدِّيتَا

وعُفِّيَ البخلُ إذ شِدْتَ السماحَ لنا ... وَعوفِيَ المجدُ فينا حينَ عوفيتَا

ياذا العُلا، أَسكَنَتْ في الفضلِ ذا لَسَنٍ ... وَذا الهَنا نَطَّقَتْ بالفضلِ سِكِّيْتَا

هَدَيْتَنا بالنُّجومِ الزُّهْرِ مِنْ شِيَمٍ ... أَثَرْنَ مِنْ معدِنِ الفِكْرِ اليَواقيتَا

فَفَتَّتَتْ أَكْبدَ الحسَّادِ مِنْ مِدَحٍ ... سارَتْ فَأَنْسَتْ سَحيقَ المِسْكِ مَفتوتا

حَيِيْتَ فينا حَياةَ الخَضْرِ[3] مُغتَبِطاً ... كَما بِمُلْكِ قَرينِ الخَضْرِ حُيِّيتا

لَديْكَ عِشْنا كَما شِئْنا فَدُمتَ لَنا ... وعِشْتَ في سابِغِ النُّعْمى كَما شِيتا

---

(١) البيت والبيتة: القوت.

(٢) يقصد باليوسفين: يوسف بن يعقوب النبي، والناصر صلاح الدين يوسف.

(٣) الخَضِر: نبي محجوب عن الأبصار، يقول ابن عباس عنه إنه نبي من بني إسرائيل، وهو صاحب موسى عليه السلام الذي التقى معه بمجمع البحرين. أما ابن الأنباري فيقول: إنه عبد صالح من عباد الله تعالى. وقد سكنت الضاد في (الخَضِر) لضرورة شعرية اقتضاها الوزن.

٤٢

وقالَ :

مات َ غراماً غريمُ وَجْـــدٍ لَوْ شاءَ أحيــاهُ مَنْ أماتا
لِلدَّمعِ في العَيْنِ مِنْــهُ جارٍ عَلى حبيبٍ رِضــاهُ فـاتا

٤٣

وقال :

أحبابَنا ، غيرُ بِدْعٍ أَنْ أَشيبَ فَتىً لِبُعْدِكُمْ ، فمتى قربُ المَزارِ ، مَتى ؟
بِنْتُمْ ، فَما نَكِرَتْ أُذني الذي سمعتْ عَنْكُمْ ، ولا عرفَتْ عيناي ما رأتا
إنْ أَشْمَتَ البُعْدُ أَعدائي فعن كَثَبٍ سيُشْمتُ القُرْبُ إِخواني بمَنْ شَمِتا
ويَحفظُ العهدَ مَنْ أَذْعَنْتُ حينَ عَصى أمرَ الودادِ ، ولم أُعْنِتْهُ إذْ عَنِتا
لَيْلي كما تَشْتَهي لَيلى ، فإنْ وَصَلَتْ فَلَيْلُ صَيْفٍ ، وإنْ صَدَّتْ فَلَيْلُ شِتا

ل 11 / ظ

٤٤

وقالَ[١] :

تأمَّــلْ شوائِبَ عَصْرِ الشَّبابِ وخفْ مِنْ عواقِبِهــا ما أمِنْتا
ولا تَكْلَفَنْ غَزَلاً في الغَــزالِ فإعراضُــهُ ناثِرٌ ما نَظَمْتَــا

(١) لم يورد جامع الديوان من القصيدة المذكورة غير الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ؛ وقد استدركنا سائر الأبيات من الذيل .

وإنْ أَعجَزاكَ ، فَياطالمـــا بِهذا لَهَوْتَ ، وهـــذا وَلِهْتا

[حَوَيْتَ خِلالاً علَى المُخْزِياتِ جُمِعْنَ ، وأَخْلاقُ ذا الخَلْقِ [١] تُسْتَا

إذا ما أُمِرْتَ بِخَـــيْرٍ صَدَدْتَ وإنْ تُنْهَ عَنْ وِرْدِ شَرٍّ وَرَدْتا

وما قيلَ : تَنْشَطُ ، إلا سَكَنْتَ ولا قيلَ : تَصلُحُ ، إلا فَسَدْتا

يُخالِفُ قَولَكَ مِنْكَ الفعـــالُ ويَكْثُرُ ذا عِنْدَ ذي العَرْشِ مَقْتا]

أَتَغْفُلُ والذَّرُّ يُحصىٰ عَلَيْكَ ؟ فَلَيْتَكَ في الدرِّ لا كُنْتَ كُنْتا

جَعَلْتَ البِطـــالَةَ شغْلاً لَدَيْكَ تُقَضِّي بِهـــا الدَّهرَ وَقْتاً فوَقْتا

إذا قُلْتُ : صافِ الحَيا ، قُلْتَ : قَدْ وإنْ قيلَ : نافِ الدُّنا ، قُلْتَ : حتَّى

[وَهَبْكَ تَرَكْتَ زَمانَ الحَيـاةِ فَأَيْنَ المَفَرُّ إذا أَنْتَ مِتَّا ؟

وكَــيْفَ الفِرارُ إذا ما الجِبالُ نُسِفْنَ ، فَلَمْ تَرَ مِنْهُنَّ [٢] أَمْتا ؟

تَرىٰ المُتَّقونَ لِكَسْبِ الفَلاحِ فَفِيمَنْ أَقَمْتَ ؟ وفِيمَ أَقَمْتا ؟

تَضَرَّعْ إلى اللهِ في تَوْبَـــةٍ نَصوحٍ مُكَفِّرَةٍ ما اقْتَرَفْتا

وقَلْبُكَ فاستَبْقِهِ مُخْلِصـــاً مُطيعاً إذا غَيْرُهُ الغِرُّ [٣] أَمْتىٰ

(١) أي تستاء ، وقد استخدم الشاعر الاكتفاء ، أحد أنواع البديع المعروفة في هذه العصر .

(٢) أمتا : الأمت : هو المكان المرتفع ، والانخفاض والارتفاع ، أو الاختلاف في الشيء والعوج .

(٣) أمتى الرجل : إذا امتد رزقه وكثر ، ويقال أمتى إذا طال عمره ، وأمتى إذا مشى مشية قبيحة .

مَتى تَنْجَلي ظُلَمُ الظُّلْمِ عَنْكَ ... إذا لَمْ تُنادِ نِداءَ[1] ابنِ مَتَّىْ ؟
فَمـــا بِكَ ضرٌّ إذا ما عَصَيْتَ ... ولا بِكَ نَفْعٌ إذا ما أَطَعْتا
فَيـــارَبِّ ، أَنتَ الغَنِيُّ الْمَلِمُّ ... أَجِرْني مِنَ النّـارِ فيمَنْ أَجَرْتا
وإنْ كُنْتُ أَسرَفْتُ فيا عَمِلْتُ ... فَعَفْوُكَ والصَّفْحُ عَمَّـــا عَمِلْتا]

٤٥

وقالَ :

إنِّي ، وإنْ جُزْتُ الصِّبا ، لَيَروقُني ... وَرْدُ الخُدودِ ، فأَرْتَعي في نَعْتِها
والصُّدْغُ تَحْتَ الخالِ تَعطِفُهُ الصَّبا ... فتعيدُ نِقْطَـــةَ نُونِهِ مَنْ تَحْتِها

٤٦

وقالَ[2] ، رضِيَ اللهُ عنهُ :

مالي إلى غَـيْرِكَ التِفاتُ ... حَيْثُ تَرامَتْ بِيَ الجِهاتُ[3]

---

(١) ابن متى : هو يونس عليه السلام ، ولفظة متى سريانية الأصل ، وقيل : إنما هي متّى كما أخبر بذلك أبو العلاء ، وقد روي أن أبا حاتم سأل الأصمعي عن متّى في بيت من الشعر ، فقال : لاأدري !

أما نداء يونس بن متّى فهو إشارة إلى قوله تعالى : « وإنَّ يونسَ لمنَ المرسلين ، إذا أبَقَ إلى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوتُ وهو مُليم ، فلولا أنه كان من المسبّحين ، للبث في بطنهِ إلى يومِ يُبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم (سورة الصافات ٣٧ الآية ١٣٩ — ١٤٥) .

(٢) الوافي : ١ ، ٧ ، ١٢ ، ١٣ ؛ والخزانة : ١٢ ، ١٣ .

(٣) رواية الوافي للبيت الأول هي :

حيثُ ترامتْ بي الجهاتُ ... فلي إلى وجهِكَ التفاتُ

يا ساكناً بالحِمى عَلَيْهِ مِنّا التَّحيّاتُ والصَّلاةُ
أَنْتَ دَواءٌ لِكلِّ داءٍ تَعْجَزُ عَنْ طِبِّهِ الأُساةُ
حُوشيتَ مِنْ أَنْ تَنامَ عَنِّي مِثْلَكَ لا تَأْخُذُ السِّناتُ
ولا عَداني الغَرامُ حَتّىٰ تُنْجِزَ مِنْ قُرْبِكَ العِداتُ
وإِنْ عَدَتْني الوَفاةُ فاعْذُرْ عَيْشِي مِنْ بَعْدِكَ أَقْتياتُ
جيرانَنا باللِّوىٰ أَجيروا وَلْهانَ أَلْوىٰ بِهِ الشَّتاتُ
ثَبْتٌ عَلَىٰ النّائِباتِ لكِنْ لَيْسَ عَلَىٰ بُعْدِكُمْ ثَباتُ
داوىٰ جُنوني حَديثُ قُرْبٍ سَلْسَلَهُ عَنْكُمُ الرُّواةُ
لا إِثْمَ في قَتْلِنا عَلَيْكُمْ ولا قِصاصٌ ولا دِياتُ
فَأَحْسِنوا سادَتي وَجُوروا وخالِفوا سادَتي ووَاتوا
إِلَيْكُمْ هِجْرَتي وَقَصْدي وفيكُمُ المَوْتُ والحَياةُ[1]
أَمِنْتُ أَنْ تُوحِشوا فُؤادي فَآنِسوا مُقْلَتي ولا تو[2]
وَراقِبوا اللهَ في مُحِبٍّ رَقَّتْ لَهُ فيكُمُ العُداةُ
قَلْبي مِثْلُ الزُّجاجِ صافٍ وَعاذِلي قَلْبُهُ صَفاةُ[3]

ل 12 / و

(١) أورد ابن حجة هذا البيت والذي يليه في معرض ذكر الاكتفاء ، أحد الأنواع البديعية الجميلة (الخزانة ص ١٦٢) .

(٢) علق الصفدي على البيت المذكور قائلاً : « يريد (ولا توحشوها) فاقتصر على بعض الكلمة تظرفاً وتلطفاً » (الوافي ج ١٩ ، ل ١٦) .

(٣) الصفاة : الحجر الصلد الضخم .

فَيا ثِقاتي دَعُوا ملامي ما هكذا تَفعَلُ الثِقاتُ
لَمْ أَلقَ شِبْهاً لِمَنْ سَباني فإنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ فهاتُوا
كَمْ بالحِمى واللِّوى أُورِّي وإنما مَقْصدي حَمَــاةُ
وَكلٌّ عضوٍ لهُ لسانٌ يَقولُ ماقالتِ الوُشاةُ
إنِّي - وإنْ كُنْتُ ليثَ غابٍ - يَفْرِسُني الظَبْيُ وَالمَهاةُ
وَاللَّحظُ والقدُّ يَسْلُباني لِيِّ لا السَّيْفُ وَالقَناةُ
وَالحبُّ شُرْبٌ بِهِ أُروَّى وَهو غِـــذاءٌ بِهِ أُقاتُ
وَصُحْبَتِي صَفوَةٌ كِرامٌ تَشْمَلُهُمْ هذهِ الصِّفاتُ
فَخَلِّنا بالوِصالِ نَحْظى مِنْ قبلِ أَنْ تُقْطَعَ الفُراتُ

٤٧

وقال :

حَقٌّ لِدُنياكَ أنْ تُعافَ إذا قِسْتَ جناهـا إلى جِنايَتِها
فما تَفي خَلْوَةُ الحِسانِ بِها بِكُلفةِ النَّسْلِ مِنْ جَنابَتِها

قافية الثاء

٤٨

وقالَ [١] :

إنَّ قوماً يلحونَ في حُبِّ لَيْلَى   لا يَكادُونَ يَفقَهونَ حَديثا [٢]

سَمِعُوا وَصفَها وَلامُوا عَليها   أَخَذُوا طَيِّباً وَأَعطَوْا خَبِيثَا [٣]

٤٩

وَقالَ [٤] :

رَشَأٌ مِنْ آلِ يافِثْ   لَحظُهُ للسِحرِ نافِثْ [٥]

مالَهُ في الحُسنِ ثانٍ   وَهُوَ للبَدْرَيْنِ ثالِثْ

---

(١) البيتان واردان في المنهل الصافي ، والوافي بالوفيات ،وفوات الوفيات ، والنجوم الزاهرة ، وخزانة الأدب ، ونفحات الأزهار .

(٢) في الوافي بالوفيات والنجوم الزاهرة (حب سُعدى) .

(٣) في النفحات : (وردوا خبيثا) .

(٤) النفحات : ١ ،٢ ، ٤ ، ٥ .

(٥) يافث : هو ابن نوح ، وآل يافث هم الأتراك ؛ فقد زعم الرواة أن من نسله الأتراك ويأجوج ومأجوج ، وهم أخوة بني سام وحام .

يالَهُ ظَبياً يَصيدُ الـ أُسْدَ مِنْ عَينيْهِ ضابِثْ[1]

يُخْطِيءُ السِّينَ إلى ثا ءِ المثـــاني وَالمثالِثْ

قلْتُ : عِـدني بوصالٍ قالَ : دعْ هذي الوَثاوِثْ[2]

٥٠

وقالَ لزوميةً :

وَلي صاحِبٌ لسْتُ أُكْفَى أَذا هُ إلّا إذا ما حَواهُ الجَدَثْ[3]

لَهُ لِحْيَةٌ ، لا سَقَاهَا الحَيَا إليها يُساقُ حَديثُ الحَدَثْ

(١) ضابث : قابض ، وفعلها ضبث .

(٢) هي الوساوس ، وقد كتبها كما أجابه حبيبه الألثغ ؛ وجدير بالملاحظة أن عبد الغني النابلسي أورد في نفحاته شواهد من الأبيات المذكورة في معرض حديثه عن التصحيح ، وقال : « التصحيح وهو نوع استخرجه السيوطي وذكره في ألفيته التي نظمها في تلخيص المفتاح ، وسماه (المنتحل) فغيرت تسميته إلى ماترى لما في النقط من تصحيح لحن اللثغة ، وذلك لأنه عبارة عن كلام مشتمل على ألفاظ لو قرأها الألثغ لا يعاب عليه لصحة المعنى واستقامته . (نفحات الأزهار ص ٤١١) .

(٣) الجدث : القبر .

٥١

ل 12 / ظ

وقالَ :

وَمهفهَفٍ غَنِجِ اللّحاظِ مُكَحَّلٍ   بالسِّحرِ في عِقْدِ التَورُّعِ نافِثِ

تُبدي لنا أَلحاظُهُ مِنْ فتكِها   جِدّاً ، وَيخطُرُ في ملابِسِ عابِثِ

مِنْ نَسْلِ سامٍ في الصَّميمِ وحُسنُهُ   بِدْعٌ ، يُخيّلُ أنه مِنْ يافِثِ[1]

(١) يافث : مر معنا شرحه ، ويقصد هنا نسل يافث بن نوح أبي الترك .

قافية الجيم

٥٢

وقالَ ، وكتبَ بها إلى تلميذِهِ ابنِ الموفَّقِ البعلبكيِّ :

صَبٌّ إلَيْكَ عَنِ الأنامِ مَعَاجُهُ ... بِهوىً عَلَيْكَ تَزَاحَمَتْ أَفْواجُهُ
ومُوَلَّهٍ قدَّ الغَرامُ بِقَلْبِهِ ... فأَزالَ قُرَّةَ عَيْنِهِ إزعاجُهُ
ولَهَانُ لَمْ تُرِحِ القَطيعَةُ رَوْحَهُ ... بِرَدَىً ، ولا قُضِيَتْ بِوَصْلِكَ[1] حاجُهُ
إنْ أخطأَتْ عَيناكَ ثُغْرَتَهُ[2] فقَدْ ... رَمَتا فُؤاداً قُطِّعَتْ[3] أَوْداجُهُ
أَنتَ الدَّواءُ لَهُ ، وإنْ أَلْبَسْتَهُ ... داءً يَشُقُّ عَلى الطَّبيبِ علاجُهُ
أَضْناهُ شُرْبُ صُدودِهِ صِرْفاً ولَوْ ... مُزِجَ الوِصالُ بِهِ لَصَحَّ مِزاجُهُ
النَّارُ ما تُحْنَى عَلَيْهِ ضُلوعُهُ ... والماءُ ما تَنْشَقُّ عَنْهُ[4] حِجَاجُهُ
مَوْلايَ ، أَطْلِقْ بالطَّلاقَةِ مِقْوَلاً ... خَرَجَتْ عَلَيَّ مِنَ العُبوسِ خَراجُهُ

---

(١) حاج : جمع حاجة .

(٢) الثُغرة : نقرة النحر .

(٣) أوداج : جمع وَدَج محرّكة عِرْق في العنق .

(٤) الحِجَاج : عظم ينبت عليه الحاجب ، وقصد به العين .

قَدْ كانَ يُذكِرُ دَغْفلاً[1] مِنْطيقَهُ فاليَوْمَ يُنْسي باقِلاً[2] لجْلاجُـهُ

عُفْتُ الشَّرابَ سِوىً رضابِكَ فاسْتَوى مِنْهُ لَدَيَّ فُراتُهُ[3] وَأُجاجُـهُ

ومَنَحتُ عيْني عَنْ سِواكَ عَمىً فَلا استِحْسانُـهُ مِنِّي ولا اسْتِسْماجُـهُ

وَلَجَجْتُ إِذْ لَجَّ العَذولُ فَرُعْتُهُ وَلَرُبَّما ضَرَّ اللَّجوجَ لَجاجُـهُ

شَرَعَ الْوَفاءِ خِلافَهُ فيما ارْتَجى مِنْ فَتْحِ بابٍ لَمْ يَخُنْـهُ رِتاجُهُ

يَأْبى لِوِدِّي أَنْ تَحَلَّ عُقودُهُ فَيَقول قَوْلاً لَمْ[4] يُشَدَّ[5] عِناجُهُ

حاشا جَناني أَنْ يُجِنَّ لِصاحِبٍ خَلَلاً ، وَلَوْ مَلأَتْ حَشايَ زُجاجُهُ

وأَنا الأَشَمُّ تَرَفَّعَتْ هاماتُـهُ وأَنا الخِضَمُّ تَدافَعَتْ أَمْواجُـهُ

وأَنا المَلاذُ لِكُلِّ طالِبِ سُؤْدُدٍ قَذَفَتْ بِهِمَّتِهِ إِلَيَّ فِجاجُـهُ

(١) دَغْفَل : اسم رجل ،وهو دغفل بن حنظلة النسَّابة من بني شيبان. المنطيق البليغ.

(٢) باقل : اسم رجل يضرب به المثل في العيّ ، فيقال : إنه لأعيا من باقل . لجلاج : اللجلجة ثقل اللسان ، ونقص الكلام ، فلا يخرج بعضه في إثر بعض . ويقال لجلاج ، وقد لجلج وتلجلج .

(٣) الأُجاج : ماء أجاج أي ملح أو مر شديد المرارة .

(٤) في أصل الديوان (لم يسد) .

(٥) عِناج : حبل يُشَدُّ في أسفل الدلو العظيمة ، ثم يشد إلى العراقي ، فيكون عونا للوذم ، فإذا انقطعت الأوذام أمسكها العنـاج . وقولنا : لا عِنـاج له ، إذا أرسل على غير روية .

لَيْنٌ ، نوائلُ عُرْفِهِ تنكيرُهُ شَرِسٌ ، يُلازِمُ كَيَّهُ إنضاجُهُ

وَإِذا الأكارمُ أحجموا أنْ يَطْرُقوا بابَ المَلِيكِ فإنَّني وَلاَّجُهُ

وَلئِنْ دَجا بذوي البَلادَة خاطري فابْنُ المُوَفَّقِ بالذَّكاءِ سِراجُهُ

يَهْدي الرُّدودَ إلى الصَّوابِ مُنيرُهُ وَيهِيجُ كَرْبَ حَسودِهِ وَهَّاجُهُ ل 13 / و

فالزِّبْرِقانُ مِنَ البَصيرَةِ نورُهُ والأُفْعُوانُ مِنَ الجِدالِ مُجاجُهُ

وَهُوَ الجَوادُ إلى القَريضِ جَرَى فلَمْ يَلْحَقْ مَثارَ عَجاجِهِ عَجّاجُهُ

وَعَنا لَهُ في النَّحوِ[1] زَجّاجِيُّهُ وَصَفَتْ معانٍ صاغَها[2] زَجّاجُهُ

وافى إليَّ سَحابُهُ مُستَنْجِداً أَدَبي فغرَّقَ أبحُري ثَجَّاجُهُ

وَلَكَمْ سَرى لِلَحاقِهِ سارٍ وَلا تأويبُهُ أَجدى وَلا إدْلاجُهُ

أَقْسَمْتُ بالبيتِ العَتيقِ ومَنْ دنا مِنْهُ ، وَما نَسكتْ له حُجَّاجُهُ

لَقَدْ اصْطَفَيتُكَ مُصفياً لكَ في الهوى شُرْباً بتَسْنيمِ الوفاءِ مِزاجُهُ

وَلَئِنْ عَتَبْتَ فرُبَّ ذي جُرْمٍ جَنَى إخراجُهُ عَنْ حِلْمِهِ إحْراجُهُ

وَلَوِ اغْتَدَى مَنْ بالعِراقِ مُطاوِعاً لأبي الوَليدِ لَمَا طَغَى حَجّاجُهُ

نَصُنِ الهَوى عَنْ لومِ كُلِّ مُخادعٍ لا شَرْعُهُ شَرْعي ولا مِنْهاجُهُ

---

(١) زجّاجيُّه : المقصود به أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزّجّاجيّ صاحب الجمل نسب إلى شيخه أبي إسحق الزّجّاج .

(٢) زجّاجه : الزّجّاج هو الزجاج وصانعه، وحرفته الزّجاجة، والزّجاجي : بائعه .

وَاشدُدْ يَديْكَ إذاً على وُدِّي الذي بوَثيقِ وُدِّكَ شُيِّدَتْ أَبْراجُهُ
وَلأَنْتَ أولى مَنْ لَهِجْتُ بذِكرِهِ وَنمى لِقَلبي عِنْدَهُ إبهاجُهُ
وَلأَنْتَ بَحرٌ في الفضائلِ زاخِرٌ جاشَتْ برائعِ دُرِّهِ أَثْباجُهُ
إنجابُ ذي الدُّنيا بِأَنْكَ نِتاجُها وحُليُّ هذا الدِّينِ أَنَّكَ تاجُهُ

٥٣

وقالَ رَحِمَهُ اللهُ :

مَلامُكَ في الهَوى يُغري ويُشْجي فَهَلْ مِنْ عاذِرٍ لي مِنكَ يُنجي ؟
أمــــا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْهاكَ عَنِّي فإنِّي مِنْكَ في أَسْرِ الفِرَنْجِ
جَهِلْتَ صَبابَتي فَنَهَجْتَ عَذْلي ولَوْ أَدْرَكْتَها لَسَلَكْتَ نَهْجي
فَلا تُجْهِزْ عَلى روحي وَدَعْني أُرَجِّي مِنْ ذَماها[1] ما أُرَجِّي
تَوَغَّلُ حُرْقَتي أَجْرى دُموعي فَقُلْ ماشِئْتَ في دَخْلٍ وخَرْجِ[2]
وقَدْ كَحَلَتْ بِتَسْهيدٍ جُفوني جُفونٌ ما كُحِلْنَ بِغَيْرِ غَنْجِ
ومُحْتَكِمٍ رَأى إِحْلالَ قَتْلي فَكانَ إِلَيْهِ إِحْرامي وحَجِّي

(١) الذماء : بقية الروح ، وقد وردت هنا مقصورة لضرورة شعرية .

(٢) أورد ابن حجة هذا البيت في ذكر شواهد الطباق (ص ٨٩) ، وقال : إنه من قصيد . والدَخْل خلاف الخَرْج .

(٣) محتكم : يقال حكَّمه في الأمر تحكيماً أمره أن يحكم فاحتكم وتحكمّ ، أي إذا جار فيه حكمه .

وبَدرِ دُجاً وشَمْسِ ضُحاً أَنارا لَنا مِنْ خَيْرِ مَنْزِلَةٍ وَبُرْجِ

لعمْرُكَ ، مازِجاجُ[١] النَّبْلِ أنكى لنا مِنْ قَوْسِ حاجِبِهِ الأَزَجِّ[٢]

حَمَى مَرْجَ العِـــذارِ بِمُقْلَتَيْهِ فَظَلَّ النّاسُ في هَرْجٍ ومَرْجِ[٣] ل 13 / ظ

وغاصتْ سَلْوَتي في قَعْرِ بَحْرٍ وجاءَتْ صَبْوَتي مِنْ كلِّ فَجِّ

أُقيمُ لِخَـــدِّهِ النّاريِّ عُذْراً إذا[٤] أَقْصى عِذاري وهوَ ثَلْجي

وأَخْشى مِنْهُ ما أَخْشى فَأَضْنى عَلى أَنّي أُرَجّي ما أُرَجّي

٥٤

وقالَ لزوميةً :

عَـذْبُ شُرْبي في حَياتي أُجاجْ فَزَماني وٱلْعُـلا في احْتِجاجْ

لا تطيلَنَّ لِجاجي وَقَـــد يَنْفَعُ الإنْسانَ طولُ اللَّجاجْ

(١) زِجاج : جمع زُجّ وهو نصل السهم .

(٢) الأزجّ : الزَجَج هو رقة محط الحاجبين ودقتها وطولها وسبوغها واستقوامها ، والنعت أزجّ وزجّاج ، وفي صفـة النبي (ص) أنه أزج الحاجبين .

(٣) أورد ابن حجة البيت الثاني عشر والعاشر على هذا الترتيب في شواهد التورية (ص ٣١٥) .

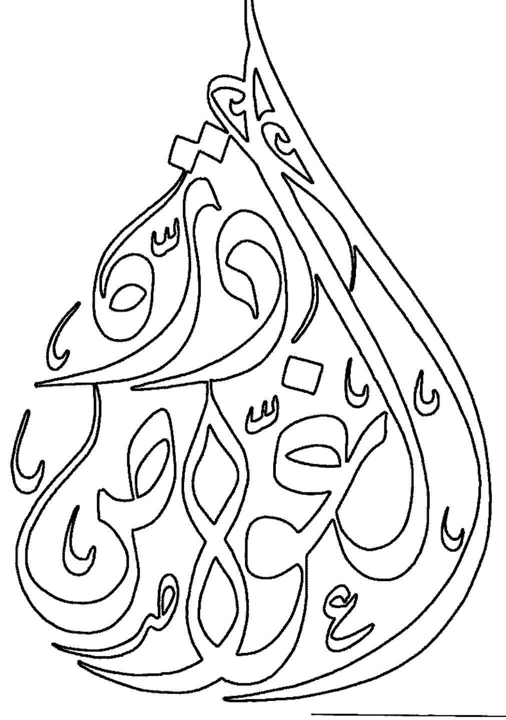
(٤) رواية ابن حجة لهذا البيت على الشكل التالي :

أقام لخدّهِ الناري عذاراً ومُذْ أقصى عذاري وهو ثلجي

قائِداً نَحْوَ العِـــدا جَحْفَلاً لِرُؤوسِ الأَكْمِ[١] مِنْهُ شِجاجْ

ساحِباً بالدوّ[٢] سُمرَ القَنـــا رامِياً للجَوِّ كُدْرَ العَجاجْ

رِفْعَةً يَرْضَىٰ بِها ذو الحِجا[٣] أَو مَماتاً قاطِعـــاً لِلْحَجاجْ[٤]



(١) الأكم جمع أكمة، وهي التل أو مادون الجبال، وسكنت الكاف لضرورة شعرية. والشجاج: جمع شجة، ومعنى الشج هو الجرح يكون في الوجه الرأس خاصة، فلا يكون في غيرهما من الجسم.

(٢) الدوّ: الفلاة والمفازة.

(٣) الحجا: العقل والفطنة.

(٤) الحجَاج: عظم ينبت عليه الحاجب.

قافية الحاء

٥٥

قالَ يمدحُ الملكَ الناصرَ بنَ العزيزِ [*] :

طَيْفٌ أَراحَ ٱلقَلْبَ مِنْ أَتْراحِهِ ... وَهْناً فَراحَ يَجولُ في أَفْراحِهِ

رَكِبَ الظَّلامَ، وكانَ طِرْفاً أَدْهَماً ... فَأَسالَ غُرَّتَهُ إِلى [1] أَوضاحِهِ

وأَنارَ كالبَرْقِ استَطارَ وإنَّما ... لَمَّاعُهُ أَعْيا عَلى لَمّاحِهِ

أَوْلى عَواطِفَ ما وَفَيْنَ لَهُ بِما ... وَالى مِنَ البُرحاءِ عِنْدَ بَراحِهِ

وَلَقَدْ أَراقَ مَدامِعي أَرَقي بِهِ ... يا بُعْدَ لَيْلِ الصَبِّ مِنْ إِصْباحِهِ

جُنْحٌ أَطالَ مَداهُ بَيْنَ مُحَجَّبٍ ... ذِكْراهُ آنسُ فيهِ مِنْ مِصْباحِهِ

سَيّارُ وَصْفَيْ حُسْنِهِ وجَمالِهِ ... جَرّارُ ذَيْلَي تِيهِهِ وَمِراحِهِ

عِنْدي مِنَ البَلْبالِ [2] ثَرْوَةُ قَلْبِهِ ... ولَدَيَّ في الإِبلالِ فَقْدُ وِشاحِهِ

حَيَّا بِنَرْجِسَتَيْ مُحَيّاً هازِمٍ ... لِلَّيْلِ باهِرُ بَدْرِهِ فَضّاحِهِ

(*) هو الناصر بن العزيز، ملك حلب، وقد سبقت ترجمته .

(١) أوضاح : جمع وَضَح ، والوضح : البياض من كل شيء ، ويقال : بالفرس وضح إذا كانت به شية .

(٢) البلبال : شدة الهم .

فَلذا عَصَرْتُ مِنَ ٱلشَّقائِقِ خَمْرَهُ ... وَجَنَيْتُ غضَّ ٱلوَرْدِ مِنْ تُفّاحِهِ

سَكَنَ ٱللِّوى فَلَوى فُؤادَ مُتَيَّمٍ ... مُرْتاعِهِ مُلْتاعِهِ مُلْتاحِهِ

وَلْهانَ مِنْ ظَمأٍ إِلى ما طابَ مِنْ ... وِرْدِ ٱلرُّضابِ وَراحِهِ في راحِهِ

أَعْيا فَأَنطَقَ دَمْعَهُ بِمُفَصَّلٍ[١] ... مِنْ وَجْدِهِ أَغْناهُ عَنْ إِيضاحِهِ

وَإِذا ٱلهَوى خَزَنَ ٱللِّسانَ فَإِنَّما ... إِعْجامُهُ مُرْبٍ عَلى إِفْصاحِهِ

ما لي خَفَضْتُ جَناحَ ذُلّي لِلدُّمى؟ ... وَٱللَّيْثُ يَخْضَعُ لي بِخَفْضِ جَناحِهِ

14 / و

وَنَشَأْتُ في حِجْرِ ٱلوَقارِ فَهَزَّني ... نَشْوانُ يَخْلِطُ جِدَّهُ بِمُزاحِهِ

وَٱلنّاسُ أَبناءُ ٱلزَّمانِ عَداهُمُ ... مُتَلَوِّنٌ فيهِ مَجالَ قِداحِهِ

وَخِلالُ هذا ٱلخَلْقِ لَيْلٌ دامِسٌ ... وَخَلائِقُ ٱلسُّلْطانِ ضَوْءُ صَباحِهِ

أَلنّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلظّاهِرِ بْـ ... ـنِ ٱلنّاصِرِ ٱلمُرْدي ٱلعِدا بِكِفاحِهِ

مَلِكٍ تَقارَنَ عَزْمُهُ وَسُعودُهُ ... قَبْلَ ٱقْتِرانِ سَماحِهِ وَرَباحِهِ

مُهْدي ٱلنَّفيسَ مُفيدِهِ مَنّاحِهِ ... مُرْدي ٱلخَميسَ مُبيدِهِ مُجتاحِهِ

صابي ٱلفُؤادِ إِلى ٱلنَّدى تَوّاقِهِ[٣] ... سامي ٱللِّحاظِ إِلى ٱلعُلا طَمّاحِهِ

يُقْدي[٢] وَيَقْري بِالأَصائِلِ وَٱلضُّحى ... فَٱعْجَبْ لِفَخْرِ غُدُوِّهِ وَرَواحِهِ

---

(١) استخدم الشاعر كعادته مورياً بعنوان كتاب المفصّل للزمخشري ، وكتاب الإيضاح في علل النحو للزجّاجي .

(٢) يُقدي : يقال أقدي فلان أي إذا استوى في طريق الدين أو استقام في الخير .

(٣) في الأصل : (ثواقه) .

فَٱلعَيْشُ أَزْهَرُ فِي بُطونِ صِحافِهِ ... وَٱلْمَوْتُ أَحْمَرُ فِي مُتونِ صِفاحِهِ

وكَأَنَّ سائِلَ نَصْرِهِ وَصِلاتِهِ ... داعٍ دَعا لِصَلاتِهِ وَفَلاحِهِ

لَبّى نِداءَ ٱلأُرْتَبِيِّ بِجَحْفَلٍ ... نَظَرَتْ إِلَى ٱلحَدْباءِ زُرْقُ رِماحِهِ

أَهْدَيْنَ بَدْرَ تَمامِها مِنْ أَوْجُهٍ ... بِوُجوهِها ، وَأَقَمْنَ سوقَ مَناحِهِ

وَتَشَلَّلْنَ جَيْبَ خَميسِهِ بِكَتائِبٍ ... كَفَّتْ صَوارِمُها أَكُفَّ جِماحِهِ

فَحَذارِ ثُمَّ حَذارِ سَطْوَةَ باسِلٍ ... يُفْني ٱلطُّغاةَ مِنَ ٱلرَّدى بِمُتاحِهِ

خَطَبَ ٱلْمَعالي ماهِراً أَبْكارَها ... ضَرْبَ ٱلطُّلى(١) فَرَغِبْنَ في إِنْكاحِهِ

فَٱلعَدْلُ فيما جادَ مِنْ نَعْمائِهِ ... وَٱلْخَفْضُ فيما جَرَّ مِنْ أَرْماحِهِ

زادَتْ فُتُوَّتُهُ بِسِنِّ قَتائِهِ ... فَضْلاً ، وَأُيِّدَ سَعْيُهُ بِنَجاحِهِ

وَسَعى فَأَرْخَصَ فِي ٱلزَّمانِ نَفائِساً ... أَغْلَتْ نَفائِسُها نُفوسَ شِحاحِهِ

أَفْضى إِلَيَّ نَدى يَدَيْهِ بِزاخِرٍ ... غَرِقَتْ بِحارُ ٱلأَرْضِ فِي ضَحْضاحِهِ(٢)

وَعَلَوْتُ فَخْراً فَوْقَ كُلِّ مُمَدَّحٍ ... فِي ٱلنّاسِ حينَ عُدِدْتُ مِنْ مُدّاحِهِ

أَنْزَلْتُ مِنْ دُونِ ٱلْمُلوكِ مَطالِبي ... بِفِناءِ سَيِّدِ بَيْتِهِ جَحْجاحِهِ(٣)

بَيْتٌ تَشابَهَ أَصْلُهُ وَفُروعُهُ ... فِي عَدْلِهِ وَجِلادِهِ وَسَماحِهِ

---

(١) الطُّلى : جمع طُلْيَة ، وهي الأعناق أو أصولها أو صفحتها .

(٢) الضَّحْضَح والضَّحْضاح : الماء القليل يكون في الغدير وغيره ، والضحل مثله ، وقيل : هو مالا غرق فيه ولا له غمر ، وقيل : هو الماء إلى الكعبين إلى أنصاف السوق .

(٣) الجحجاح : السيد السمح ، وقيل: الكريم ، ولا توصف به المرأة .

فَصَلاحُهُ كعَزيزِهِ[1] ، وعَزيزُهُ كَغِياثِهِ[2] ، وغِياثُهُ كَصَلاحِهِ[3]

٥٦

ف 14 / ظ

وقالَ يمدُحهُ أيضاً (*) :

صَبٌّ صَبا بِمَراحِهِ مِنْ بَعْدِ طولِ جِماحِهِ
عَبَثَتْ بِهِ مِنْ يافثٍ نَفَثاتُ سِحْرِ مِلاحِهِ
لَعِبَ ٱلحَبيبُ بِرُوحِهِ لَعِبَ ٱلحَبابِ بِراحِهِ
ظَبْيٌ ظُبا لَحَظاتِهِ أَنكى ضُروبِ سِلاحِهِ
ضَنْكٌ مَدارُ سِوارِهِ رَحْبٌ مَجالُ وِشاحِهِ
سامَرْتُ صُبْحَ جَبينِهِ فَغَنِيتُ عَنْ مِصْباحِهِ
أَصْفَيْتُهُ وُدّي عَلى غُلَوائِهِ وطِماحِهِ

(١) فصلاحه كعزيزه : يقصد بهما الناصر صلاح الدين يوسف الأول وأخاه العزيز سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين .

(٢) وعزيزه كغياثه : يقصد بها ابني صلاح الدين : العزيز عماد الدين عثمان، ملك مصر ، والظاهر غياث الدين ، ملك حلب .

(٣) وغياثه كصلاحه : يقصد بها العزيز غياث الدين محمد ، ملك حلب ، ووالد الممدوح ، والناصر صلاح الدين يوسف الثاني ، ممدوحه المذكور .

(انظر في الملحق الثالث والملحق الرابع)

(*) أي يمدح الناصر بن العزيز ، ممدوحه السابق ، وقد سبقت ترجمته .

وشَرَحْتُ ما أَلْقَى لَهُ ... لَوْ جادَ بِٱسْتِشْراحِهِ

وعَرَفْتُ نُصْحَ ٱلشَّيْبِ لَوْ ... بالَغْتُ في ٱسْتِنْصاحِهِ

وبَسَطْتُ عُذْرَ ٱلدَّهْرِ عَنْ ... إِحْسانِهِ وَشِحاحِهِ[1]

بِصَلاحِهِ بْنِ عَزيزِهِ[2] بْـــنِ غِياثِهِ بْنِ صَلاحِهِ

مَلِكٍ حَماسَةُ بَأْسِهِ ... مَقْرونَـــةٌ بِسَماحِهِ

مَيْمونِ وَجْهِ خِلالِهِ ... بَسّامِـــهِ وَضّاحِهِ

هامي سَحابِ نَوالِهِ ... هَطّالِهِ سَحّاحِـــهِ

غَلّابِ قُسٍّ[3] في فَصا ... حَةِ لَفْظِهِ فَضّاحِهِ

مُغْتالِ قَيْسٍ عَنْ رَجا ... حَةِ رَأْيِهِ مُجْتاحِهِ

بَحْرٍ إِذا طَمَتِ ٱلْبُحو ... رُ غَرِقْنَ في ضَحْضاحِهِ

جَنَحَ ٱلزَّمانُ لِسِلْمِهِ ... وعَنا لِخَفْضِ جَناحِهِ

لِضِرابِ بِيضِ سُيوفِهِ ... وطِعانِ سُمْرِ رِماحِهِ

---

(١) في أصل الديوان (حسانه وسحاحه) .

(٢) أي الناصر صلاح الدين يوسف الثاني بن العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غياث الدين غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف الأول . (انظر في الملحق الأول) .

(٣) قُسُّ بن ساعدة الأيادي ، حكيم بليغ ، وفيه الحديث : « يرحم الله قساً ، إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده » .

عَقَدَتْ لَهُ أَيْدي ٱلسُّعو دِ سَماحَهُ بِرَباحِهِ

فَلَهُ ٱلثَّناءُ ٱلمُرْتَضَى في سِلْمِهِ وَكِفاحِهِ

يا يُوسُفُ بْنَ مُحَمَّدِ ٱلْـمُجْلَى جَنَى مُمْتاحِهِ

وَٱلنّاصِرُ ٱلمَلِكُ ٱلْمُغِيـثُ بِصَفْحِهِ وَصِفاحِهِ[1]

أَنتَ ٱلّذي نَبَتَ ٱلثَّرا ءُ بِراحَتَي مِنْ راحِهِ[2]

وافاكَ عَبْدٌ بانَ عَنْـكَ فَبانَ عَنْ أَفْراحِهِ

وَدَنا لِيَشْكُوَ ما عَنا هُ، فَكَلَّ عَنْ إِفْصاحِهِ

تَحْرِيرُ مُجْمَلِ وُدِّهِ يُغْنِيهِ عَنْ إِيضاحِهِ

حَمَلَتْهُ عَزْمَتُـهُ إِلَيْـكَ عَلى جَناحِ نَجاحِهِ

ورَأى مُحَيّاكَ ٱلْكَرِيـمَ، فَلاحَ وَجْهُ فَلاحِهِ

ل 15 / و

٥٧

وقالَ يَمْدَحُ ٱلمَلِكَ ٱلمُظَفَّرَ[*]:

وَاصِلْ غَبُوقَكَ[3] بِالصَّبُوحِ وَٱشْرَبْ عَلى ٱلْوَجْهِ ٱلْمَلِيحِ

(★) هو المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور محمد الأول، وقد سبقت ترجمته.

(١) الصفح: العفو. والصِفاح: جمع صَفْح، وصفح السيف عُرضُه.

(٢) الراح: جمع راحة، وهي الكف.

(٣) الغَبوق: ما يشرب بالعشي؛ والصبوح: كل ما أُكل أو شُرب غـدوة، وهو خلاف الغبوق. والصبيح: الجميل، يقال وجه صبيح وصُباح.

وَعلىٰ رَياحينِ ٱلعِذا رِ بِعارِضِ ٱلرَّشأِ ٱلمَليحِ

وَٱحرُسْ مِزاجَكَ بِٱلعُدو لِ عَنِ ٱلمِزاجِ[1] إِلَى الصَّريحِ

وَأَطِعْ غِواياتِ ٱلشَّبا بِ مَعاصِياً أَمْرَ ٱلنَّصيحِ

وَٱتْرُكْ مَلامَةَ أَلْكَنٍ[2] يَنْهى عَنِ ٱلوَتَرِ ٱلفَصيحِ

وَٱمْدَحْ أَبا ٱلفَتْحِ ٱلمُظَـفَّـرَ ، فَهُوَ سُلْطانُ ٱلفُتوحِ

مَلِكٌ يَفوقُ عَلى ٱلمُلو كِ بِفَضْلِ هِمَّتِهِ ٱلطَّموحِ

وَتُراعُ مِنْـهُ بِسَطْوَةٍ أَوْحى[3] مِنَ ٱلمَوْتِ ٱلمُريحِ

وَيَعُمُّنا بِنَـدًى يَزيـدُ عَلى ٱقْتِراحِ ٱلمُسْتَميحِ

فَٱلدَّهْرُ أَوْلىٰ بِٱلهِجا ءِ ، وَأَنتَ أَوْلىٰ بِٱلمَديحِ

مَحْمودُ[4] عِشْ لِمُحَمَّدٍ حَتّىٰ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحِ

وَلَكَ ٱلهَناءُ بِـبِرِّهِ وَلِكُلِّ ذي عَقْلٍ صَحيحِ

---

(١) المزاج من البدن ماركب عليه من الطبائع ؛ والمزاج الثانية يقصد بها مزاج الشراب أي ما يمزج به من الماء لأن كل واحد من شراب الخمر والماء يمازج صاحبه . والصريح : الخالص من كل شيء ، والمقصود هنا الشراب الصريح الذي لم يشب بمزج .

(٢) الألكن : الذي لا يقيم العربية من عجمة لسانه . واللكنة : عجمة في اللسان وعيّ .

(٣) أوحى : أسرع ، وفعلها وحى : أي أسرع .

(٤) محمود هو الملك المظفر الثاني ، ممدوح الشاعر ، ومحمد هو ابن الملك المنصور .

٥٨

وقالَ يَمْدَحُ ٱلمَلِكَ ٱلأَمْجَدَ(*) ، ويُهَنِّئُه برمضانَ :

أَتُراني مِنْ سُكْرِ حُبِّكَ أَصْحُو إذْ لَحاني فيكَ ٱلْوَرَى وَأَلَحُّوا ؟

لا ، وَلَوْ كانَ كلُّ حرفٍ مِنَ ٱلعَذْ لِ حُساماً بِهِ لِقَلْبِي جُرْحُ

هَلْ يَرى سَلْوَةً عَنِ ٱلْحُبِّ رُشْداً مَنْ يَرى أَنَّ خُسْرَهُ فيهِ رِبْحُ ؟

وَلَئِنْ حادَ عَنْ فُؤادِيَ صَبْرٌ وسُرورٌ ، فَلَمْ يُبارِحْهُ بَرْحُ

سادَتِي ! ما نَسيتُ لَمْ أَنسَ عَيْشاً جادَ بِٱلوَصْلِ مِنْهُ جِدٌّ ومَزْحُ

وَزَماناً بذِي طُلوحٍ(١) حَباناً وارِفَ ٱلظِّلِّ مِنْهُ ضَالٌ وطَلْحُ

حَيْثُ لِلْعَذْلِ عَنْ جَنابِيَ صَدٌّ وَلِوُرْقِ ٱلْحَمامِ بِٱلْغَدْرِ صَدْحُ

لا جُناحَ في خَفْضِ عَيْشِ ٱلْمُحِبِّيـ ـنَ إذا ضَمَّهُمْ مِنَ ٱللَّيْلِ جُنْحُ

فَلَئِنْ حُلْتُمْ ، فَرَسْمُ وِدادي لَيْسَ يُمْحَى ، وَبُرْدُهُ لا يُمَحُّ(٢)

فاعدِلوا ، واظْلِموا ، ودانُوا ، وناؤوا وصِلوا ، واقْطَعوا ، وجُودُوا ، وشُحُّوا

(*) هو الملك الأمجد ، مجد الدين بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) ذو طُلوح : بضم الطاء ، اسم موضع للضباب اليوم في شاكلة حمى ضرية ، وقال ياقوت أيضاً : ذو طلوح في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد .

(٢) الضال : اسم شجر ، والطلح اسم شجر أيضاً .

(٣) محا الأثر أو الرسم : أذهب أثره . ومحَّ البُرْد أو الثوب : بلي .

عجباً ، كيف لا تُراعُونَ عَهْداً ؟   أنا أَضنىٰ في الحُبِّ ، وَهوَ يَصِـحُّ

وَمقـــالي للعاذِلينَ : ظَفِرْتُمْ   لو تساوي لَدَيَّ غِشٌّ وَنصْحُ

إنْ يَكن مَسَّكُمُ مِنَ الخُلْفِ قرْحُ   فلقَـد مسَّني مِنَ الضَّعفِ قَرْحُ (ل 15 / ظ)

فاحذِفُوا أَحرفَ النِّداءِ بقلبي   للتَّسلّي أَوْ نَحـــوَ فعليَ فانحُوا

إنَّ عِلمي بجَهلِكُمْ مثلُ عِلمي   أنَّ بَهرامَشاهَ بالمـــالِ سَمْحُ

مَلِكٌ يَمْـــلأُ الجوانِحَ رِيّاً   بندىً فيهِ للمطالبِ نجحُ

غَرْسُهُ الأمجديُّ عزمٌ وَحزْمٌ   وجَناهُ الهَنيُّ نَصْرٌ وَفتْـــحُ

حِصنُهُ المعْتلىٰ حَصانٌ وَحَجْرٌ   والمِجَنُّ[1] المنيعُ سَيفٌ وَرُمحُ

يا مَليكاً أغنَتْ أياديهِ كَفِّي   فلِزَنْدي في ظلمة الخطبِ قَدْحُ

قَدْ سَقاني بحرٌ بجودِكَ عَذبٌ   وَعِـداني قَطْرٌ لغيرِكَ مِلْحُ

وَهناكَ الثوابُ في شهرِ صومٍ   طـالَ في فَضلهِ وَفضلُكَ شَرْحُ

كلَّ يَومٍ لَهُ بمجدِكَ عيـــدٌ   فعجيبٌ للصَّومِ ، كيفَ يصِـحُّ ؟

وَعجيبٌ إفطارُنا[2] في ليـالٍ   كلُّ وقتٍ منها بوجهِكَ صُبحُ

دُمتَ فينا تَحمي دِماءَ البرايا   حيثُ للمالكينَ لم يُحمَ سَرْحُ

خُيِّبوا إذْ بَغَوا علاكَ بسعيٍ   وَلِفرعونَ هُدَّ إذْ شِيدَ صَرحُ

---

(١) المجن : الترس .

(٢) في الأصل (إفطانا) .

خصَّكَ اللهُ دونَهم بِالمعالي ... يُثْبِتُ اللهُ ما يَشاءُ ويَمحو

٥٩

وقالَ يَمدَحُهُ [*] :

حَبيبُكَ سَمْحٌ ، وٱلزَّمانُ مُسامِحُ ... فَعُذْرُكَ في عِصْيانِ عَذْلِكَ واضِحُ

فَأَيقِنْ إذا أَوْرَدْتَ مَنْ لامَ في ٱلهَوىٰ ... عَذابَ ثَمودٍ [1] ، إنَّ سَعْيَكَ صالِحُ

وعَزَّ عَلَيَّ ٱللَّوْمُ في حُبِّ عَزَّةٍ ... فَلَمَّا تَناهىٰ قَلَّ ما قالَ كاشِحُ

ولَمَّا تَبَدَّتْ قُلْتُ : ما بالُ عُذَّلي ... حَيارىٰ؟ فَقالَتْ: ذَلَّ مَنْ لا يُناصِحُ

أَأُرْضيهِمُ فيها ، ولِي مِنْ رُضابِها ... مُدامٌ ، تُماسيني بِهِ وتُصابِحُ ؟

وإنْ فارَقَتْ بَعْضَ ٱلتَّجَنّي ، فَإِنَّني ... بِما أَجْتَني مِنْ دَوْحَةِ ٱلوَصْلِ رابِحُ

غُزَيِّلَةٌ ؛ أَمّا هَواها فَسانِحٌ ... لَدَيَّ ، وأَمّا ٱلصَّبْرُ عَنْها فَبارِحُ

ومِنْ أَجْلِ مَغْناها بِنَجْدٍ تَشُوقُني ... مَرابِعُهُ : كُثْبانُها وٱلأَباطِحُ

فَأُولَعُ فيها بِٱلنَّسيبِ ، وإنَّني ... إلىٰ ما سِواهُ طائِرُ ٱلقَلْبِ طامِحُ

سَما بِٱبْنَةِ ٱلبَكْرِيِّ قَدْرُ تَغَزُّلي ... كما بِٱبْنِ عِزِّ ٱلدِّينِ تَسْمُو ٱلمَدائِحُ

بِأَكْمَلِ خَلْقِ ٱللهِ خُلْقاً ، فَوَصْفُهُ ... يُقَصِّرُ عَنْهُ حينَ يُسْهِبُ شارِحُ

لَهُ طَوْدُ حِلْمٍ لِلْجَرائِمِ ساتِرٍ ... وفائِضُ جُودٍ لِلأَكارِمِ فاضِحُ

ل 16 / و

(*) ممدوحه السابق الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « وإلى ثمود أخاهم صالحاً » إلى قوله : « عذاب أليم » سورة الأعراف ٧ الآية ٧٣ .

فَإِعْطاؤُهُ باقٍ عَلى ٱلْجَدْبِ مُخْصِبٌ ... وَإِغْضاؤُهُ عافٍ عَنِ ٱلذَّنبِ صافِحُ

بَصيرٌ ،وَجفنُ الشَّمسِ بالنَّقْعِ مُرمدٌ ... طَليقٌ ، ووجهُ الحربِ بالضَّربِ كالحُ

كَفاهُ مِنَ الأصحابِ أَبيضُ صارمٌ ... وَأَسمَرُ عَسّالٌ[1] ، وأَشقرُ[2] سابحُ

وَقد ضاقتِ الدُّنيا لَهُ بِفوارسٍ ... كهولٍ أَقلَّتْهـا خيولٌ[3] قوارح

نجومٌ رُجومٌ للمعاضدِ في العُلا ... سعودٌ ولكنْ للحسودِ ذوابِحُ

سَعى للمعـالي بالعوالي مُحرِّضاً ... على الحربِ إِذْ كلٌّ إلى السِّلْمِ جانِحُ

وَقامَتْ مُلوكُ الأرضِ في طوعِ أمره ... وَلو قَعَدتْ قامتْ عَليها النَّوائحُ

إذا حالَ دونَ المالِ قُفْلٌ ، فإنما ... نَداهُ لأرزاقِ العِبـادِ مَفاتِحُ

يُسرُّ جَليلاتِ ٱلنُّها ويمدُّهُ ... لسانٌ بأسرارِ الدَّقائقِ بائحُ

أَطاعتْهُ أَوزانٌ ضروبُ بديعِها ... على كلٍّ أَوزانِ الضُّروبِ رواجِحُ

وَهل يَنقضي مِنْ وَصفِهِنَّ تعجُّبي ... وَقد قَدَحتْ في وَصفِهِنَّ القرائحُ ؟

كَفى عيسَنا قطعُ الموامي وَهولُها ... إلى مَنْ به تُكفى الخطوبُ الفوادِحُ

إلى ماجدٍ رحبِ الجنابِ ارتياحُهُ ... لسحبِ عطـاياهُ رياحٌ لواقحُ

---

(١) عسّال : مبالغة اسم الفاعل عسال ، يقال عسل الرمح إذا اشتد اهتزازه ، فهو عاسل وعسّال .

(٢) وأشقر : الأشقر من الدواب ، وهو الأحمر في مُغرة حمرة صافية يحمر منها العرف والذنب . والمقصود بها هنا الحصان ، وقد حكى اللسان عن ابن الأعرابي قول العرب : إن أكرم الخيل وذوات الخير منها شُقْرها .

(٣) القوارح : جمع قارح ، والقارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل .

بِإدْلاجِنا في اللَّيلِ والطَّلُّ ساقِطٌ ... وَتأويبِنا في القيظِ وَالظِّلُّ[1] ماصِحُ

أَبهرامُ شاهٍ ، قَرَّ عيناً بِرِيِّهِ ... وإرواثِهِ صادٍ بِمدحِكَ صادِحُ

فقُلْ للَّذي ساوى بِحمدِكَ حمدَهُ : ... رُوَيْدَكَ ، فانظُرْ أَيَّ مِسكٍ تُنافِحُ

ومَنْ لَمْ يُصدِّقْ بالفَعالِ مقالَهُ ... فَلا أنتَ ممدوحٌ ، ولا هو مادحُ

هَنيئاً لشهرِ الصَّومِ ما كُنتَ ناسِكاً ... وبُشرى ليومِ الفِطرِ ما أنتَ مانحُ

حَوَيْتَ دَوامَ الشُّكْرِ والأَجْرِ رابِحاً ... لِعِلْمِكَ أَنَّ المالَ غادٍ ورائحُ

ومَنْ بَرَّحَتْ بِالنَّائِباتِ هِباتُهُ ... فَأَعيادُنا في ظِلِّهِ لا تُبارِحُ

٦٠

وقالَ يَمدَحُهُ(*) ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى :

لَوْلا فِراقُكَ ما فارَقْتُ أَفْراحي ... وَلا أَقامَ بِقَلْبي وَفْدُ أَتْراحي

وَلا تَلَوْتُ أَساطِيرَ الغَرامِ وَلا ... مَحا سُطورَ الأَسى مِنْ عَبْرَتي ماحِ

ل 16 /ظ غادَرْتَني غَرِقاً ، مُذْ بِنْتَ ، مُحْتَرِقاً

بِالدَّمعِ وَالشَّوْقِ ، يا نَشْوانُ يا صاحِ !

وَارْتَحْتَ لِلْبَيْنِ لَمَّا ارْتَعْتُ مِنْهُ فَقُلْ ... في طُولِ شِقْوَةِ مُرْتاعٍ بِمُرْتاحِ

بِما بِجَفْنَيْكَ : مِنْ سِحْرٍ ومِنْ سَكَرٍ ، ... وَما بِخَدَّيْكَ : مِنْ وَرْدٍ وَتُفّاحِ

(١) ماصح : يقال مصح الظل أي ذهب وانقطع .

(★) ممدوحه السابق الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

عُدْ بِٱلكَرى لِيَعودَ ٱلطَّيْفُ ذا سَقَمٍ مِنّا ، فَتَأْنَسَ أَشْباحٌ بِأَشْباحِ

أَحبابَنا ! خانَ صَبْري بَعْدَكُم ووَفى لي فَيْضُ دَمْعٍ عَلى ٱلأَطْلالِ سَحّاحِ

فَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْكُمْ غَيْرُ فائِضَةٍ ؟ وَأَيُّ قَلْبٍ عَلَيْكُمْ غَيْرُ[1] مُلْتاحِ ؟

يا سَلَّمَ ٱللهُ جيرانًا بِذي سَلَمٍ[2] لِبَيْنِهِمْ بانَ خُسْري بَعْدَ إِرْباحي

كانُوا شُموسي وَأَقْماري ، فَقَدْ حُجِبُوا عَنّي ، فَأَظْلَمَ إِمْسائي وَإِصْباحي

إِذا خَشيتُ مَزيدَ ٱلبُعْدِ زِدْتُ جَوىً مُباعِدًا بَيْنَ أَجْسادٍ وأَرْواحِ

وَإِنْ تَرَجَّيْتُهُمْ ، لَمْ أَدْرِ مِنْ طَرَبي رُوحُ ٱلأَماني لِيَ أَوْ نَشْوَةُ ٱلرّاحِ

وَإِنْ ثَناني زَماني عَنْ لِقائِهِمُ فَبَعْضُ شَوْقي ثَنى عَنْ عَذْلِيَ ٱللّاحي

لو سامَني ذِلَّةً فاسْمَعْ مَذَمَّتَهُ مِنْ شاعِرٍ لابنِ عِزِّ الدِّينِ[3] مَدّاحِ

لأَكْثَرِ النّاسِ إِنجادًا لِمُهْتَضِمٍ وأَوفرِ النّاسِ إِرفادًا لِمُمْتاحِ

مَلْكٌ يُكَتِّمُ ماتَحْبو[4] يَداهُ بِهِ مِنْ نائِلٍ لِهَتونِ السُّحْبِ فَضّاحِ

عن الخَنا والعَنا والجُبْنِ مُنْقَبِضٌ ولِلتُّقى والنَّدى والبأْسِ مُرتاحِ

يَرْعى الأَنامَ بِطَرْفٍ مِنْ عُيوبِهِمُ مُغْضٍ، وطَرْفٍ إلى الإِحسانِ طَمّاحِ

(١) ملتـاح : مشتقة من فعل التاح ، ومعناه عطش ، والملتاح تأتي بمعنى المتغير .

(٢) ذوسلم : واد في الحجاز ينحدر عن الذنائب .

(٣) ابن عز الدين : هو الممدوح الملك الأمجد بهرام شاه ، وأبوه هو المعز عز الدين فروخ شاه الأول المتوفى سنة ٥٧٨ هـ . (انظر الملحق الرابع).

(٤) في الأصل (تحبوا) .

ويُصدِرُ الرُّمحَ رَيَّاناً وليسَ بذي تجبُّرٍ لذيولِ البُرْدِ رمَّاحِ
كانَ الهُدَى مُجمَلاً فينا فغادَرهُ مُفَصَّلاً عِلْمُهُ تفصيلَ إيضاحِ
وفاقَ في النَّظمِ أهليهِ فذو خَطَلٍ مَنْ قاسَ أبحرَهُ فيهمْ بضَحْضاحِ
يا أيُّها الأمجدُ الملْكُ الغنيُّ بهِ جَيشٌ تضايَقَ عنهُ كلُّ[1] رَحْراحِ
نَزَلْتَ مِنْ شَرَفِ التَّدبيرِ منزلةً مرضيَّةً بَينَ إرهابٍ وإسْماحِ
وليُهنِ بالنِّصفِ[2] عُرفٌ منكَ أنعمُهُ يُعرفْنَ في غُرَرٍ مِنهُ وأوضاحِ
وافَتْكَ ليلتُهُ تُهدي إليكَ سنا جَدٍّ لمقفلِ بابِ النَّصرِ فتَّاحِ
ل ١٧ / و أحْيَيْتَها في مبرّاتٍ أجلتَ بها قِداحَ جودِكَ لا في رشفِ أقداحِ
لا زِلتَ مُتَّجِراً بالرِّفدِ مُكتَسِباً للحَمْدِ مُقتَرِنَ المسعى بإنجاحِ

٦١

وقالَ، رحمَهُ اللهُ:

يا شقيقَ النَّفسِ يا مَنْ هُو رَيْحاني وراحي
يا حبيباً جاءهُ الحُسْـنُ على حَسْبِ اقْتراحي
مِنْ سَماحي لكَ بالرُّوحِ تيقَّنتُ رَباحي

---

(١) يقال شيء رَحْرَح ورَحْراح ورحرحان أي واسع منبسط .
(٢) المقصود هنا ليلة النصف من شعبان .

بعدَ أنْ وَقَّدني الشَّيــــبُ ، وعاصَيْتُ مِزاحي

صِرْتُ أدعوكَ دُعاءَ الـــطِّفلِ : ياداحي وناحي [١]

أنظِمُ الشِّعرَ وكفِّي كاتبٌ ، والدَّمعُ ماحِ

٦٢

وقالَ :

ذِكراهُ مِنْ قلبِيَ ما تَنْمحي لاعِنْدَ مُمْسايَ ولا مُصْبَحي [٢]

يا عاذِلي في حبِّهِ جاهلاً انظُرْ إلى طَلْعَتِهِ واستحي ! [٣]

---

(١) ياداحي وناحي : يخيَّل إلينا لأول وهلة أن هذا التعبير عاميٌّ ، ولو تصفحنا معاجم اللغة لرأينا أن (الداح) في أصل الوضع نقش يُلوَّح به للصبيان يعللون به ، والدِحنْدِح أيضاً لعبة للصبيان معروفة عند العرب .

واللفظة الثانية مأخوذة في الأغلب من قولهم : ناح العظم ، إذا صلب واشتد بعدرطوبة، يكون ذلك في الكبير والصغير ، ونيَّح الله عظمك : يدعو له بذلك ، وفي الحديث الشريف: « لا نيَّح الله عظامه : أي لاصلَّبها ولا شد منها » . وهكذا نجد أن هذا التعبير الذي نخاطب به أطفالنا فيه إغراء لهم ودعاء .

(٢) المُمسى بضم الميم هو المساء ، والمصبح بضمها أيضاً وهو الصباح .

(٣) كتب الناسخ بعد هذا البيت في الأسفل كلمة (نقلت) .

٦٣

وقالَ[١] ، رحمَهُ اللهُ تعالَى[٢] :

حَديثي في المحبَّةِ ليسَ يُشرحْ ... فدعْني مِنْ حديثِ اللَّومِ واسْرَحْ

فمَالَكَ مَطْمَــعٌ بِبَرَاحِ[٣] قلبي ... عن الحبِّ الذي أعْيـا وبَرَّحْ

فكَمْ مِنْ لائمٍ أنْحَى إلى أنْ ... تَأَمَّـلَ مَنْ هويتُ ، فما تَنَحْنَحْ[٤]

سأَطَّرِحُ المــلامَ على هواهُ ... وأَطْرَحُ فيهِ نفسي كلَّ مَطْرَحْ[٥]

غزالٌ ماغزا الآسادَ إلاَّ ... وصيَّرهـا بنُزْلِ[٦] الموتِ أرْوَحْ

---

(١) الخزانة : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ؛ والوافي : ١٠ ، ٩ ؛ والفوات : ١٠ ، ٩ .

(٢) أورد ابن حجة مختارات من هذه القصيدة في بحث الانسجام البديعي ، وقد وقع اختياره على ست قصائد من ديوان الشاعر ، أورد مقتطفات منها ، وقدم لها بقوله : « وقد تقدم قولي أن الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري ، شيخ شيوخ حماة ثقى الله من غيث الرحمة ثراه ، هو غيث هذا الانسجام ، وغريم هذا الغرام ، فمن انسجاماته الغرامية الموعودة بإيرادها قوله : حديثي ... » الأبيات المشار إليها . (خزانة الأدب ، ص ٢٤٩) .

(٣) في الديوان : (بتراح) ، وقد أثبتنا رواية الخزانه .

(٤) تنحنح ونحنح ونححَّ : أي تردَّد في صوته .

(٥) أطرح فيه نفسي مطرحاً : يقال طرح به الدهر كل مطرح أي نأى به عن أهله وعشيرته ، وطرحت النوى بفلان كل مطرح : إذا نأت به ، وطرح الشيء وطرَّحه واطَّرحه : أي رمى به .

(٦) النُزْل والنُزُل : المنزل : وما هُيِّءَ للضيف أن ينزل عليه .

تَبَدَّى مُبـــدياً عَتْبي وأفْضَى بِمَبْسِمِهِ ، فأَحْزَنني وأفْرَحْ
فيـا لله ! ما أشهى وأبهى ! ويا لله ! ما أحلى وأملحْ
ففي عينَ الكمالِ بسِحْرِ عَيْنٍ إلى سِلْمِ المتيَّمِ ليسَ تَجْنَحْ
له طَرْفٌ[1]، يقولُ: الحربُ أولى[2] ولي قَلْبٌ، يقولُ: الصُّلحُ أَصْلَحْ[3]
سألتُ سِوارَهُ[4] المُثري فنادى فقيرُ وِشاحِهِ[5]: اللهُ يَفتحْ!
وماسَ مِنَ القَوامِ بِغُصْنِ بانٍ إذا أنْشَدْتُ أغزالي تَرَنَّـحْ
وحَيّاني بألحـــاظٍ مِراضٍ صَحيحاتٍ ، فأمْرَضَني وصحَّحْ
ووَرْدَةِ وَجْنَـةٍ قَطَرَتْ حياءً فأفْلَحَ مَنْ يقبِّلُها وأنْجَـــحْ
أُعاتِبُهُ ، فــلا يُصغي لعَتْبي ولا أسلو فأتْرُكَهُ وأرْبَـــحْ
تَبَسَّمَ ثغرُهُ ، فطمِعْتُ أنّي سأغْبَقُ مِنْ مُدامتِهِ وأُصْبَحْ
فأطْرَقَ تائهــــاً فخَشيتُ أنّي بسَيفِ اللَّحظِ أُقتَلُ قَبْلَ أُجْرَحْ
برُوحي مِنْ مَعاطِفِهِ قضيبٌ إذا أنْشَدْتُ أغزالي تَرَنَّـحْ

٦٤

وقالَ[6] رضيَ اللهُ عنهُ :

(١) في الخزانة : (لها طرف) .
(٢) في الوافي : (الحرب أخرى) .
(٣) جاء هذا البيت في الوافي بعد الذي تلاه .
(٤) في الوافي : (سوارها) .
(٥) في الوافي : (وشاحها) .
(٦) نظم الشاعر هذه القصيدة على وزن بحر السلسلة أحد البحور المستحدثة في هذا العصر.

ف 17 / ظ

يا مَنْ خُلِقُــوا على اقْتِراحي ما أَطيبَ فيكُمُ افْتِضاحي !
إنْ كانَ هَواكُمُ فسادي فالعــارُ عليَّ في صَلاحي
مُـذْ جُدْتُ بُمهْجتي حَصلْتُمْ والرِّبـــحُ نتيجةُ السَّماحِ[(١)]
أتْـلو شَغفي بِكمْ ودَمعي في خــدِّيَ كاتِبٌ وماحِ
قَـدْ برَّحَ[(٢)] بي الضَنَى ومالي يا سُؤْلِيَ عَنْكَ مِنْ بَراحِ[(٣)]
يا بَدْرِيَ إنْ دَجا ظَلامي يا شَمسيَ إنْ بدا صَباحي
يا هاجِرُ لو وَصلْتَ حبلي ! هلْ كانَ عليكَ مِنْ جَناحِ ؟
قَتْلي شَهِدَتْ بِــهِ خُدودٌ ريحـــانيَ وَرْدُها وراحي
يا صاحِ أَمــا كفاكَ قولي : ما أَقْبَحَ سَلْوَةَ المِلاحِ !
لا تَلْحَ على هَوىً ، هَواني أَنْ أَسْمَعَ فيهِ لَحْيُ لاحِ
لو تَشْرَكُني عَذَرْتَ لكِنْ سكرانُ أَنا وأَنتَ صاحِ
إنْ كُنْتَ تَعدُّني صبيّاً في العَقْلِ ، فَخلِّني وداحي[(٤)]
كَمْ أَطّرِحُ المَلالَ فامْنُنْ - باللهِ عليكَ - باطِّراحي !
دَعْني ، وتَنَحَّ عَنْ طريقي ما أَنتَ وهذهِ النَّواحي !

(١) جاء اللسان أن العرب تقول للرجل إذا دخل في التجارة: (بالرَّباح والسَّماح) .
(٢) برّح به : عذبه وآذاه .
(٣) البراح : مصدر قولك برح مكانه أي زال عنه وصار في البراح وقولهم : لابراح منصوب كما نصب قولهم : لاريب ، ويجوز رفعه فيكون بمنزلة ليس .
(٤) إن استخدام لفظة (الداح) هنا يؤيد ما أشرنا إليه من قبل لشرح قول الشاعر (يا داحي وناحي) .

٦٥

وقالَ رحمَهُ اللهُ :

صَبٌّ ، عَليكَ القَلْبُ مجروحُ   بالوَجـدِ مَغْبوقٌ ومَصْبوحُ
أَنحَى عَليهِ عاذِلٌ دَأْبُـــهُ[1]   ذَمُّ هَواهُ ، وهـو مَمْدوحُ
يا مالـكي ، عَطفاً على مُدْنَفٍ   أَوْدَى بِـــهِ سُقْمٌ وتَبرِيحُ
لا تَطَّرِحْ مُسْتَلْقياً شخصُهُ   على فِراشِ الذُّلِّ مَطْروحُ
وهـــذِهِ قِصَّتُهُ ، قَدْ بَدا   مُخْتَصَرٌ مِنْهــا ومَشْروحُ
فَمـــالَهُ سيئةً حـــالُهُ   وبابُ إحسانِكَ مَفْتوحُ
تلويـحُ قَلْبي فيكَ يامُنيَتي   لهُ بأَشجـانيَ تصْريـــحُ
تَبيْتُ مَسْروراً ، فَلَمْ يَبْقَ لي   بَعْدكَ ، لا جِسْمٌ ، ولا رُوحُ
ولِي عَلى صِدْقِي مِنْ مُقْلَتي   شاهدُ عَدْلٍ ، وهو مَجْروحُ
يا راحتي مِنْ تعبي لا تَزَلْ   في راحـــةٍ ماهبَّتِ الرِّيحُ
ماليَ عَنْ وَصْلِكَ مَنْدوحـةٌ   ولِي عَنِ النَّاسِ[2] مناديحُ

٦٦

وقالَ[3] رضيَ اللهُ عنهُ :

(١) دأبه : عادته وملازمته .
(٢) المندوحـة السعة والكثرة ، ويقال : لي عنه مندوحـة ومنتدح أي سعة وبدٌ ، والمناديح : جمع مندوحة .
(٣) الوافي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ذكر الصفدي في مطلع الأبيات « ومنه مضمّن » .

بِرُوحي مَنْ سَمَحْتُ لهُ بِرُوحي وأَصبَحَ خائني فيهِ نَصيحي
وعَزَّ عليَّ عَذْلي في هَواهُ وهانَ عليَّ مَأْثورُ القبيحِ
وقُلْتُ[1] لِصاحِبيَّ : قِفا فإنّي جَرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجموحِ
وفَرَّقَ بَيْنَ أَقْراني وبَيْني قِرانُ النَّغْمِ[2] بالوَتَرِ الفَصيحِ
فقاطِعْ مَنْ يَصُدُّكَ عَنْ سُرورٍ وصِلْ بِعُرَا الغَبُوقِ عُرَا الصَّبوحِ
وخُذْ بحظوظِ نَفْسِكَ مِنْ مُدامٍ لَها حظّانِ مِنْ طَعْمٍ وريحِ
18/و وغَيِّرْ طَبْعَهَا بِرَضاعِ كَأْسٍ تُنَزِّلُ دُرَّةَ الرَّجلِ الشَّحيحِ
وقَرِّبْ راحَهـا مِنّي وباعِدْ مسافةَ بينَ جُثْماني ورُوحي

٦٧

وقالَ أيضاً لزوميةً :

قَـدْ أَبى التَّبريحُ أَنْ يَبْرَحا فاحسُرِ التَّعنيفَ أَو فاسْرَحا
غالَني صَرْفُ الرَّدى في أخٍ جَلَّ رُزْئي فيهِ أَنْ يُشْرَحا
عَقَلَتْهُ في الصِّبا عِلَّـةٌ شَغَلَتْهُ فيـهِ أَنْ يَمْرَحا
ورَمَـاهُ حَتْفُهُ أَسْهُمـاً لم تَجِـدْ في حُسْنِهِ مَجْرَحا
فَلَئِنْ دُمْتُ على تَرْحَـتي فَلأَمْرٍ مثـلِهِ أَتْرَحـا

---

(١) في الوافي : (فقلت) ، و (مع الهوى) .
(٢) النغْم : محركة وتسكَّن الغين فيها .

ولَئِـــنْ لاقَيْتُ ماساءَني فَبِما لا قَيْتُ ما أَفْرَحـــا

٦٨

وقالَ[١] ، رحِمَهُ اللهُ تَعالى :

صاحِ ، قدأَبْرَمْتَ[٢] ،صاحِ لا تَلُمْ نَشْوانَ صاحي
فَسَدَتْ آراءُ غِرٍّ أَطْمَعَتْهُ في صلاحي
كيفَ أَسْلو عن حبيبٍ حُبُّه شَرْطُ اقْتِراحي
قَمَرٌ لاحَ ، فأَغْرَى بِهَواهُ كلُّ لاحِ
ليس أَقْـــداحُ مُدامي غيرَ أَحْـــداقِ المِلاحِ
لا ولا نَقْلي[٣] وشَدْوي غيرَ خَمْــدي وامْتِداحي
للصَّلاحِ بنِ العَزيزِ[٤] بْــنِ الغِياثِ بْنِ الصَّلاحِ
مَلِكٌ أَنْحى على الأَعْـــداءِ مِنْ كلِّ النَّواحي
وكَفى حَرْبَ اللَّيـــالي بِنَـــوالٍ وكِفاحِ

---

(١) مدح الشاعر بهذه القصيدة الناصر بن العزيز ، ملك حلب ، وقد سبقت ترجمته .

(٢) أبرم : أي أضجر وأملّ ، ويقال أبرمه فبرِم وتبرَّم .

(٣) نَقْلي : النَّقْل بفتح النون ، والعامة تضمها ، وهو ما يعبث به الشارب على شرابه ، وقيل : هو ما يتنقل به على الشراب .

(٤) أي الناصر الثاني صلاح الدين يوسف بن العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غياث الدين غازي بن الناصر الأول صلاح الدين يوسف (انظر الملحق الثالث) .

وَشَأى[١] السَّاداتِ في الصَّفْـــحِ وإعمـــالِ الصِّفاحِ[٢]
حاطَ أَطرافَ الأَقاليـــمِ بأَطرافِ الرِّمـــاحِ
للعَطــــايا والْخَطايا مُثبِتٌ مِنْهُ ومــاحِ
كَمْ تَوالتْ مِنْهُ عِنْدي مِنَّةٌ راشَتْ جَناحي ![٣]
فبِمَدْحيـــهِ اشْتغالي في مَسائي وصَباحي

٦٩

وقالَ أَيضاً[٤] : « يُقبِّلُ الأَرضَ ...[٥] »

ويُنْهي بلوغَ عُبوديَّةٍ يُبالغُ في شَرْحِها بانْشِراحِ
لَدى مَلِكٍ فاقَ كلَّ الملوكِ بمَجْدٍ صَميمٍ وفَخْرٍ صُراحِ[٦]
وحكَّمهُ في قُلوبِ العِـــدا ورودُ الوَغى بصُدورِ الرِّماحِ
18/ ظ وأَصلَحَ ما أَفسدَ العَـالمونَ فلُقِّبَ في دِينِهِ بالصَّلاحِ

(١) شأى : سبق .

(٢) الصفاح : السيوف ، جمع الصفح وصفح السيف عرضه .

(٣) راشت جناحي : من مجاز قولهم رشت فلاناً أي قويت جناحه بالإحسان إليه ، فارتاش وتريَّش ، وأصله من الريش ، كأن الفقير المملق لا نهوض به كالمقصوص من الجناح .

(٤) هذه القصيدة في الممدوح السابق الناصر بن العزيز ، وقد سبقت ترجمته .

(٥) هذه إشارة الى أن الشاعر كان يقدم لمدحه بمقدمات يتلوها بين الممدوح قبل إنشاد القصيدة ، وتدعى الطارة كما صرّح اليونيني بذلك عندما أورد لنا الشاعر قصيدة نبوية ، أنشدها تجاه الحجرة النبوية سنة ٦١٩ هـ ، ونقل طرتها الطويلة التي ارتجلها قبل إنشاد القصيدة المذكورة ، وهي غير موجودة في ديوان الأصل .

(٦) الصريح والصُّراح : الخالص من كل شيء .

وسُمِّيَ بالأَحرفِ العالياتِ[1] بسُؤْدُدِهِ في سمـاءِ السَّماحِ
بياءِ اليَقينِ ، وواوِ الوفاءِ وسِينِ السَّناءِ ، وفاءِ الفلاحِ[2]
يُجلّي الخطوبَ إذا ما دَجَتْ برأيٍ يَبِينُ كضوءِ الصَّباحِ
ويَعلَمُ فيها بوَجْـهِ الصَّوابِ كعِلمي بوَصْفِ الوجوهِ المِلاحِ
إلى المَلِكِ النَّاصرِ بْنِ العزيزِ بْـــنِ الغيـــاثِ بْنِ الصَّلاحِ
وقَدْ كنتُ عِفتُ مُدامَ القريضِ فصارَ اغْتِباقي بهِ واصْطِباحي

٧٠

وقالَ أيضاً :

لاتلْحَ صَبّاً عن حُبِّهِ أَفْصَحْ فدَمْعُهُ مِنْ لسانِـهِ أَفْصَحْ

---

(١) في أصل الديوان كتب الناسخ (الساميات) فوق (العاليات) .

(٢) أكثر الشاعر من استخدام هذا الأسلوب في مذهبه الفني ، ولعل سبب انتشاره وانتقاله إلى الشعراء يرجع إلى الاعتقاد بخواص الحروف وتقسيمها عند اللغويين والحكماء وغيرهم . يقول ابن منظور في مقدمة اللسان :

« وأما تقارب بعضها من بعض وتباعدها ، فإن لهـا سراً في النطق يكشفه من تعناه كما انكشف لنا سرُّه في حل المترجمات ، لشدة احتياجنا إلى معرفة مايتقارب بعضه من بعض ، ويتباعد بعضه من بعض ، ويتركب بعضه مع بعض ، ولايتركب بعضه مع بعض ...

وأما خواصها : فإن لهـا أعمالاً عظيمة تتعلق بأبواب جليلة من أنواع المعالجات وأوضاع الطلسمات . ولهـا نفع شريف بطبائعها ، ولها خصوصة بالأفلاك المقدسة وملائمة لها ، ومنافع لايحصيها من يصنعها ...» (اللسان ج ١ ص ١٣ ، ١٤) .

قَدْ كتبَ الحبُّ خدَّهُ فأَتتْ مَدامعٌ فوقَ خدِّهِ تَشْرحْ

وسِترُ أَمرٍ قدْ سارَ سائرُهُ في كلِّ مصرٍ مِنْ كَشْفهِ أَفْتَحْ

مَنْ لي بأَحوى[1] أَغنَّ[2] ذي هيفٍ[3] يَكادُ باللَّحْظِ خدُّهُ يُجْرَحْ

نَسْمَحُ عِشْقاً لهُ بأَنْفسِنا وهْوَ بِرَدِّ السَّلامِ لا يَسْمَحْ

أَلَمَّ بِي طيفُهُ ، وقدْ عَسْعَسَ[4] الـ لَيلُ ، فخِلتُ الصَّباحَ قدْ أَصْبَحْ

٧١

وقالَ في جاريةٍ ، في فِمِها زَهْرٌ :

أَجْنَيْتِني مِنْ لَماكِ نَوْراً[5] سَقَيْتُ ريحانَهُ بِراحِ

فقُلْتُ : ياطيبَ عيشِ صَبٍّ جَنى الأَقاحي مِنَ الأَقاحي

---

(١) أحوى : من الحُوَّة ، وفعلها حوي ، وهي سواد إلى الخضرة ، وقيل : حمرة تضرب إلى السواد ، وقيل سمرة الشفة ، فالرجل أحوى والمرأة حواء .

(٢) أغن : من الغُنّة ، وهي جريان الكلام في اللهاة ، وظبي أغن أي يخرج صوته من خياشيمه .

(٣) هيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة .

(٤) عسعس : يقال عسعس الليل إذا أقبل ظلامه أو أدبر .

(٥) نَوْر : النَوْر والنَوْرة والنُّوار الزهر أو الأبيض منه ، وأما الأصفر فزهر .

٧٢

وقالَ لزوميةً :

وَيْحَكَ ، ياليلُ ، ألا تصبحُ ! بَحْرُكَ قَدْ أغرَقَ مَنْ يَسْبَحُ
يا أيُّهـا الزَّنجيُّ ، لَهْفي على سيفٍ مِنَ الفَجْرِ ، بِهِ تُذبحُ
أذْكَرْتَني خِـلاً صفاء بِـــهِ يحسُنُ مِنْ طولكَ مايقْبُحُ
وظبيةً ضاءتْ بهـــا دُجْيَةٌ بهـــا ذِراعُ اللَّيْثِ لايَشْبحُ[1]
لاحبَّذا الهَجْرُ الذي لم يَطبْ لأهــــلِهِ مُمَسىً ولا مُصبَحُ

(١) يشبح : شبح لك الشيء بدا ، وشبَح رأسه شبحاً أي شقه .

قافية الخاء

٧٣

قالَ رحمَهُ اللهُ :

ذكرْتكَ ، يا رسولَ اللهِ ، ذِكْراً شُغِلْتُ بِهِ عَنِ الماءِ النُّقاخِ (١)

وَحرَّكَني إليكَ شديدُ شَوْقي فأَذْنَ شَرْعَ صَبْرِيَ بانْفِساخِ

فَبُورِكَ تُربُ طيبةَ مِنْ تُرابٍ ومُدَّ الظلُّ في ذاكَ السِّباخِ (٢)

هُناكَ العِزُّ مَرْفوعُ السَّواري (٣) وثَمَّ المجدُ منصوبُ الأواخي (٤)

---

(١) النُّقاخ : الماء البارد العذب الصافي .

(٢) السِّباخ : جمع سبَخَة وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر ، وقيل هي الأرض ذات نزٍّ وملحٍ .

(٣) السواري : جمع سارية ، ومعناها في الأصل السحابة التي تسري ليلاً أو الأسطوانة ، وقد استعملت في غير ما وضعت له وأطلقها الملاحون على العمود الذي ينصب في وسط السفينة لتعليق الأشرعة به .

(٤) الأواخيّ : مفردها الأخيَّة ، وهي عود في حائط أوفي حبل يُدفن طرفه في الأرض ، ويُبرز طرفه كالحلقة تُشد فيها الدابة . والأخية أيضاً الحرمة والذمة ، تقول مثلاً : لفلانٍ أواخيّ وأسباب ترعى ؛ وله عندي أخيَّة أي ماتّة قويّة ووسيلة قريبة . في الديوان : (مصلوب الأواخي) ، وقد رأينا وضع (منصوب) بدلاً منها لتوافق كلمة (مرفوع) في الشطر الأول ، وهذا النمط من التعبير معروف بكثرة في مذهب الشاعر الفني .

٧٤

وقالَ أَيضاً :

أَلَمَّ ،وجُنْحُ اللَّيلِ[١] مِنْ صُدْغِهِ مُرْخَى ... خيالُ بخيلٍ ، ما أَبرَّ ، وما أَسْخَى ل 19 / و

أَتَانَا ، وفي شَرْخِ الظَّلامِ بَقيَّةٌ ... فغادَرَ صُبْحاً وجهُه ذلكَ[٢] الشَّرْخا

وأَوْرَى بِقلبي، إِذْ تَوارَى مِنَ الأَسى ... جَواهمَ لمْ تُعْملْ[٣] عَفاراً ولا مَرْخا

فَكانَ الذي أُصليتُ مِن بينه لظىً ... وكانَ الذي رُشِّحْتُ مِنْ فَيْئِه[٤] رَضْخا

ولو كنتَ مِنَ دونَ الخيالِ طرقْتَني ... إِذاً لنَفَخْتَ الرُّوحَ في ميِّتٍ نَفْخا

ولو كُنتَ حِلْفاً للنَّدى لمَنحْتَني ... يداً لم تكنْ أَودعْتَها مَنْبِتاً[٥] سَبْخا

فِدىً لكَ رُوحٌ ،رُحْتَ ناهبَ جسمِها ... فعرَّقْتَ منهُ اللَّحمَ والعظمَ والمُخَّا

(١) جنح الليل : طائفة منه .

(٢) شرخ الظلام : أوله . والشرخ الثانية : يقصد الفجر الذي لاح كالنصل ، لأن معنى الشرخ هنا في الأصل : النصل الذي لم يُسق بعد ولم يركب قائمه والصورة على غاية من الدقة

(٣) العفار والمرخ : شجرتان فيهما نار ليست في غيرهما من الشجر ، وزنادها أسرع الزناد. ورياً . وقيل العفار الزند ، وهو الأعلى ، والمرخ الزندة ، وهو الأسفل .

(٤) رشحت : يقال رشحت الأم ولدها باللبن القليل إذا جعلته في فيه شيئاً بعد شيء حتى يقوى على المص . والرضخ : العطاء القليل على كره .

(٥) سَبْخا سُكنت باؤها لضرورة شعرية ، والسَبَخ . هو المكان يسبَخ فينبت الملح وتسوخ فيه الأقدام ، والسَبَخة : مايعلو الماء من طحلب ونحوه ومعنى منبت سبخ أي رديء .

أيَحسُنُ أنْ أُوفي بِعَهْدِكَ دائماً ... وَعقْدُ وِدادي منكَ تُوسعُهُ فَسْخا
وَتنْسَخُ بالأَسقامِ آياتِ صِحَّتي ... وَشَرْعُ غَرامي فيكَ لا يَقبَلُ النَّسْخا
فعاقِبْ على وَجْدي بما شِئْتَ مِنْ ضَنىً ... وضَنٍّ تجِدْهُ في الحَشَا راسخاً رَسْخا
فُؤادي هَدْيٌ لم تُؤخِرْ لَهُ رَدَىً ... وَحبُّكَ شَهْرٌ لم أُؤَرِّخْ لهُ سَلْخا
وَكُنْتُ ، إذا أَخنىْ الزَّمانُ بنَكبةٍ ... عليَّ مِنَ الآسادِ في غِيلِها ، أَنْخَى
إلى أنْ ألانَ العِشْقُ بَأْسي بصَوْلةٍ ... يُطيقُ بها الفرزانُ أنْ يحبِسَ[(١)] الرُّخّا
فمِلْ ، أيُّها القَلْبُ الجهولُ ، عن الهَوى ... ولا تمْلَخَنْ في نَيلِ باطلِهِ[(٢)] مَلْخَا
وأَقْبِلْ على التَّقوى ، وأَعرِضْ عن الخَنا ... لَتَنْضَحَ أَوضارَ الذُّنوبِ بها[(٣)] نَضْحا
ولا تَقْرُبِ الدُّنيا لغَيْرِ ضَرورةٍ ... تُسوِّغُ للعُصْفورِ أنْ يَلِجَ الفَخّا

---

(١) الفِرْزان : من لُعَبِ الشِّطْرنج ، أعجميٌّ معرب فَرْزين ، وجمعه فرازين .

والرُّخّ : بضم الراء ، من لُعب الشطرنج وأدواته أيضاً ، أعجمي أيضاً وجمعه رِخاخ .

(٢) ولا تملخن : فعلها ملخ ، يقال : هو يملخ بالباطل ملخا ، أي يتلهى ويلجُ فيه ؛ وقيل يتردد فيه ويكثر .

(٣) لتنضح : يقال نضح عنه أي ذبَّ ودفع ، ونضح الرجلَ : رد عنه ونضح الرجل عن نفسه إذا دفع عنها . الأوضار : جمع وضر : وسخ من دسم أو غيره .

وَلا تَأْمَنَنْ فَوْتَ الوَفاةِ لِحَالَةٍ فلا قَشْعَماً[١] تُبقِي شعوبٌ ولا فَرْخا
وإنَّ امْرَأً أَوْدى أَبوهُ ووُلْدُهُ سيُذْهِبُهُ ماأَذْهَبَ الفَرْعَ[٢] والسِّنْخا

٧٥

وقالَ أيضاً :

المَجْـدُ مَشْدودُ الأَواخي فانْهَضْ لهُ ودَعِ التَّراخي
لا تُشْغَلَنَّ عنِ التَّرحُّـــلِ بالسُّكونِ إلى المُناخِ
وتَرَحَّ[٣] مِنْ عَرَضِ الدُّنا بالقُرْصِ[٤] والماءِ النُّقاخِ[٥]
ثِبْ عَنْ زَخارِفِها ، وصُنْ عَقْدَ الثَّباتِ عنِ انْفساخِ[٦]
وتسَلَّ عنها ، إنَّهـــا ظِلٌّ يَؤولُ إلى انْفساخِ[٧]
وَالموتُ وَصْفٌ جامِعٌ بَيْنَ القَشاعمِ والفِراخِ
فَسَدَ الزَّمانُ وأَهلُهُ فاخْتَرْ لنفسِكَ مَنْ تُؤاخي
وإذا رَجَوْتَ سِوى الإِلـــهِ أَضَعْتَ بَذْرَكَ في السِّباخِ[٨]

ل 19 / ظ

---

(١) القشعم : الأسد ، شَعُوب : هي المنية .
(٢) السِّنْخ : بكسر السين ، وهو الأصل ، وسنخ كل شيء : أصله .
(٣) يقال رحَّ يرَحُّ ، ومنها شيء رحراح فيه سعة ورقة ، وعيش رحراح أي واسع.
(٤) القُرْص والقُرْصة : الخبز ،وهي مأخوذةفيالأصلمن القَرْص وهو بسط العجين، وتقريص العجين تقطيعه .
(٥) النقاخ : الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ الفؤاد ببرده .
(٦) انفساخ : مصدر انفسخ ، يقال : انفسخ العزم والبيع والنكاح أي انتقض .
(٧) انفساخ : مصدر انفسخ أيضاً ، يقال : انفسخ الشيء وتفسخ أي زال .
(٨) السِّباخ : مفردها سبَخَة محركة ، وسبْخَة مسكنة ، وهي أرض ذات نزّ وملح .

٧٦

وقالَ مِنْ أُرجوزةٍ [١] :

سَبِّحْ بِحَمْدِ مُنْقِعِ النُّقاخِ
وَمُخْرِجِ النَّبْتِ مِنَ السِّباخِ
باعثِ رَبِّ السُّؤْدُدِ الشَّمَّاخِ
خَيْرِ نبيٍّ في الهُدَى رسّاخِ
فاعْلَقْ بِحَبْلٍ شَرْعِهِ النَّسَّاخِ
آذنَ عِقْدُ العُمْرِ بانْفِساخِ
وَنحنُ في الغَفْلَةِ وَالتَّراخي
عُقولُ مُرْدٍ [٢] وِلُحَى [٣] أشياخِ

---

(١) هذه إشارة هامة إلى أن مافي المخطوطة ليس الديوان كله ، وإنما هو مختارات من شعره الكثير .
(٢) والمرد : جمع أمرد وهو الشاب الذي طرَّ شاربه ، ولم تنبت لحيته .
(٣) لُحى : جمع لحية .

قافية الدّال

٧٧

قالَ[١] ، رحمَهُ اللهُ ، يمدحُ سيِّدَنا رسولَ اللهِ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ ، وَمجّدَ وَكَرّمَ :

وَيْلايَ مِنْ غَمضيَ الْمُشَرَّدْ فيكَ ، ومِنْ دمعيَ الْمُردَّدْ ! [٢]

يا كامِلَ الحُسْنِ ليْسَ يُطفِي ناري سِوَى ريقِكَ الْمُبَرَّدْ

يا بَدْرَ تِمٍّ ، إذا تجلَّى لَمْ يَبْقَ عُذرٌ لِمنْ تَجلَّدْ [٣]

---

(١) الوافي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ؛ والخزانة : ١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ (ص ١٩١) ؛ و ١ (ص ٧) ؛ و ١ ، ٢ ، ١٥ ، ١٦ (ص ٣١٤) .

(٢) في الوافي : (ويلاه) ، وفي الخزانة أيضاً : (ويلاه) في ١ ، ٧ (ص ٣١٤) . وأما الشطر الثاني من البيت الأول ، فهو : (أوّاهُ مِنْ شملي المبدّد) ص ٧ ، (وآهِ مِنْ شملي المبدَّد) ص ١٩١ ، ٣١٤ . وقد أورد ابن حجة شواهده من هذه القصيدة النبوية في معرض ذكر حسن الابتداء وحسن التخلص والتورية .

(٣) في الوافي : (لم يُبقِ عذراً) .

أَبدَيْتُ مِنْ حالِيَ المُورَّى ... لَمَّا بَدَا خَدُّكَ المُوَرَّدْ
رِفْقاً بوَلْهانَ مُسْتَهامٍ ... أَقامَهُ وَجْدُهُ وأَقْعَدْ[1]
مُجْتَهِدٍ في رِضاكَ عنهُ ... وَأَنتَ في أَمرِهِ المُقلَّدْ[2]
ليسَ لَهُ مَنْزِلٌ بأَرْضٍ ... عَنكَ ، وَلا في السَّماءِ مَصْعَدْ
قَيَّدْتَهُ بالجَوَى ، فَتَمِّمْ ... واكْتُبْ على قَيْدِهِ : مُخَلَّدْ
بانَ الصِّبَا عنه والتَّصابي[3] ... أَنشأَ إِطْرابَهُ فأَنْشَدْ
مَنْ لِي بِطِفْلٍ[4] ؟ حديثُ سِحْرِي[5] ... بابِلَ ، عن ناظِرِيهِ يُسْنَدْ[6]
شَتَّتَ عَنِّي نِظامَ عَقْلِي ... شَتِيتُ ثَغْرٍ لَهُ مُنَضَّدْ
لَوِ اهْتَدَى لائِمِي عليهِ ... ناحَ على نَفْسِهِ ، وعَدَّدْ
أَكْسَبَنِي نَشْوَةً بِطَرْفٍ ... سَكِرْتُ مِنْ خَمْرِهِ ، فَعَرْبَدْ
لاسَهْمَ لي في سَدِيدِ رأْيِ ... يَحْدِسُ مِنْ سَهْمِهِ المُسَدَّدْ
غُصْنُ نقاً[7] حَلَّ عَقْدَ صَبْرِي ... بِلِينِ خَصْرٍ ، يكادُ يُعقَدْ

---

(١) في الوافي : (جدُّه) .
(٢) » » : (وأنت في إثمه) .
(٣) » » : (فالتصابي) .
(٤) طفل : في اللسان أن العرب تقول : جارية طفلة وطفْل ، بكسر الطاء ، ويقال أيضاً : غلام طَفْل بفتح الطاء إذا كان رخص القدمين واليدين أو امرأة طَفْلة البنان رخصتها في بياض ، بيّنة الطفولة .
(٥) في الوافي : (حديث سحر) .
(٦) » » : (تسند) .
(٧) نقا : كثيب من الرمل .

فَمَنْ رَأى ذلكَ الوِشاحَ الـــصَّائمَ صلَّى على مُحمَّدْ[١]
خَيْرِ نبيٍّ نَبيهِ قـــدْرٍ عَوْدي إلى المَدْحِ فيهِ أَحْمَدْ
ومُرْسَلٍ حمـــدُهُ شِعاري لأنَّهُ في المَعـــادِ أعودْ
عِقابُـهُ للطُّغـــاةِ مُقصٍ وبابُهُ للعُفـــاةِ مَقْصَدْ
إنْ يَحْسدُوهُ على عُـلاهُ فَمِثْلُه في العَـــلاءِ يُحْسَدْ
أبانَ نَقْصَ الجميعِ عَنْهُ لَمَّـــا غدَا في الكَمالِ مُفْرَدْ
رَدَّ مِنَ العَـدْلِ ما تولَّى كَفَّ مِنَ الجَوْرِ ما تَولَّدْ
أَلْبَسَنَا المجـدَ فا نْتَصَرْنا بِجَـــدٍّ عَضْبٍ لهُ مُجَرَّدْ
فالعيشُ مِنْ سَيْبِه المُهنَّا[٢] والموتُ مِنْ سيفِهِ المُهَنَّدْ
فكَمْ عَصِيٍّ[٣] عليهِ يَشْقَى وكَمْ مُنيبٍ لَدَيهِ يَسْعدْ[٤]!
وكَمْ شَديدِ الضَّلالِ أَعْمى أَشْرَكَ لَمَّـــا رآهُ وحَّدْ[٥]!

ل 20/ و

(١) وقف النقاد القدماء معجبين عند حسن تخلص الشاعر في هذه القصيدة النبوية . قال الصفدي : « أما مخلص هذه القصيدة وحسنه ، فما رأيته لأحد ، فتأمله يظهر لك معناه » (الوافي ج ١٩ ل ١٩) . وقال ابن حجة : « ولم يزل يدير على خصور هذه الألفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة إلى أن قال :« أكسبني... » الأبيات الثلاثة .(الخزانةص٢٩١)

(٢) المهنا : أي المهنأ خففت الهمزة لضرورة شعرية .

(٣) عصيّ : أي عاصٍ .

(٤) في الوافي : (وكم منيب إليه) .

(٥) « « : (وكم شديد الضلال ممّنْ) .

فَلَوْ رأَتْهُ بَلْقِيسُ أَغْنى هُداهُ عَنْ صَرْحِها المُمَرَّدْ[١]

أَشْرَفُ مَنْ في النَّهارِ ناجى وخَيْرُ مَنْ في الدُّجا تهجَّدْ

لِلّهِ كَمْ كُرْبَةٍ تَجلَّتْ بِهِ ، وكَمْ مُعْجِزٍ تَجدَّدْ ![٢]

وكَمْ سَفاهٍ عَلَيْهِ أَعْدَى وكَمْ صَوابٍ إِليهِ أَرشَدْ ؟

وكَمْ قَطَعْنا إلى ذُراهُ مِنْ مَهْمَهٍ[٣] مُوحِشٍ وفَدْفَدْ ![٤]

حتى وَفَدْنا إلى ضَريحٍ جنابُهُ للوُفُودِ مَشْهدْ

لُذْنا بِهِ مُحِبِّينَ[٥] طَوْراً وتارةً رُكَّعاً وسُجّدْ

نَأْمَنُ في ظِلِّهِ إذا ما أَبْرَقَ مَنْ كادَنا وأَرْعَدْ[٦]

وغيرُ بِدْعٍ لِمُسْتَجيرٍ بِهِ إذا نالَ كلَّ مَقْصَدْ

---

(١) صرح مُمَرَّد: مطوّل ومملّس ، وقد أشار الشاعر في هذا البيت إلى قوله تعالى : « قيل لها : ادخلي الصرح ، فلما رأته حسبتْهُ لجّةً ، وكشفتْ عن ساقيها ، قال: إنه صرحٌ ممرّدٌ من قواريرَ » (سورة النمل ٢٧/ ٤٤) .

(٢) في الوافي : (مفخرٍ) .

(٣) المهمه : المفازة البعيدة والبلد المقفر .

(٤) الفَدْفَد : الفلاة والمكان الصلب الغليظ والمرتفع والأرض المستوية .

(٥) في الديوان : (مختبين) .

(٦) من المجاز قولنا : فلان يُبرق لي ويرعد ، إذا تهدّد وتوعّد .

٧٨

وقالَ :

حَمِدْتُ مَصيفيَ في بَعْلَبَكِّ ولم ألقَ مِنْ معشري حامِدَهْ
فحاوَلْتُ مِنْ ثَلْجِها نُصْرتي فجاءَ بجُجَّتِهِ البَــارِدَهْ

٧٩

وقالَ[1] يمدحُ المَلِكَ الأَمْجدَ[*] ، رَحِمَهما اللهُ تَعالى :

حُقوقٌ مِنْ وِصالِكَ ماتودّا وَصَدٌّ جِئْتَ شَيئاً مِنهُ إدّا [2]
وَهَجْرٌ كُنْتُ أُنعِشُ فيهِ روحي بِقُرْبِكَ جانياً صاباً وشَهْدا [3]
فلمْ يُقْنِعْكَ ما ألقــاهُ حتى جَمَعْتَ عليَّ هِجْراناً وبُعْدا

(★) الملك الأمجد ، مجد الدين بهرام شاه ، ملك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .

(١) هنأ الشاعر الملك الأمجد ممدوحه بحلول شهر رمضان المبارك كما يتضح لنا ذلك في البيت الخامس والعشرين من القصيدة المذكورة .

(٢) ضمن الشاعر قوله تعالى : « لقد جئتم شيئاً إدّاً » أي منكراً عظيماً . (سورة مريم ١٩/٩٠) .

(٣) الصاب : مفرده صابة شجر مرّ ، وعند الجوهري عصارة شجر مرّ .

أَلَمْ تَسْمَعْ ملامةَ مَنْ تولَّى ... ومَنْ أَعْطَى قليلاً ، ثم أكدى [١]
أَتَبْخَلُ بالْيَسيرِ عليَّ وعــداً ... وقد أنفقتُ رُوحي فيكَ نَقْدا؟!
وتَرْقُدُ في نهاركَ عن وِصالي ... وقد أَفْنيتُ فيكَ اللَّيلَ سُهْدا؟
أيا قَدَّ القَضيبِ إذا تثنَّى ... ويا وَجْهَ الهلالِ إذا تبدَّى
ويا أدنى الأَنامِ ، وقدْ تَنادى ... وأكرمَهُمْ عليَّ ، وإنْ تَعدَّى
فداكَ بُهجتي شَرَفُ المُفدِّي ... فيا بُشْرايَ ، إنْ قَبِلَ المفدَّى
ومثلُكَ جلَّ أن يُفْدَى بمثلي ... ولكنِّي بَلَغْتُ بِذاكَ جَهْدا
أُحاوِلُ في النَّسيبِ طريقَ هَزْلي ... فيَجْعَلُهُ جُنوني فيكَ جِــدّا
وكَمْ فارَقْتُ عـذَّالاً وصَبْراً! ... وكم فارَقْتُ أَشْجاناً ووَجْدا!
وصاحَبْتُ الوَرَى عُرْباً وعُجْماً ... وطوَّفْتُ الدُّنا غَوْراً ونَجْدا
فـــا أَجْدَى عليَّ سِوى ثَنائي ... على مَلِكٍ غَدا للدِّينِ مَجْـــدا
فتىً أَحْيا الفَضائلَ بَعْدَ مَوْتٍ ... وكانَ لأَهلِها رِدْءاً [٢] ورِدّا
وأَظْهَرَ مُعْجِزاتٍ في القَوافي ... يُخالُ بِهـــا نَبِيّاً لو تَحَدَّى

٢٠ ظ

(١) كدى الرجل وأكدى أي قل عطاؤه ، وقيل بخل ، وقيل أمسك وقطع . وفي القرآن الكريم قوله تعالى « أفرأيتَ الذي تولّى ، وأعطى قليلاً وأكدى » أي منع الباقي . (سورة النجم ٥٣ / ٣٣ ، ٣٤) . وقد لاحظنا أن الشاعر ضمّن قول الله تعالى المذكور تضميناً حسناً .

(٢) الرِدء : بكسر الراء ، وهو العون ، وهو رِدء له : أي ينصره ويشدّ عضده .

له بإبائِهِ والجِــدِّ فَضْلٌ كما فَضَلَ الأنامَ أَباً وجَدّاً
يَبُثُّ الجيشَ في أرضِ الأعادي فيغدو قانصاً بالأُسدِ أُسْدَا
وما جاشتْ بحارُ نــداهُ إلاّ حَقَرْتُ هُنَيْدَةً[1] فيها وهِنْدَا
تدارَكْنا بإرفادٍ ورِفْــقٍ فقالَ المَجْدُ : إسرافاً وقَصْدَا
إليكَ - أبا المظفَّرِ - كلُّ مَلْكٍ يَفِرُّ مَخافــةً ويَزُورُ وَفْدَا
وأنتَ ابْنُ المعزِّ[2] له نصيرٌ إذا اسْتَعْدَى على الأيّامِ أَعْدَى[3]
تكادُ الأرضُ[4] تَنْشَقُّ ارْتِجاجاً لأمرِكَ والجبالُ تَخِرُّ هَدّاً
فِدَىً لكَ جاهلٌ أَنْ ليسَ يُغْني حُطامُ المالِ عَنْهُ إذا تَرَدَّى
لِيَهْنِكَ شهرُ صومٍ زِدْتَ فَضلاً بما أَجْدى عليكَ وما أَجَدَّا
دَعاكَ لِمــا تَعوَّدَهُ فَلَبَّتْ خلائقُ مِنْكَ لا يُخْلِفْنَ وَعْدا
فَكَمْ حسَّنْتَ بالإحسانِ نَدْياً[5] وكَمْ أَرْغَمْتَ بالإيمانِ نِدّاً ![6]

---

(١) هند وهنيدة : اسم للمائة من الإبل ، أو لما فوقها ودونها ، أو للمائتين .

(٢) المعز ، عز الدين ،فرّوخ شاه ، والد الممدوح ، المتوفى سنة ٥٧٨ هـ (انظر الملحق الرابع) .

(٣) واستعداه : أي استغاثه . وأعدى : أغاث ونصر وقوّى .

(٤) ضمن الشاعر قوله تعالى : « تكادُ السمواتُ يتفطَّرْنَ منه ، وتنشقُّ الأرض ، وتخِرُّ الجبال هدّاً » (سورة مريم ٩١/١٩) .

(٥) في الأصل : (ناد) ، وهذا تصحيف من الناسخ ، والصواب ما رجحناه . يقال : رجل ندٍ أي جواد .

(٦) النِدّ : بالكسر المثل والنظير ، وجمعها أنداد .

وكَمْ أغْنَيْتَ بالنَّعماءِ كَفّاً ... وكَمْ أورَيْتَ للعَلْياءِ زَنْدا[١]
مَكارِمُكَ الزَّواهِرُ ليسَ تُحْصَى ... ومَنْ يُحصِي النُّجومَ الزُّهْرَ عَدّا؟

٨٠

وقالَ يمدحُه[٢] ، ويُهنِّئُه بدُخولِ السَّنةِ[٣] :

كَذا فابْقَ مَحْروسَ الجَنابِ مُؤيَّدا ... يَسُرُّ المَوالي فيكَ ما يَكْبِتُ العِدا
وهُنِّئْتَ بالعامِ الذي هنَّأَ الوَرَى ... بعَيْشِكَ مَوفورَ الخِلالِ مُخلَّدا
وما حالتِ الأَحوالُ فينا فلا تزلْ ... تُجمِّلُ مِنْها مُخْلَقاً ومُجَدَّدا
فإنَّكَ في الأزمانِ شَمسُ نَهارِها ... وبدْرُ تمامٍ ما بَدا اللَّيلُ مُذْ بَدا
بَدَأْتَ بعدلٍ عمَّ أُمَّةَ أَحْمَدٍ ... وعُدْتَ ، فكانَ العودُ أَسْنى وأَحْمَدا
وبدَّدْتَ مِنْ شَمْلِ الثَّراءِ مُجَمَّعاً ... وجَمَّعْتَ مِنْ شَمْلِ العَلاءِ مُبَدَّدا[٤]
فَدَيْناكَ مِنْ حِبْرٍ وبَحْرٍ وضَيْغَمٍ ... وبَدْرٍ ، وإنْ قلَّ الفِداءُ ومَنْ فَدى
وللهِ درُّ ابنِ المعزِّ إذا انْبَرَى ... لِمَجْدٍ ورِفْدٍ ما أَجدَّ وأَجْوَدا !
وللهِ عَزْمٌ كَلَّفَتْنيهِ هِمَّةٌ ... فكلَّفْتُهُ في البِيْدِ وجناءَ[٥] جَلْعدا[٦]

ل/12/و

(١) الزَّنْد : العود الذي يقدح به النار والسفلى زندة .
(٢) ممدوحه السابق ، الملك الأمجد بهرام شاه ، ملك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .
(٣) أي دخول السنة الهجرية .
(٤) في الأصل : (العلا متبددا) .
(٥) الوجناء : الناقة الشديدة .
(٦) الجلعد : الصلب الشديد ، ومنها الجلاعد ، وهو الجمل الشديد .

حَبَوْتَ الكرى حوباءَ حَنَّتْ لغيرِها — فهانَ عليها أنْ أبيتَ مُسَهَّدا

وأيقظني قَصْدُ الكريمِ فلم أنَمْ — أراقِبُ مِنْ طَيفِ البَخيلةِ مَوْعدا

شَقَقْنا بِها دَجْناً[1] مِنَ اللَّيلِ أسوداً — وخُضْنا بِها بَحْراً مِنَ الآلِ مُزْبِدا

إلى أنْ أراحَتْنا السُّرَى بقُدومِنا — على مَلِكٍ مِنْ آلِ أيُّوبَ أَمْجَدا

سَكَنّا بِمَغْناهُ ، فسَكَّنَ جأْشَنا — ونَفَّرَ جيشَ البؤسِ عنّا ، وطرَّدا

فأكْرِمْ بهِ دونَ المواطنِ مَقْصدا — وأَسْعِدْ بنا دُونَ البَرِيَّةِ قُصَّدا

أَمَا وكحيلِ الطَّرفِ غيرَ مُكَحَّلٍ — تَغَزَّلْتُ[2] مِنْ وَجْدي بهِ فتأسَّدا

تَرَدَّدَ بينَ الهَجْرِ والوَصْلِ رأيُهُ — فغادرَ في خَدَّيَّ دَمْعاً مُرَدَّدا

وصَيَّرَ في سَمْعي مَلامــةَ لائمي — مِنَ المَدْحِ إلاّ في جَنابِكَ[3] أكْسَدا

لقد غَمَرَتْني مِنْ يَديكَ يَدٌ بهــا — غَنِيتُ ، فكمْ أغنَيتَ مِنْ مُقْتِرٍ يَدا!

وشَرَّدْتَ عُدْمي بالمنائِحِ لم أجِـدْ — كَفِيّاً[4] لها غيرَ المدائحِ شُرَّدا

نُجومُ سُرَىً قامَ الوَلاءُ بِها بِما — أقامَ الأعادي مِنْ ثَنائكَ وأقْعَدا

تَبيدُ العَطايا مِنْ طَريفٍ وتالِدٍ — وتَبْقَى قَوافيها على الدَّهرِ سَرْمَدا

---

(١) الدَّجن : الظلام .

(٢) بدأ الشاعر قصيدته بوصف الممدوح ، وختمها بذكر النسيب ليعود عودة خاطفة لذكر ممدوحه ، وهذا تطور جديد في شعر هذا العصر .

(٣) كسدت السوق وأكسدت أي لم تنفق .

(٤) كفيّ : فعلها كفى ، ويقال رجل كافٍ وكفيٌّ .

٨١

وقالَ يمدحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ (*) :

مَنْ لي بأغيدَ يُسليني عن الغيدِ ؟ … في ضمِّ عِطْفَيهِ مَقْصودي وتَقْصيدي
بي لَوْعَةٌ ، ليسَ يُطفي الماءُ غُلَّتَها … وفي ثناياه وِرْدٌ غيرُ مَوْرودِ
أَضْحَى أميراً على كُلِّ المِلاحِ ، وقد … وَافاهُ خَطُّ عِذارَيْهِ بتَقْليدِ
غزالُ إنسٍ ، غَضيضُ الطَّرفِ ، مُقْلَتُهُ … صيَّادةٌ لقلوبِ المَعْشَرِ الصِّيدِ
مَكْحولةُ الجَفْنِ مِنْ سِحْرٍ ومِنْ وَسَنٍ … في حُبِّها كُحِّلَتْ عَيْني بتَسْهيدِ
سَبَتْ فؤادي مِنْها طَعْنَةٌ عَرَضٌ … كأنَّها طعنةٌ مِنْ كفِّ محمودِ
يدٌ هي البَحْرُ لا يُفني عجائبَهُ … والنَّاسُ بَيْنَ غَنِيٍّ مِنْهُ أو مُودِ
لا تَبْتَذِلْها بتَقْبيلِ الملوكِ لَها … فإنَّما خُلِقَتْ لِلْبأسِ والجُودِ
فَرَّقْتَ بَيْنَ المعالي والثَّراءِ كما … جَمَعْتَ بالعَدْلِ بَينَ الشَّاءِ (١) والسِّيدِ
لو نالَ مَلْكٌ على مِقْدارِ هِمَّتِهِ … لَنِلْتَ مُلْكَ سليمانَ بْنِ داودِ
كَمْ عَزْمَةٍ لكَ لا تنفكُّ عن ظَفَرٍ … فالجِدُّ أَلِفٌ لِجَدٍّ مِنْكَ مَسْعودِ
وكَمْ سُطاً أَعْرَبَتْ عنها العُروبَةُ مِنْ … فُحولِ أبطالِكَ الغُرِّ (٢) المناجيدِ

ل 21/ ظ

(*) هو الملك المظفر الثاني، تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته.
(١) السِّيد : الذئب .
(٢) المِنجاد : المعوان وجمعها مناجيد .

كانوا الجلاميدَ في بأسٍ وفي جَلَدٍ ... فوقَ الجَلاميدِ تَرْمي [١] بالجَلاميدِ

كتائبُ حَكَمَتْ في كلِّ مملكةٍ ... حتى لقد خِلتُها كُتْباً [٢] بتقليدِ

أما الفِرَنْجُ فقدْ أَخْمَدْتَ نارَهُمُ ... ولم تَزَلْ ذاتَ إضرامٍ وتَوْقيدِ

مِنْ بعدِ ما حادَ أملاكُ الطَّوائفِ عن ... حِفْظِ البلادِ، وألْقَوا [٣] بالمقاليدِ

رَجا بنو الأَحدِ الكُفَّارُ عَوْدَهُمُ ... بالفَوْزِ عن رَبٍّ إخلاصٍ وتَوْحيدِ

فباكرُوا في كَثيفِ الحَشْدِ ذي لَجَبٍ ... تَبيــدُ في جانِبَيْهِ ساحةُ البِيدِ

مُسْتَسعِراً سُحُبَ نَقْعٍ مِنْ غمائمِهِ ... ولَمْعَــةٌ ذاتَ إبراقٍ وتَرْعيدِ

أَقْبَلْتَهمْ رُحْبَ صَدْرٍ ليسَ يُحْرِجُهُ ... ضِيقُ المجالِ وقَلْبٍ غيرَ [٤] مزْؤودِ

وصَدْراً أظْمَى [٥] أخي عِشرينَ لَهْذَمَةً [٦] ... ما زالَ واردَ نَحْرٍ غيرِ مَورودِ

وحدٌّ عَضْبٍ، عَلَيْهِمْ مِنْهُ صاعقةٌ ... كَنَفْخَةِ الصُّورِ [٧]، كلٌّ عِنْدَها مُودِ

---

(١) الجلاميد جمع جُلمود، وهو الصخر، ورجل جَلْمد أو جُلْمود أي شديد. وألقى عليه جلاميده أي ثقله.

(٢) التقليد: يقال قلَّده قلادة أي جعلها في عنقه، ومنه التقليد في الدين، وتقليد الولاة الأعمال، وقلَّدا العمل فتقلده، وألقيت إليه مقاليد الأمور، وضاقت عليه المقاليد أي ضاقت عليه أموره.

(٣) المقاليد: جمع المقلاد وهو المفتاح.

(٤) مزؤود: مذعور، وقد زُئد فلانٌ وأصابه زُؤد.

(٥) أظمى: رمح أظمى أي أسمر.

(٦) لهذمة: يقال سيف لهذم حاد وكذلك السنان والناب واللهذمة في كل شيء قاطع.

(٧) الصُّور: القرن، وقد ورد ذكره مراراً في القرآن، وقد جاء فيه أن إسرافيل ينفخ فيه النفخة الأولى.

ورُعْتَهمْ بخَميسٍ ، فَلَّ جَمْعَهمْ ... بحَرُّ ضَرْبٍ وطَعْنٍ كالأخاديدِ

فغُودرُوا بَيْنَ مَجْروحٍ ومُخْتَبِلٍ ... يَبْكي على هالكٍ مِنْهمْ ومصفودِ

صارُوا قطائعَ إذْ راموا القطائعَ لِلـ ... ـبيضِ الصَّوارمِ في حُجُبِ الوغى السُّودِ

فاهْنَأْ بما شِئْتَ مِنْ نَصرٍ ومِنْ ظَفَرٍ ... فَعَنْكَ يُرْوَى حديثُ البأسِ والجودِ

يَذُمُّ بَعْضُ الوَرَى بَعْضاً، وقولُهُمُ : ... ما في البريَّةِ محْمُودٌ كَمَحْمودِ

مَلْكٌ إذا أغرقَ[1] الأملاكُ في قَنَصٍ ... فَصيْدُه غُلْبُ آلِ الأصفرِ[2] الصِّيدِ

وإنْ سَبتْهُمْ ذواتُ الحُسْنِ مالَ بهِ ... قَطْعُ الطُّلَى عَنْ وصالِ الخُرَّدِ[3] الغِيدِ

وإنْ تلاهَوْا بشُرْبِ الرَّاحِ قالَ: دِما[4] ... بني الحروبِ ، ولا بِنْتُ العناقيدِ

يا أيُّهـا المَلِكُ المبرورُ مادِحُه ... خُذْها قصيداً لقاها كلُّ مقصودِ

واسلمْ، لكَ المُلْكُ مقصوراً عليكَ، ولا ... زالَ الوَرَى تحْتَ ظِلٍّ مِنْكَ ممدودِ

٨٢

ل 22 / و وقال[5] [يَمدحُ الملكَ الأمجدَ (*)] :

(*) الملك الأمجد ، بهرام شاه ، ملك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .

(١) في الأصل : (أغرق) . (٢) آل الأصفر : هم الروم .

(٣) الخرّد : جمع خريدة ، وهي من النساء البكر التي لم تُمسس قط .

(٤) دما : أي دماء بقصر الممدود لضرورة شعرية .

(٥) في الديوان قول جامعه (وقال أيضاً يمدحه) ، وهذا يوحي أن القصيدة قيلت في الممدوح السابق الملك الظفر الثاني ، وقد تبين لنا أنها نظمت في مدح الملك الأمجد بدليل أن الشاعر صرح باسمه في البيت السادس والبيت الرابع عشر ، وهذا سهو من جامع الديوان أو إهمال من ناسخه . صرّح ابن حجة قبل ذكر : ٣ ، ٥ ، ٦ الأبيات الثلاثة =

مُنْجدي بعدَ الخليطِ المُنْجدِ عَهْدٌ[١] عَيْنٍ مِثْـلَهُ لم يُعْهَدِ؟
ومَقالي أبداً مِنْ وَلَهي : رَحَلتْ سُعْدَى، فهلْ مِنْ مُسعِدِ
ظَبْيةٌ حُكمُ ظُبـا مقلتِها عِزّةُ الظَّبْيِ ، وذلُّ الأَسَدِ
حُسْنُ خَلْقٍ مِلْءُ عَيْني شابَهُ سُوءُ خُلْقٍ ، رَدَّني صِفْرَ اليَدِ
كُنْتُ في تَرْكِ الهَوَى مُجْتَهِداً وهي كانتْ زَلَّةُ المُجْتَهِـدِ
كَمُلَتْ حُسْناً ، فلولا بُخْلُهـا خِلْتُها بَعْضَ خِلالِ الأَمْجَـدِ
مَلِكٌ ، بـل مَلَكٌ أَوْطــأهُ هِمُّهُ هامــةَ سَعْدِ الأَسْعُدِ
فَهْــوَ بَدْرٌ باهِرٌ للمُجْتَلي وهْــوَ بَحْرٌ زاخِرٌ لِلْمُجتَدي
أجمعَ الرأيَ إلى أنْ فَرَّقتْ فِرْقةُ الجُمْعَةِ جَمْعَ الأَحَـدِ
مَزَّقتْ شَمْلَ العِــدا في مَأْزِقٍ كَدِرِ الجوِّ ، كَريهِ المَوْرِدِ
تَهْتدي الأَعيُنُ فيهِ بالظُّبا[٢] مِنْ عَجاجٍ عاقَها أنْ تَهْتدي
أدْهَمُ اللّيــلِ بِهـذي[٣] أبْلَقٌ وحُسامُ الصُّبْحِ مِنْ هذا صَدِ
عِثْيَرٌ[٤] ، للطّيرِ فيــهِ مَرْقَدٌ ولأهْلِ الشِّرْكِ سُكْرُ المَرْقَدِ

= المذكورة أنها « من قصيدة يمدح بها الملك الأمجد » (الخزانه ص ١٩١) . وهذا دليل آخر على أن هذه القصيدة ليست في مدح الملك المظفر الثاني .

(١) عهد : معناها في الأصل أول المطر الوسميّ ، وأراد بها هنا أوائل العبرات .

(٢) الظُّبا : جمع ظُبة ، حد السيف أو السنان أو نحوهما .

(٣) في الأصل : (بهادي) والصواب .

(٤) عِثير : العثير هو العجاج والتراب ، وما قلبت من الطين بأطراف رجليك .

خاضهُ بهرامُ شاهٍ بالقَنَا صائداً كلَّ كميٍّ[١] أصيدِ[٢]

وإذا ما عُشِقَ المَجْدَ امْرُؤٌ عاينَ البَأْساءَ عَيْنَ الرَّغَدِ

عُودُهُ صُلْبٌ ، إذا زارَ الوَغى وهْوَ في السِّلْمِ صَدوقُ المَوْعِدِ

تَحْمَدُ الأُمَّةُ مِنْ تَمْليكِهِ ما سَيُرْضي أَحْمداً عن أَحمدِ

فهي تَفْدي مالكاً ضمَّ إلى رأفةِ الوالدِ برَّ الوَلَدِ

سِيْرَةٌ قَرَّ الوَرَى مُذْ قَرنتْ سُورَةَ الهادي بعَدْلِ المُهْتَدِي

أَرْسَلَتْ مِنْ نَصْرِهِمْ صاعقةً وَقَعَتْ مِنْ دَهْرِهِمْ في أَرْبَدِ

يا كريماً ، هو كَعْبٌ في النَّدى وحَليماً ، هُوَ قَيْسٌ في النَّدي

جُزْتَ في العَلْياءِ حدَّ المُنْتَهى ومَنَحْتَ المَجْدَ جَدَّ المُبْتَدِي

فاقْتَصِرْ ، قد نِلْتَ أَقْصَى غايةٍ وإنِ اسْطَعْتَ مَزيداً فازْدَدِ

وأَبِدْ بالسَّيفِ أَعمارَ العِدا وابْقَ للآدابِ عُمْرَ الأَبَدِ

٨٣

ل 22 / ظ وقالَ يمدَحُ المَلِكَ المظفَّرَ(*) ويُهَنِّئُهُ بالعيدِ :

بِضياءِ وَجْهِكَ تُشْرِقُ الأَعيادُ وبِطِيبِ ذِكْرِكَ يَطْرَبُ الإنشادُ

وبِما تُفرِّقُ مِنْ عظياتِ اللُّها جَمَعَتْ عَلى تَعْظيمِكَ الأَضْدادُ

(★) هو الملك المظفر الثاني ، تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الكمي : الشجاع حامل السلاح .

(٢) الأصيد : المتكبر الذي يرفع رأسه صلفاً .

أنتَ الكريمُ ، له الأكارمُ سُؤَّلٌ أَنتَ المليكُ ، لهُ الملوكُ عِبادُ
زَجرَتْ مَهابتُكَ الوَرَى عن ظُلْمِهِمْ فالجَوْرُ يُهضمُ ، والحُصونُ تُشادُ
وأطاعَكَ القَدَرُ المُتاحُ ، فدأْبُهُ عَنْ أَمرِكَ الإِصْدارُ والإِيْرادُ
فسُطاكَ مِنْ قِبَلِ المهاتِ إماتَـةٌ ورضاكَ مِنْ بَعْدِ المَعـادِ مَعادُ
ولِكُلِّ ثَغْرٍ مِنْ نَداكَ تبسُّمٌ وبكُلِّ ثَغْرٍ مِنْ قَناكَ سَدادُ
يا قائدَ الجَيْشِ اللُّهـامِ (١) يَؤُمُّـهُ رُعْبٌ ، بهِ صِيدُ الملوكِ تُصادُ
يا أيُّها المَلِكُ المُظَفَّرُ ، دَعْوةً قامَتْ بها في المَحْفِلِ (٢) الأَشهادُ (٣)
هُنِّئْتَ بالعيـــدِ الذي شَرَّفْتَهُ فَبدَتْ لَنـــا في ضِمْنِهِ أَعْيادُ
نُشِرَتْ لَهُ خِلَـــعٌ لِمَطْوِيَّاتِها طُوِيَتْ إليكَ تَهائِمٌ (٤) ونِجادُ
وافتْ مِنَ البَلَدِ البعيدِ ، فوُفِّيَتْ شُكْراً بِهِ تَتفاوَتُ الأَبْعـــادُ
زادَتْ بِلُبْسِكَ بَهْجَةً ، فَكَأَنَّمـــا شَمْسُ الضُّحا لِنَسيجِها أَمْدادُ
وبَدَتْ عليها مِنْ دلائلِ تِيهِها ما أَوْهَمَ الإِدْراكَ ، وهْيَ جَمادُ
بمُتَوَّجٍ وَهَبَ البُرودَ (٥) قَشيبَةً وكَفاهُ مِنْ أَدْراجِهِ أَبْرادُ

(١) الجيش اللُّهام : الجيش العظيم .
(٢) المحفل : المجلس ، والمجتمع في غير مجلس أيضاً .
(٣) أشهاد : جمع الجمع ، مفرده شاهد ، ويجمع على شـهْد ، ويجمع على أشهاد .
(٤) تهائم : جمع تهامة ، وهي الأرض المتصوبة إلى البحر ، ومثلها التهمة .
(٥) البرود والأبراد : جمع بُرْد ، وهو الثوب المخطط .

لا زالَ مُلكُكَ للبسيطةِ شاملاً يُمنَى له التأييـــدُ والإسعادُ
لا تَنْقضُ الأقدارُ ماُيمضي ، ولا لنفاذِ أمرِكَ في البـــلادِ نفادُ

٨٤

وقالَ يمدُحه[1] ، ويُهَنِّئُه بأخذِ « بارينَ »[2] :

يومٌ ، نَصَرْتَ بهِ العلياءَ والجودا وساعةٌ ، غادرْتَ صَيْداً لك الصِّيدا

(١) ممدوحه السابق المظفر الثاني ، تقي الدين محمود .
(٢) بارين : بكسر الراء ، وسكون الياء ، والعامة تدعوها « بعرين » ذكرهـا ياقوت في معجمه ، وهي قريبة من حماة .

أشار الشاعر في هذه القصيدة إلى أحداث تاريخية هامة سبقت أخذ بارين من أخيـه الملك الناصر وإلحاقها بحماة . ونرى توضيحها هنا لأهميتها البالغة في هذه المناسبة التي تتعلق بالقصيدة المذكورة .

كان المظفر الثاني المعهود إليه بالملك بعد وفاة أبيه المنصور الأول ، وكان إذ ذاك عنـد خاله الكامل ملك مصر ، وكان وزير أبيه زين الدين بن فريج ، وقد جمع أعيان حماة،واتفق معهم على تولية أخيه الناصر صلاح الدين قليـج أرسلان ، وكان مقيماً عند خاله المعظم ملك دمشق ، فكاتبوا خاله المذكور ، واستدعوه لتوليته مكان أخيه . ولما أعطى الملك الكامل دمشق لأخيه الأشرف سنة ٦٢٦ هـ ، وكان يحب المظفر ، طلب منه مساعدته على عزل الملك الناصر ، وإرجاع الملك إلى وريثـه الشرعي ، فوافق على ذلك الملك الكامل ، وقدم من مصر بنفسه ، وتوجه إلى حماة يصحبه المظفر ؛ وهكذا عاد الحق إلى صاحبه ، أما أخـوه الملك الناصر فقد سلّمه بارين ، ولكن الملك المظفر انتزعها منه ، وقد أشار الشاعر إلى ذلك في بعض أبيات القصيدة المذكورة .

وموقفٌ ، سُؤْتَ كلَّ الحاسدينَ بهِ ... كما سرَرْتَ بـهِ عَدْلاً وتوحيدا

أنطقْتَ بالفتحِ أعوادَ الوشيجِ ، وما ... أَخْلَيْتَ عن ذكرِهِ مِنْ مِنْبَرٍ عُودا

لولاكَ ما شُدَّ أَزْرُ المسلمينَ ، كما ... بُنْيانُ عِزِّهِمُ ، لولاكَ ، ماشيدا

بادَرْتَ « بارينَ » إذ بارتْ رعيَّتُها ... جَهْداً ، وغادرَ عنها الأَمنُ مطرودا

واستَبْطأَتْ منكَ وَعْداً ، لا تخافُ له ... خُلْفاً ، فأَنجزْتَها منكَ المواعيدا

بِكَرْتَ مُفترِعاً بالسَّيفِ عُذْرَتَها[1] ... مِنْ دونِ كلِّ الورى حيّاً وملحودا ل 23/و

لم تَطْلعِ الشَّمسُ قِيدَ الرُّمحِ ضاحيةً ... حتى غدا إرثُكَ الممنوعُ مردودا[2]

ولا انْقَضى يومُها ، حتى دَلَفْتَ لها ... مُصرِّفاً أمرَهـــا عَزْلاً وتَقْليدا

فأَصبحتْ كـ « حماةٍ » في حِمى مَلِكٍ ... بالعدلِ يَجْمَعُ فيها الشاءَ والسِّيدا

أَلْهى شقيقَكَ عن إلفِ الشِّقاقِ بها ... رنّاتُ بيضٍ حكَتْ في الهامِ تغريدا

لم يُنْهِ إصرارَهُ حتى بَذَلْتَ لهُ ... طَعْناً دِراكاً ، وضَرْباتٍ أَخاديدا

أَرجأْتَهُ مـدَّةَ الأَسبوعِ تُرشِدُهُ ... عَذْلاً ، وتُوسِعُهُ لوماً وتهديدا

حتى إذا فقدَ الرأيَ السَّديدَ بـهِ ... وعادَ منه سبيلُ الرُّشدِ مَسْدودا

صَبَحْتَ أشياعَـهُ فيها بصاعقةٍ ... تَخَرَّمتْ والداً مِنهمْ ومَوْلودا

أَبقى خَميسُكَ يومَ الأَرْبعاءِ بِهِمْ ... ماحلَّ فيه بعادٍ إذْ عَصَوا هُودا

---

(١) عذرتها : بكارتها ، وقد أكثر العرب من استعمال هذا التعبير في ذكر الفتوح .

(٢) في الديوان : (مرودا) ، وقد أثبتناها (مردودا) لاستقامة الوزن والمعنى .

أَظمأْتَهُ بظُباً كالنَّـــارِ مُشْعَلَةً فروِّهِ الحِلمَ وِرْداً مِنكَ مورودا

قد كانَ بالخَوْفِ مصفوداً فغادَرَهُ بَذْلُ الأَمانِ لهُ بالعفوِ مَصْفوداً

ألقى مقاليدَهُ في كفٍّ ذي لِبَدٍ[1] لو ساورَ الدَّهرَ أَعطاهُ المقاليدا

أَكْذَبْتَ ما ظَنَّهُ مِنْ سَلْبِ مُهْجتِهِ منْهُ ، وصدَّقْتَ مَنْ سَمَّاكَ محمودا

كَمْ رامَ صدَّكَ عمَّا جِئْتَ طالبَهُ جَهْلاً، متى كنتَ عمَّا رُمْتَ مصدودا؟

أيومَ «دِمْياطَ[2]»، إذْ رُعْتَ الفِرنجَ بما أَبْقَى ثناكَ ، إذ لم يُبقِ[3] مَقْصودا

أَمْ يومَ «أَفْيُونَ[4]» ، إذْ بدَّدْتَ جمعَهُمُ وقد أَتَوْا في لُهامٍ ينهبُ البِيدا

أَم يومَ « آمِدَ[5] »، إذْ زاحفْتَها عجِلاً مُصادِمـــاً بالجلاميدِ الجلاميدا

وقائعٌ عجِزَتْ عن وصفِها فِطَنُ الـــورَى ، وإنْ كَثَّرُوا فيها الأَناشيدا

---

(١) ذو لِبَد : هو الأسد ، والمقصود به هنا ممدوح الشاعر الشجاع .

(٢) يوم دمياط : أشارة إلى المعركة المشهورة التي حدثت في مصر عندما طمع الفرنجة بالاستيلاء عليها ، فكتب ملكها الكامل إلى أخويه الملك المعظم صاحب دمشق ، والملك الأشرف صاحب حلب ، وقد عرج الأخير بطريقه على حماة ، وصحب معه ملكها الناصر صلاح الدين قليج أرسلان ، وكان أخوه المظفر حاضراً هذه المعركة سنة ٦١٨ هـ .

(٣) في الأصل : (مصفودا) ، والصواب ما أثبتناه لورودها قبل ثلاثة أبيات .

(٤) يوم أفيون : إشارة إلى المعركة التي هاجم فيها الفرنجة مدينة حمـــاة من حصن الأكراد ، فخرج إليهم الملك المظفر الثاني ، والتحم القتال بين الحمويين والفرنجة عند قرية « أفيون » بالقرب من حماة على طريق « بارين » ، فهزم الأعداء شر هزيمة ، وعاد المظفر إلى حاضرة ملكه مؤيداً بالنصر .

(٥) يوم آمد : إشارة ثالثة أيضاً إلى إحدى معاركه في آمد ؛ ذكرها ياقوت ، وقال إنها أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدراً ، وأشهرها ذكرا ، واقعة على نشز دجلة .

عَمْري ، لقدخصَّ هذا الفتحُ جانبَنا وعمَّ إقليمَنا أمْنـــاً وتمهيدا
حتى لقد عادَ يومُ الأَربعاء لنـــا مثلَ العُروبَةِ في أُسبوعِنا عيـدا
لازِلْتَ تُفْدى بمَنْ جاوزتَ رُتْبَتَهُ كَـــيْما يُخلِّدَكَ الرَّحْمنُ تخليدا
ودامَ قولِيَ في مَدْحيكَ مُشْتَهِراً ودامَ فِعلُكَ ، يا محمودُ ، محمودا

٨٥

ل 23 / ظ

وقال يمدحُ الملكَ الأَمجدَ(*) :

قَلْبٌ أَبِيٌّ ليسَ ينقـــادُ إِضلالُهُ في الحبِّ إرشادُ
ظمآنُ لا يَصْدُرُ عن مَوْرِدٍ والعَـذْلُ صَدّارٌ ووَرّادُ
لو نَقَصَ اللُّوامُ لم يَنْقُصِ الــــوجدُ ،ولكنْ زادَ إذْ زادُوا
يا جِيرةً بالجِزْعِ مِنْ حاجرٍ حادُوا عن العهدِ ، وماعادُوا (١)
فالهَجْرُ قد أَنْفَدَ صبري ، وفي نفـادِهِ للعُمْرِ إنفـــادُ
والطَّيفُ لي منهُ معادٌ ، وما بيني وبينَ الغَمْضِ مِيعـــادُ
فليتَهُ يَعْتادُني حاكِـياً جُوداً مِنَ الأَمْجدِ يَعْتادُ
مَلْكٌ سَما الأَملاكَ في الفَضْلِ والْ إِفضالِ ،إذْجدُّوا ،وإذْجادُوا
يُمضي إلى أَعدائهِ عَزْمـــةً لها مِنَ النُّصْرَةِ إمـــدادُ

(*) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) في الديوان :(عادوا عن العهد) ، والصحيح ماأثبتناه .

إنْ أبْرَقوا، أو أرْعَدُوا، غالَهُمْ   مِنْ بِيْضِهِ بَرْقٌ وإرعادُ

حادُوا عن الظُّلمِ، ولولا سُطاً   تَحدُّهُمْ عنهُ لَمَا حادُوا

عادَوْا سَجاياهُمْ، وعادُوا لِذي   تكرُّمٍ إحسانُهُ عادُ[1]

ضَفَتْ على الأُمَّةِ في صَوْمِها   مِنْ بِرِّهِ الكاملِ أبرادُ

عادتْ ليالي شهرِهِمْ عندَهُ   بِيضاً، لها الأيامُ حُسَّادُ

تُوهِمُهُمْ أنوارُها أنَّهمْ   قدْ أفطرُوا في اليومِ، أو كادُوا

فلْيَحْمَدُوا أزْهَرَ، في دَهْرِهِ   أيامُ شهرِ الصَّومِ أعيادُ

يَميرُهُمْ ما اعتادَ مِنْ بِرِّهِ   لهمْ، ويَمتارونَ ما اعتادُوا

٨٦

وقالَ يَمْدَحُ الملكةَ عِصْمَةَ الدِّينِ[*] مُهَنِّئاً بولدِها محمودٍ[**]:

يا عِصْمَةَ الدِّينِ والعَلْياءِ والجودِ   لكِ الهناءُ بعِزٍّ غيرِ محدودِ

يا مَنْ غدتْ خيرَ أملاكِ الزَّمانِ لقدْ   وَلَدْتِ مَلْكَ البرايا خيرَ مولودِ

(١) إحسانه عادُ: أي إحسانُهُ عادةٌ، وقد حذف الشاعر التاء المربوطة مستخدماً أسلوب الاكتفاء البديعي. وفي الحديث الشريف «تعودوا الخير، فإن الخير عادة، والشرّ لجاجة».

(★) الملكة عصمة الدين غازية خاتون زوج الملك المنصور الأول محمد، وهي ابنة خاله الكامل ملك مصر.

(★★) الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد، وقد سبقت ترجمته.

ظَفِرْتِ بالحمدِ مِنّا ، إذْ أَتَيْتِ بِهِ مُظَفَّـراً مِنْ بني أيوبَ محمودِ
وافى يُبشِّرُ مِنْ ميلادِ إخوتِهِ في إثْرِهِ بالملوكِ السَّادةِ الصِّيدِ
فدامَ في ظِلِّكَ الضافي ، ودُمتَ لهُ ونِلتِ مِنْهُ وفيهِ كلَّ مقصودِ
وإنْ يكنْ جاءَ بعدَ العيدِ مولدُهُ فإنَّنا كلَّ يومٍ مِنهُ في عيدِ

٨٧

وقالَ في سَنَةِ ٦٦٠ يمدحُ المَلِكَ المنصورَ صاحبَ «حماةَ» (*) :

قلبي بهجرِكَ مُكْمَدْ وجَفْنُ عَيْني مُسَهَّدْ
فعُدْ إلى الوَصْلِ ، روحي تفديكَ ، فالعَوْدُ أَحمدْ
يا مَنْ إذا شاءَ أَشقى مُتيَّميهِ ، وأَسْعَـــدْ
لي مِنْكَ جَـــدٌّ يَقيني مِنْ كلِّ عَيْشٍ مُنَكَّدْ
ومُنْجِدي فيهِ وَجْـــدٌ إنْ أَتْهَمَ العَذْلُ أَنْجَدْ
ظَبْيٌ ظُبـــا مُقلتيهِ لأُسْدِنـــا تَتَصَيَّدْ
كَمْ ناهدٍ ذاتِ حُسْنٍ مِنْ عِشْقِهِ تتنهَّدْ ! ل 24 /و
وكمْ رآهُ كَفورٌ بِرَبِّـــهِ فتشهَّدْ !
مِنْ وَرْدِ خديكَ أضحى خدُّ المُـــدامِ مُورَّدْ
ما بالُ طرفِكَ أَنشا[1] لنا الخُمارَ ، وعَرْبَدْ ؟

(★) الملك المنصور محمد الثاني بن المظفر الثاني محمود ، وقد سبقت ترجمته .
(١) أي أنشأ .

أَهلاً بفَصْلِ ربيعٍ أَجْدى السُّرورَ ، وجدَّدْ
وشاقَنا بغُصونٍ مثلِ القدودِ تأَوَّدْ
والطيرُ يشدو ، فيُصبي بكلِّ لحنٍ مُردَّدْ
لا مُلْكَ إلاّ « حَماةٌ » لا مَلْكَ إلاّ محمَّدْ
مَلْكٌ لهُ في البَرايا مناقِبٌ ، ليس تُجْحَدْ
عَدْلٌ وجودٌ وبأْسٌ منهُ الفرائصُ تُرْعَدْ
وأَلمعيَّةُ قَلْبٍ على الغيوبِ بمَرْصَدْ
عليهِ في كلِّ مَجْدٍ خناصرُ القومِ تُعقدْ
وعنهُ كلُّ حديثٍ مِنَ المكارمِ يُسنَدُ
يابنَ المظفَّرِ ، أَنتَ المنصورُ ، أَنتَ المؤيَّدْ
لا زِلْتَ تُرْجى ، وتُخْشى وتُستماحُ ، وتُحْمَدْ
وخَصَّكَ اللهُ مِنْهُ بنَيْلِ أَشْرَفِ مَقْصَدْ
ربٌّ يُعيدُ ، ويُبدي ويُستعانُ ، ويُعبَدْ [(١)]

---

(١) رب يعيد ويبدي : إشارة إلى قوله تعالى : « إن بطشَ ربك لشديد ، إنه هو يُبدئ ويُعيد » (سورة البروج ٨٥/١٣) ، أي يبدىء الخلق ويعيده ، وفي البيتين الأخرين عاطفة دينية قوية عند الشاعر استخدمها في معرض المدح .

٨٨

وقالَ مُجيباً للملِكِ المَنْصورِ(*) :

بَرْقٌ سرى مِنْ غوادي جِلَّقٍ ، فغدا لنورِهِ مثلُ قدحِ النَّارِ في كَبِدي

أَهدَى إليَّ عِتاباً مِنْ مليكِ هُدىً أَرقَّ مِنْ والدٍ يحنو على ولدِ

مولايَ ، عَتْبُكَ محمولٌ على بصري وتُرْبُ رِجْلِكَ مفديٌّ بذاتِ يَدي

أَوْدَى بجوهرِ لَفْظي بعدكُمْ عَرَضٌ أَفْنَى الَّذي أَبقَتِ الأَيَّامُ مِن جَلَدي

وسارَ في ركبِكُمْ قَلْبي ، وذُبتُ ضنىً فاعْجَبْ لروحٍ بلا قَلْبٍ ولا جسدِ !

حتى أَتانيَ سالٍ ، ردَّ لي فَرَحي فرُحتُ أَرفُلُ في أَثوابِهِ الجُدُدِ

٨٩

وقالَ(١) :

مرِضْتُ ، ولي جيرةٌ كلُّهـــم عن الرُّشْدِ في صُحْبَتي حائِدُ

فأَصبحتُ في النَّقصِ مِثْلَ « الَّذي »(٢) ولا صِلَةٌ لي ، ولا عائِـــدُ

(*) أغلب الظن أنه المنصور الأول محمد ، لا المنصور الثاني محمد ، فالمعروف عن الأول أنه كان ينظم الشعر ، وقد أوردنا بعض شعره من قبل ، وقد سبقت ترجمـــة الملك المذكور .

(١) ورد البيتان المذكوران في المنهل الصافي والنجوم الزاهرة .وخزانة الأدب .

(٢) لاحظنـا المعنى نفسه في بيتـين كتب بهما الشاعر ابن عنين إلى الملك المعظم ، وهو مريض :

٩٠

وقالَ[١] :

إنْ دامَ حُبِّكُمْ على بُغْضِكُمْ فإنَّنا في مَنْصِبٍ واحِـــدِ
ماألأَمَ الزَّاهدَ في راغبٍ ! وألأَمَ[٢] الراغبَ في زاهدِ!

٩١

ب 24 /ظ وقالَ :

إنْ حادَ عنْ وُدِّي ، فإنّـــي عن مودَّتِـــهِ حَيُودُ
لم يُرْضِهِ مِنّي الرِّضـــا فرَضِيتُ ما حَكَمَ الصُّدودُ
وقَضَيْتُ في الإعراضِ عَنْـــهُ بِمـــا قَضَى الرأْيُ السَّديدُ
ونَظَمْتُهُ في سِلْكِ مَنْ نُقِضَتْ بغَدْرَتِهِ العهـــودُ

= انظرْ إليَّ بعينِ مولى لم يَزَلْ يولي النَّدى ، وتلافَ قبلَ تلافي
أنا كالذي أحتـــاج مايحتاجُه فاغنَمْ ثنائي ، والدعاءَ الوافي

فجاءه الملك المعظم يعوده ، ومعه ألف دينار ، وقال له : أنت (الذي) وأنا (العائد) وهذه (الصلة) . (ديوان ابن عنين ، ص ٩٢) .

أغلب الظن أن الشاعر ابن عنين هو السابق إليهما ، إذ ولد قبل شرف الدين بسبع وثلاثين سنة .

(١) ورد البيتان في ذيل مرآة الزمان .

(٢) في الذيل : (ومثله الراغب في الزاهد) .

« بُعْـداً لِمَدْيَنَ » مِثْلَمـــا مِنْ قَبْلِها « بَعِدَتْ ثَمودُ »[1]

٩٢

وكتبَ إلى المَلِكِ النّاصِرِ[*] :

إليكَ مدائِحُنا الوافِـــدَهْ ومِنْكَ منائِحُنا الزّائـــدَهْ

ألا أيُّها النّاصرُ بنُ العزيزِ ومَنْ لم يَزَلْ كابتاً حاسِدَهْ

عَلَوْتَ الملوكَ ، فتيجانُهـــا لِتاجِـكَ راكِـعةٌ ساجِدَهْ

وسُسْتَ الرَّعايا ، فغادَرْتَهـا لِعَدلِكَ شاكرةً حامِـــدَهْ

وكَمْ نِعْمـــةٍ لكَ قرَّتْ لِذي قرينَـةِ قافيـــةٍ شارِدَهْ

وإمّـــا قَعَدْتَ على غُمَّـــةٍ بأمرِكَ قائمـــةٍ قاعِـدَهْ

فأنتَ العليمُ بسيرِ الجبـــالِ وغيرُكَ يحسَبُها جامِـــدَهْ

(*) المقصود به هنا ممدوحه الملك الناصر بن العزيز ، ملك حلب ، لا الملك الناصر صلاح الدين قليج أرسلان ، ملك حماة ، فالمعروف عن الشاعر أنه كان غير راضٍ عن ملكه لاغتصابه حق أخيه الشرعي المعهود إليه بالملك ، يضاف إلى ذلك أن في البيت الثاني إشارة إلى اسم الممدوح تزيل اللبس .

(١) اقتبس الشاعر قوله تعالى: « ... كأنْ لم يغنَوْا فيها ، ألا بُعْداً لمدينَ كما بعِدَتْ ثمودُ » (سورة هود ٩٦/١١) .

٩٣

وقالَ :

سُلطانُنا المَلِكُ المنصورُ، قدسَعِدَت[*] بِـــهِ الرَّعايا ، أَدامَ اللهُ أَسعُدَهُ
مَلْكٌ غدا في صَلاحِ المُلْكِ مُجْتهِداً لّما تَقـلَّدَ مِنْـهُ ما تَقَـــلَّدَهُ

٩٤

وقالَ في الأَميرِ سيفِ الدِّينِ بنِ أَبي عليٍّ[**] ، وقد قُلِعَتْ عينُهُ على « حماةَ » ، وزوّجَهُ المظفَّرُ بأختِهِ :

أَبْشِرْ ، فقد أَحرَزْتَ أَشْرفَ سُؤدُدِ وإن استَطَعْتَ مَزيدَ مَجْدٍ فازْدَدِ

(★) عاصر الشاعر ملكيه : المنصور الأول والمنصور الثاني ، ولا نستطيع على الضبط معرفة الممدوح منهما .

(★★) أورد المؤرخ الكبير أبو الفداء قصة الأمير سيف الدين الذي قلعت عينه على حصار حماة ، وهي المناسبة التي نظم الشاعر فيها الأبيات الثلاثة المذكورة : « لما ملك الملك المظفر [الثاني] حماة فوّض تدبير أمورها ، صغيرها وكبيرها إلى الأمير سيف الدين علي الهذباني ، وكان المذكور قد خدم الملك المظفر [الثاني] بعد ابن عمه حسام الدين بن أبي علي ، وكان يقول له : أشتهي أن أراك صاحب حماة ، وأكون بعين واحدة ، فأصيبتْ عين سيف الدين على حصار حماة ، لما نازلها عسكر الكامل ، وبقي بفرد عين ، فحظي عند الملك المظفر لذلك ولكفاية سيف الدين المذكور وحسن تدبيره » . واتفق أن المظفر لما سمع بسعي الصالح إسماعيل صاحب بعلبك لأخذ دمشق ، جهز نائبه الأمير سيف علي ، ومعه جماعة من عسكر حماة ليصل إلى دمشق ويحفظها لصاحبها ، لكن شيركوه ملك حمص سأله الدخول إلى قلعتها ليضيفه ، فغدر به ، فاستولى على ما كان معه من المال والسلاح ، وألقى القبض عليه ، وعذب جماعته ، ومات سجيناً سنة ٦٣٧ هـ .

(المختصر ، ج ٣ ص ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧٣) .

واشكُرْ لمحمودِ المُظَفَّرِ وُصْلَةً جَدَعَتْ أُنوفَ عِداكما والحُسَّدِ
كافاكَ عَنْ عَيْنٍ بعَـــينِ عنايَةٍ نَظَرَتْ عَلِيّاً كُفءَ بِنْتِ مُحَمَّدِ

٩٥

وقالَ أَيضاً :

هَجَرَتْ لتقْتُلَ عبدَهـا دَعْهَـــا لتَبْلُغَ جَهْدَهَا
حَسْناءُ ما جُليتْ لَنـــا حتى خطَبْنا وُدَّهـــا
حَيَّتْ بِآنفِ وَجْنـــةٍ باللَّحظِ نقطفُ وَرْدَهـــا
ورَنَتْ بأَضعفِ نَظْرَةٍ ما كِدْتُ أَسلَمُ بعدَهَا
قالتْ : أَبُحْتَ ؟ فقلْتُ : بلْ باحتْ جُفوني وحدَهَا
ولَقد حَبَسْتُ مدامعي لو كُنتُ أَمْلكُ ردَّهـا
وعَصَيْتُ أمرَ عواذلٍ جعَلَتْ أذاتي وَكْدَهـــا[1]
ودِّعْ ملامَكَ ، لائمي وَدَعِ القلوبَ وَوجْدَهَا
أَمَّلْتُ ، لو وعَدَتْ ، ولو قَرَنتْ بخُلْفٍ وَعْدَهـا
ومَنحْتُ إبرةَ نحلِهـــا صبراً لأَجنِيَ شَهْدَهـــا
وهَوِيتُ ما تَهْوى إلى أَنْ كِدْتُ أهوى صَدَّهَا
وَوَقفتُ مَعْ جَدِّي إلى أَنْ جاوزَتْ بِي حدَّهَا
هذا لهـــا مِنْ صَبْوتي عِنْدي ، فما لي عندَهَا ؟

ل 25 / و

(١) وكدها : الوَكْد بفتح الواو والوُكد بضمها أي الفعل والدأب والقصد فكأن الوَكْد هي المصدر ، والوُكد هي الاسم .

٩٦

وقالَ ، وقد رَكِبَ الملكُ النَّاصرُ (*) إلى « البستانِ السَّعديِّ » ، وقد أبلَّ مِنْ ضَعْفٍ :

رَكِبْتَ إلى «السعديِّ» في طالِعِ السَّعدِ فبُشْرى لَنا ، بَل للمكارمِ والمجدِ
لكَ اللهُ جارٌ مِنْ مَليكٍ تَكامَلَتْ لهُ طاعةُ الأفلاكِ والجَدِّ والجِدِّ
بَدَوْتَ بِما يُبدي السُّرورَ بأَسْرِنا وكانَ الذي تُخفيهِ أضعافَ ما تُبدي
ولُحْتَ لَنـــا يومَ الخميسِ مُشرِّفاً لَنا في خَميسٍ زادَ حدّاً عن العَـدِّ
فأصبحَ عِندَ النَّاسِ عيداً مُعظَّماً بِصِحَّتِكَ العُظْمَى ، ولا مِثْلَ ما عِنْدي

٩٧

وقال في المَلِكِ المظفَّرِ (**) ، مضمِّناً للثاني :

لا تَجْزَعَنْ لمشقَّةٍ كابَدْتَهـــا في القَصْدِ لابنِ محمدٍ ذي الجودِ
فتجشُّمِ المكرُوهِ ، ليسَ بضائرٍ ما خِلْتَــــه سبباً إلى محمودِ

(*) هو الملك الناصر صلاح الدين قليج أرسلان ، وقد سبقت ترجمته ، أو هو الملك الناصر بن العزيز ، ملك حلب ، ولم نجد في الأبيات الخمسة مايرجح رأياً بعينه .

(**) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود ، وقد سبقت ترجمته .

٩٨

وقالَ (١) يمدحُهُ ، ويُهنِّئُهُ بميلادِ الملِكِ المنصورِ (*) ، ويذكرُ حروبَهُ « بخَرْتَبِرْتَ (٢) » وغيرِها :

(★) أشار المؤرخ المشهور أبو الفداء في تاريخه إلى المناسبتين معاً : التهنئة بميلاد الملك المنصور [الثاني] ، والعودة من حروب « خرتبرت » ، كما اختار لنا بعض أبيات هذه القصيدة .

ذكر في البدء أن سلطان مصر الملك الكامل سار إلى قتال ملك الروم كيقباذ بن كيخسرو بسبب تعرضه إلى بلاد خلاط سنة ٦٣١ هـ ، واجتمعت عليه الملوك من أهل بيته الأيوبيّ ، فبلغت عدتهم ستة عشر ملكاً : منهم صاحب حماة الملك المظفر الثاني الذي توجه بجنده إلى خرتبرت نفسها ؛ وسار كيقباذ لتقائه فيها ، فانهزم عسكر الكامل ، وانحصر الملك المظفر في خرتبرت مع جملة من عسكره ، وطال الحصار ، فطلب الأمان ، فأمنه كيقباذ ، فنزل إليه وأكرمه وخلع عليه .

« ولما سارت الملوك إلى بلادهم من خدمة الملك الكامل ، وصل الملك المظفر [الثاني] صاحب حماة ، ودخلها لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة ، واتفق مولد ولده الملك المنصور محمد [الثاني] بعد مقدمه بيومين في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، فتضاعف السرور بقدوم الوالد والولد . قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد قصيدة طويلة في ذلك فمنها ... »

(أبو الفداء : المختصر ج ٣ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤) .

(١) المختصر : ١ ، ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٨ ، ١٩ ؛ وتاريخ حماة : ١ ، ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٨ ، ١٩ .

(٢) خَرْتَبِرْتُ : يقول ياقوت : إنه اسم أرمنيّ ، وهو الحصن المعروف بحصن زياد والذي يجيء في أخبار بني حمدان في أقصى ديار بكر من بلاد الروم .

غدا المُلْكُ محروسَ الذُرا والقواعدِ بأشْرَفِ مولودٍ لأكْرمِ[1] والدِ
مليكٍ تَمَنَّتْهُ الممالكُ حِقْبةً فأوْفَى عليها مُرْغمًا كلَّ حاسدِ
حُبينا بهِ يومَ الخميسِ كأنَّهُ خميسٌ بدا للنَّاسِ في شَخْصٍ واحدِ
تَهَيَّأَ منهُ للمعالي مُثَقَّفٌ يُجمِّعُ مِنْ أشتاتِها كُلَّ شاردِ
دَعَتْهُ أباها ، وهوَ في المَهْدِ ، فاعجبُوا لفَرْعٍ مُساوٍ أصلَهُ في الموالدِ
وسَمَّيْتَهُ باسْمِ النَّبيِّ مُحمَّدٍ وجدَّيْهِ ، فاستوفى جميعَ المحامدِ[2]
تردَّدَ في أصلابِ صِيدٍ أشاوسٍ[3] كِلا طرفيهِ ماجدٌ مِنْ أماجدِ
كأنِّي بـهِ في سُدَّةِ المُلْكِ جالِساً وقد سادَ في أوصافهِ كلَّ سائدِ
وقامَ بما أوْلَيْتَهُ متأبِّياً وزادَ على جَهْدِ الورى غيرَ خامدِ
ووافاكَ مِنْ أبنائِـهِ وبنيهِمِ بأنْجُمِ سَعْدٍ ، نورُها غيرُ خامدِ
وأولى ملوكَ الأرضِ مَنْشورَ برِّهِ فأَثْبتَ مِنْ معروفِهِ في الجَرائِدِ
وزهَّـدَ في عِصيانِهِ كلَّ راغبٍ ورغَّبَ في إحسانِهِ كلَّ زاهِدِ
ألستَ الَّذي بَذَّ الأكارمَ أمْرداً بـ « دِمْياطَ » كرّاراً عَلَى كُلِّ ماردِ

ل 25 / ظ

(١) في المختصر : (لأشرف والد) .

(٢) قال أبو الفداء بعد البيت السادس : « أي باسم جديه الملك الكامل محمد ، والد والدته ، والملك المنصور محمد صاحب حماة ، والد والده » أبو الفداء : المختصر ج ٣ ص ١٦٤ . وفي هامش الديوان : « أبو أمه الكامل محمد ، وأبو أبيه المنصور صاحب حماة محمد أيضاً » .

(٣) أشاوس : جمع أشوس ، وهو الرافع رأسه تكبراً أو غيظاً وناظراً بمؤخر العين ، والأشوس أيضاً الجريء على القتال الشديد .

وصُلْتَ عَلىٰ «بارينَ» بالزَّحفِ صَوْلَةً أَعدَّتْ إلىٰ فَتْحٍ كَمَجدِكَ سائِدِ
توَلَّجْتَها بالسَّيفِ صَلْتاً [١]، وأَذْعَنَتْ فَأَغْمَدْتَهُ بالعَفْوِ ، يا خَيرَ غامِـدِ
وَجُزْتَ المَدَى في « خَرْتَبِرْتَ » إلىٰ العُلا
بأضعافِ ما أحرَزْتَ في فتْحِ « آمِـدِ »
مساعٍ لمجدٍ أقعَـدَتْ كلَّ ناهِضٍ وهَبّاتُ رِفْدٍ أنهَضَتْ كلَّ قاعِدِ
ألا أيُّها المَلْكُ المُظَفَّـرُ دَعْوَةً [٢] سَيُورَى [٣] بِهاجِدِي،ويَشْتَدُّساعِدي [٤]
هَنيئاً لَكَ المَلْكُ الّذي بِقُدومِهِ تَرَحَّلَ عَنّا كلُّ هَمٍّ مُقاوِدِ
وبَشَّرَنا مِنْ قَبلِ مَوْلِدِهِ بِــهِ مِنَ اللهِ آيٍ صادِقاتُ المَواعِدِ
فَحَمْداً ، وشُكْراً للإِلٰهِ مُخَلَّداً عَلىٰ مِنَنٍ مِنْـــهُ جِسامٍ خَوالِدِ
فَذا اليَوْمُ نالَ المُلْكُ أشْرَفَ مَقْصَدٍ وَحَقَّقَتِ النُّعْمَى ظُنونَ القَصائِدِ

٩٩

وقالَ أيضاً :

قُلْ لي ، مَتى أَحظَىٰ بِوَصْـــلِ مِنْكَ ، لَوْ أَشْفِي فُؤادي ؟
وَإِذا رَأَيتُكَ في المَنــــامِ جَبُنْتُ أَنْ أَقْضي مُرادي

---

(١) الصَّلْت : السيف الصقيل الماضي .
(٢) في المختصر : (دعوتي) .
(٣) » » : (ستوري) .
(٤) » » : (بها زندي) .

وإذا سَألتُكَ يقظَــةً قُرْبي جَنَحْتَ إلىٰ بِعادي
فَيَحولُ خَوْفي في ٱلكَرىٰ ويَحولُ بُخْلُكَ في السُّهـادِ

١٠٠

وقالَ يمدَحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ(*)، ويُهَنِّئُهُ بالظَّفَرِ على الفِرَنْجِ :

ل 26 / و

بِمَجْدِكَ فُقْتَ أَمْلاكَ العِبادِ فَأَذْعَنَ حاضِرٌ مِنْهُمْ وبادِ
وبالبِيضِ القَواضِبِ مُخْلِصاتٍ لِوُدِّكَ، أَخْلَصَتْ زُرْقُ الأعادي
عَلَوْتَهُمُ بِسَوْطٍ مِنْ عَذابٍ أعادَ أَبِيَّهُمْ سَهْلَ ٱلقِيــادِ
وحَجَّتْهُمْ سُيوفُكَ حينَ صَلَّتْ فَأَلْجَمَهُمْ جِدالُكَ في الجِـلادِ
عَرَضْتَ لهمْ بِخَيْلٍ عَوَّضَتْهُمْ بِقُبْحِ الطَّرْدِ عَنْ حُسْنِ الطِّرادِ
رَعـاكَ اللهُ، يا محمودُ، لَيْثاً وبَحْرَ ندىً يَفيضُ، وبَدرَ نادِ
أَعِدْ لِلْبَرْقِ صَمْصاماً، فَنيطَتْ حَمائِلُهُ عَلى ٱلقَمَرِ ٱلفُــرادِ
لِيَفْدِكَ بالأكارِمِ مِنْ بَنيـهِ زَمانٌ رائِحٌ، بِرِضاكَ، غادِ
فَبالنُّعْمى يُصافي مَنْ تُصافي وبالبُؤْسى يُعادي مَنْ تُعادي
إليْكَ زَفَفْتُها بِكْراً تَحَلَّتْ بِدُرٍّ مِنْ صِفاتِكَ، مُسْتَفادِ
فَكَمْ مَعْنىً طَريفٍ وتَلَدتْـهُ هِباتُكَ لِلطَّريفِ وَلِلتِّــلادِ

(*) هو الملك المظفر الثاني محمود، وقد سبقت ترجمته.

تَخصُّكَ دونَ أَملاكِ ٱلْبَرايا بِما تُثْني الرِّياضُ عَلى الغَوادي
فَيَذْخَرُها ، ويُفني المالَ عِلماً بِأَنَّ الشُّكْرَ مِنْ خَيرِ ٱلْعَتادِ

١٠١

وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ :

حَليفُ هَوىً ، صَبُّ الفُؤادِ ،عَميدُهُ يُريدُ بِهِ العُذّالُ ما لا يُريدُهُ
لَحَوْهُ عَلى ظَبيٍ ، تَمَلَّكَ لُبَّــهُ لِجَهْلِهِمْ أَنَّ الأُسُودَ صُيودُهُ
رَبيبُ خُدورٍ ، والرِّماحُ سُتورُهُ ورَبُّ جَمالٍ ، وَالمِلاحُ عَبيدُهُ
لَهُ مُرْسَلٌ ، مِنْ صُدْغِهِ مُعجِزاتُهُ لنا آيَةٌ تُبْدي الجَوى وتُعيدُهُ
فَدَيْتُكَ ، ما وَجْدي عَلَيْكَ بِباطِلٍ ولا كَلَفي مِمّــا تُحَلُّ عُقودُهُ
فَكَمْ لَوْعَةٍ زادَتْ ! فَزادَ لَهيبُها غَرامِيَ إنضاجاً لِمَنْ يَسْتَزيدُهُ
وَكَمْ شَهِدَتْ عَيْني بِبارِدِ دَمْعِها بِأَنَّكَ بَدْرٌ ، كُلُّ قَلْبٍ شَهيدُهُ !
وَكَمْ ناظِرٍ ! لي دَمْعُــهُ وسُهادُهُ ولِلحِبِّ مِنْهُ : نورُهُ وهُجودُهُ
وَلَيْلَةِ راحٍ ساعَدَتْني عَجوزُها[1] عَلى يَوْمِ بَيْنٍ ،لا يُنادَى وليدُهُ[2] !
خَلَوْتُ بِها ، أُبلي الأَسى وأُجِدُّهُ وَأَصْبُغُ بالدَّمعِ الثَّرى ، وأَجودُهُ

(١) عجوزها : المقصود بالعجوز هنا الخمر المعتقة .

(٢) قولهم في المثل : « هم في أمر لاينادى وليده » ، يقول ابن سيدة : نرى أصله كأن شدة إصابتهم حتى كانت الأم تنسى وليدها فلا تناديه ، ولا تذكره مما هم فيه ، ثم صار مثلاً لكل شدة ولكل أمر عظيم .

وأشْرَبُها صِرْفاً ، كأنَّ حَبابَها لَهُ مِنْ حَبيبي ثَغْرُهُ وعُقودُهُ

ل 26 /ظ
وفي طَعْمِها والرِّيحُ مِنْهُ مُشابَهٌ بِريقِ شِفائي في المَنامِ بَرودُهُ

أُمَثِّلُهُ مَعْنىً ، وأَشْتاقُ صُورَةً فَغَيْبَتُهُ مَلْحوظَةٌ وشُهودُهُ

وما كانَ ، لَوْلا بَيْنُهُ ، نَصَبي ، وَلا عَرَفْتُ بِجُودِ الرُّوحِ ، لَوْلا وُجودُهُ

ومَنْ قالَ : نَجْدٌ أَوْ زَرودُ مَحَلُّهُ فَدَعْهُ ، فَقَلْبي نَجْدُهُ وزَرُودُهُ(١)

١٠٢

وقالَ في اللُّزوميات(٢) :

عَهْدي بِسُعْدى ، لَمْ تَحُلْ عَنْ عَهْدي وَكَيْفَ عاضَتْ عَنْ رُقادي سُهْدي؟

أَجْهَدَني ما ضَيَّعَتْ مِنْ ذِمَّتي وَقَدْ حَفِظْتُ إِلَّها(٣) بِجَهْدي

رَبُّ اللِّواءِ والجَوادِ النَّهْدِ(٤) لا يُوفي ، فَدَعْ ذاتَ اللَّمى وَالنَّهْدِ

مَهَّدَ عُذْري في مَشيبي زَمَنٌ يَكْسو الوَليدَ شَيْبُهُ في المَهْدِ

---

(١) زَرُود : ذكر ياقوت أنها رمال بين الثعلبية والخُزَيمية بطريق الحاج من الكوفة ، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب .

(٢) في الديوان : (هـ) بعد ذكر اللزوميات ، إشارة إلى الحرف الملتزم في القافية ، ويبدو أن جامع الديوان أو ناسخه قد لزم نفسه بذلك في بعض الأحيان وأهمل الإشارة إليه في أحيان أخرى ، وقد رأينا الاكتفاء بذكرها في الهامش .

(٣) الإلّ : بالكسر ، وهو العهد والحلف .

(٤) الجواد النهد : الفرس الحسن الجميل الجسيم .

١٠٣

وقالَ ، مِنْ مَرْثِيَّةٍ ، في التّاجِ الْكِنْديِّ (*) :

لَوْ كانَ عِنْدَكَ مِنْ ذا الشَّجْوِ ماعِنْدي ... لَمْ تَبْكِ لَيْلى ، وَلَمْ تَطْرَبْ إلى هِنْدِ

أَقَرَّ عَيْني زَماناً ، ثُمَّ أَسخَنَها ... بِعَيْشِهِ ، وَرَداهُ الفاضِلُ « الْكِنْدي »

لَقيتُ مِنْ فَقْدِهِ ما فَتَّ في عَضُدي ... وقَدْ غَنيتُ زَماناً وارِياً زَنْدي

١٠٤

وقالَ :

بُليتُ بِصاحِبٍ ، أَرْدى سُروري ... بِشَرِّ خَلائِقٍ ، خُلِقَتْ ، وَأَرْدَا (١)

يُذَكِّرُ نَقْطُهُ الْخَطَّ احْتِقاراً ... وَيُنْسي نَقْطُهُ الْحَمّامَ بَرْدَا

وَنَحْنُ مَعاشِرٌ ، نَأْبى الدَّنايا ... وَنَلْبَسُ مِنْ صُوانِ الْعِرْضِ سَرْدا (٢)

(★) تاج الدين زيد بن الحسين بن زيد الكندي ، وهو بغدادي المولد والمنشأ ، وانتقل إلى بلاد الشام ، وأقام في دمشق .

كان إماماً في النحو واللغة ، وله الإسناد العالي في الحديث ، كما كان ذا فنون كثيرة في أنواع العلم . وقد عرف عنه أنه كان أستاذ الملك المعظم ، صاحب دمشق ، وشيخه في النحو. توفي في دمشق سنة ٦١٣ هـ . (أبو الفداء المختصر ، ج ٣ ص ١٢٤ ، ١٤٥) .

(١) وأردا : أي وأردأ بتخفيف الهمزة .

(٢) صُوان العرض بالضم والكسر ، وهو مايصان فيه . والسرد : نسج الدرع ، واسم جامع للدروع وسائر الحلق .

نُعانِقُ مِنْ رِماحِ ٱلْخَطِّ باناً وَنَنْشَقُ مِنْ سُيوفِ ٱلْهِنْدِ وَرْدا

١٠٥

وقالَ لزومِيَّةً[1] :

قالُوا : فُلانٌ مِنَ ٱلْقُضاةِ ، فَما بالُكَ في ثَلْبِ عِرْضِهِ جاهِدْ ؟
فَقُلْتُ : لا تَحْفِلُوا بِهِ أَبَـــداً فَذاكَ قاضٍ ، يَقولُ بالشّاهِدْ !

١٠٦

وقالَ لزومِيَّةً أيضاً[2] :

قَدْ طالَ بالحِلْمِ عَنْ أَعْدائِكَ الأَمَدُ فاعْمِدْ لِعَزْمٍ مُزِيلٍ ما لَهُ عَمَدُوا
لا تَضْرِبَنْ عَنْ بَني هَمْدانَ[3] واقْذِفْهُمُ[4] ضَرْباً ، إذا ما تَغَشّى أُمَّـــةً هَمَدوا
هُمْ مِنْ عِلاتِكَ في هَمٍّ وفي كَمَدٍ قَدْ آلَمَ ٱلْقَوْمَ ذاكَ الهَمُّ وَٱلكَمَدُ
ل 27/و وَلَيْسَ تَخْمُـدُ ناراً في قُلوبِهِـمُ مِنَ ٱلْحُقودِ الأُلى[5] إلاّ إذا هَمَدوا

---

(١) في الديوان إشارة إلى حرف الهاء الملتزم في القافية .
(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الميم الملتزم في القافية .
(٣) همْدان : قبيلة باليمن .
(٤) في الأصل : (واقذهم) ، والصواب ماأثبتناه لاستقامة الوزن وسلامة المعنى .
(٥) الأُلى : يقال : ذهبت العرب الأُلى فمقلوب الأول لأنه جمع أولى كأخرى وأُخر ومعناها القديمة .

١٠٧

وقالَ أيضاً لزوميةً[1] :

عَبْدَ ٱلْعَزيزِ ، هَجرْتَ جِدَّكَ قاطِعاً لِلْغمضِ [في][2] وَصْلِ اللَّعوبِ النّاهِدِ
وأَنَمْتَ عَيْنَكَ عنْ مُلاحَظةِ الْهُدى ومَنَحْتَ طَرْفَ ٱلْغَيِّ عَيْنَ السّاهِدِ
وَجَهِدْتَ في الدُّنيا وَكَسْبِ حُطامِها وَطَمِعْتَ جَهْلاً في ثَوابِ الجاهِدِ
وَذَمَمْتَها ، واللهُ يَعْلَمُ أَنَّهــا لَكَ خُلَّةٌ[3] ، وَكَفى بِهِ مِنْ شاهِدِ
فَعلامَ[4] تَفْعَلُ فِعْلَ أَرْغَبِ راغِبٍ فيها ، وَقَوْلُكَ قَوْلُ أَزْهَدُ زاهِدِ

١٠٨

وقالَ أيضاً لزوميةً[5] :

عَمْري ، لَئِنْ بَخِلَتْ سُعادُ لِشِقْوَتي بِمَوَدَّةٍ ، غَيْري بِهـا المَسْعودُ

---

(١) في الديوان إشارة إلى حرف الهاء الملتزم في القافية .
(٢) زيادة غير موجودة في الأصل اقتضاهــا الوزن والمعنى ، وهذا من سهو الناسخ .
(٣) خُلَّة : خليلة وصديقة .
(٤) في الأصل : (فعلى م) .
(٥) في الديوان إشارة إلى حرف العين الملتزم في القافية .

فَلأُعرِضَنَّ عَنِ المَذَلَّةِ في الْهَوىٰ ... هِمَماً ، لَهَا فَوْقَ السِّماكِ صُعودُ

وَلأَتلوَنَّ قَطيعَــةً بِقَطيعَــةٍ ... أَنَفاً ، كَمَا تَلَتِ الْبُروقَ رُعُودُ

هيَ عَزْمَةُ اللَّيْثِ الْهَصُورِ وماجِدٌ ... ثَبْتُ الجَنانِ[1] ، وصارِمٌ مَقْعُودُ[2]



(١) الجنان : القلب لاستتاره في الصدر ، وقيل:لوعيه الأشياء وجمعه لها،وقيل: الجنان رُوح القلب ، وذلك أذهب في الخفاء ، وربما سمي الروح جَناناً لأن الجسم يجُنّه .

(٢) مقعود : أي محدَّد الشفرة . نقل صاحب اللسان عن ابن الأعرابي قوله : حدَّدَ شفرته حتى قَعَدتْ كأنها حربة أي صارت .

قافية الذال

١٠٩

وقالَ ، يَمْدحُ المَلِكَ النَّاصرَ[*] :

هذا العَقيقُ[١] ، فَخلِّني ، ياهذَا ! — أُجري دموعي وابلاً ورَذاذَا[٢]

مَغْنىً ، نَعِمتُ بِهِ أَليفَ نواعمٍ — تشكو قِضافُ[٣] جسومِهِنَّ اللّاذا[٤]

وهفـــا بقَلْبي فيهِ كلُّ مُهَفْهَفٍ — لَدْنٍ ، يُساقَى بالصِّبا ، ويُغاذَى[٥]

(★) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد ، ملك حلب ، وقد سبقت ترجمته .

(١) العقيق : هو في الأصل الوادي أو كل مسيل شقه ماء السيل ، وفي بلاد العرب عدة أعقه : بالمدينة وباليمامة وبالطائف وبتهامة وبنجد ، وفي ستة مواضع أخر .

(٢) الرذاذ : المطر الساكن الدائم الصغار القطر .

(٣) قِضاف : جمع قضيف ، يقال : قضُف يقضُف قضافةً وقضفاً ، فهو قضيف أي نحيف ، وهي قضيفة أي نحيلة . ومن ذلك جارية قضيفة أي ممشوقة ، وتجمع على قِضاف ، والمقصود هنا نحول الجسوم وضعفها .

(٤) اللّاذ : جمع لاذة ، وهي ثياب حريرية حمراء تنسج في الصيف . يقول ابن منظور : « واحدته لاذة ، وهو بالعجميــة سواء تسميه العرب والعجم اللاذة » .

(٥) يُغاذى : يقال في الأصل غذاه يغذوه من الغذاء وهو مايتغذى به وما يكون به نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب .

أتلذّذُ الصبْرَ الذي يَرضى بـه ... فكأنّني أتـلذّذُ الآزاذا[١]

يا مَنْ بَرَى جِسْمي بصارِم طَرْفِهِ ... واستحوذتْ فتكاتُه استِحْواذا

لولاكَ أعجزَ كلَّ سِحْرٍ أن ترى ... نَفَثاتُهُ في مُهْجتي نفـاذا

أنا مَنْ عمِلْتَ أُغضُّ أبصارَ العِدا ... وأُغِذُّ في طلبِ العُلا إغذاذا[٢]

وإذا أمِنْتُ بيوسفَ بنِ محمدٍ ... جَوْرَ الزّمانِ ، فخِيفتي مِمّـاذا ؟

مَلِكٌ ، إذا سَئِمَ الملوكُ بَنِيهمُ ... أَلفيتَهُ لِبَني الزّمـانِ مَلاذا

ما سَلَّ في الهَيْجاءِ بِيضَ سيوفِهِ ... إلاّ تَسلَّلتِ المـلوكُ لِواذا

ما عُذْتُ مِنْ شيطانِ بُؤْسٍ أو رَدىً ... بجلالِهِ إلا وَجَدْتُ مَعـاذا

ذلَّتْ عِدايَ إذِ اتّصلْتُ بحَبْلِهِ ... وتقطّعَتْ أكبادُهُمْ أفـلاذا

بذَّ الأنامَ إلى الكمالِ ، ومثلُهُ ... أضْحَى إلى غاياتِـهِ بذّاذا

وضَفا على أبنـاءِ شاذٍ[٣] ظِـلُّهُ ... يكْفي الكُفاةَ[٤] ، ويَجْمعُ الشُّذّاذا[٥]

(١) أي الآزاذ : نوع من التمر فارسي معرّب .

(٢) أغذّ يغذّ إغذاذاً : إذا أسرع في السير ، وفي الحديث « إذا مررتم بأرض قوم قد عُذِّبوا فأغذّوا السير » .

(٣) أبناء شاذ : هم الأيوبيون نسبة إلى جدهم الأول شاذي بن مروان (انظر الملحق الثالث) .

(٤) الكفاة : جمع كاف ، وهم الخدم الذين يقومون بالخدمة .

(٥) الشذّاذ : يقال قوم شذاذ : إذا لم يكونوا في منازلهم ولا حيهم ، وشذاذ الناس : متفرقوهم ، وهي في الأصل جمع شاذّ .

وتَوافَدُوا «حَلَباً»، فما تركُوا عِداً تجتاحُ لا مِصْراً ، ولا بَغْداذا[1]

كيفَ التصبُّرُ عن لِقاكَ ، وإنَّما لَذَّ البقـــاءُ لِمَنْ بِرَبْعِكَ لاذا

فَلَكَ الخلودُ بلا نفادٍ[2] في عُـلاً تُهْدي لأَمرِكَ طاعةً ونَفـاذا[3]

١١٠

وقالَ يمدحُه[4] عقيبَ هذهِ القصيدةِ لمعنىً :

غُصْنُ نقـاً[5] ، أوراقُـهُ[6] لاذُ بظِــلِّهِ عشَّاقُـــهُ لاذُوا

لي أدْمعٌ ، مُذْ صَدَّ[7] ، مُرْفَضَّةٌ ومُهْجــةٌ ، مُذْ بانَ ، أفلاذُ

وَيْلاهُ مِنْ هـذا الغُلامِ الَّذي ناظِرُهُ في السِّحْرِ أُستاذُ !

أَدارَ مِنْ أَلحاظِــهِ خَمْرةً خُمارُهـا للعَهْـدِ نَبَّـــاذُ

غرِقْتُ في بحرِ غَرامي بِـــهِ فمـــا لقَلْبي مِنْهُ إنقـــاذُ

---

(١) بغداذ ، وبغداد ، وبغـذاد ، وبغذاذ ، وبغدان ، ومغدان ، وهي كلها اسم مدينة السلام .

(٢) في الديوان : (بلا نفاذ) بإعجام الذال ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) النفاذ : في الأصل جواز الشيء والخلوص منه ، وورد هنا بمعنى الاستجابة للأمر.

(٤) ممدوحه السابق الناصر بن العزيز ، وقد سبقت ترجمته.

(٥) نقا : النقا من الرمال القطعة تنقاد محدودبة .

(٦) اللّاذ : ثياب حريرية صينية حمراء .

(٧) مُرفضَّة : ارفضَّ الدمع أي سال وترشَّش وتفرَّق .

هــذا وسُلْطاني أَسيافُهُ ... تُحمى بِهِ مِصْرٌ وبَغْـداذُ
النَّاصرُ المَلِكُ الذي قَيْصرٌ ... مُقصِّرٌ عنـهُ ، ويَزْداذُ[1]
مَلِكٌ لِمـا يَملِكُ مِنْ مالِهِ ... مُعْـطٍ ، وللعلياءِ أَخّـاذُ
لي عَنْ ملوكِ الأرضِ مَنْدوحةٌ ... ولي ، إلى مَدْحيهِ ، إغْـذاذُ

١١١

وقالَ مُجيباً للعِزِّ بنِ مَعْقِلٍ عن عتابٍ فاحشٍ :

وافى إليَّ رسولُ عتبِكَ حاملاً ... ماذلَّ فيهِ على الجَفاءِ مِنَ البِذا[2]
ورأيتُ مِنْ أَبياتِكَ الشُهْبِ التي ... هَدَتِ الصَّديقَ إلى العداوةِ مَنْفَذا
لكِنْ صَبَرْتُ على أَليمِ كَلامِها ... صبرَ النَّديمِ على الشَّرابِ ، وإنْ حَذا[3]
أَتُصدِّقُ الواشي الكذوبَ؟ وطالما ... كذَّبتَ صادقَ مَنْ وشَى حتى خَذا[4]

---

(١) يزداذ : أغلب الظن عندنا أنه الملك الفارسيّ يزدجرد ، والمعروف أنه تسمى ثلاثة من ملوك الفرس بهذا الاسم . كما ورد استعمال (يزداد) نفسها في اللغة الفارسية كعلم ، ومعناه الإله الوهاب ، وقد أبدلت الدال الأخيرة ذالاً لضرورة شعرية ، وعرف هذا الإبدال في المعربات من اللغة الفارسية .

(٢) البِذا : هي البِذاء ، وهذا من باب قصر الممدود في الشعر . والبِذاء والباذأة أي الفحش والسفه .

(٣) حذا الشرابُ اللسانَ أي قرصه .

(٤) خذا الشيء أي استرخى ، ومنها استخذى له : إذا خضع .

وتَرومُ نَفْعاً باعتداءِ مَسَبَّتي ولرُبَّمـــا ضَرَّ الفتى بعضُ الغِذا[٤]
ولرُبَّ نِكْسٍ لاحَ وَجهُ نِفاقِهِ مُتَلوِّناً ، فَنَبذْتُهُ نَبْذَ الحِذا[٥]
ويَرَى سفاهتَهُ عليَّ تعاظمـــاً والشيخُ أحقَرُ مايكونُ إذا هَذَى[٦]
أتخالُ أنَّ البَدْرَ يُمحَقُ بالسُّها سَهْواً . وأنَّ البَحرَ يُحذَفُ بالجُذا[٧]
إنْ تَرْتَدِعْ،فالوِردُ مصحوبُ الصَّفا أو تَنْخدِعْ ،فالوَرْدُ مرهوبُ الشَّذَا
ولَئِنْ جَنَحْتَ إلى العِنادِ فبئسما ولَئِنْ رَجَعْتَ إلى الوِدادِ فَحبَّذا
ولَئِنْ وجَمْتَ[٨] مِن العِنادِ ففكِّرَنْ فيما بَدَأْتَ بهِ ، وقلْ : هذا بِذا

١١٢

وقالَ أيضاً :

مَنْ مُنصِفي مِنْ ظلومٍ ؟ جمالُهُ لا يُحـــاذَى ! ل 28 / و

(٤) الغذا : أي الغذاء بقصر الممدود لضرورة شعرية .

(٥) النِكس : الرَّذْل ، والضعيف ، والمقصِّر عن غاية النجـــدة والكرم ، وجمعها أنكاس .

(٦) هذى : هذر بكلام غير معقول في مرض أو غيره .

(٧) في الأصل : (يحدق بالحذا) ، والصواب ما أثبتناه . يقال : حذفه بالشيء رماه به. والجُذا : جمع جذوة (بتثليث الجيم) ، وهي القبسة من النار ، وقيل : هي الجمرة .

(٨) وجم وجوماً ، وهو سكوت مع هم وغيظ .

يَجْني ، ويَجْعـلُ قَلْبي مِنَ التَّجنّي جُذاذا[١]

نادَيْتُ : هَلْ مِنْ مُعينٍ ؟ أَبغي إليهِ نَفَـاذا

فقالَ فيضُ دُموعٍ : تلْتَذُّهنَّ الْتِـذاذَا

فقُلْتُ : قد نَضَبَ الدَّمْـــعُ ، وابِلاً[٢] ورَذاذَا[٣]

فقـالَ : ما ذاكَ عُذْرٌ لُذْ بالدِّمـاءِ مَلاذا

فقلتُ : عوْذي بصبْرٍ فقالَ : ليس مَعاذَا

فقُلتُ : جُدْ لي بوصلٍ فقالَ : سَلْ غيرَ هـذَا

فقُلتُ : أَتْلَفْتَ رُوحي فقالَ لي : كانَ ماذا ؟



(١) إشارة إلى قوله تعالى « فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون » (سورة الأنبياء ٢١ / ٥٨) . والجُذاذ بضم الجيم وكسرها ، أي فجعله حُطاماً وفتاتاً .

(٢) الوابل: المطر الشديد الضخم القطر ، وقد جاء في نعت الدمع تشبيهاً بالغزارة والكثرة.

(٣) الرذاذ المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار أو هو بعـــد الطلّ ، وقد جاء في نعت الدمع تشبيهاً وتمثيلاً .

قافية الراء

١١٣

قالَ[١] يمدحُ الملكَ النَّاصرَ[*] :

نَفَحـــاتٌ مُعَنْبَرَهْ	مِنْ رياضٍ مُحَبَّـــرَهْ[٢]
ومَغـانٍ أنيـــةٌ	بأغانٍ مُحَـــرَّرَهْ
وغَوانٍ أوالِفٌ	كظِباءٍ مُنفَّـــرَهْ
وغـــزالٌ مُـــؤَنَّثٌ	كمَهاةٍ مُذكَّرَهْ
وغَمـــــامٌ مَعَرْبِدٌ	بِبُروقٍ وزَمْجَـــــرَهْ[٣]
غادرَ الرَّوضَ[٤] ناضراً[٥]	بعيونٍ مُخَضَّـــرَهْ[٦]

(★) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد ، ملك حلب ودمشق ، وقد سبقت ترجمته.

(١) الوافي : ١ ٢ ٥ ، ٦ ؛ والمنهل : ٦،٥ ؛ والخزانة : ٥ ، ٦ ؛ والفوات ١ ، ٥ ، ٦ .

(٢) في الفوات : (عن رياض) .

(٣) في الوافي : (مزمجرة) .

(٤) في الوافي والفوات : (ترك الروض) .

(٥) في المنهل والفوات : (ناظراً) .

(٦) في الديوان (محضّرة) ، وقد أثبتنا (مخضّرة) كما وردت في روايات المنهل =

أنجــدتهُ جداولٌ كسيوفٍ مجوهَرَهْ
وتغشــاهُ دوحةٌ كجُيوبٍ مُزَرَّرَهْ[1]
وتغـنَّى هــزارُهُ بلحونٍ مُكرَّرَهْ
فاتركِ البيعَ والشِّرا[2] وَدَع الشَّرَّ والشَّرَهْ
واصْطَحِبْها سُلافةً[3] بَيْنَ دَنٍّ[4] وَدسْكَرَهْ[5]
وتأنَّسْ بنـارِهــا في الأقاحي المنوِّرَهْ
واعْبرِ[6] العُمرَ بالسرو رِ، فدُنياكَ قَنْطَرَهْ
وتنقَّـل بمدْحِهِ في القَوافي المُسيَّرَهْ
مَلِكٌ مِنْ عبيــدِهِ رَبُّ سَيْفٍ ومِحبَرَهْ

=والخزانة والفوات. وجدير بالذكر أن ابن حجة أورد البيتين المشار إليها في روايته في معرض ذكر التورية والزاوية التي اختارها من ديوان شيخ الشيوخ ، وذكر أن الشاعر « تلطف ما شاء مع قصر الوزن » في هذين البيتين . (الخزانة ص ٣١٥) .

(١) في الأصل : (لجيوب مزوره) والصواب ما أثبتناه .

(٢) والشِرا : أي والشراء ، بقصر الممدود لضرورة شعرية .

(٣) السُّلافة والسُّلاف : ما سال وتحلب قبل عصر الخمر ، وهو أفضلها .

(٤) الدنّ : الراقود العظيم لا يقعد إلا أن يحفر له .

(٥) الدسكرة: معناها في البيت هنا الصومعة ، وهو أحد معانيها ، وقد اقترن ذكر الخمر بالأديرة والصوامع كثيراً في الشعر العربي، وفي شعر عصور الدول المتتابعة بشكل خاص .

(٦) في الأصل : (اعبر) والصواب ما أثبتناه مناسبة لما قبلها وما بعدها .

شَرَّدَ الجَوْرَ جمعُـهُ بَيْنَ حُـكْمٍ ومَقْدِرَهْ
ذو خِلالٍ كـريمةٍ وأُصـولٍ مُطَهَّـرَهُ
وعِـداتٍ وفِيَّـةٍ وهِبَـاتٍ مُوَفَّرَهْ
كَمْ شَفانا بمَوْرِدٍ ! أَحْمَدَ المجـدُ مَصْدَرَهْ
إنْ أُجِدْ في مديحِهِ فعُـلاهُ مُبَصِّرَهْ

١١٤

ل 28 / ظ

وقالَ ، عَفا اللهُ عنهُ :

قَذَفْتَ بِوَشْكِ ٱلبَيْنِ في كَبِدي نارا فَأَرْسَلْتُ ماءَ ٱلعَيْنِ بَعْدَكَ مِدْرارا
وَلَوْلا حَريقٌ في حَشايَ جَعَلْتَ لي بِدَمْعِي جَنّاتٍ ، وَأَجْرَيْتَ أَنْهارا
فَرُضْني بِما يُرْضيكَ عَنّي مِنَ الأَذىٰ تَجِدْني شَكُوراً في المَحَبَّةِ صَبّارا
خُلِقْتُ مُحِبّاً ، إذْ خُلِقْتَ مُحَبَّباً لِلرَّدَى فَأَفْنَيْتَ مُضْطَرّاً عَلَيْكَ وَمُخْتـارا
وَأَضْرَبْتُ عَنْ سَمْعِ المَلامَةِ ضارِباً عَلى بابِ صَبْري عَنْكَ دَفّاً[1] وَمِسْمارا
وَعَنَّفَني فِيكَ ٱلعَواذِلُ ضَلَّةً فَعادَ بِهِمْ قِيراطُ وَجْدي قِنْطارا

---

(١) الدَّفّ : الجنب من كل شيء أو صفحته .

وَلَوْ كُنْتُ نُوحاً قُلْتُ : « يا رَبِّ لا تَذَرْ
عَلىٰ الْأَرْضِ » ، مِمَّنْ لامَ في الْحُبِّ « دَيّارا »[1]

١١٥

وَقالَ ، يَمدَحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ[*] ، ويُهَنِّئُهُ بِعِيدِ النَّحْرِ :

أَرِقْتُ لِطَيْفِ المالِكِيَّةِ ، إِذْ سَرىٰ ... وَلَوْلاهُ ما سامَحَتْ عَيْنِي بِالكَرىٰ
خَيالٌ بَخيلٌ بِالتَّحِيَّةِ يَقْظَةً ... وَلٰكِنَّهُ في النَّوْمِ دارىٰ ، وَما دَرىٰ
كَلِفْتُ بِهِ أَسْنىٰ مِنَ الظَّبْيِ ناظِراً ... وَأَبْهَجَ مِنْ عَيْنِ الْغَزالَةِ مَنْظَرا
وَأَشْهىٰ مِنَ الْعَذْبِ النَّميرِ عَلىٰ الظَّما ... وَأَبْهى مِنَ الْبَدْرِ الْمُنيرِ وَأَبْهَرا
إِذا ازْوَرَّ عَنِّي ، وَالنَّعيمُ يُمِدُّني ... ظَنَنْتُ زُلالَ الماءِ مُهْلاً[2] مُكَدَّرا
وَما زارَ إِلاَّ خِلْتُ أَنِّي مُظَفَّرٌ ... بِما بَشَّرَ الْعِيدُ الْمَليكَ الْمُظَفَّرا
بِعَيْشٍ ، بِجَنّاتِ النَّعيمِ ، مُذَكِّرٍ ... وَمُلْكٍ يُنَسِّي شَأْنَ كِسْرىٰ وَقَيْصَرا
وَمَلْكٍ سَما كُلَّ الْمُلُوكِ بِأَنَّهُ ... إِذا جادَ أَحْيا ، أَوْ إِذا صالَ دَمَّرا

(★) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن الملك المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « وقال نوح : ربّ لا تذرْ على الأرض من الكافرين ديّارا » (سورة نوح ٧١ / ٢٦) . والديّار : نازل الدار ، والمعنى لا تذر أحداً .

(٢) المُهل : القطران الرقيق أو الزيت الرقيق أو السم أو القيح أو صديد الميت خاصة .

وَأَرْبى عَلى[١] الأَخيارِ مِنْهُمْ بِخُــبْرِهِ
فَدَعْ عَنْكَ ما يُرْوىٰ، وَخُذْ عَنْهُ ما تَرَى

وَخَفْ مِنْ سُطاهُ، إِنَّهُ اللَّيْثُ في الوَغى
وَرَجٍّ نَــداهُ إِنَّـهُ ٱلْغَيْثُ لِلْوَرى

أَعادَ لَنا في ٱلْحِلْمِ قَيْساً وَأَحْنَفاً ... وَأَبْدى لَنا في ٱلْبأْسِ عَمْراً وَعَنْتَرا

وَكَمْ عادَ مِنْ كَسْرِ ٱلْفِرَنْجِ مُسَلَّماً
سِوَى ثَلْمِ عَضْبٍ، أَوْ وَشِيجٍ تَكَسَّرا

تَلَقّاهُمُ شَهْــمَ الجَنانِ يَمُدُّهُ ... بَوادِرُ[٢] ضِرْغامٍ، إِذا ما تَنَمَّرا

فِدىً لَكَ يا مَحْمُودُ كُلُّ مُذَمَّمٍ ... بِفَيْضِ السَّجايا، يَحْسَبُ ٱلْعُرفَ مُنْكَرا

وَكُلُّ جَوادٍ فاقَ طَلُّكَ وَبْلَهُ ... سَماحاً، وَإِنْ كانَتْ أَيادِيهِ أَبْحُرا

رَأَيْتُكَ أَهْدى آلِ شاذٍ[٣] إِلَى ٱلْعُلا ... وَهُمْ أَشْرَفُ ٱلأَمْلاكِ فَرْعاً وَعُنْصُرا ل 29 / و

أَخَذْتَ بِضَبْعي[٤] مِنْ يَدِ ٱلدَّهْرِ بَعْدَما ... أَصارَ دَمي لِلأَضْبُعِ ٱلشُّهْبِ مُهْدَرا

(١) في الديوان : (وأربي عن) والصحيح ما أثبتناه لما بين (عن) و (على) من التشابه في الخط .

(٢) في الديوان : (بواد) ، والصحيح ما أثبتناه .

(٣) آل شاذٍ : هم الأيوبيون نسبة إلى جدهم الأول شاذي بن مروان .

(٤) بضبعي : الضبع هنا العضد كلها وأوسطها الرقيق أو الإبط أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه .

وَأَوْلَيْتَني ما لَمْ تَكُنْ تَسْتَعِدُّهُ ... لِأَحْمَدِ شَيْءٍ في ٱلصَّنيعِ وَأَشْكَرا

كُمُلْتَ نِصاباً في خِلالِكَ ، فَٱغْتَدى ... نَصيبُكَ في ٱلْعَلْياءِ أَوْفى وَأَوْفَرا

ظَهَرْتَ عَلى أَعْلى ٱلْمَمالِكِ رُتْبَةً ... وَإِنّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرا

١١٦

وقالَ [١] ، رحِمَهُ اللهُ تعالى [٢] :

شَرَحْتُ لِوَجْدي في مَحَبَّتِكُمْ صَدْرا ... وَصَبَّرَني صَحْبي ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ صَبْرا [٣]

ومَنْ ظَنَّ سُلْواني مِنَ ٱلْبِرِّ وَٱلتُّقى ... فَإِنّي إِلى ٱلرَّحْمٰنِ مِنْ ذَنْبِهِ أَبْرا [٤]

فَيا يُوسُفَ ٱلْحُسْنِ ٱلَّذي ، مُذْ عَلِقْتُهُ ... بِسَيّارَةٍ مِنْ فِكْرَتي ، قُلْتُ : «يا بُشْرى» [٥]

---

(١) الفوات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ؛ والخزانة : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) لم يذكر جامع الديوان اسم الممدوح ، وقد اختار ابن حجة من المدحة المذكورة بيتي الختام ، وقال : إنهما « في ختام مديح مظفري » وليس هذا بصحيح ، وذلك بدليل أن الشاعر نفسه كعادته أورد اسم ممدوحه مرتين في القصيدة المذكورة ، فقد ذكر في المرة الأولى (يوسف) في البيت الثالث : (فيا يوسف الحسن . . .) ، وفي المرة الثانية في البيت التاسع والعشرين : (إليك ، صلاح الدين . . .) ، وهو الناصر ، صلاح الدين يوسف بن العزيز . يضاف إلى ذلك أن جامع الديوان أتبع هذه المدحة بمدحة أخرى في الممدوح نفسه.

(٣) في الفوات : (وصبَّرْتُ مِنْ نفسي ، فلم أستطع صبرا) .

(٤) أي أبرأ بالهمزة ، وقد خففت بقلبها ألفاً .

(٥) في البيت إشارة إلى قوله تعالى : « وجاءت سيَّارةٌ ، فأرسلوا واردَهُمْ ، فأدلى دلْوَهُ ، فقال : يا بُشرى هذا غلام » (سورة يوسف ١٢ / ١٩) .

لَقَدْ حلَّ مِنْ قَلْبي بِوادٍ[١] مُقَدَّسٍ لِيَقْبِسَ مِنْ قَلْبي ٱلْكَليمِ بِهِ جَمْرا

وَأَجَّجَ كَرْبي فَتْرَةً مِنْ لِحاظِهِ فَأَرْسَلْتُ دَمعاً حَرَّمَ ٱلنَّوْمَ وٱلصَّبْرا

لِئِنْ خَوَّفَتْني مِنْ تَجَنّيهِ عُذَّلٌ فإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ[٢] ٱلّذي زَعَموا يُسْرا

وقُلْتُ لِعُذّالي: أَلَمْ تَعرِفوا ٱلهَوى؟ لَقَدْ جِئْتُمُ شَيْئاً بِعَذْلِكُمُ[٣] نُكْرا

لَعَمْري! لَقَدْ طاوَعْتُ زائِدَ لَوْعَتي عَلَيْكُم، وما طاوَعْتُ زَيداً ولا عَمْرا

شَفَيْنا غَليلَ ٱلصَّدْرِ مِنْهُ بِنَزْلَةٍ، فَطُوبى لِمَنْ يَحْظى بِهِ نَزْلَةً أُخْرى

تَحَدّى بِإِعْجازِ ٱلْمَسيحِ لِمَيْتِهِ فَأَحياهُ وَصْلاً بَعْدَ قَتْلَتِهِ هَجْرا

فَلا تَعْجَبوا لِلسَّيْلِ وٱلسَّيْفِ[٤]، وٱعْجَبوا

لِمُقْلَتِهِ ٱلْوَسْنى[٥] ومُقْلَتِيَ ٱلْعَبْرى

---

(١) في البيت إشارة إلى قوله تعالى: «وهل أتاكَ حديثُ موسى، إذْ رأى ناراً، فقال لأهله: امكثوا إني آنستُ ناراً لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجدُ على النارِ هدىً. فلما أتاها نوديَ ياموسى: إني أنا ربكَ، فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طُوىً» (سورة طه ٢٠/ ٥، ١٠، ١١، ١٢).

(٢) في الفوات: (عذّلي). وفي الشطر الثاني إشارة إلى قوله تعالى: «فإنَّ مع العسر يسرا. إنَّ مع العسر يسرا» (سورة الانشراح ٩٤/ ٥، ٦).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: «فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله، قال: أقتلت نفساً زكيةً بغيرِ نفسٍ، لقد جئتَ شيئاً نُكراً» (سورة الكهف ١٨/ ٧٥).

(٤) في الفوات: (للسيف والسيل).

(٥) » » : (لمقلته المرضى).

وَإِنْ بانَ ذُلِّي وٱنْكِساري لِبَيْنِهِ
فَمَنْ قَيْصَرٌ، عِنْدَ ٱلْوِصالِ، وَمَنْ كِسْرٰى ؟

وَأَيُّ عَذولٍ كانَ في ٱلْحُبِّ عاذِرِي ؟ فَذاكَ ٱلَّذي قَدْ يَسَّرَ ٱللهُ لِلْيُسْرٰى

خَليلَيَّ ! ها « سِقْطُ ٱللِّوى » قَدْ بَدا لَنا
فَلا تَعْدُواهُ ، بَلْ « قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرٰى »

بَدا ، فَٱسْتَرَقَّ ٱلعالَمِينَ جَمالُهُ فَمِنْ أَجْلِ هٰذا جَلَّ بِٱلعَيْنِ أَنْ يُشْرٰى

وَأَذْكَرَ آياتِ ٱلْخَليلِ[1] عِذارُهُ لِجَنَّتِـهِ ٱلْخَضْراءِ في نارِهِ ٱلْحَمْرا

تَباعَـدَ مَسْرٰى دارِنا مِنْ حِجازِهِ
وَقَدْ زارَنا لَيْلاً ، « فَسُبْحانَ مَنْ أَسْرى »

29/ظ فَلِلّٰهِ أَوْقاتي بِـهِ ، مـا أَسَرَّها ! وَلِلّٰهِ مَدْحِي في مَعاليكَ ما أَسْرٰى !

لَكَ ٱللهُ مِنْ مَلْكٍ عَلِيٍّ عَلى ٱلْوَرٰى بِعَزْمَتِهِ ٱلْيَقْظى ، وَهِمَّتِهِ ٱلْكُبْرٰى

وَآلائِهِ[2] ٱلْحُسْنٰى ، وَأَفْعالِهِ ٱلرِّضا وَمَحْتِدِهِ ٱلأَسْمى ، وَسُؤْدُدِهِ ٱلأَسْرٰى

يُسَمّىٰ ، فَنَسْتَشْفي مِنَ ٱلْبُؤْسِ بِٱسْمِهِ وَيَنْدىٰ ، فَنَسْتَسْقي بِطَلْعَتِهِ ٱلْقَطْرا

---

(١) الخليل : هو إبراهيم النبي ، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : « قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » (سورة الأنبياء ٢١ / ٦٩) .

(٢) آلائه : أي نعمه ، وهي جمع أَلْيٌ وإِلىً وإِلْيٌ .

مَدِيْنٌ لَهُ : خَصْما فِعالٍ وِمقْوَلِ

فَإِنْ صالَ، ما أَنْكى! وإِنْ قالَ، ما أَدْرٰى!

أَبِيٌّ سَخِيٌّ، إِنْ طَغا ٱلْخَطْبُ، أَوْ طَرَا[1]

لَنا ٱلْجَدْبُ، يَجْتاحُ ٱلْفَواقِرَ[2] وٱلْفَقْرا

فَلا لَيْثَ إِلاّ مَنْ سَطا هٰذِهِ ٱلسُّطا ... ولا غَيْثَ إِلاّ مَنْ جَرَىٰ ذٰلِكَ ٱلْمَجْرى

تَلوذُ مُلوكُ ٱلأَرْضِ مِنْهُ لَدى ٱلْوَغى ... بِأَمْنَعِهِمْ جاراً ، وأَرْفَعِهِمْ قَدْرا

ويَرْفَعُ خَفْضَ ٱلْعَيْشِ عَنْ كُلِّ غادِرٍ ... إِذا جَرَّ نَحْوَ ٱلْحَرْبِ عَسْكَرَهُ ٱلْمَجْرا

فَيابْنَ ٱلْمُلوكِ ٱلْغُرِّ هُنِّئْتَ سِيْرَةً ... فَضَلْتَ بِها في ٱلْمَجْدِ آياتِكَ ٱلْكُبْرى

بِجُوْدِ سَحابٍ يَمْطُرُ ٱلْعِزَّ وٱلْغِنىٰ ... وحَدِّ عَذابٍ يَحْطِمُ ٱلْبِيْضَ وٱلسُّمْرا

إِلَيْكَ، صَلاحَ ٱلدِّينِ، نُزْجي رِكابَنا ... مُيَمِّمَةً، مِنْ بابِكَ، ٱلنِّيلَ وٱلْبَحْرا

تَجاوَزْتَ آمالي بِجُودٍ، هُوَ ٱلْعُلا ... فَأَوْسَعْتُهُ شُكْراً بِشِعْرٍ، هُوَ ٱلشِّعْرى

مَديحٌ، تَخَيَّرْتُ القَوافي مُحَلِّياً ... بِهِ رَفْعَها وَالنَّصْبَ والجَزْمَ والجَرّا

فَلا زِلْتَ ذا مُلْكٍ جَديدٍ مُؤَبَّدٍ ... تَدينُ لَهُ الدُّنْيا، وتَصْفو لَهُ الأُخْرى

وَلا زالَ للأيامِ طَوْلٌ عَلى الوَرَى ... وَما الطَّوْلُ إِلّا أَنْ يُطيلَ لَكَ العُمْرا[3]

---

(١) طرا : أي طرأ بتخفيف الهمزة لضرورة شعرية .

(٢) الفواقر: مفردها الفاقرة، وهي الداهية الكاسرة لفقار الظهر، أي الداهية الشديدة.

(٣) أورد ابن حجة البيتين الأخيرين في معرض حديثه عن حسن الختام (الخزانة ص ٥٦٩) .

١١٧

وقالَ يمدحُه[١] ؛ وأنشدَهُ إيّاها[٢] ، وهُما راكبانِ في الموكِب :

لَنا مِنْ ربَّةِ الخالِين جارَهْ تواصِلُ تارةً ، وتَصدُّ[٣] تارَهْ

تُؤانسُني ، وتَنْفِرُ عن[٤] قريبٍ وتُعرِضُ[٥] ، ثمَّ تُقْبِلُ في الحرارَهْ

وتُلْعِقُني[٦] بما يُحْلي سُلوِّي ولكِنْ ليسَ في جوفي مَرارَهْ

وَمالي في الغرامِ بها شبيهٌ وَليسَ لها نظيرٌ في النَّضارَهْ

وَفي الوَصفَينِ مِنْ كَحَلٍ وَكُحْلٍ حَوَتْ حسنَ البَداوةِ والحضارَهْ

[وَفي خَلْخَالِها خَرسٌ ، ولكنْ إذا أوْمأتُ تَفْهَمُ بالإشارَهْ][٧]

---

(١) ممدوحه السابق الذي لم يشر إليه من قبل ، وهو الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز ، وقد سبقت ترجمته ؛ وقد أشار ابن حجة إلى اسم ممدوحه في معرض إيراده بعض أبيات القصيدة المذكورة .

(٢) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٨ ؛ والوافي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ؛ والخزانة : ١ ، ٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٨ (ص ١٩١) ؛ ١ ، ٣ (ص ٣١٤) .

(٣) في الذيل : (وتصول تارهْ) .

(٤) في الوافي : (فتنفر من) .

(٥) في الديوان : (وتنفر ثم تقبل) وقد أثبتنا رواية الوافي ، إذ هي أجمل وأصح .

(٦) في الديوان : (وتعلقني) ، وفي الخزانة (تعاملني بما يحلي) ، والصواب ما أثبتناه جرياً على مذهب الشاعر في الانسجام .

(٧) استدركنا هذا البيت من الذيل (و ١٢١) .

وقتلُ العَمْدِ قد قَتَلَتْهُ عِلْماً وَمَا وَصَلَتْ إلى بابِ الإجارَهْ[1]

وَقَالُوا : قَدْ خسرْتَ الروحَ فيها

فقلتُ : الرِّبحُ[2] في تلكَ الخسارَهْ

بأيسر نظرةٍ ، أَسَرَتْ فؤادي كما نَشأَ[3] اللَّهيبُ مِنَ الشَّرارَهْ

أطارَتْ شملَ حُسنِ الصبرِ عنّي بأحسنِ شَمْلَةٍ مِنْ فوقِ طَارَهْ ل 30 / و

[وقُلْتُ لَها : قِفي ، إنْ لم تَزُوري

فقالتْ : والوُقُوفُ مِنَ الزِّيارَهْ][4]

شَمَرْتُ إِزَارَهَا عنها ، فَصَدَّتْ فقلتُ : تقدَّمي ، وَدعي الشَمارَهْ

[جَسَرْتُ ، فنلتُ ما أَمَّلتُ مِنْها وَمانَيلُ المُنَى إلا جَسَارَهْ][5]

أَدَرْتُ[6] على مُزرَّرِها[7] عِناقي فبتُّ ، ومِعصَمي للبدرِ دَارَهْ

---

(١) الإجارة : مشتقة من أجر يأجر ، وهو ما أعطيت من أجر في عمل . وباب الإجارة أحد الأبواب المعروفة في الفقه ، وهو يسبق باب القتل ، وقد استخدم الشاعر بعض هـذه المصطلحات الفقهية ، ولعله أراد الإشارة إلى تمادي محبوبته في قتل محبوبها بالصد والهجران ، دون أن تحاول الوقوف عند باب الإجارة تأكيداً لما في هذه الباب من منافع ، وذلك تشبيهاً وتمثيلاً وتورية .

(٢) في الوافي : (الروح في تلك الخسارهْ) .

(٣) « « : (كما ينشا) .

(٤) استدركنا هذا البيت من روايتي الوافي (ل ١٨) والذيل (و ١٢١) .

(٥) استدركنا هذا البيت من روايتي الوافي (ل ١٨) والذيل (و ١٢٢) .

(٦) في الوافي (ودار على ..) .

(٧) في الديوان : (موزرها عناقي) وقد أثبتنا رواية الوافي (مُزرّرها عناقي) .

[تَرَى في خدِّهـا آثارَ عضّي ... لغُصْنِ بَنَفْسَجٍ في جُلَّنـارَهْ[١]

وهتْكُ السِّتْرِ صبرُ الصَّبِّ عنها ... إذا غَنَّتْهُ مِنْ خلْفِ السِّتارَهْ][٢]

إذا استَسْقَى[٣] بريقتِها نديمٌ ... أَزالتْ خَمرُهَا عنـهُ خُمارَهْ

ويفتكُ طَرفُها ، فيقولُ قلبي : ... أَشَنَّ ، تُرى،صلاحُ الدِّينِ غارَهْ ؟[٤]

مليكٌ ، شدَّ أَزرَ المُلْكِ منه ... شَبا[٥] عَزْمٍ ، تلينُ له الحِجَارَهْ

وجاوَزَ مَنْ على الغَبْراءِ سَعْياً ... إلى العَلْيا[٦]، فما لحِقُوا غُبارَهْ

لهُ الخَيْلُ التي لم تخلُ مِنْها ... بِقاعٌ في البلادِ ولا قَرارَهْ[٧]

فَكمْ عـادى مُغالِبَهُ بشَرٍّ ! ... وساقَ إلى مُواليهِ بِشارَهْ

فتىً أَرْضَى العُلا جُوداً وبأْساً ... بمـالٍ مارَهُ[٨] ودَمٍ أَمارَهْ[٩]

---

(١) الجُلَّنار : لفظ معرب ، وهوزهر الرمان .

(٢) استدركنا هذين البيتين من رواية الذيل (و ١٢٢) .

(٣) في الذيل (استشفى بريقتها) .

(٤) أورد ابن حجة في شواهـــد حسن التخلص من نسيب القصيدة البيتين الأول والثالث ، ثم اعترض النسيب المذكور قائلاً : « ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازله إلى أن قال : وقالوا ... » وهي الأبيات الثلاثة التي جاء فيها حسن التخلص .

(٥) شبا كل شيء : أي حدُّه .

(٦) العليا : أي العلياء بقصر الممدود لضرورة شعرية .

(٧) القَرارة : بفتح القاف وهي المطمئن من الأرض ، وما يستقر فيه ماء المطر .

(٨) ماره : من الميرة ، وهي جلب الطعام ، ويقال مار مياله يميرهم .

(٩) أماره : مار الدم يمور أي جرى ، وأماره : أي أجراه .

أَعزُّ ملوكِ أَهلِ الأَرضِ جاراً وأَعْزاهمْ إِلى كَرَمٍ نِجَارَهْ
يَصونُ عُلاهُ عن عارٍ ، ويُعطي عطيَّةَ مَنْ يَرَى دُنياهُ عَارَهْ
ويَثْني نَحْوَ زائِرِهِ لُهــاهُ[1] ولا يَثْني على إِثْمٍ إِزارَهْ
تَعالَىٰ اللهُ ، ما أَعْلاهُ قَدْراً ! وأَدْنَى من مُؤَمِّلِهِ مَزارَهْ !
إِذا ما حَجَّ بيتَ نَداهُ وَفْدٌ رَمَى في قلبِ حاسِدِهِ جِمارَهْ
إِذا اسْتَعْصى الكلامُ على سِواهُ أَطـاعَتْهُ البَراعةُ في العِبارَهْ
لقد نَفَقَتْ معارِفُنَـا لديهِ وأَضْحَتْ لا تَبورُ لها تِجارَهْ
وقَد كُنَّا نَرَى الحِرْمَانَ قِدْماً عليها كالعــلامةِ والإِمارَهْ
أَجارَ الخَلْقَ مِنْ نُوَبِ اللَّيالي فكانَ اللهُ حافِظَهُ وجارَهْ
وضاعفَ نصرَ دَوْلَتِهِ وأَعْلَىٰ لَنا في الدِّينِ والدُّنيا مَنارَهْ

١١٨

وقالَ[2] ، يَمْدَحُ الملِكَ الأَمْجَدَ[*] ، ويَسْتَعْطِفُهُ[3] :

رِفْقاً بِصَبٍّ ، يَرى سلوانَكُمْ عارا ما كانَ مُنحرِفاً عنكمْ ، ولا صارا

(*) هو الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) اللُّها : العطايا .

(٢) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

(٣) أنشد الشاعر ممدوحه مستعطفاً ومهنئاً بعيد النحر ، وقد استنتجنا المناسبة المذكورة من بيت الختام في القصيدة المذكورة « لا زلت للمال والأعداء نحارا » .

لم يُنْسِهِ البُعْدُ روحَ الأُنسِ عندكُمُ ... فلم يُجَدِّدْ لعهدِ القُرْبِ تَذْكارَا

أَفضاهُ صَرْفُ النَّوى منكمْ إلى نُوبٍ ... أَقَلُّها أَنَّهُ ماسُرَّ مُذْ سارَا

سَنا هَواكُمْ إلى لُبنانَ أَرْشَدَهُ ... فلم يقُلْ : يا لُبَيْنَى ، أَوقدي النَّارَا

وإنْ يَزُرْكُمْ على قربٍ ، فذو كَلَفٍ ... لو أَفرطَ البعدُ ، لم يستَبعدِ الدارَا

ل 30/ ظ

يارَبَّةَ الخِدْرِ ، لو غادَرْتني شَبَحاً ... ما سُمْتُ خُلْفاً ، ولا سُمّيتُ غَدَّارَا

عاقَبْتِني بجحيمِ الشَّوقِ واقِدَةً ... وأنتِ حَمَّلْتِني للبينِ أَوْزَارَا

وضِقْتُ ذَرْعاً بِحُبِّي ، واعْتَدَدْتُ بهِ ... ذَنْباً ، فأَوْسَعْتُ ذاكَ الذَّنبَ إصرارَا

إنْ تَهْجري فبِما واصلتِ آونةً ... أو تُبْعِدي فبما أَدْنَيْتِ أَطوارَا

إذْ أَجْتني بِكَ مِنْ رَوْضِ الرِّضا زَهَراً ... وأَجْتلي في سماءِ العزِّ أَقمارَا

لله وَصلُكِ ، ما أَغلاهُ يومَ شَرىً[1] ... وَشَهدُ ريقِكِ ، ما أَحلاهُ مُشْتارَا

فيكِ الغنى لي عنْ طيبٍ وعن سَكَرٍ ... كأنَّ في فيكِ عطّاراً وخَمّارا

وهبتْ روحي لآلامِ الغرامِ كما ... أَنْهَبْتُ قلبيَ طَرْفاً منكِ سحّارَا

عَيناكِ للفتْكِ ، لا نَصْلٌ ولا ظُبَةٌ ... والأَمجدُ المَلْكُ ، لا كِسْرَى ولا دارَا

أَعْلَى مُلوكِ بني أَيوبَ مَنْزلَةً ... وهْمُ أَجلُّ مُلوكِ الأرضِ مِقدارَا

شُهْمُ الجَنانِ ، إذا احمرَّ القَنا دَلَفُوا ... يَدْعونَ منهُ على الأعداءِ[2] سوَّارَا

---

(١) شرى : يقال شري فلان غضباً إدا غضب ولج في الأمر .

(٢) السوَّار : الوثاب والمقدام .

مُخيفُ عاصيهِ في نَأْيٍ وفي صَقَبٍ[١] وخائفُ اللهِ إعلاناً وإسرارَا
وقائدُ الجفلِ الجرّارِ مصطلماً[٢] ببيضِهِ جَحفلاً للكُفرِ جرّارَا
لهُ المَناصلُ[٣]، كم أنهزْنَ[٤] في بطلٍ جُرحاً جُباراً[٥] وكم أذْلَلْنَ جبّارَا!
إذا طغَتْ أُمّةٌ غادرْنَ هامَهمْ عنِ الجُسومِ إلىٰ الأطيارِ أطيارَا
لابنِ المعزِّ[٦] علىٰ الأملاكِ كُلّهِمُ فضْلٌ، علا خُبْرُهُ وَصْفاً وإخبارَا
إنْ أَحْجَمُوا عنْ مَدىٰ هولٍ تَجاوَزَهُ أو أُفْحِمُوا مَلأَ الأسماعَ سحّارَا
أو شابَهُوا قَوْلَهُ والفعْلَ فاقَهُمُ للدُرِّ والهامِ نَظّاماً ونَثّارَا
أو نَفَّرُوا الوفدَ عَنْ أدْنىٰ حِياضِهِمُ أدْنى إليهِ سَحاباً مِنْهُ مِدْرارَا
أوْ أَعنقُوا[٧] عن كُماةِ الحربِ عانَقَها سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ الأملاكَ أطوارَا
يا أَيُّها الأَمجدُ المَلْكُ المعيدُ لَنَا مِنْ وافِرِ البِرِّ ما أَوْدَى وما بارَا
صرَفْتَ نَحْوَ الأنامِ الرِّزْقَ مُقْتَفِياً إتقانَكَ النَحوَ تقديراً وإضمارَا
عَمرْتَ بالجدّ والجَدْوى على زُحَلٍ بيْتاً عَلِيّاً، لَقَد بُورِكْتَ عَمّارَا

(١) الصقب : القرب . ومكان صَقَب وصَقِب : أى قريب .
(٢) مصطلماً : فعلها اصطلم أي استأصل .
(٣) المناصل : جمع مُنصُل ومُنصَل وهو السيف .
(٤) وأنهزْنَ : يقال نهزه نهزاً أي ضربه ودفعه .
(٥) والجُبار : الهَدَر ، يقال ذهب دمه جباراً أي هدراً دون قود ولا دية . الجُبار من الدم : الهدر .
(٦) ابن المعز : الممدوح نفسه مجد الدين بهرام شاه بن المعز .
(٧) أعنقوا : أسرعوا وساروا ، وفي الأصل : (اعنقوا) .

أَحْكِمْ بِفَضْلِكَ أَسبابي ، فقد مَرِحَتْ[١] واحْكُمْ بِعَدْلِكَ في صَبْري ، فقد جارَا

ل 31 / و

حَسْبِي رِضاكَ ، فإِنْ جادَ الزَّمانُ بهِ لَمْ أَلْتَمِسْ دِرْهَماً منهُ ودينارَا

فأَوْفِني مِنْ جَميلِ الصُّنعِ مَقْدِرَةً أَغدُو بِها ناهِياً للضَّيمِ أَمَّارَا

ولَو عَرَفْتُ ذُنوبي لاعْتَرَفْتُ وَما لَفَّقْتُ قَوْلاً ، ولا زَخْرَفْتُ أَعذارَا

وإِنْ يَكُنْ صَحَّ عَني بَعضُ مازَعَمُوا فاغْفِرْ ، فَما زِلْتَ لِلزَّلاتِ غَفَّارَا

وأَعْفِني مِنْ بِعادٍ ذادَ عَنْ مُلَحٍ[٢] كُنتُ الخَليقَ بِها ، لو كُنتَ لي جارَا

والعِيّ في البُعْدِ عَنْ ناديكَ أَشْعَرَني لولا نَداكَ لَما نَظَّمْتُ[٣] أَشعارَا

خَيْرُ المَمالِكِ مُلْكٌ يُستَجارُ بهِ وأَكْرَمُ الخَلْقِ قُطّاناً وزُوّارَا

أَسْعِدْ بِهِ مُكمِلاً لِلعيدِ بَهْجَتَهُ ! لا زِلْتَ للمالِ والأَعداءِ نَحّارَا

١١٩

وقالَ يَمدحُهُ أَيْضاً[٤] ، رَحِمَهُ اللهُ :

لوْلا تَلافي الطَّيفِ أَنْ يَنْفِرا سَلَلْتُ مِنْ جَفني غِرارَ الكَرَى

---

(١) مَرِحَتْ : يقال مَرِحَتْ العين مرحاناً أي اشتد سيلانها ، وقيل ضعفت ، والمعنى الأخير يلائم المقصود في البيت المذكور .

(٢) المُلَح : مفردها مُلْحة ، والمُلْحة من الأحاديث أي ما لذ واستملح وطاب .

(٣) نظم الشعر ونظّمه .

(٤) ممدوحه السابق الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

لكنَّني أَمَّلتُ مِنْ زَوْرِهِ تَحقيقَ آمـالي ، وإنْ زَوَّرَا

أَسْهَرَني شَوْقي إليكُمْ ، ومَـا أَنامَني إلا الذي أَسْهرا

لَولا سُرى طَيْفِكُمْ لم أكُنْ أَحْمَدُ مِنْ قبلِ الصَّباحِ السُّرى

إنْ حُلْتُمُ عَنّي ، فما حُلْتُ ، أو هَجَرْتُمُ ، فالطَّيفُ لَنْ يَهْجُرَا

عَليَّ لِلناسِينَ حِفْظُ الهَوى ولي ، على العاذلِ ، أنْ يَعْذِرَا

فالوَجْدُ لا يُعرَضُ في ساحَتي لِلْبَيْعِ ، والسُّلوانُ لا يُشتَرى

ولائِمٍ قدَّرَ مِنْ جَهْلِهِ أَنِّيَ لا أَعْلَمُ ما أَضْمَرا

أَخْفَى غُروري مُظْهِراً ضَلَّتي يا قُبْحَ ما أَخفَى ، وما أَظْهَرا

أَعَقُّ أصحابيَ مَنْ لامَني لأنَّهُ أَغْرَى ، ومَـا غَيَّرا

وخَيْرُ أَشْعاريَ إنْ اخْتَرْتَهُ لِلْمَلْكِ الأَمْجَدِ خيرِ الوَرَى

مَلْكٌ إذا سِيلَ[1] لِخَطْبٍ كَفَى عَضْبٌ[2] إذا سُلَّ لِضَرْبٍ فَرَى[3]

لَو وافَقَتْ أَمْوالُهُ جُودَهُ أَثْرَى بِها مَنْ حَلَّ فَوْقَ الثَّرى

مـا لِملوكِ الأرْضِ مُغْتَرَّةً لِمَتْجَرٍ عُقباهُ أن يَخْسَرَا

---

(١) سيل : أي سُئِل بتخفيف الهمزة لضرورة شعرية .

(٢) عضب : سيف .

(٣) فرى : شق وأفسد .

تَكْسِفُها الأَعداءُ هَزْماً وَلا تَهزِمُ مِنْ أَموالِها عَسْكَرا

وابْنُ مُعزِّ الدِّينِ[1] فُرْخْشَهٍ يَرَى مِنَ العَلْياءِ مالا تَرَى

إنْ جَهِلُوا سُبلَ رَشادٍ هُدَىً أَو أَقْشَعَتْ سُحْبُهُمُ أَمْطَرا

ظ/31

حادُوا عَنِ الحَربِ على غِرَّةٍ فكَرَّ فيها بَعْدَما فكَّرَا

يُحجِمُ عَنْ إِحْجامِه مُقدِماً كأَنَّهُ يَحذَرُ أَنْ يَحْذَرَا

لا تَسْطُرُ الأملاكُ في صُحفِهَا إِلاّ الذي يَقصِدُ أَنْ يَسْتُرَا

جاهدَ ، أَو أَبْحَرَ ، أَو صامَ ، أَو صرَّفَ ، أَوْ هَلَّلَ ، أَو كَبَّرَا

نَذْكُرُ في المَقْبولِ أَفعالَهُ لأَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يُذكَرَا

أَثْنَى عَلَيْها رَجَبٌ مِثْلَما باشَرَهـا ثانيه مُسْتَبشِرَا

لا زالَ يَقْري السُؤْلَ مِنْ أُمَّةٍ ما يَمَّمَ النَّاسِكُ[2] أُمَّ القُرَى

١٣٠

وَقالَ[3] يمدَحُ سَيفَ الدِّينِ بنِ أَبي عَلِيٍّ[*] :

سَقْياً لِدارِكِ ، يا أَسْماءُ ، مِنْ دارِ وَحَبَّذَا نارُكِ الزَّهراءُ مِنْ نارِ

(*) هو الأمير سيف الدين علي بن أبي علي الهذباني ، نائب الملك المظفر ، وقد سبقت ترجمته .

(١) معز الدين فرخشه : والد الممدوح .

(٢) أمُّ القُرى : من أسماء مكّة المكرمة .

(٣) الذيل : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

وَمُسْتَمِدٌّ سناها مِنْ سَنا قَمَرٍ ... لِلْبَدْرِ مِنْه سَرارٌ بَعْدَ إِبْدارِ[1]
ظَبْيٌ تَقَنَّصَ مِنْ طَرْفي كَراهُ ، ولَمْ ... أَحْفِلْ بِمَسْراهُ لَوْلا طِيبُهُ السّاري[2]
إذا تَثَنَّى ثَنَى عن طَوْعِ لائِمَتي ... خواطري بقَوامٍ ، مِنْه ، خَطّارِ
وإِنْ رَنَا ، قيلَ : يا لَلّهِ ! ما صَنعتْ ... عَيْنُ الغَزالِ بقَلْبِ الضَّيْغَمِ الضّاري؟
كَمْ نِلْتُ في وَصْلِهِ مِنْ لذَّةٍ ذَهَبَتْ ... عَنّي ، ودامَ لها حُزْني وتَذْكاري!
[وَعَضِّ وردٌ بخدَّيْهِ لعِزَّتِــهِ ... لَمْ يُجْنَ إلَّا بِأَسْماعٍ وأبصارِ][3]
وقُبْلَةٍ لم يُطرِّقْ نَحْوَهــا دَنَسٌ ... إِذْ لم تَكُنْ غيرَ تقديرٍ وإِضْمارِ
وخَلْوَةٍ في النَّقا والأُنْسِ مُخْلِيةٍ ... جَفْني مِن الماءِ ، أَو قلبي مِن النّارِ
أحبابَنا ، كيفَ حُلَّتْ مِنْ حِبالِكُمُ ... حِبالُنَا بَعْـدَ إِحكامٍ وإِمرارِ ؟
وكيفَ ضَيَّعتُمُ عَهْداً حَفِظْتُ لهُ ... ودائعَ الحبِّ في جَهْدٍ وإِسْرارِ ؟
أَبانَ غدرَكُمُ هَجْري ، وما عُرِفَتْ ... عِصابَةُ البغيِ ، لولا قَتْلُ عَمّارِ

(١) السّرار من الشهر آخر ليلة منه .
(٢) سبق هذا البيت في الذيل ثلاثة أبيات ، تختلف كل الاختلاف عن البيتين السابقين الواردين في الديوان ، وهي :

لا تبخلنَّ بدمعٍ ، منهُ ، مدرار ... مَنْ فارقَ الإلفَ قسراً غير مختارِ
ولا يرومنَّ ذو جهلٍ بعبرتـهِ ... ليس المشوقُ على بعـدٍ بصبّارِ
أستودعُ اللهَ في الغادينَ بدر دجاً ... ودَّعتُ منـهُ لُباناتي وأوطاري

ويظهر أن هذا الاختلاف مردّه إلى أن الشاعر آثر تهذيب مطلع النسيب فكان له ما أراده .
(٣) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل (و ١٣٥) .

هذا ، وكم من نصيح لجَّ في عَذَلي … فقلتُ : دَعْني ، وإيرادي وإصداري[1]

فما بقلبِكَ أشجاني ولا ذرَفتْ … عيناكَ دَمْعي ، ولا حُمِّلتَ أوزاري

[ألامُ فيكم ولا تُجدي الملامةُ في … وَجْدي بكم غيرَ إغرائي وإصراري]

إنْ كُنتُ لم أَفْتقِدْ غَمْضي لفَقْدِكُمُ … فلا وَجدْتُ مِنَ الأنصارِ أنصاري

أو كُنْتُ أَجْرَمْتُ جُرماً أستَحِقُّ بهِ … بُعْداً فلا قُرِّبَتْ مِنْ دارِكُمْ داري

أو كانَ ما ضيَّقوهُ مِنْ مَسالِكِنا … ظُلْماً ، فلا وَسِعَتْهم رحمةُ الباري

[عابُوا خِلالي واغتابوا فوقَرَني … عِلْمي بأنَّهمُ ليسوا بأنظاري

إنْ يَفْعلوا ، فكفاهمْ شاهداً لَهمُ … بالنَّقْصِ جهلُهمُ في الفَضْلِ مِقْداري

لولا هواكُم لما عاثتْ ذِئابُهم … في سَرْحِ عِرْضي ولا مَرُّوا بأفكاري][3]

أو كانَ لي وَطَرٌ فيما يُريبُ ، فلا … أدركْتُ مِنْ جودِ سيفِ الدِّينِ أوطاري

مُمدَّحٌ ، عَرفَتْ فَضْلي فضائلُهُ … وغارَ إذْ جهِلَ الأغيارُ مِقْداري

وكنتُ أَولَى بني الدُّنيا بحَظْوَتِهِ … وكانَ أَولى بني الدُّنيا بأشعاري

ل 32 / و

هو الأميرُ الذي يَعْنو لَهيبَتِهِ … وبأسِهِ كُلُّ نَهَّاءٍ وأَمَّارِ

لَيْثٌ يُعفِّرُ أعداءَ المُظفَّرِ في … هَيجائِهِ بينَ أنيابٍ وأظفارِ

شَهْمٌ يفِرُّ إلى إقدامِهِ أنفاً … في حيثُ ليس على الفَرَّارِ مِنْ عارِ

---

(١) في الذيل : (وخانَ عهدي نصيحٌ لجَّ في عذلي) .

(٢) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل (و ١٣٦) .

(٣) استدركنا الأبيات الثلاثة من رواية الذيل (و ١٣٦).

وأريحيٌّ إذا غَنَّتْ قَواضبُـــهُ   في الهَامِ ، أغْنَتْهُ عن عُودٍ ومِزْمارِ
سَمْحٌ ، شُجاعٌ ، لهُ في كلِّ مُعْضِلَةٍ   جُودٌ مِنَ الماءِ في جِدٍّ مِنَ النَّارِ
بَنانُهُ ، عِنْدَ إخلافِ الحَيَا ، غَدَقٌ   وزَنْدُهُ ، عِنْدَ إخْلافِ الحَيَا ، وارِ
إذا غَزَا قُرِنَتْ راياتُ جَحْفَلِهِ   بِجَحْفَلٍ ، مِنْ سَديدِ الرَّأيِ ، جَرَّارِ
مُغامِراً بسُطاهُ كلَّ مُقتـــدِرٍ   وغامراً بنداهُ كلَّ زَخَّـــارِ
وَجابِراً بالْعَطايا كُلَّ مُنْكَسِرٍ   وكاسِراً بالسَّرايا كُلَّ جَبَّـــارِ
ومُشْتَرٍ بنَفيسِ الدُّرِّ مُغْتَبِطـــاً   نَفائسَ الشُّكْرِ قِيراطاً بِقِنْطارِ
أنا الكَفيلُ بتَحْبيرِ المَديحِ لَهُ   وهو الكَفيلُ بإكرامي وإيثاري
اسْمعْ قريضاً يُفيدُ الشُّكرَ تَبْصِرَةً   فُدِيتَ مِنّـا بأسْماعٍ وأبصـارِ
يَسْمو بِغُرِّ قَوافٍ ، مِنْهُ ، سائرةٍ   عُونٍ وسِرِّ مَعَانٍ ، فِيهِ ، أبْكارِ
يُضْحي مِنَ الجَهْلِ راويهِ ، ويُسْكِرُهُ   كَأَنَّ في كلِّ بيتٍ دارَ خَمّـــارِ
وما المَدائحُ إلاّ أنْجُمٌ طَلَعَتْ   زُهْراً ، تَضَوَّعَ مِنْها طِيبُ أزْهارِ
قَلائدٌ ، دُرُّها يَبْقى ، ويَذْهبُ ما   بَذَلْتَ مِنْ درهمٍ ، فيها ، ودينارِ

١٣١

وقالَ[١] ، يمدَحُ الملِكَ النَّاصرَ[*] :

(*) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز ، وقد سبقت ترجمته .

(١) يتضح من البيت الأول في القصيدة أن الشاعر أنشد ممدوحه مودعاً بمناسبة سفره إلى مصر .

على طالعِ الإقبالِ واليُمْنِ والنَّصرِ ... مَسيرُكَ محروسَ الرِّكابِ إلى مِصْرِ

تَفاخَرَ مَجْرى النِّيلِ بالنَّيْلِ بَعْدَما ... تكاثَرَ عدُّ الرَّملِ بالجحْفَلِ المَجْرِ

وتُبرِمُ ما حلَّ الغُواةُ منَ الهُدَى ... وتَنْقضُ ما سَدَّ العُداةُ مِنَ الوِتْرِ

وتَسْتَرْجِعُ الإرْثَ الذي مَطَلَتْ بِهِ ... رِجالٌ إلى أَنْ جِئْتَ يا وارثَ الدَّهرِ

فأنتَ صَلاحُ الدينِ وابْنُ صَلاحِهِ ... فلا مِلْكَ أَولى منكَ بالنَّهْيِ والأَمْرِ[1]

وما أَحَـــدٌ لليُوسُفَيْنِ بِثَـالث ... سِواكَ وللبِكْرَيْنِ والشَّمسِ والبَدْرِ[2]

وكَمْ لكَ مِنْ حربٍ عوانٍ[3] تمخَّضَتْ[4] ... فشيَّبتِ الوِلْدانَ بالفَتْكةِ البِكْرِ

32 /ظ

ومُشكِلَةٍ كَشَّفْتَ بالرَّأيِ لُبْسَها ... فغادَرْتَها في مِثْلِ مُنصَدِعِ الفَجْرِ

نَصحْتَ لخَلْقِ اللهِ سِرّاً وجَهْرةً ... فأَصْفَوا لكَ الإخلاصَ في السرِّ والجَهْرِ

ورَوَّيْتَنا مِنْ راحتيكَ بأنْعُمٍ ... غَنينا بها في المَحْلِ عن صَيِّبِ القَطْرِ

وأَمَّنْتَنا في كلِّ نَحْوٍ منَ الأَذى ... فلمْ يَسْطُ في التَّمثيلِ زَيْدٌ على عَمْرِو

فدُمتَ طويلَ الباعِ مُنْسَرِحَ الثَّنا ... بَسيطَ رِحابِ المَجْدِ والشُّكْرِ والعُمْرِ

---

(١) أي الناصر صلاح الدين يوسف الثاني ، وابن صلاحه : أي سليل الناصر صلاح الدين يوسف الأول .

(٢) للبِكرين : مفردها بِكْر ، وقد ورد عن العرب في وصف الشديد : « أشدُّ الناس بِكْرُ ابنُ بِكرين » وفي المحكم : « بِكر بِكرين » .

(٣) حرب عوان : الحرب العوان أشد الحروب ، وهي التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى.

(٤) في الديوان : (تمحضّت) ، وصوابها (تمخضّت) كما أثبتناه .

١٢٢

وقالَ ، يَمْدحُ الملكَ الأمجدَ(*) ، رَحمَهُما اللهُ تعالىٰ :

أَنا المُغْرَمُ المَشْغوفُ ، وهْيَ الجآذرُ ... أُنافِرُ فيهـــا عُذَّلي وتُنافِـــرُ
حَجَرْنَ على أجفانِ عَيْني غِرارَهـا ... جُفونُ سيوفٍ ضُمِّنَتْها المحاجِرُ(١)
وأطْلَقْنَ في خَدَّيَّ أمواهَ أدْمُعي ... خدودٌ مياهُ الحسنِ فيها حوائِرُ
وخَيَّمَ عَقْلي في خِيـــامِ عَقائلٍ ... حِسانٌ مُنيفـاتُ القُدودِ قصائِرُ(٢)
أَطَعْتُ بمَغْناهنَّ أمْرَ شبيبــــةٍ ... تجنَّبها ناهٍ منَ الشَّيْبِ آمِـرُ
أُجيلُ بها طَرْفَ التَّصابي ، وأجْتلي ... بدورَ دُجاً ، هالاتُهنَّ المعاجِرُ(٣)
لِعَيني رَبيــعٌ دائمٌ في رُبوعِهَـا ... وإنْ كانَ في قَلْبي منَ الوَجْدِ ناجِرُ(٤)
ولَيْلَةِ بِنْنا ، والنُّفوسُ ودائــعٌ ... نُحاذِرُ منْ وَشْكِ النَّوى ما نُحاذِرُ
فأَعْلَنَّ بالتَّرحالِ ، والصُّبْحُ مُسفِرٌ ... وأَسْرَرْتُ توديعي ، وهُنَّ سوافِرُ

(*) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) المحاجر : جمع محجر وهو ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن .

(٢) قصائر : جمع قصورة وقصيرة ، وهي المرأة المحبوسة في البيت لا يسمح لها بالخروج.

(٣) المعاجر : جمع مِعْجر ، وهو ثوب تلفّه المرأة على استدارة رأسها من غير إدارة تحت الحنك ، ثم تجلبب فوقه بجلبابها ، وهو ضرب من ثياب اليمن .

(٤) ناجر : يقال شهرٌ ناجر ، وكل شهر في صميم الحر ، فاسمه ناجر ، لأن الإبل تنجر فيه ، أي يشتد عطشها حتى تيبسَ جلودها ، وكان يقال لشهر صفر في الجاهلية ناجر ، وقيل لرجب .

فإنْ كنتُ ، إذْ سارتْ ، أَقمْتُ ، فإنَّني
بها مَثَلٌ ، في سائِرِ الأَرضِ ، سائِرُ

وإنْ كانَ شَخْصي غائباً عنْ دِيارِهَا ... فَصَبْري مَحْظورٌ ، وقَلْبيَ حاضِرُ

وما كُلُّ داتٍ بالمحبَّةِ دائنٌ ... ولا كلُّ قاصٍ في المَودَّةِ قاصِرُ

ولا تُفشيَنْ سِرَّ الغرامِ ، فإنَّني ... أمينٌ عليهِ « يومَ تُبلى السَّرائِرُ »[1]

ولا تُطعِ الواشي، فليس بمُصْلِحٍ ... ولكنَّه للتِّسعةِ الرَّهْطِ عاشِرُ

ولا تَسْحَرنِّي بالمَلامِ ، فإنَّما ... غَرامي عَصَا موسى، إذا عَنَّ ساحِرُ[2]

أَطافتْ بِيَ الأَنصارُ مِنْ كلِّ جانبٍ ... ومالي على سُعَدى البخيلةِ ناصِرُ

وقِدْماً أراغتْني اللَّيالي مَكاسبي ... وقامتْ بِحرْبي الحادثاتُ الحواسِرُ

ل 33 / و

فسالَمْنَني لَمَّا شعرْنَ بأنَّني ... لبهْرامَ شاهَ الأَمْجَدِ المَلْكِ ، شاعِرُ

أُنظِّمُ في مَدْحِيهِ كلَّ قَصيدةٍ ... يَقِلُّ لَها عِنْدَ المُلوكِ النَّظائرُ

يُعجِّلُ لي مِنْ قَصْدِهِ كلَّ بَدْرةٍ ... أُعاجِلُ قُصَّادي بِها ، وأُبادِرُ[3]

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « إنَّهُ على رجعِهِ لقادرٌ ، يومَ تُبلى السَّرائر » (سورة الطارق ٨٦/ ٨ ، ٩) . والسرائر : جمع سريرة ، وهي السر الذي يكتم ، ومايسره الإنسان من أمره ، ومعناها في الآية الضمير والنية .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى « فألقى موسى عصاهُ ، فإذا هي تلقفُ مايأفِكون ، فألقيَ السحرةُ ساجدين » (سورة الشعراء ٢٦/ ٤٥ ، ٤٦) .

(٣) بَدْرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار .

وتَبْني مَعاليهِ ، وتَهــــدِمُ مالَهُ كِرامُ السَّجايا وَالفُتيُّ الشَّواجِرُ
بِناءٌ ، بِهِ رَسْمُ المَظالِمِ دارِسٌ وَهَدْمٌ ، بِهِ رَبعُ المَكارِمِ عامِرُ
مَليكٌ بألطافِ الجَلالِ أَمَدَّهُ إمامٌ ، بِأمرِ اللهِ وَالنَّهْيِ ، طاهِرُ
رَسولٌ ، إلينا مِنهُ بالفَضْلِ ، وارِدٌ وآخَرُ فينا عنهُ بالسُّولِ صادِرُ
فَإنْ كانَ مُنْضَماً إليْكَ اصْطِفاؤهُ فَفي نَصْرِهِ انضَمَّتْ إليكَ العَساكِرُ
أَبَتْ لَكَ هَجْرَ الحَرْبِ نَفْسٌ أَبيَّةٌ تُكافِحُ عَنْ عَلْيائِها ، وتُساوِرُ
وعَزْمَةُ لَيْثٍ يُلْجِمُ الأُسْدَ حَوْلَهُ جِيادُ المَذاكِي[1] وَاللُّيوثُ[2] القَساوِرُ[3]
عَذَبْتُ[4] مَــــديحي عَنْ سِواكَ لأنَّهُ
إلَيْكَ انْتَهتْ ، دُونَ الأنامِ ، المَفاخِرُ
فَلا زِلتَ بِالأشعارِ مِنّا مُؤَمَّلاً مُعَظَّمَةً للهِ مِنْكَ الشَّعائِرُ

١٢٣

وقالَ[5] :

وَمُعْرَبِ اللَّفظِ لي مِنْ نَحْوِهِ أَبَداً حَذْفٌ وَصَرْفٌ وَإعلالٌ وَتَنْكيرُ

(١) المذاكي : جمع مذكي . وهو ماتم سنه وكملت قوته من الخيل ، وأتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .
(٢) القساور : جمع قَسْوَرَة وهو الأسد .
(٣) في الديوان : (والليث القساور) ، والصواب ما أثبتناه وهو (والليوث القساور) لصحة المعنى واستقامة الوزن .
(٤) عَذَبْتُ : عَذَبَ عن الشيء وأعْذَبَ واستعذب أي كف وأضرب وامتنع .
(٥) الوافي : ١ ، ٤ ؛ والذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

[وَجْدي بِهِ وافِرٌ، وَالدَّمعُ مُنْسَرِحٌ وَالصَّبْرُ وَالغَمْضُ مَنْقوصٌ وَمقصورُ
وَحُسْنُهُ كامِلٌ وَالعَهْـدُ مُقْتَضَبٌ وَالْوَصْلُ وَالصَّدُّ مَقْطوعٌ وَموفورُ] (١)
وَلَحْظُهُ ساكِنٌ ، وَالقَدُّ مُنْتَصِبٌ وَالقُرْطُ مُرْتَفِعٌ ، والمِرْطُ مَجْرُورُ (٢)

١٢٤

وَقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ :

خَلِّ عَذْلي عَلىٰ الهَوىٰ ، فَهُوَ عُذْري لَيْسَ يُجْدي فيهِ مَلامِي وَزَجْري
لَوْ تَعَشَّقْتَ ما تَعَشَّقْتَ نَهْيي عَنْ غَرامي ، وَقَدْ تَحَقَّقْتَ أَمْري
قَدْ ، لَعَمْرِي ، زادَتْ بَلابِلُ قَلْبي فَأَصَمَّتْ عَنْ قَوْلِ زَيْدٍ وَعَمْرو
كَمْ تَبَرَّمْتُ مِنْ رَقيبي بِأُحْدٍ وَتَرَوَّحْتُ مِنْ حَبيبي بِبَدْرِ
سادَتي ، أَنْتُمْ نِهايَةُ قَصْدي لا أُرَجِّي مِنْ غَيْرِكُمْ كَشْفَ ضُرِّي
أَظْلَمَ الصُّبْحُ وَالْمَساءُ بِطَرْفي مُذْ نَأَيْتُمْ بِنُورِ شَمْسي وَبَدْري
نُصْبَ عَيْني خَيالُكُمْ ، فَأَعيدوا خَفْضَ عَيْشي ، وَعاوِدوا رَفْعَ قَدْري
لَسْتُ أَغْنىٰ عَنِ افْتِقاري إِلَيْكُمْ كَيْفَ أَغْنىٰ ، وَذٰلِكَ الفَقْرُ فَخْري ؟

---

(١) استدركنا البيتين الثاني والثالث من الذيل (و ١٣٧) .
(٢) في الوافي : (فلحظه) .

نَضَبَتْ عَبْرَتِي ، فَقَلَّتْ وُشَاتِي وَتَوَلَّى السَّقَامُ إِفْشَاءَ سِرِّي

لَيْتَ شِعْرِي مُسْتَوْعِبٌ وَصْفَ بَلْوا يَ ، وَمَاذَا يُفِيدُنِي لَيْتَ شِعْرِي ؟

١٢٥

وَقَالَ ، يَمدَحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ[*] ، وَيُهَنِّئُهُ بِقُدُومٍ مِنْ غَزَاةٍ :

وُفِرَتْ يَدَاكَ ، وَدُمْتَ يَا خَيْرَ الوَرَى مَلِكاً عَلَى كُلِّ المُلُوكِ مُظَفَّرا[1]

وَقَدِمْتَ أَغْنَمَ قَادِمٍ ضَمِنَتْ لَهُ غُرُّ العَزَائِمِ أَنْ يَفُوزَ وَيُنْصَرا

مِنْ بَعْدِ مَا جَاسَتْ جُيُوشُ الرُّومِ فِي أَرْبَاضِ خَرْشَنَةَ القَدِيمَةِ وَالقُرَى[2]

وَتَأَشَّبَتْ بِفَوارِسٍ لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِطَيْفِ أَبِي فِراسٍ مَا سَرَى[3]

أَغْنَاكَ عَنْ فَتَكَاتِ جَيْشِكَ فِيهِمُ جَيْشٌ كَثَرْتَ بِهِ العَدِيدَ الأَكْثَرَا[4]

غَرَّرْتَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّكَ مُوقِنٌ أَنَّ الحُتُوفَ تَحِيدُ عَمَّنْ غَرَّرَا

(★) هو الملك المظفر الثاني ، تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) وُفِرتْ : يقال وَفَرْتَه عرضَه وفراً إذا أثنيت عليه ، ولم تعبه ، وفي المثل : « تُوفر وتُحمد » أي يُصان عرضك ، ويُثنى عليك .

(٢) خَرْشَنَة : بلد قرب مَلَطية من بلاد الروم ، وقد غزاه سيف الدولة بن حمدان وذكره المتنبي وغيره في شعرهم .

(٣) تأشّبوا : اجتمعوا من هنا وهناك أو اختلطوا .

(٤) كَثَرتَ : يقال كَثَر الرجل غلبه في الكثرة ، ومنه كاثره فكثره ، أي كان أكثر منه .

وَهَزَزْتَ مِنْ أَعطافِ رُمْحِكَ بَيْنَهُمْ ... غُصْناً بِهاماتِ الفَوارِسِ ، مُثْمِرا

يَوْمٌ تَضَمَّنَ كُلَّ يَومٍ قَبْلَهُ ... مَجْداً ، و«كُلُّ الصَّيدِ في جَوْفِ الفَرا»[1]

صادَمْتَهمْ طَوْداً ، ورُعْتَهُمْ رَدَى ... ومَضَيْتَ صَمْصاماً ، وصُلتَ غَضَنْفَرا

وعَنا مَليكُ الرومِ مِنْكَ لِهُدْنَةٍ ... حَقَنَتْ دِماءَ كُماتِهِ أَنْ تُهدَرا

قاتَلْتَ عَسْكَرَهُ قِتالَكَ واحداً ... ولقيتَهُ فَرْداً ، فظَنَّكَ عَسْكَرا

وَرآكَ في سِلْمٍ ، فأَقْبَلَ مُقْبِلاً ... ولو أَنَّهُ في الحَرْبِ أَسْرَعَ مُدْبِراً

مازالَ يَسْمعُ عنكَ أَمراً هائلاً ... حتى رَآكَ ، فَهالَهُ ما أَبْصَرا

أَخجَلْتَهُ عِلْماً وعَزْماً ماضِياً ... فأَصابَ مِنْكَ الخَضْرَ والإسكندَرا

وفَضَلْتَ مَشْكورَ الصَّنائعِ في العِدا ... والأَقربينَ ، وحقُّها أَنْ تَشْكُرا

هِمَمٌ بَعَثْتَ ، فكَلَّفَتْكَ عظائماً ... كَلَّفْتَهُنَّ المُقْرَباتِ الضُمَّرا[2]

تَخْتارُ مِنْها كُلَّ بَحْرٍ سابحٍ ... لِيَشُقَّ بَحْراً مِنْ نجيعٍ أَحْمَرا

لولا غَرامُكَ بالحُروبِ وخوضِها ... بارَتْ ، ورُبَّ نَفيسةٍ لا تُشترَى

(١) مثل عربي مشهور ، أصل معناه أنه أعظم صيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيد . ومعناه هنا أن هذا اليوم الأغر يغني عن كل يوم قبله لما فيه من ظفر . (مجمع الأمثال ج ٢ ص ٦٩) .

(٢) المقربات : جمع مُقْرِبة ، وهي الفرس التي تدنى وتكرم ولا تترك ، والضمَّر جمع ضامر وضامرة . ويقال : فرس ضامرة أي دقيقة الخصر والبطن ، وتطلق على الفرس الدقيق الحاجبين أيضاً .

فصِلِ الوَغى ، أَو صُدَّ عنها ، إِنَّهُ ... بادٍ هواكَ ، صَبَرْتَ ، أَو لم تَصْبِرا

وأَراكَ أَشجعَ ذا الأَنامِ وليس في الـ ... أَقـــوامِ إلا مَنْ يراكَ كما أَرَى

أَنْتَ المَليكُ الأَريحيُّ المُتَّقى ... بِجِوارِهِ جَوْرَ الزَّمانِ إذا عَرَا

حَكَمَتْ خَلائقُهُ الكَريمَةُ أَنَّـهُ ... لاخَلْقَ يشْفَعُ في الوَرَى ما أَوْترا

لازالَ يَحيـــا خالداً ، ويَمُدُّنا ... مِنْ فَضْلِهِ في كلِّ يَومٍ جَعْفَرَا[1]

يا مَنْ تبرَّعَ بالثَّراءِ مُوفَّـــراً ... لَمَّـــا نَذَرْتُ لهُ الثَّناءَ مُحـرَّرا ل 34/و

اسْمَعْ لَكَ النُّعْمَى الأَوانسُ مِدْحَةً ... عذراءَ أَنَّسَهَا نَـداكَ ، ونَفَّرَا

ولَقَدْ مَدَحْتُكَ مُكْثِراً بأَقلَّ مـا ... فَعَلَتْ يداكَ ، فكُنْتَ مِنِّي أَشْعَرا

١٢٦

وقالَ يمدحُهُ بديهاً[2] ، ويَذْكرُ الثّلوجَ :

لِلهِ أَيَّامٌ ، تَوَفَّـرَ وَفْدُهـــا ... فَتَحلَّتِ الشَّجرُ العواطلُ بالثَّمرْ

حَيَّتْ بِلَوْنٍ واحدٍ مِنْ زَهْرِهَا ... لكنَّها وَعَدَتْ بأَلونٍ أُخَـــرْ

بَعَثَتْ بِرَجْلِ جَرادِها أَيدي الصَّبا ... حتى حَسِبْتَ النَّارَ تَرْمي بِالشَّرَرْ

وَجَرَتْ سُيولٌ مِنْ عجائبِ بَحْرِهَا ... أَنِّي رَأَيتُ بِهـا جُمادَى في صَفَرْ

تَقْوَى على ضَعْفي ، فبينَ أَضالعي ... والبَرْدِ ما بَيْنَ المُظَفَّرِ والظَّفَرْ

(١) جَعْفَر : النهر الكبير أو الصغير أو الجدول .

(٢) ممدوحه السابق الملك المظفر الثاني ، تقي الدين عمر ، وقد سبقت ترجمته .

مَلِكٌ تَدينُ لهُ المُلوكُ كأنَّها الـ ـدَّهرُ العَصِيُّ ، إذا نَهى ، وإذا أَمَرْ
ذي هِمَّةٍ جاشَتْ بجيشِ عزائمٍ هنَّ القَضاءُ ، بما تحاولُ ، والقَدَرْ
يُخفِي ضياءَ الشَّمسِ نَقْعُ خَميسِهِ وتُنيرُ غُرَّتُهُ ، «وهَلْ يَخْفَى القَمَرْ ؟» (١)
قَهَرَ الزَّمانَ سُطاً ، وأَوسَعَ أَهْلَهُ عَدْلاً ، ولا عَمْروٌ هُناكَ ، ولا عُمَرْ
فليُبْشِرِ العافي ، فإنَّ عطاءَهُ خيرُ العَطاءِ لأنَّهُ خيرُ البَشَرْ

١٢٧

وقالَ :

أَيُّها الرِّيقُ مِنْ شُكُرْ ! سُكَّرٌ أَنتَ أَمْ سَكَرْ ؟ (٢)
أَرْشَفَتْنِيكَ غـادةٌ تَقْمُرُ الشمْسَ والقَمَرْ (٣)
سَحَرَتْني لحاظُهـا مِنْ عِشاءٍ إلى سَحَرْ
وَعَدَتْني عَنْ الوِصا لِ عوادٍ مِنَ الكِبَرْ
لم يَدَعْ شيبُ لِمَّتي لِيَ ذِكْراً ولا ذَكَرْ

---

(١) إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

قُلْنَ : تعرِفْنَ الفتى ؟ قُلْنَ: نعم قد عرفناهُ وهل يَخفَى القَمَرْ ؟

(شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، ص ١٤٣)

(٢) شكر : جمع شكير ، وشُكُر الكرم قضبانه الطوال ، أو الأعالي ، وقال أبو حنيفة: الشكير الكرم يغرس من قضيبه . وربما كان شكر اسم للمرأة التي يتغزل بها الشاعر .

(٣) تقمر : تغلب .

١٢٨

وقالَ :

لنا مَلِكٌ ، جمُّ النَّوالِ غزيرُهُ به شَرُفَتْ أيّامُهُ وشُهورُهُ
إذا عُرِضَ الهُلّاكُ قلَّ نُضارُهُ وإنْ عُرِضَ المُلّاكُ قَلَّ نظيرُهُ
ويَصْنعُ في الأكبادِ ثعْلَبُ رُمْحِهِ فيَخفُتُ منْ لَيْثِ القرينِ زَئيرُهُ (١)
ويُورِدُ أحواضَ المَنايا جِيادَهُ لأَمرٍ عليهِ أنْ يَتِمَّ صُدورُهُ

١٢٩

وقالَ ، يَمْدحُ الملكَ النَّاصرَ(*) ، ويَصِفُ دِمَشْقَ :

ل 34/ ظ

نَوالُ الزَّمانِ لَنا غامِرُ ومَغْنى السُّرورِ لَنا عامِرُ
ونَحْنُ منَ العِشقِ في لُجَّةٍ يُؤَجِّجُها النَّظَرُ الفاتِرُ
وكُلُّ حبيبٍ لَنا واصِلٌ وكُلُّ عَذولٍ لَنا عاذِرُ
ومَجْنَى لُباناتِنا دائِمٌ فأوَّلُهُ مالَهُ آخِرُ (٢)
ومَوْطِنُ أفْراحِنا « جِلَّقٌ » وسُلْطانُنا المَلِكُ النَّاصِرُ
مَقَرٌّ يَلَذُّ بِهِ النَّازِلونَ ومُلْكٌ يَعِزُّ بِهِ الزَّائِرُ

(*) هو الملك الناصر الثاني ، صلاح الدين يوسف بن العزيز ، وقد سبقت ترجمته .
(١) ثعلب الرمح : طرفه الداخل في جبّة السنان .
(٢) لبانات : جمع لُبانة وهي الحاجة من غير فاقة ولكن من همة .

فأنهارُهَا جاريات الرَّحيقِ وبحرُ مَواهِبــهِ زاخرُ
ويَفْضَحُ ريّا رُباها العَبيرُ ويَفْضَحُهَا نشرُهُ العاطِرُ
لنـا مِنْ أزاهرِهـا أَنْجُمٌ ومِنْ وَجْهِهِ قَمَرٌ زاهِرُ
وتَصْدَحُ أطيارُها باللُّحونِ ويُعرِبُ عن مَدْحِهِ الشّاعِرُ
وأُنْسُ المُقيمِ بِها كامِلٌ وحَظُّ المُرَجّي لَهُ وافِرُ
وأسْحارُ ألحاظِ غِزْلانِها ينافثُها[1] لفظُهُ السَّاحِرُ
وفي كلِّ خِدْرٍ بها شادِنٌ وفي خِيسهِ[2] أَسَدٌ خادِرُ[3]
ويُعلي جُدودَ بَنيها نَداهُ ويَعلو بهِ جَدُّهُ الظَّاهِرُ[4]
مَليكٌ يَميرُ الوَرَى أنعُماً يُهَنِّي بِها الوارِدَ الصَّادِرُ
عَظيمُ التَّواضعِ في عِزَّةٍ حَليمٌ، على أنَّـهُ قادِرُ
ويُفْصِحُ، عن مَجْده، باقِلٌ[5] ويَسْمَحُ، مِنْ رِفْدِهِ، مادِرُ[6]

(١) ينافثها : نفث الشيء رمى به ، ونفث ريقه ، وكثيراً ما يكون النفث عند الرقية ، والنفاثات في العقد هن السواحر .

(٢) الخيس : عرين الأسد وموضعه .

(٣) الخِدْر : ما يفرد للجارية من المسكن أو هو الستر الذي يمد لها . وتأتي الخِدْر بمعنى أجمة الأسد ، ومنها القول أسد خادر ، أي مقيم في خدره وعرينه .

(٤) الظاهر : جــده الثاني غياث الدين غازي الأول ملك حلب المتوفى سنة ٦١٣ هـ (انظر الملحق الثالث) .

(٥) باقل : اسم رجل يضرب به المثل في العيّ ، وفي الأمثال: « إنه لأعيا من باقل » ، وهو اسم رجل من ربيعة، وكان عيّاً فَدماً .

(٦) مادر : هو جد بني هلال بن عامر بن صعصعة ،وفي الأمثال « ألأم من مادر » لأنه سقى إبله ، فبقي في أسفل الحوض ماء قليل ، فسلح فيه ومَدَرَ به حوضه بخلاً أن يُشرب من فضله.

وفي الصَّومِ والفِطْرِ مِنْهُ بَدَا لأكبادِ أعدائـهِ فاطِرُ
ومَهْما أَقَمْتُ بأبوابـهِ فشِعْريَ في مَدْحِهِ سائرُ

١٣٠

وقالَ :

عانَقْتُهُ ، فانْتَشَيْتُ طِيْباً يَزِيدُ عن طيبِ كُلِّ نَشْرِ
بوَرْدِ خَدٍّ ، ومِسْكِ خالٍ وخَمْرِ رِيقٍ ، ونَوْرِ ثَغْرِ

١٣١

وقالَ ، مِنْ أبياتٍ ، يَفْتَخِرُ :

نُفَّرٌ كالحُمُرِ المُسْتَنْفِرَهْ أجْفَلَتْ هارِبَةً مِنْ قَسْوَرَهْ
طلبُوا شَأْوِي ، ولَمَّا يَلْحقوا بعدَ لَأْيٍ مِنْ غُبارِي أَثَرَهْ
مَنْ يُسالِمْني أُسالِمْهُ ومَنْ رامَ حَرْبِي ، فإليهِ المَعْذِرَهْ
وأبِي مَنْ قَدْ علِمْتُمْ قَدْرَهُ مُجْهِزٌ بالخُطْبَةِ المُسْحَنْفِرَهْ[1]
مَنْ يُشاجِرْهُ يُصادِفْ قَومَهُ جَلَّ مَنْ بايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَهْ[2]

---

(١) المسحنفرة : يقال اسحنفر الرجل في خطبته أي : مضى واتسع في كلامـه ، ولم يتمكث .

(٢) إشارة إلى ما أثر عن الرسول ﷺ في الحديبية أن مناديه نادى والناس قائلون : البيعةَ ، البيعةَ ، نزل روح القدس ، فهرعوا إليه ، وكان عددهم أكثر من ألف وثلثمائة ، فبايعوه تحت سمرة على الوفاء ومناجزة قريش . وقد أنزل الله ذكر هذه الحادثة في كتابه الكريم : « لقد رضي اللهُ عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً » (سورة الفتح ١٨/٤٨) .

منْها :

أَوْحدَتْني فَرَطاتٌ[١] جَمَّةٌ رَحْمةُ اللهِ ، لَها مُدَّخرَهْ
إنْ يُعذِّبْ ، فأَنا أَهْلٌ لهُ أو يُسامِحْ ، فَهْوَ أَهْلُ المَغْفِرَهْ

١٣٢

ل 35/و وقالَ يَمدحُ الملِكَ المظفَّرَ(*) ، ويُهنِّئُهُ بفَتْحِ « آمِدَ » وقُدومِهِ :

قُدومٌ بِما أَمضاهُ مِنْ حُكْمِكَ الدَّهرُ يَتِمُّ بعُقْباهُ لَكَ الفَتْحُ والنَّصْرُ
وغُرُّ مساعٍ لم يَحُزْها مُملَّكٌ لَكَ الحَمْدُ ، بعدَ اللهِ فيهنَّ ، والشُّكْرُ
دَعاكَ سَميُّ المصْطَفَى ونَصيرُهُ لإعزازِ دينِ اللهِ ، إذْ كادَهُ الكُفْرُ
فلبَّيْتَهُ بالنَّصرِ قَبْلَ دُعائِـــهِ وأَوْفَيْتَ ، لا عُذْرٌ هُناكَ ولا غَدْرُ
بلغتَ مَدَى علياءَ مِنْ فَتْحِ « آمِدٍ » يُغنّي بِها حَضْرٌ[٢] ، ويَحْدو بهاسَفْرُ[٣]
أَدلْتَ بِها للكاملِ المَلْكِ دولةً فكانَ لهُ إحرازُها ، ولَكَ الفخْرُ[٤]
تَلاقَى عليها كامِلٌ ومُظَفَّـرٌ كما يَتَلاقَى الهُنْدُوانيُّ والنَّصْرُ[٥]

(*) هو الملك المظفر الثاني محمود بن المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .
(١) فرطات : جمع فَرْطة يقال : فَرَطَ في الأمر فرطاً أي قصَّر به وضيّعه .
(٢) حَضْر جمع حاضر المقيم في المدن والقرى ، وهو خلاف البادي .
(٣) والسفر جمع سافر أي المسافر .
(٤) خاله الملك الكامل صاحب مصر .
(٥) الهُندواني : أي السيف الهُندواني ، نسبة إلى الهند حيث يصنع فيها .

سَبَقْتَ إليها العَسْكَرَ المَجْرَ فارعاً ... رعايا لَها مِنْ غيرِكَ النَّظَرُ الشَّزْرُ

وصابَرْتَها بالزَّحفِ يوماً ولَيْلَةً ... لِتَعْجَبَ مِنْ أفعالِكَ الشَّمسُ والبدْرُ

وأَنْزَلْتَ مَنْ فيها على حكمِكَ الّذي ... بإبرامِهِ يُستَحكَمُ النَّفعُ والضُّرُّ

لكَ الأَمرُ في كلِّ الخلائقِ نافذٌ ... قضاءُ قضاهُ مَنْ لهُ الخَلْقُ والأمرُ

فتيهاً على الأَملاكِ يا ابْنَ مُحمَّدٍ ... بصَوْنِ دِيارٍ، لم يَصُنْ مُلْكَها بِكْرُ(1)

وإنْ شارَكُوا بالقَوْلِ في بَعْضِ شَأْنِها ... فَحسبُكَ ما خصَّتْكَ فعلتُكَ البِكرُ(2)

لقد هالَهُمْ عنكَ المُخَبِّرُ قَبْلَها ... فأَغناهُمُ فيها عن الخَبَرِ الخُبْرُ

وقد عَلِمُوا في يومِ «أفْيونَ» ما نَحَتْ ... قَناكَ، ولا زيدٌ هناكَ، ولا عَمْرُو(3)

عَمَمْتَ الرَّعايا والبِلادَ فَواضِلاً ... بِها كُلُّ ثَغْرٍ عن ثَنائِكَ مُفْتَرُّ(4)

لَكَ اللهُ مِنْ مَلْكٍ كريمٍ مُظفَّرٍ ... بِشِدَّتِهِ واللّينِ يُستَعْبَدُ الحُرُّ

يُنيلُ، فلا مالٌ يُقِلُّ، ولا عُلاً ... ويسطو، فلا بَرٌّ يُقِلُّ، ولا بَحْرُ

عَليمٌ بِقَدْرِ المالِ والنَّفْسِ، باذلٌ ... لَدَى الجُودِ والهَيْجاءِ ما يَبْذُلُ الغِرُّ

تُرَى خيلُهُ دُهْماً وشُقْراً إذا غزا ... من الدَّمِ حتى تُجْهَلَ الدُّهْمُ والشُّقْرُ

---

(1) بِكر ابن بكرين أي أشد الناس.

(2) يقال الضربة البكر الشديدة التي لا تُثنّى، وكانت ضربات عليٍّ أبكارا.

(3) في الديوان: (يوم أمنون)، وصوابها (يوم أفيون)، وهي قرية بالقرب من حماة على طريق «بارين»، وقعت فيها معارك بين المسلمين والفرنجة، ولم يشر إليها ياقوت في معجمه.

(4) افترَّ: ضحك ضحكاً حسناً، وأصله من الفرّ لا الفتر.

وما فَرَّقَتْ بَيْنَ الظِّبَا وغُمودِها ... سَراياهُ إلّا والتّقَى الذِّئبُ والنَّسْرُ
يُقَصِّرُ عنهُ الغَيثُ واللَّيثُ نائلاً ... وبأساً، وعن أوصافِهِ النَّظمُ والنَّثرُ
فإنْ كانَ مَدْحي ليسَ مَبْلَغَ مُنْتَهى ... عُلاهُ، فمَبْسوطٌ لقائلِهِ العُذْرُ

١٣٣

وقالَ يَمْدحُ المَلِكَ الأَمْجَدَ (*) :

هُوَ الحبُّ، لا وَصْلٌ يدومُ، ولا هَجْرُ ... ولا حُلْوُهُ حُلْوٌ، ولا مُرُّهُ مُرُّ
كذلكَ حالي فيهِ غيرُ جَلِيَّةٍ ... فلا ناصحٌ عَذْلٌ، ولا واضحٌ عُذْرُ
تَقولُ ابْنَةُ القَيْسيِّ سَلْمَى لِتِرْبِها : ... أهذا الفتَى الأوسيُّ (١)، شيمتُهُ الغَدْرُ
أيُفْشِي إلى زيدٍ وعَمْرٍو حديثَنا؟ ... ولولا الضَّنَى لمْ يَدْرِ زَيْدٌ ولا عَمْرُو
فقالتْ: لعَمْري! إنَّه، ما علمتُهُ، ... لحرٌّ، وسرُّ الحرِّ يكتمهُ الحرُّ
ولكنْ محبٌّ ضيَّعَ السُّقْمُ جسمَهُ ... فغَيْرُ بَديعٍ أنْ يضيعَ لَهُ سِرُّ
يُهَدِّدُهُ أهلوكِ ما فَوْقَهُ النَّوى ... ويَسْأَلُهُ واشوكِ مادونَه الحَشْرُ
لِيَصْغُرَ في عَيْني عَظيمُ ذُنوبِها ... ويَعْظُمَ في عَيْنَيَّ نائِلُها النَّزْرُ
تَجَنَّتْ. فقُلْتُ: الخَمْرُ أقْصاهُ حِيرَةٌ (٢) ... وحَيَّتْ، فقُلْتُ الغَيثُ أوَّلُهُ قَطْرُ

(★) هو الملك الأمجد بهرام شاه، وقد سبقت ترجمته.

(١) أشار الشاعر في نسيبه إلى أصله الأوسي.

(٢) في الديوان (الحمر) و (حيره)، والصواب ما أثبتناه.

وَحَبَّبَنِي لِلأَمْرِ والنَّهْي حُبُّهـــا وقد كُنْتُ لا نَهْيٌ عَلَيَّ ، ولا أَمْرُ

غُلاميةٌ[١] بِكرٌ ، كَأَنَّ لِحاظَهـا مِنَ الأَمْجَدِ السُّلطانِ قافيةٌ بِكرُ

فتىً بشَّرَ الأَضحَى بتَخْليدِ مُلْكِهِ فأَضحَى وللبُشْرَى ، على وَجْهِهِ بِشْرُ

فيَفْعَلُ بالبُلْدانِ ما يَفعلُ الحَيَـــا ويَصْنعُ بالآمالِ ما يَصْنعُ الدَّهرُ

مواهبُهُ نَهْبٌ ، وأَعراضُهُ حِمَىً وآباؤهُ صِيْدٌ ، وأَبنـــاؤهُ غُرٌّ

أَخا الجُودِ ،أَعْدَتْني يَداهُ،وجَادني بِمـا يَغْمرُ القُصَّادَ ، نائلُهُ الغَمْرُ

لُهـــاً بالغِنَى يَفْضي إليَّ ولا غِنَىً وَجودٌ يُحُلُّ الفقرَ عندي ، ولا فَقْرُ

فجودُكَ مُستَنٌ على مُهَجِ النَّدَى[٢] وإن كَلَحتْ حَرْبٌ فسِنُّكَ مُفْتَرُّ

ونارُكَ مِنْها تَحْرُقُ المَحْلَ والعِدَا ونورُكَ مِنْهُ تُشرِقُ الشَّمْسُ والبدرُ

لكَ العَسْكرُ المَجْرُ الَّذي جاشَ بَحْرُهُ فغُرِّقَ في ضَحْضاحِهِ العَسْكرُ المَجْرُ[٣]

سَماطيرُهُ مِنْ رِفعَةِ الخَيْلِ والقَنا وفُرْسانُهُ حتى الْتَقى النَّسْرُ والنَّسرُ

ورُبَّتَما[٤] أَوطأْتَهُـــنَّ جَحافلاً سَنابِكُها مِنْ صَبْغِ أَلْوانِهِمْ صُفْرُ

---

(١) غلاميّة : من الغُلمة ، وهي في الأصل مجاوزة القدر في الشهوة أو شدتها . ومنها الغُلومة والغُلومية والغُلامية ، ومنها الغيلم وهي المرأة الحسناء أو الجارية المغتلمة .

(٢) في الديوان (الندا) .

(٣) المجر : الجيش العظيم المجتمع ، وجيش مجر كثير جداً .

(٤) رُبَّتما : رُبَّ ورُبَّة ورُبَّما ورُبَّتما بضمهنّ مشددات ومخففات وبفتحهن كذلك حرف خافض .

بِضَرْبٍ أَطارَ الخوفُ منهُ دِماءَهُمْ فلا التُّرْبُ مَحْمودٌ، ولا الجوُّ مُغْبَرُّ

هَنيئاً لعيدِ النَّحْرِ أسفارُ مَوْسِمِيٍّ نَدًى وهُدًى يَنْوي ثوابَها السَّفْرُ

ففي «بَعْلَبَكٍّ» بَيْتُ مالٍ لراغبٍ وفي مُلْكِهِ للزَّاهدِ البيتُ والحُجْرُ

أَتاكَ، وقد أَوْدَتْ عِداكَ، فكانَ مِنْ كرامتِهِ أَنْ يُنْحَرَ المالُ والجُزْرُ

ل 36/و ومِثْلُكَ لم يَنْحرْ حَسوداً، وإنَّما طَريقتُكَ المُثْلى لحاسِدِكَ النَّحرُ

رَفَعْتَ ذوي الإعراب مِنْ بَعْدِ خفضِهِمْ

فأَثْنَى عليكَ الرَّفعُ والنَّصْبُ والجَرُّ

وقَصَّرَ عَنْكَ اللَّيثُ والنجمُ والحيا فطالَ لَكَ الإفضالُ والفَضْلُ والعُمْرُ

١٣٤

وقالَ[١] يَمْدَحُهُ، ويُهَنِّئُه بالعيدِ:

في كلِّ يومٍ مَوسِمٌ يَتَكَرَّرُ بفَخارِكَ الأَسْنَى، وعيدٌ أَكْبَرُ

ومناقبٌ تُبْنَى وسَعْيٌ يُرْتَضَى ومَكارِمٌ تُحْيَا وبُدْنٌ[٢] تُنْحَرُ

(١) يمدح الشاعر في هذه القصيدة الملك المظفر الثاني، صاحب حماة، لا الملك الأمجد بهرام شاه، صاحب بعلبك، ممدوحه السابق، وقد تأكد لنا ذلك واتضح في البيت الثالث، إذ ذكر (تقي الدين)، وفي البيت السادس اسم والده (المنصور)، وفي البيت الحادي عشر ذكر (حماة) حاضرة ملك الممدوح، و (وعاصيها) نهر العاصي.

(٢) بُدْن: جمع بَدَنة، تقع على الناقة والبقرة والبعير الذكر مما يجوز في الهَدْي والأضاحي، فتهدى إلى مكة. وفي التنزيل العزيز «والبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله».

أَبْشِرْ ، تقيَّ الدينِ ، بالعيدِ الذي ... بدوامِ ملكِكَ ، لا يزالُ يبشِّرُ
لِدُنا عَبيدِكَ كُلُّ سَيْبٍ يُصطفَى ... ولِدِينِ رَبِّكَ كلُّ سَيْفٍ يُشْهَرُ
لله ! كَمْ مَلِكٍ رَدَدْتَ بِغَيظِهِ ... خَزْيانَ يَنْهى الدَّهرَ فيهِ ويَأْمُرُ
قُلْ لِلْكماةِ إذا تَخاذلَ صدُّها ... بِسُطَا فتَى المَنْصورِ عُوذُوا تَنْصَروا
مَحْمودٌ المَحْمودُ خِيماً[1] دائماً ... وسِواهُ مَوْصوفٌ يُذَمُّ ويُشْكَرُ
مَلِكٌ تَقِرُّ له المُلُوكُ بِسَوْرَةٍ ... عَلْياءَ يَنْقُضُ أَمْرَها ويُقَرِّرُ
يَخْضَرُّ مُسْمرُ الوَشيجِ[2] بِكَفِّهِ ... رِيّاً ، ويَحْمَرُّ الحَديدُ الأَخضَرُ[3]
سَبَقَ المعاذِرَ جودُهُ وجلالُه ... عِلْماً بأنَّ نظيرَهُ لا يُعذَرُ
يامالِكاً ، حُميتْ « حماةُ » بهِ ، كما ... عُمِرَتْ بمَعْروفٍ له لا يُنْكَرُ
آسَيْتَ واديَها ، وقُمْتَ بِحفْظِها ... فَهِيَ العَرينُ ، وأَنْتَ لَيْثٌ مُخْدِرُ[4]
أَمَّنْتَنا فيها ، فقُلْنا : جَنَّةٌ ... وأَطاعَ عاصيها ، فقُلْنا : الكَوْثَرُ
لا زِلْتَ مَلْكاً للثغورِ مُحصِّناً ... أَبداً تُعمِّرُها كذا ، وتُعمَّرُ
فلَرُبَّ مُعْضِلةٍ كَفَيْتَ ، ونِعْمَةٍ ... أَوْلَيتَ ، يُحْرِزُها المَهيضُ[5] فيَجبرُ

(١) الخَيْم والخِيَم : الشيمة والطبيعة والخلق والسجية ، وقيل : سعة الخلق .

(٢) الوشيج : الرمح ، وهو في الأصل اسم يطلق على شجر الرماح .

(٣) في اللسان أن العرب تجعل الحديد أخضر والسماء خضراء .

(٤) مخدر : يقال أخدر الأسدُ إذا لزم الأجمةَ فهو مخدِر بالكسر ، وأخدر العرين الأسد إذ ستره ، فهو مخدَر بالفتح .

(٥) المهيض : يقال في الأصل هاض العظم يهيض أي كسره بعد الجبور ، وهو مهيض وقد أطلق على من حلت به المصائب .

وصُروفِ دهرٍ أسلَمَتْني للرَّدى ... فصَرَفْتَها بِصنائعٍ لا تُكْفَرُ
مِنْ رتبةٍ فَوق النُّجومِ شفَعْتَها ... بِمواهبٍ ، مِنْ دونِهِنَّ الأبْحرُ
فلْيَتْحِفَنَّكَ خاطري بِقَلائدٍ ... وقْفٌ عليكَ مزيدُها المتخيَّرُ

١٣٥

وقالَ(١) ، وقَدْ اقْترحَ عليهِ قَصيدةً عاطِلةً :

مُوَلَّهٌ لِعُهودِ اللَّهوِ مُدَّكِرُ ... لولا مدامعُهُ ما أهمِلَ المطَرُ
لكلِّ مَكْمورةٍ آراءُ ساحِرها ... سُحَّارُ مصرٍ أطاعوهُ وما سَحَرُوا
حارَ المُسَهَّدُ لمَّا سارَ مَحْمَلُها ... مُودِّعاً ، وهو لا وِرْدٌ ولا صَدَرُ
ومَهْمَهٍ طامسِ الأعلامِ مَسْلَكُهُ ... وَعْرٌ . وسالكُهُ إسعادُهُ عَسِرُ
أعادَ أوعارَه سَهْلاً مُعاوِدةُ الْـ ... حُداةِ مَدْحَ هُمامٍ حَمْدُهُ عَطِرُ
دَعَّاءُ سُؤَّالِهِ سُورٌ لأسْعُدِهِ ... وحَمْدُهُ لهمْ طُولَ المَدَى سُوَرُ

١٣٦

وقالَ(٢) ، وقد حُجِبَ :

يا مَلِكاً ، تَخْضعُ المُلوكُ لَهُ ... إنْ غابَ عنْ دارِها ، وإنْ حَضَرا

---

(١) نظن أن ممدوحه الذي اقترح عليه نظم هذه القصيدة العاطلة هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته ، إذ كان شاعراً ، وله ديوان شعر مخطوط .

(٢) ممدوحه الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته ، وفي البيت الثالث إشارة إلى اسمه .

قد حَسَدَتْ عينيَ الفؤادَ على قُرْبِكَ ، حتى أطالتِ السَّهَرا
ولَسْتُ أرْضى لعَدْلِ مَجْدِكَ أنْ يُعْطِي نُضاراً[1] ويَمْنَعَ النَّظَرا

١٣٧

وقالَ[2] ، يَسْتَعْطِفُهُ :

يا أيُّها المَلِكُ الذي في عَدْلِهِ عَدْوَى الأنامِ على الزَّمانِ الجائرِ
عَطْفاً على عَبْدٍ ، أحالَ سرورَهُ حَوْلٌ بفَقْدٍ مُؤْلِمٍ وفَواقرِ[3]
وأطارَ شَخْصُكَ بالبِعادِ فُؤادَهُ حتى قَدِمْتَ له بأيْمَنِ طائرِ
لِمَديحِ مَجْدِكَ ما يُسيِّرُ مِقْوَلي ولِمَحْضِ وُدِّكَ ما تُسِرُّ ضمائري[4]
ولقد صَبَرْتُ وكانَ قُرْبُكَ مُنْتَهى أمَلي وخَيْرُ الأجرِ أجْرُ الصَّابِرِ

١٣٨

وقالَ يَمْدَحُهُ[5] ، ويُذَكِّرُهُ برَسْمِهِ :

أمَرَتْ صِفاتُكَ عاذِلاً أنْ يَحْذَرا ونَهَتْ صِلاتُكَ وارداً أنْ يَصْدُرا

---

(١) النضار : الذهب أو الفضة .

(٢) ممدوحه الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته ، وفي البيت الرابع إشارة إلى اسمه .

(٣) الفواقر : جمع فاقرة ، وهي الداهية .

(٤) المِقْوَل : هو اللسان .

(٥) ممدوحه السابق الأمجد بهرام شاه ، ملك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .

أغْنَيْتَ عنْ كلِّ الملوكِ ببَعْضِ مـــا
تَحْوي، «وكلُّ الصَّيدِ في جَوْفِ الفَرا»[١]

جَمَعُوا، فما انتفعُوا، وجُدتَ، فَسُدْتَهُمْ ... فيما ابْتَغوهُ، فكُنْتَ أرْبحَ مَتْجَرَا

ورأوْكَ بَدْرَ هُدىً إذا جَنحَ الدُّجا ... ورأوْكَ بَحْرَ نَدىً إذا يبسَ الثَّرَى

تَحْمي الخَميسَ بِعَزْمةٍ، لو سُمْتَها ... فَرْداً كَثَرْتَ بِها العَديدَ الأكْثرَا

ومُزمَّلٍ[٢] نَشَدَ النَّجاةَ بجأْشِهِ ... وبِجَيْشِهِ، فأجَبْتَهُ: «أطْرِقْ كَرَا»[٣]

وبَسابسٍ[٤] أذْلَلْتَها بِخَوامسٍ[٥] ... بارَيْنَ في هُوجِ الرَّوامسِ[٦] في البُرَا

ثوَّرْتَها عن جَوْشَنٍ[٧]، ولِمثلِها ... عن مثلِ ذاكَ الرَّبعِ، مثلي ثوَّرا

---

(١) مثل عربي قديم، انظر مجمع الأمثال للميداني (ج ٢ ص ٦٩).

(٢) مُزمَّل: زمَّله أي لفه بثوبه ليعرق، ورجل زُمَّل وزمّيل وزمّيلة أي رذل جبان ضعيف يتزمل في بيته لا ينهض للغزو ويكسل عن مساماة الأمور الجسام.

(٣) أطرق كرا: الكرا في الأصل لغة في الكروان، ويقال له إذا صيد: «أطرق كرا إن النعام في القُرى»، وهذا مثل يضرب للرجل يخدع بكلام يلطف له ويراد به الغائلة، وقيل يضرب مثلاً للرجل يُتكلم عنده بكلام فيظن أنه هو المراد بالكلام، أي اسكت فإنني أُريد من هو أنبل منك وأرفع منزلة. وقيل: معنى أطرق كرا أن الكروان ذليل في الطير والنعام عزيز، يقال: اسكن عند الأعزة، ولا تستشرف للذي لست له بندّ.

(٤) بسابس: جمع بَسْبَس، وهو القفر الخالي.

(٥) خوامس: أي إبل خوامس مأخوذة من الخِمْس من أظماء الإبل، وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع.

(٦) الروامس: الرياح الدوافن للآثار كالرامسات.

(٧) جوشن: الصدر أو الدرع، والجوشن من الليل صدره أو وسطه. وجوشن هنا جبل مطل على حلب في غربيها، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة.

وأنخْتُها في « بَعْلَبكَّ » لأنّهـــا — خيرُ البلادِ، ومَلْكُهَا خيْرُ الورَى

واجهْتُ وَجْهَ أغرَّ أزْهرَ، كلُّ منْ — أسرَى، فأصْبحَ عِنْدَهُ حَمْدُ السُّرَى

بَهْرامُ شاهُ بْنُ المعِزِّ، المُنْتَقَى — بجوارِهِ جَوْرُ الزّمانِ إذا عَرَا — ل 37/و

والمالكُ الهادي، فلا عَجَبٌ إذا — أضحَى مِنَ المَلِك المُضلَّلِ[1] أشعرا

نَظّامُ غُرٍّ كالعرائسِ أوْشكَتْ — زُهْرُ الكواكِب حولَها أنْ تُنْثَرَا

دُرَرٌ خُطِبْنَ لكي يَصِرْنَ خواطِباً — فَتَسَنَّمَتْ مِنْ كُلِّ تاجٍ مِنْبَرَا

مولايَ، وَجْدِيَ قد عفَتْ آثارُهُ — فأْمُرْ بدارسِ رَسْمِهِ أنْ يُعْمَرَا

فَلَقَدْ سَعَيْتُ وكُنْتُ أعْهَدُ ثَرْوتي — بنَداكَ تَدْعو السّاغبينَ[2] إلى القِرَى

هل يَنْتَهِي غَدْرُ الزّمانِ إلى فتىً — يَنْهَى عُلاكَ ذِمامَهُ أن يُخْفَرَا؟

أمْ كيفَ يَفْتُرُ مِنْ عَبيدِكَ مُخْلِصٌ — مَنَعَ الثّناءُ لسانَـــهُ أن يَفْتُرَا

ولئِنْ مَنَحْتَنِيَ الجميلَ، فشُكْرُهُ — عِلْمِي بأنّي عاجزٌ أنْ أشْكُرَا

١٣٩

وقالَ[3]، في فتوح صَيْدا :

(١) الملك المضلل : هو الملك الضليل امرؤ القيس ، وقد أشار الشاعر في الأبيات التالية إلى وصف قصائده وأشعاره ، وقد ذكرنا خلال ترجمته ديوان الممدوح ، وقول المؤرخ أبي الفداء فيه : « كان الملك الأمجد أشعر بني أيوب ؛ وشعره مشهور » . (أبوالفداء : المختصر ، ج ٣ ص ١٥٢ ، ١٥٣) .

(٢) في الديوان (الساعين) .

(٣) أغلب الظن أنها في ممدوحه السابق الأمجد بهرام شاه .

يا أيُّها المَلِكُ الّذي عَزَماتُـــهُ قَسَرَتْ عزائمَ كُلِّ لَيْثٍ قَسْوَرِ
عَمَّ انتقامُكَ أهلَ «صيدا» فاحْتَسَى مِنْهم كُؤوسَ القتْلِ مَنْ لم يُؤْسَرِ
وخَضَبْتَ صُفْرَ وُجوهِهِمْ بِدِمائِهِمْ فحَكَتْ شعارَكَ أحْمراً في أصْفَرِ[1]

١٤٠

وقالَ :

أَمُحمَّدُ[2] المَنْصورُ ، يا بْـــنَ المَلْكِ محمودِ المُظَفَّرْ
يا أَيُّهـــا المَلْكِ الذي يُرْدي الأُسودَ إذا تَنَمَّرْ
يا أَيُّهـــا الحِبْرُ الذي في كلِّ فَضْلٍ قـد تَبَحَّرْ[3]
العبدُ يَشْكو مِنْ مَذَا قِةِ حالِه ما قـد تَمَرَّرْ
فابْعَثْ إليهِ بِسَهْمِهِ[4] مِنْ سكَّرِ الغَورِ المكَرَّرْ[5]

---

(١) إشارة هامة إلى شعار الملوك الأيوبيين ، وهو اللون الأحمر واللون الأصفر .

(٢) هو الملك المنصور الثاني محمد بن المظفر الثاني محمود ، وقد سبقت ترجمته .

(٣) الحِبْر والحَبْر : العالم مسلماً كان أو ذمياً، وقال الأزهري وكذلك الحِبْر والحَبْر في الجمال والبهاء .

(٤) سهمه : حظه ونصيبه .

(٥) المقصود بالغور هنا غَوْر الأرْدُنّ ، وقد ذكر ياقوت أنه « بالشام بين البيت المقدّس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس ، ولذلك سمي الغور . . . فيه نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة . . . وعلى طرفه طبرية وبحيرتها ومنها مأخذ مياهها ، وأشهر بلاده بَيْسان بعد طبرية ، وهو وخم شديد الحر غير طيب الماء ، وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر . . . » (معجم البلدان ج ٤ ص ٢١٧) .

١٤١

وقالَ :

تمنَّيْتُ أَنْ يَرْضَىٰ ولو بمنيَّتي   لعلَّ فؤادي أن يقرَّ قرارُهُ

فيا مَنْ لصبٍّ،ليس يُفعلُ سؤْلُهُ!   ويا مَنْ لقلبٍ ، لا يُقالُ عِثارُهُ !

١٤٢

وقالَ[1] ، في وَزْنِ قصيدةِ القَاضي الفاضلِ[2] :

---

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ؛ الخزانة : ١ ، ٣ ، ٥ ، ١١ ؛ والنفحات : ١ .

(٢) ظهر في هذا العصر مذهبان في التورية ، أولهما في مصر وإمامه القاضي الفاضل ، وثانيهما في بلاد الشام وإمامه الشرف الأنصاري ، وهو في هـذه القصيدة يعارض قصيدة للقاضي الفاضل ، وقد أشار الأقدمون من النقاد لذلك ، فقال ابن حجة : « وغاص هو والقاضي الفاضل في هذا البحر ، وأظهروا من هذا الرويّ جواهر العقود » (ص ٤٦) ، وقال اليونيني : « وهذه الأبيات على وزن أبيات القاضي الفاضل ، رحمه الله ، مطلعها :

ألست [ترى] على العشاقِ أمرهْ   وليس لهم إذا ما جار نصرهْ

إذا ما سرَّه قتـــلي فأهـــلاً   بمـا قد ساءني ان كان سرَّهْ

ولم أره على الأيـــام إلاّ   عقـدت بودّه وحالت صرّهْ

صبتُ عليه ، لما زار ، دمعي   فأنكره فقلت : المـاء نشرهْ

بكيت عليك يا مولاي حتى   وقعت وليس في عينيَّ قَطرهْ

أيا قمر الكـناس بغيت أني   بقيت بأدمعي في الشمس عصرهْ

فلو قبّلتني وقبلت مـــني   فقال : أخاف بعد الحجِ عمرهْ

منهـا :

وأما سوءُ حظي من صديقي   فذاكَ منَ الأمور المستقرهْ

(ذيل مرآة الزمان ، ٤ ، ١٢٤) .

لِعَيْني ، كلَّ يومٍ ، مِنهُ عَبْرَةْ تُصيِّرُني لأهلِ العشقِ عِبْرَه[١]

فَعَسْجَدُ جَفْنِهَا لا نَقْصَ فيـهِ وكَمْ جهَّزْتُ منهُ جَيْشَ عُسْرَهْ

إذا غَفَلَ الوُشاةُ أَسلْتُ دَمْعي فيَغْدو مُرسلاً في وقتِ فَتْرَهْ

زيادةُ صَبْوَتي نَقَصتْ ملامي وكَفَّتْ زيدَهُ عنّي وعَمْرهْ

علامةُ شِقْوَتي في الحبِّ أَنِّي ثقُلْتُ عليكَ ،لاعنْطُولِ عِشْره[٢]

فوتْرُ الوَصْلِ لم يُشفَعْ بثانٍ وهَجْرُكَ مَرَّةً في إثْرِ مَرَّه[٣]

وجَفْنُكَ أكْحَلٌ مِنْ غيرِ كُحْلٍ وخَدُّكَ أحمرٌ مِنْ غَيْرِ خَمْرَهْ

ووَعْدُكَ بالمَطَالِ يَفُتُّ قَلْبي وليسَ يَفُتُّ في كَفِّي بِعُرَّه[٤]

وصَبْري عنكَ ليسَ لهُ وجودٌ ووَجْدي مِنْكَ لا أُحصيهِ كَثْرَه[٥]

وقالُوا : كَمْ تُرَى غضبانَ راضٍ ؟ فقُلْتُ:رَضِيتُ[٦] زُنْبوراً[٧] وتمْرَهْ

(١) في النفحات : (ألف عبره) .

(٢) في الخزانة : (لا من طول) .

(٣) في الذيل : (وهجرك زمرةً مِنْ بعد زمره) .

(٤) عُرّة : العُرُّ والعُرَّة في الأصل الجرب ، وقروح في أعناق الفصلان ، وداء يتمعط منه وبر الإبل . ومن المجاز قولنا : لقيت منه شراً وعُراً ، لأنه أبغض شيء إليهم .

(٥) في الديوان :(وصبري منك) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .

(٦) الزُّنبور : جاء في اللسان نقلاً عن ابن الأعرابي « من غريب شجر البر الزنابير واحدتها زنبيرة وزنبارة وزنبورة ، وهو ضرب من التين ، وأهل الحضر يسمونه الحلواني» .

(٧) في الديوان :(رضيت زنبور) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .

ظ/37

سأَلزَمُ بابَ خمّـــارِ الثّنايا[١] ليُطْلِقَ لي، ولوفي العُمْرِ، سَكْرَهْ

وقِدْماً كُنْتُ مسروراً إلى أنْ لَبِسْتُ مِنَ الخَلاعةِ ثَوْبَ شُهْرَهْ

أَطعْتُ غِوايتي، وعَصَيْتُ رُشْدَ الْ مُناصِحِ كَرَّةً مِنْ بَعْدِ كَرَّهْ

وما تَنْقَى مِن الأَدناسِ نَفْسي ولو غُسِلَتْ بِصَابونِ المَعَرَّهْ[٢]

وأَعْجَبُ حادثاتِ الدّهرِ أَنّي أُحاولُ طاعةً، فتَعودُ حَسْرَهْ!

وأَطمَعُ في خَلاصي يَوْمَ بَعْثي وما أَخْلَصْتُ في مِثْقالِ ذَرَّهْ!

١٤٣

وقالَ، يُهنّئ النّاصرَ(*) بِخَلعِ الخليفةِ بَديهاً:

بُشْرَى لنا، بُشْرَى لنا، بُشْرَى بِهذِهِ المَوْهبَـــةِ الكُبْرَى

قد عَصَمَ الأُمّةَ مُسْتَعْصِمٌ حاولَ مِنْ ناصرِها نَصْرَا

أَهْدَى إليهِ حُلَلاً فَخْمَةً طابَ بِهـا مَنْشُورها نَشْرَا

وافَى إلى مَغْناكَ مَطْوِيُّها يَطْوي إليكَ السَّهلَ والوَعْرَا

حتى ضَفَتْ مِنْكَ على ماجِدٍ بِلُبْسِ أَبرادِ العُلا مُغْرَى

(*) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد، وقد سبقت ترجمته.

(١) الثنايا: جمع ثنية وهي الأضراس الأربع التي في مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل، ولزوم باب خمار الثنايا كناية عن ارتشافه الخمر من رضاب الثغر وريقه.

(٢) المعرة: استخدم الشاعر اسم المعرة جرياً على مذهبه في التورية.

يُساوِرُ الخالعَ مُسْتأْصِلاً ويَخْلعُ الوَشْيَ إِذا سَرَّى[١]
يَطْعنُ أعداءَ إمامِ الهُدَى شَزْراً إِذا ما نَظَرُوا شَزْرَا
مَنْ ذا الذي يثنيه عن نصره؟ وتلكَ منه عَزْمَةٌ ضُرَّى[٢]
دَعاكَ للعَهْدِ ، فلبَّيْتَهُ بالطَّوْعِ أَلفاً مِنْكَ لا عَشرَا
مُجْتَهِداً ، وهو مُصيبٌ ، وقد أصابَ إِذْ قَلَّدكَ الأَمْرَا
زَيَّنْتُ مِنْ فِكْرِي سَماءَ العُلا مِنْكَ بِشِعْرٍ يُخْجِلُ الشِّعْرَى

١٤٤

ل 38 / و وقالَ يَمْدحُه[٣] بَديهاً :

لولا عُيونُ الجآذِرْ[٤] ما حَلَّ بي ما أُحاذِرْ
جِسْمي ، وقَلْبي ، وطَرْفي واهٍ ، وساهٍ ، وساهِرْ
وحاسِدي وعَذُولي جانٍ[٥] عَليَّ وعاذِرْ
ومَدْحَ مالِكِ رِقِّي يَرْوِيهِ بادٍ وحاضِرْ
مَديحُ أَعْظَمِ مَلْكٍ مِنْ لفظِ أَنْظَمِ شاعِرْ

---

(١) سرّى : يقال سرّى سريّة إلى العدو إذا جرّدها وبعثها إليهم .
(٢) ضُرّى : عزيمة وجدّ .
(٣) ممدوحه السابق الملك الناصر يوسف بن العزيز ، وقد سبقت ترجمته .
(٤) الجآذر : جمع جُؤْذُر وهو ولد البقرة الوحشية .
(٥) في الديوان (حان) ، والصواب ما أثبتناه .

يا ناصر الدِّينَ(*) ، يا مَنْ لَهُ العَطـايا الغَوامِـرْ
إنْ قالَ ، أوصَالَ ، أضْحَى لِلْعَـدوِّ والْهـامِ ناثِرْ
تَمَّ المُـــرادُ لَهُ في مَـــوارِدٍ ومَصادِرْ
وسَلَّمَتْـــهُ اللَّيـــالي وسالَمَتْـهُ المَقـــادِرْ(١)

١٤٥

وقالَ(٢) بَديهاً :

حُزْتَ الفَخـــارَ بأسْرِهِ يا ذا الفَخَـارِ الظَّـاهِرِ
يا يُوسُفُ(٣) بْنَ مُحمَّـدِ بْنِ الظَّاهِرِ بْنِ النَّـاصِرِ

١٤٦

وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالى :

حَبيبٌ لهِجْتُ بتَذْكارِهِ فأضْنَى فُؤادي بأفْكارِهِ
وغَرَّقَ جَفْنيَ في مائِهِ وقَلَّبَ قَلْبي على نارِهِ
هِلالٌ بِهِ تَمَّ نقْصُ البُدورِ مُحاقُ اصْطِباري بإبْدارِهِ

(*) ناصر الدين ، هو الملك الناصر يوسف بن العزيز ، وقد سبقت ترجمته .

(١) المقادر : أي المقادير ، يقال : الأمور تجري بقدر الله ومقداره وتقديره وأقداره ومقاديره . والمقدار أيضاً هو الموت . كما يقال : الأشياء مقادير لكل شيء مقدار داخل .

(٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف الأول .

(٣) ممدوحه السابق الناصر يوسف بن العزيز .

وظَبْيٌ إذا اللَّيثُ داناهُ، دانِ لإيرادِهِ ، ولإصْـدارِهِ
لعزَّتهِ ذَلَّ عَبْدُ العَزيزِ ولم يُغْنِهِ نَصْرُ أنصارِهِ[1]
لَهُ غُصْنُ قَدٍ، يَفوقُ الغُصونَ بفـائقِ أجْنـاسِ أَثْمارِهِ
ووضَّاحُ ثَغرٍ ، إذا ما بَدا أنارَ الظَّـلامَ بِنوَّارِهِ
ورِيقٌ هوالشَّهدُ، لاعيبَ فيهِ سِوَى أنّني غيرُ مُشْتارِهِ[2]

١٤٧

وقالَ[3] :

سَأَلْتُهُ مِنْ ريقِهِ شَرْبَةً أُطْفي بِها مِنْ ظَمئي[4] حَرَّهْ
فقالَ : أَخْشَى ، يا شَديدَ الظَّما أَن تُتْبِـعَ الشَّربَةَ بالجَرَّهْ

١٤٨

وقالَ[5] :

قَالُوا لنا : في جِلَّقٍ نُزْهةٌ تُنسيك مَنْ أَنتَ بِهِ مُغْرَى

---

(١) إشارة إلى نسبه الأنصاري في معرض النسيب بالإضافة إلى ذكر اسمه .

(٢) مشتاره : اشتار العسل استخرجه .

(٣) ورد البيتان في الوافي والفوات والمنهل والخزانة في معرض التورية بلطائف مجونه.

(٤) في الفوات : (من ظمأ) .

(٥) ورد هذان البيتان في المنهل والخزانة في معرض حديث ابن حجة عن التورية .

يا عَاذلي ، دُونَكَ مِنْ لَحظِهِ سَهْماً ، ومِنْ عارِضِه[١] سَطْرَا[٢]

١٤٩

وقالَ :

صَبْراً على البَلْوى ، ومِثْلي مَنْ صَبَرْ لي أُسوةٌ بِمَـنْ مَضَى ومَنْ غَبَرْ
يَموتُ في الأَطْمارِ[٣] ذوالبُؤْسِ ومَنْ يَسْحبُ في الحِبَرةِ أَذيالَ الحِبَرْ[٤]
والنَّاسُ مِنْ عِيشَتِهِمْ في رَقْدةٍ أَحلامُهـا واضحـةٌ لِمَنْ عَبَرْ
والزُّهْدُ في شَرْخِ الشَّبابِ واجبٌ فكَيفَ مِنْ بَعْدِ المشيبِ والكِبَرْ؟ ل 38/ظ

١٥٠

وقالَ[٥] :

لا تُكبِرُوا وَجْدي بطفلٍ،وقد[٦] تَمَّ لهُ الحُسْنُ على صِغَرِهْ
يَحْسُدُني المَلْكُ المَنيعُ الحِمَى لأَنّي والٍ عَلَى ثَغَــرِهْ

(١) عارضه : العارض والعارضة صفحة الخد .

(٢) السهم وسطرى من متنزهات دمشق المشهورة ، وسطرى تكتب بالألف المقصورة، وكتبت في الديوان بالألف لمناسبة ورودها في معرض التورية بالسطر مريداً مسطرى .

(٣) الأطمار : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف .

(٤) الحِبَر : جمع حِبَرة ضرب من برود اليمن .

(٥) ورد البيتان في الوافي .

(٦) في الوافي : (فقد . . .) .

١٥١

وَقالَ[1] ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ :

طاوَعْتكُمْ ، فَعَصَيْتُمْ أَمري وحَفِظْتُكُمْ ، فَأَضَعْتُمْ عُمْري[2]

وَشَغَلْتُ قَلْبي وَاللِّسانَ بِكُمْ في الحُبِّ عَن زَيْدٍ وعَن عَمْرِو

لَمْ تَخْفَ أَشْجاني ، ولا ظَهَرَتْ فَضَنِيْتُ بَيْنَ السِّرِّ وَالجَهْرِ

ولَقَدْ حَوَى قَلْبي بِكُمْ كَلَفاً لَمْ يَحْوِهِ نظْمي وَلا نَثْري

جُودوا على مِقْدارِ فَضْلِكُمْ وَدَعُوا مُكافاتي على قَدْري[3]

لا تُعْرِضُوا عَنِّي ، بِلُطْفِكُمُ مَنْ ذَا بِحَالِي غَيرَكُمْ يَدْري؟

كَمْ بِنْتُمْ ، فحَلَلْتُمْ فِكْري ! وَدَنَوْتُمْ ، فَشَدَدْتُمْ أَزْري !

وَهَجَرْتُمُ ، فَقَبَضْتُمُ نَفْسي ! وَوَصَلْتُمُ ، فَشَرَحْتُمُ صَدْري !

لا تَقْطَعُوا مِنْكُمْ مَطامعَ مَنْ يَرْجوكُمُ عَوْناً عَلىٰ الدَّهرِ

يامَنْ حُرِمْتُ على الغَرامِ بِهِمْ دونَ الأَنامِ ، وحِرتُ في أَمْري

ما في صَباحي والمَساءِ سَناً لَولاكَ ، ياشَمْسي ، ويابَدْري

(١) الفوات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ .

(٢) في الفوات : (فأذعتم سري) .

(٣) في الفوات : (وذروا مكافاتي) .

وَقَفَ الهَوى لي حَيثُ أنتَ فَلي   وَقْفاً[1] عَلَيكَ مَدامِعٌ تَجْرِي
أهْلاً بطَيفٍ مِنْكَ لا طَفَني   فَأعاضَني بالوَصْلِ عَن هَجْرِ
في لَيْلَةٍ بِضِيائِكَ اشْتَمَلَتْ   حَتّىٰ ظَنَنّا لَيْلَةَ القَدْرِ
كانَتْ سَلاماً لي بِطَلْعَتِكَ الـ   ـغَرّاءِ « حَتّىٰ مَطْلَعِ الفَجْرِ »
فَلأشكُرَنَّ لَها جَميلَ يَدٍ   كُفْرانُها ضَرْبٌ مِنَ الكُفْرِ
ذَرْني وَوَجْدي يا عَذولُ بِمَنْ   كَلَفي بِهِمْ مُذْ كُنْتُ في الذَّرِّ
أفْنَيْتُ عُمْري في مَحَبَّتِهِمْ   فَلَئِنْ سَلَوْتُهُمُ ، فَواعُمْرِي !
أبْكي ، وأُنْشِدُهُمْ ، فَما سَمِعُوا   بَارِقَ مِنْ دَمعي وَلا شِعْري
إنْ بِيعَ بالأرْواحِ وَصْلُهُمُ   فَقَدِ اشْتَرَيْتُ بِذلِكَ السِّعْرِ

١٥٢

وَقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ :

عُجْ بالكَثيبِ الفَرْدِ مِنْ حاجِرِ   وَحَيِّ ذاكَ الحَيَّ مِنْ عامِرِ[2]
وَلا تُحيلَنَّ عَلىٰ سَلْوَةٍ   مَنْ لا يُحيلُ الصَّبرَ للصَّابِرِ

---

(١) في الديوان : (وقفٌ عليك) ، وقد آثرنا وأثبتنا رواية الفوات .

(٢) حاجر : اسم موضع قبل معدن النقرة ، وأصل معناه في الوضع ما يمسك الماء من شفة الوادي .

فَمـا لِإِبْلالِيَ مِنْ أَوَّلٍ وَلا لِبَلْبالِيَ مِنْ آخِرِ[١]

ياظَبْيَةَ الخِدْرِ التي حَكَّمَتْ أَلحاظَها في الأَسَدِ الخادِرِ[٢]

ما عامِلُ الرُّمحِ بِتَسديدِهِ أَفْتَكُ مِنْ ناظِرِكِ الجائِرِ

طَوَيْتُ أَحْشائي عَلى حُرْقَةٍ لَقيتُها مِنْ طَرْفِكِ الفاتِرِ

قَد كانَ قَلْبي عَنْكِ في غَفْلَةٍ وَإِنَّما أَيقَظَهُ ناظِري

39/ و وَكُنْتُ عَن وَصْلِكِ في مَعْزِلٍ لَولا تَلافي طَيْفِكِ النّافِرِ

١٥٣

وقالَ[٣] لُزومِيَّةً[٤] :

حَقٌّ لأَنْ نُثْني على مَلِكٍ لِدينِ الحَقِّ ناصِرْ

طالَ المُلوكَ نَباهَةً فَلِسانُ وَصْفي عَنْهُ قاصِرْ

وإِليهِ كَمْ حَلُّوا الحُبا[٥] وعليهِ كَمْ عَقَدوا الخَناصِرْ

(١) البَلْبال والبلبالة : البُرَحاء في الصدر ، أو شدة الهم ، أو الوساوس .

(٢) في الديوان : (يا ظبية الخِدْرِ الذي حكَّمت) ، والصحيح ما أثبتناه ، ومردُّه سهو من الناسخ أو الجامع .

(٣) في الديوان إشارة إلى حرف الصاد الملتزم في القافية .

(٤) نحسب أن الشاعر نظم هذه الخماسية الشعرية في مدح الملك الناصر بن العزيز ، وذلك بدلالة البيت الأول ، وقد سبقت ترجمته .

(٥) الحُبا : جمع حِبْوة ، يقال حل حِبْوته ، واحتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته ، وقد يحتبي بيديه .

بِشِمالِهِ ويَمينِـــهِ سَمَتِ الأَعِنَّةُ والمخاصِرْ[1]
أَرْبَى على مَنْ قَبْلَهُ وبِفَضْلِهِ اعترفَ المُعاصِرْ

١٥٤

وقالَ أيضاً[2] :

لائِمي ، أَبْدَيْتَ عِشْقي بَيْنَ بادِيْنَ وحُضَّرْ
رُمْتَ إقلاعي فأَغْرَيْــــتَ، وقد يَنْفَعُ مَنْ ضَرْ
إِنْ تَيَمَّنْتَ[3] قديماً فحديثـــاً يَتَمَضَّرْ[4]
حَبَّذا عصرُ التَّصابي! وهشيمُ العيشِ أَخضرْ !
زالَ ما كانَ كأَنِّي لَمْ أُشاهِدْ مِنهُ مَحْضَرْ

١٥٥

وقالَ مُضَمِّناً :

سُلْطانُنا المِلكُ المنصورُ[*] خيرُ فتىً مَفاخِرُ النَّاسِ جُزْءٌ مِنْ مفاخِرِهِ

(*) هو الملك المنصور الأول محمد أو الملك المنصور الثاني محمد ، وقد عاصرهما الشاعر .
(١) المخاصر : جمع مِخْصرة وهي شيء كالسوط أو ما يتوكأ عليه كالعصا وغيرها ، أو ما يأخذه المتكلم يشير به إذا خاطب ، والخطيب إذا خطب .
(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الضاد الملتزم في القافية .
(٣) تيمن : انتسب إلى اليمن .
(٤) يتمضَّر : انتسب إلى مضر .

ولي قَصائدُ في مَدْحِيهِ باهِرَةٌ تُزَهِّدُ البَحْرَ في أَبْهَى جواهرِهِ
« لا تَطْلُبَنَّ كريماً بَعْدَ رُؤْيتِهِ »[1] « ولا تُبالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شاعرِهِ »[2]

١٥٦

وقالَ لُزوميةً[3] :

دَارِ مَنْ عاشَرْتَهُ ، دَارِ ذا وَفاءٍ غَيْرَ غَدَّارِ
واتْرُكِ الحِرْصَ المُذلَّ فلا كائنٌ إلاَّ بِمِقْدارِ
كيفَ تَقْصيري وعن كَثَبٍ نُقْلَتِي مِنْ هذهِ الدَّارِ
إنَّ لي وِرْداً بِلاَ صَدَرٍ بَعْدَ إيرادي وإصْداري
قاضياً حَقَّ الصِّحابِ إذا قابلُوا حَقِّي بإهْدارِ
ووَقارُ الحِلْمِ أَصْمَتَني رُبَّ فَحْلٍ غيرِ هدَّارِ[4]

---

(١) هذا الشطر الأول المضمَّن من بيت للمتنبي ، وتمامه قوله :
« إن الكرام بأوفاهم علاً ختموا » (ديوان المتنبي ، ج ٤ ص ٣٦) .
(٢) وهذا أيضاً الشطر الأول المضمن من بيت للمتنبي ، وتمامه قوله :
« قد أفسد القول حتى أحمد الصمم » (ديوان المتنبي ، ج ٤ ص ٣٦) .
(٣) في الديوان إشارة إلى حرف الدال الملتزم في القافية .
(٤) هدّار : يقال هدر البعير وهدّر أي صوّت في غير شقشقة .

١٥٧

وقالَ :

وليسَ اعتبارُ الفَتَى باللِّباسِ ولكنْ بأخْلاقِهِ يُعْتَبَرْ
وما ضرَّتِ الدُّرَّ أصدافُهُ ولا نَفَعَ السِّلْكَ لِبْسُ الدُّرَرْ

١٥٨

وقالَ :

لا حظَّ في الدُّنيا لمُسْتَيْقظٍ يَلْمحُها بالفِكْرَةِ الباصِرَهْ
إنْ كَدَّرَتْ مَشْرَبَهُ كلَّها وإنْ صَفَتْ كدَّرتِ الآخِرَهْ



قافية الزاي

١٥٩

ب 39 / ظ

وقالَ يَمْدحُ المَلِكَ المُظفَّرَ(*) :

إلَيْكَ تَنَاهَى بالمُلوكِ انحيازُها ولو خالَفَتْ لامْتَازَ عَنْها امْتِيازُها

فأَكْرِمْ بِرَأْيٍ تَمَّ فيهِ اعتزاؤها ! فَتَمَّ لها إكرامُها واعتزازُها

وما القَومُ إلاَّ حِلْيَةٌ أَنْتَ تاجُها وحُلَّةُ مَجْدٍ أنتَ مِنْها طِرازُها

وعِدَّةُ[1] شُهْبٍ أَنْتَ سَعْدُ سُعودِها وعُدَّةُ حَرْبٍ أَنتَ مِنْها جُرازُها[2]

وكم صِيْدِ أَبْطالٍ أَزَلْتَ امْتِناعَها فلم يُغْنِ عنْها حِرْزُها[3] واحترازُها[4]

وغُلْبٍ[5] عِداً جزَّتْ نواصي[6] رُؤوسِها ظُبَاكَ ، ولولا العَفْوُ حانَ احْتِزازُها

(★) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) عِدَّة : العدة الجماعة والطائفة قلت أو كثرت .

(٢) جرازها : سيفها الباتر .

(٣) حِرْزها : الموضع الحصين الذي لا يوصل إليه .

(٤) الاحتراز : التوقي .

(٥) غُلْب : في اللسان غُلْب في الأصل جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة وهم يصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها ، والأنثى غلباء ، والقبيلة الغلباء العزيزة الممتنعة ، وفي حديث ابن ذي يزن « بيض مرازبة غُلْب جحاجحة » .

(٦) نواصي : جمع ناصية ، وهي قصاص الشعر في مقدم الرأس .

كَتائبُ بالخطِيِّ عـادَتْ كَأَنَّهـا دوارسُ كُتْبٍ طارَعنها جُزازُها(١)

وواجبةٌ مِمَّـا مَدَحتُ قَرَنْتَهَـا بجـائزةٍ مَّـا مَنَحْتَ أُجـازُها

لكَ الأَرْضُ مُلْكاً مُقطَعٌ منْكَ شَطرُها اا

أَنيسُ ومَقْطوعٌ إليكَ مَفـازُها(٢)

وهل آمِلٌ إلاّ عليكَ اتّكالُهُ ؟ ومَكْرُمَةٌ إلاَّ إليكَ انحيـازُها ؟

بوادِرُ مِنْ بَأْسٍ يُخافُ مَداسُهـا وهَضْبَةُ حِلْمٍ لا يَخِفُّ مَرازُها(٣)

مَناقبُ للمَلْكِ المظفَّرِ وَحْدَهُ حقيقتُها ، إذْ للملوكِ مجـازُها

مَليكٌ لِطُلاّبِ النَّدى منْ بَنانِهِ معادِنُ جُودٍ مُسْتَباحٌ رِكازُها(٤)

أَبِيٌّ إذا لاحتْ مِنَ المَجْدِ فُرْصةٌ فسَهْلٌ عليه بالرِّماحِ انْتِهـازُها

خَطَبْتُ لَهُ غُرَّ القَوافي ، فأَصْبَحَتْ وهُنَّ أَبيّاتُ النُّفوسِ عِزازُها

عَرائسُ مَشْكُورُ القُبولِ صَداقُها الـسَّنِيُّ ومَشْهورُ الوَلاءِ جِهـازُها

---

(١) جُزازها : معناها في الأصل هو ما فضل من الأديم إذا قطع ، ومن كل شيء ما اجتززته .

(٢) مفازها : المفاز والمفازة البرية القفر ، وسميت بذلك لأنها مهلكة من فوّز أي هلك، وقيل سميت بذلك تفاؤلاً من الفوز بالنجاة .

(٣) مرازها : من الروز وهو الامتحان والتقدير والوزن .

(٤) رِكازها : قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض ، أو المعدن ، وفي الحديث : « وفي الرِكاز الخمس » ، وقيل : هو المال المدفون خاصة مما كنزه بنو آدم قبل الإسلام .

١٦٠

وقالَ مُجيباً للضِّياء جُنْدي البَعْلَبكّيّ :

سَقى اللهُ عَهْدَ اللّوى[١] بالحريز[٢] سَحاباً مَرَتْهُ[٣] الصَّبَا بالْهَزيزِ[٤]

وحَيّا مَحَلّاً على ذي المَجازِ[٥] أعِقُّ صِحابي عنـــهُ مُجيزي

فلا أنسَ لا أنسَ فيــهِ النَّعيمَ بِجَرْيِ الجيــادِ وجَرِّ الْخُزوزِ[٦]

ووَصْلاً غذاني رِيقَ الكَعابِ فهاجَرْتُ رائقَ ريقِ العَجوزِ[٧]

---

(١) اللّوَى : هو في الأصل منقطع الرملة ، يقال قد ألويتم فانزلوا ، إذا بلغوا منقطع الرمل ، وهو أيضاً موضع بعينه قد أكثرت الشعراء من ذكره وخلّطت بين ذلك اللوى والرمل ، فعزّ الفصل بينها . ويقول ياقوت أيضاً : وهو واد من أودية بني سليم . ويوم اللوى وقعة كانت لبني ثعلبة على بني يربوع . (معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢٢) .

(٢) الحريز : يقول ياقوت إنها قرية باليمن ، وذكر أن الحازمي رواها بزايين وقال : إن الحزيز في اللغة المكان المنقاد ، وهو مواضع كثيرة من بلاد العرب منها حزيز الثلبوت في شعر لبيد ، وحزيز محارب ، وحزيز غنيٍ ، وحزيز عُكل ، وحزيز تَلْعَة ، وحزيز رامة في شعر جرير ، وحزيز غَوْل ، وحزيز صُفية ، ماءة بني أسد ، وحزيز أُضاخ ، وحزيز الحوأب ، وحزيز كلب ، وحزيز ضبة . والحزيز وحدها دون إضافة موضع بالبصرة .

(٣) مرته : مرت الريح السحاب إذا أنزلت منه المطر .

(٤) الهزيز : هزيز الريح صوت حركتها ودويّها عند هزها الشجر .

(٥) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام وقال الأصمعي : ذو المجاز ماء من أصل كبكب ، وهو لهذيل ، وهو خلف عرفة .

(٦) الخزوز : جمع خز ، وهي ثياب تنسج من صوف وإبريسم .

(٧) العجوز : هي الخمر لقدمها ، وتطلق على الخمر المعتقة .

وسحرَ لِحاظٍ كشِعرِ الضَّياءِ الـــفَصيحِ المَقال ، الصَّحيحِ النَّحيزِ[١]

فَتىً خذَلَتْـــنيَ أَبياتُـــهُ فقلْتُ : اسْكُني بَيْتَ قلبي وجُوزي

وكُنْتُ عن الشِّعْرِ في شاغـــلٍ بِهَـــمٍّ بَسيطٍ وفَهْمٍ وَجيزِ

ل 40 / و

فقتَّرْنَ وَجْدي بَعْدَ الأَريرِ[٢] وأَذْكين حُزْني بَعْدَ الأَزيزِ

وبشَّرْنَني بِودادِ الْهُـــمامِ فصوَّتَ عزمي بعْـدَ العُجوزِ

هُمـامٌ ، بـه الغَوْثُ للمُسْتَجيرِ غَمـامٌ ، بـهِ الغَيثُ للمُسْتَجيزِ

فأَعْذِرْ بجاري إذا مـا لَجَأْتُ إلى ذلكَ الحِرْزِ منهُ الحَريزِ[٣]

ولا يُوهِمنَّكَ بُطْءُ الجوابِ تَوقَّلَ[٤] عَزْمي نَشْزَ[٥] النُّشوزِ

فَمَنْ يَسْتَجِزْ هجْرَ إخوانِـــهِ فلَسْتُ لذلكَ بالمُسْتَجِـــيزِ

أُجازي الخَليلَ على الصَّاعِ[٦] ، بلْ على المُدِّ[٧] مِنْ وُدِّهِ والقَفيزِ[٨]

---

(١) النحيز : النحيزة الطبيعة ، والنُّحاز والنِّحاز: الأصل . ويقال هو كريم النحيزة.

(٢) الأرير : من الأرّ ، وهو إيقاد النار .

(٣) الحريز : الحصين .

(٤) توقّل : وقل في الجبل وتوقّل أي صعّد .

(٥) نَشْز والنَشَز : أيضاً ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض ، وليس بالغليظ وتجمع على نشوز وأنشاز .

(٦) الصّاع والصِّواع : وهو الذي يُكال به ، وقد عرف عنه أنه يأخـــذ أربعة أمداد يذكر ويؤنث .

(٧) المُدّ : بالضم مكيال أيضاً ، وهو رِطلان أو رِطل وثُلُث أو ملءُ كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومدّ يده بهما ، وبه سمي مُدّاً .

(٨) القفيز : وهو مكيال أيضاً .

ولكنَّ قلبي غدا مَرْبعاً لضَيفٍ هُمومٍ سَروبٍ حَروزِ
وغُرٌّ قوافيك حيَّرْنَني بتَصْريعِ[1] أعجازِها والرُّموزِ
فأذْهَلْنَنِي حينَ قابَلْنَني بدُرِّ البِحارِ ، وتِبْرِ الكُنوزِ
ولو بَرَزَتْ في الزَّمانِ القَديمِ لأَلْوَتْ بِتاجٍ على أبْرَوِيزِ[2]
فقُلْ لمُعارِضِها : أيْنَ مِنْ زَئيرِ الأُسود يُعارُ المَعيزِ ؟[3]
وكلُّ التفضُّلِ في وَشْيِها تِرْبَ ولائِكَ عَبْدَ العزيزِ

١٦١

وقالَ :

انْظُرْ بصائبِ رَأيٍ مُسْتَكْسَبٍ وعَزيزِ
وخَلِّ كلَّ مُجيرٍ مِنَ الوَرَى ومُجيزِ
ولن تَعيشَ ذَليلاً وأنتَ عَبْدُ العزيزِ[4]

---

(١) في الأصل : (بتصريح) .

(٢) أبْرَوِيز : بفتح الواو وكسرها ، وأَبْرَوَاز ، ملك من ملوك الفرس .

(٣) يُعار : صوت المعزى أو الغنم أو الشديد من أصوات الشاء ، وقد عقد الثعالبي فصلاً في كتابه فقه اللغة في أصوات ذوات الظلف فقال : « الخوار للبقر ، الثغاءُ للغنم ، والثؤاج للضأن ، اليُعار للمعز ، النبيب للتيس » (فقه اللغة ، ص ٣١٨) .

(٤) في الديوان : (ولا تعيش) ، والصواب ما أثبتناه ، وقد يكون من سهو الناسخ أو جامع الديوان .

قافية السين

١٦٢

قال[1] يَمْدحُ المَلِكَ النَّاصرَ(*)، رَحِمُهما اللهُ تعالى :

خُذْ في وَقارِكَ، واتْرُكْني وَوَسْواسي
فليسَ في وَلَهي بالحُبِّ مِنْ باسِ

أَسْمَعْتَ عَذْلي، وما أَجدَى، فحَسْبُكَ قد
عَذَّبْتَ نَفْسي، وقد ضَيَّقْتَ أَنفاسي

إنْ أَنتَ لم تَقْفُ إِثْري في الغرامِ فَقِفْ
عنِّي لأُجْري إلى اللَّذاتِ أَفْراسي

ولا تَقِسْني على مَنْ لا يُشاكِلُني
فإنَّ أَمْرِيَ شَيءٌ غيرُ مُنْقاسِ

دَعْني لكاسيةٍ بالحُسْنِ في غَزَلي
فريقُها غُنْيَةٌ[2] عن لَذَّةِ الكاسِ

تَخْطو، فتَلْعبُ بالأَرواحِ خاطِرَةً
بغُصْنِ قَدٍّ مَعَ الأَرواحِ مَيَّاسِ

قَضيبِ آسٍ تَبَدَّى مُثْمِراً قَمَراً
وَجْدي القَديمُ بِهِ أَطْرَى مِنَ الآسِ

(*) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد، وقد سبقت ترجمته .

(١) الفوات : ١، ٣، ٤، ٧، ٨، ١٣ ؛ والمنهل : ٨، ١٢ ؛ والذيل : ٨، ١٣ .

(٢) غُنْيَة : أي يستغني به عن غيره .

لها معاطِفُ[١] تُغْريني بِرِقَّتِهـــا ... ولِينِها ، إذْ[٢] أُقاسي قَلْبَها القاسي

فَهِيْ الدَّواءُ لِقَلْبي مِنْ أَساهُ ومِنْ ... ألحاظِها فيهِ داءٌ يُعجِزُ الآسي

يا نَظْرَةً ، كَمْ أباحتْ مِنْ حِمَى أَسَدٍ ... كأَنَّها طَعْنَةٌ مِنْ كفِّ جَسّاسِ[٣]

ل 40/ظ

زارَتْ ، وجُنْحُ الدُّجا مُلْقٍ ذوائبَها ... عَليهِ ، فابْتَسَمَتْ عن ضَوْءِ مِقْباسِ[٤]

وواصَلَتْني على هَجْرٍ ، فأنْقَذَني ... أُنسُ الرَّجاء بِها مِنْ وَحْشَةِ اليَاسِ

باتتْ مُوَسَّدَةً رأْسي على يَدِها ... عَطْفاً ، وكانتْ يَدي مِنْها على راسي

وبِتُّ مُسْتَغْرِقاً فيهـــا أُعَوِّذُها ... بِاللهِ مِنْ شَرِّ وَسْواسٍ وخَنّاسِ

وكيفَ أَلْوي على شَيْءٍ إذا حَضَرَتْ ... مَنْ في البِعادِ أَراها دُونَ جُلّاسي

وإنْ يُخالِفْ عَذولي في مَحَبَّتِها ... تَقْبيحَ صَبْري بِها أو حُسْنَ وَسْواسي

فليسَ في النّاسِ إلا مَنْ يُوافِقُني ... بأَنَّ يُوسُفَ خَيْرُ النّاسِ لِلنّاسِ

المَالِكُ النّاصِرُ المُمْضي أَوامِرَهُ ... على المُلوكِ بِحُكْمِ الجودِ والباسِ

---

(١) معاطف : العطف ، في الأصل هو المنكب أو الجانب ، والعِطاف والمِعطف الإزار أو الرداء ، وقيل المعاطف الأردية لا واحد لها كما جاء في اللسان .

(٢) في الديوان : (أنْ أقاسي) ، وقد أثبتنا رواية الخزانة .

(٣) جسّاس بن مرة الشيباني قاتل كليب بن وائل .

(٤) القابس والمِقباس : وهو طالب النار ، والمِقباس أيضاً والمِقبس : ما قُبست به النار .

إذا بَنَوا سُؤْدُداً يَوماً على شَرَفٍ
هارٍ ، بنـاهُ على تَوثيقِ آساسِ

وإنْ تَطايرَ مِنْهمْ ريشُ حِلمِهِـــمْ
عِندَ العواصفِ ، فهْوَ الشّامخُ الرّاسي

مِنْ أُسْرَةٍ ، غَرَسَتْ مِنْهمْ أوائلُهمْ
في خَيْرِ مَغْرِسِ مُلْكٍ خَيْرَ أغْراسِ

ذو فِطْنَةٍ ، أَعْجَزَتْ أَدْنى بَديهَتِها
مَنْ باتَ يَضْرِبُ أخْماساً لأَسداسِ[1]

يُرْدي الخَوارجَ بَسّاماً لِخُلْفِهِمُ
عَهْدَ الخَلائفِ مِنْ أبناءِ عبّاسِ

طَغَوا ، فَعَقّهمُ لمّا دَلَفْتَ لَهُمْ
طَعْنٌ ، ذَكَرْنا بِهِ طاعونَ عَمْواسِ[2]

سَقاهُمُ جَيشُكَ المنصورُ كأْسَ رَدَىً
يَحْظَى بِلَذّتِهِ ساقيهِ لا الحاسي

فبِالقَواضبِ يَثْني عَبْدَ كلِّ هَوىً
وبالمَواهبِ يُغْني رَبَّ إفْلاسِ

مُحبَّساتٌ على الإطلاقِ أَنْعُمُهُ
مُدَّحاتٌ بأَشْعارٍ كأَحْبـــاسِ

---

(١) في الديوان : (يضرب أخماساً بأسداس) والصحيح ما أثبتناه ، وقول العرب : (يضرب أخماساً لأسداس) أي يسعى في المكر والخديعة ، يُضرب لمن يظهر شيئاً ، ويريد غيره . وأصل ذلك أن شيخاً كان في إبله ومعه أولاده رجالاً يرعونها قد طالت غربتهم عن أهلهم ، فقال لهم ذات يوم : ارعوا إبلكم ربعاً ، فرعوا ربعاً نحو طريق أهلهم ، فقالوا له : لو رعيناها خِمساً ، فزادوا يوماً قِبَل أهلهم ، فقالوا لو رعيناهـا سِدساً ، ففطن الشيخ لمـا يريدون ، فقال : ما أنتم إلا ضربُ أخماسٍ لأسداسٍ ، ما همتكم رعيها ، إنما همتكم أهلكم .

(٢) طاعون عَمْواس : أول طاعون كان في الإسلام بالشام .

جَمعْتُ شَمْلَ سُعودي حِينَ قرَّبَني ... مِنْه ، وأَبْعَدْتُ أقْتابي وأَحْلاسي[١]

وقدْ عَمرْتُ ومَدْحي فيهِ يَدْرُسُهُ ... أَعداؤه ورُبوعي غَيْرُ أَدْراسِ

يَجْني مَعادِنَ أَفكاري ، فتَنْفَحُهُ[٢] ... بالسِّحْرِ مِنْ «بابلٍ»،والخَمْرِ مِنْ «حاسِ»[٣]

فَحِينَ أَذْكُرُهُ ، يَصفَرُ حاسِدُهُ ... وحِينَ أَكْتُبُهُ ، تَبْيَضُّ أَنْقاسي[٤]

فَيَسْتَبِينُ لِمَنْ يبغي قِراءتَهُ ... مازادَ مِنْ نورِهِ عن نورِ قرْطاسِ

١٦٣

وقالَ ، يَمْدحُ المَلِكَ الأَمْجَدَ (*) :

ل 41/و أَمَغْنَى اللِّوى ، مَهْما نَسِيتُ ، فما أَنْسَى ... زَماناً ، بِهِ غازَلْتُ غِزلانَكَ اللُّعْسَا[٥]

(*) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) أقتاب : جمع قِتْب وقَتَب ، وهو إكاف البعير والرحل .
أحلاس : جمع حِلْس ، وهو كساء على ظهر البعير تحت البَرْذَعَة ، ويبسط في البيت تحت حُرّ الثياب .

(٢) في الديوان : (فتمنحه) ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) حاس : موضع في أرض المعرة ، يبدو أنه مشهور بصنع الخمر. لم يذكره غير ياقوت، وقد ورد ذكره في شعر ابن أبي حصينة من قصيدة :

وزمانِ لهو بالمعرّة مونق ... بسيائها وبجانبي هِرْماسها

أيام قلت لذي المودّة : سقّني ... من خندريس حناكها أو حامسها

(معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٠٥ ؛ وديوان ابن أبي حصينة ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦) .

(٤) أنقاس : جمع نِقْس ، وهو المداد الذي يكتب به .

(٥) اللعس : جمع ألعس ولعساء ، واللعس هو سواد اللثة والشفة ، وقيل اللَّعس واللُّعسة : سواد يعلو شفة المرأة البيضاء ، وقيل : هو سواد في حمرة .

ولا مَنزلاً ، أسماءُ تَجْلو سَماءَهُ ... فتُمْسي بهِ بَدْراً ، ويُضحي بِها شَمْسَا

إذا ماتَهادَتْ ، واهْتَدَيْنا بنورِها ... فمِنْ حَدَقٍ تُحْذَى ، ومِنْ حَدَقٍ تُكسَى

غَزالةُ إنْسٍ غادَرَتْ قبلَ غَدْرِها[١] ... نَهاري بِها عيداً ، ولَيْلي بها عُرْسَا

مُشَدَّدةٌ في صَدِّها وإيابِهـــا ... تُذكِّرُ قلبي صِيدَ آبائها الحُمْسَا[٢]

ولو أنكرتْ أنسابَهـا عَبْشَميَّةٌ ... عرَفْتُ الأُنوفَ الشُّمَّ والأوجُهَ المُلْسَا

أأَسماءُ، هل عَيْشي بذي الأَثْلِ عائدٌ[٣] ... يُبَدِّلُ مَغْناهُ مِنَ الوَحْشَةِ الأُنْسَا؟

وهل طيبُ وَصْلٍ كُنْتُ أَجْنيهِ وادِعاً ... يُراجِعُني يَوماً ، فأَخلِسُهُ خَلْسا ؟

كَلِفْتِ بإجْهادي ، فكلَّفتِ مُهْجتي ... نَوىً عَجِزَتْ عنها ، فكَلَّفْتِها العَمْسا[٤]

---

(١) في الأصل : (عذرها) .

(٢) الحُمس : جمع أحمس ، والأحمس في الأصل هو الشجاع ، والحمس أيضاً لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم في دينهم أو لالتجائهم بالحمساء وهي الكعبة لأن حجرها أبيض إلى السواد . والمعنى الثاني أي لقب قريش هو المقصود إذ إن الشاعر صرح في البيت الذي يليه بأن محبوبته من عبد شمس .

(٣) ذو الأثل : أوردت المعاجم ذكر ذي الأُثيل وذي المأثول وذات الأثْل ، وهي أسماء مواضع .

(٤) في الأصل : (العنسا) ، ولا يستقيم بها المعنى ، والصواب ما رجحناه والعَمس الحرب الشديدة وأمر لا يقام له ولا يهتدى لوجهه ، ومن الليالي المظلم الشديد .

وعَقَّبْتِ نَزْرَ الوَصْلِ جَمَّ قَطيعةٍ فأَوْرَدْتني نَهْلاً ، وأظمأْتني خِمْسا[١]

وضاعفتِ هَجْري عَنْدَ ضَعْفِ تَجلُّدي فَصَبْريَ ما أوْهى ! وقَلْبُكَ ما أقْسى !

ولما وقَفْنا في دِيارِكِ وقْفَــةً خَرِسْتُ لَها، أَنْطَقْتِ أطلاَلَكِ الخُرْسَا

وناهَبْتُ أحـداثَ الزّمانِ مَطالبي
بأيدي قِلاصٍ[٢] تَنْهَبُ الوَعْرَ والوَعْسَا[٣]

فأنزلتُ مِنْ أَبناءِ شاذٍ[٤] مآربي بأوفرِهم عِرضاً ، وأوقْدِهم نَفْسَا

وأَنجبِهِمْ نجلاً ، وأَكرمِهـم أَبَاً وأَلْيَنِهِمْ حِلْماً ، وأَنْزَقِهِمْ بأْسَاً

مليكٌ أفاضَ اللهُ عِـدَّ نَوالِهِ
لِيُذْهِبَ عنهمْ، أَهلَ بيتِ النّدى ، الرِّجسَا

---

(١) الخِمْس : هي في الأصل من أظماء الإبل ، وهي أن ترعى ثلاثة أيام ، وترد الرابع .

(٢) قِلاص : جمع الجمع قُلُص وقلائص ، والمفرد قلوص ، وهي الشابة من الإبل ، أو الباقية على السير ، أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تثني ، والناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث منها .

(٣) الوعْس والوعْسة والوعساء والأوعس : السهل اللين من الرمل ، وقيل : هي الأرض اللينة ذات الرمل ، وقيل : هي الرمل الذي تغيب فيه الأرجل .

(٤) أبناء شاذٍ : هم الأيوبيون نسبة إلى جدهم شاذي بن مروان .

يُرى في النَّدى كَعْباً، وفي الحِلْمِ أحْنَفاً وفي رَأْيِهِ قَيساً ، وفي لَفْظِهِ قُسَّا

ويَسْمعُ لَفْظي عارضٍ ومُحرِّضٍ فينْسَخُ ذا نَسْخاً،ويَدْرُسُ ذا دَرْسَا

ويَأْسَى، لو آنَّ الشُّكْرَ مما يَفوتُهُ وأمَّا على فَوْتِ الثَّراءِ ، فلا يَأْسَى

سَفائنُ قَصْدي في بحارِ نوالِهِ لها أملي مَجْرى ، وأمْوالُه مُرسَى

عَقلْنا ، فهل نَرْضى رئيساً سوى فتىً
ترَى التَّاجَ لا يَرْضى سِوى رَأْسِهِ رَأْسا ؟

مَدائحُهُ تَسْري ويَثبتُ مُلْكُهُ
فبِالبَذْلِ ما أسْرَى ! وبِالعَدْلِ ما أرْسَى!

يفرِّعُ للفتْكِ الجُفونَ إذا غزا ويَملأُ بالنَّحرِ الجِفانَ إذا أمسَى

بجودِ سَحابٍ يُخصِبُ الوَهْدَ والرُّبا وجِدِّ عِقابٍ يُرْهِبُ الجِنَّ والإنْسَا

فتىً طال عَجْمُ الدَّهرِ صُلْبَ قناتِهِ فلمْ[1] يُبقِ للأيّامِ ناباً ولا ضرسَا

فتىً قَسَمَ العِزُّ العُلا مِنْ بَنانِـــهِ
لقَبْضِ الأذى خَمْساً ، وبذلِ النَّدى خَمْسَا ل 41/ظ

لَكَ اللهُ ، مجدَ الدينِ ، مِنْ مالكٍ[2] غَدَتْ
شواردُ أمْثالي ، على مَدحِهِ ، حُبْسَا

---

(١) في الأصل : (فلا) .

(٢) في الأصل : (مالك) ، ولا يستقيم بهـا وزن البيت ؛ والصواب ما أثبتناه ، فهذا من تحريف الناسخ .

مَنَحْتُكَها، لَمْ آلُ جَهْداً ، ولم تَكُنْ لتَبْذُلَ لي في سُوقِها ثَمَناً بَخْسَا

وكيفَ ادِّخاري عنكَ لَفْظاً وَهَبْتَهُ أليسَ ادِّخارُ المُلْكِ عن رَبِّهِ أَلْسَا[١]

ونَوَّرْتَ أفكاري بغُرٍّ قصائدٍ
كُتِبْنَ ، فغَارَ المِسْكُ إذْ لم يَكُنْ نِقْسَا[٢]

ولولا تَناهي خَطِّها في صِيانِهِ
على الطِّرْسِ ، ما مِيِّزْتُ مِنْ سَطْرِها الطِّرْسَا[٣]

هَنَأْتُكَ[٤] شَهْراً ، سوفَ تَجْني ثِمارَ ما
غَرَسْتَ بهِ ، أَكْرِمْ بغَرْسِ العُلا غَرْسَا !

لقد زِدْتَ شهرَ اللهِ في نُورِهِ سَناً
فزادَكَ شهرُ اللهِ مِنْ قُدْسِهِ قُدْسَا

١٦٤

وقال[٥] أيضاً :

أأُسودُ غِيلٍ ، أَمْ ظِباءُ كِناسِ هَدَمتْ رَجَايَ[٦] ، وأَسَّسَتْ وَسْواسي؟

(١) الألْس والمؤالسة : الخداع والخيانة والغش والسَّرَق .
(٢) النِقْس : المداد الذي يكتب به .
(٣) الطِرس : الصحيفة .
(٤) في الديوان : (هناك شهراً) ولا يستقيم بذلك الوزن ، والصواب ما أثبتناه .
(٥) الفوات : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .
(٦) في الفوات : (هدمت تقاي) .

سَنَحَتْ ، فَظَلْتُ مُقلَّباً في عِينِها عَيْنيَّ ، وانْقَلَبَتْ بِطَرْفٍ خاسي[١]
وتَغزُّلي مِنْ عِنْدِها بغُزَيِّلٍ خَلَسَ النُّفوسَ بطَرْفِهِ الخَلاَّسِ[٢]
أَشْكو إليهِ ، وأَينَ عِزُّ جَمالِهِ مِنْ ذِلَّتي ، وغِناهُ مِنْ إفلاسي
ماذا تَرَى أَذْنبْتُ في شَرْعِ الهَوَى حتى بُليتُ بكلِّ قَلْبٍ قاسِ
حَرانُ ، هتّانُ الجفونِ يلومُني يَبْسُ المدامعِ ، باردُ الأَنفاسِ
مَوْلايَ ، تَذْكُرُ إِذْ زماني قائمٌ فيما أَمَرْتَ ، وأَنْتَ مِنْ جُلاَّسي[٣]
حُوشِيتَ مِنْ نِسْيانِ عَهْدٍ لم يَزَلْ يُنسيني الإيحاشَ بالإيناسِ
ولَئِنْ غَدَرْتَ ، لقد وَفَتْ لِيَ عَبْرَتي والدَّمعُ مِنهُ خاذلٌ ومُواسِ[٤]
إنْ لم تَزُرْ ، فإذا مَرَرْتَ فقِفْ بنا « ما في وقوفكَ ساعةً مِنْ باسِ »[٥]
أَنتَ الدواءُ لكلِّ داءٍ مُعْضِلٍ أعيا بـهِ الرَّاقي ، وعزَّ الآسي
ياصاحِ ، لا تُخْدَعْ ، فما لِصحابِنا شِبْهٌ سِوَى الأَمواتِ في الأَرْماسِ

(١) يقال : ظَلِلْتُ ، وظَلْتُ ، وظِلْتُ ، وقد ورد مثل هذا التخفيف في القرآن كما في قوله تعالى : « ظَلْتَ عليه عاكفاً » و « فظَلْتم تفكهون » . خاسي : أي خاسىء

(٢) في الفوات (من بينها) .

(٣) في الفوات (مولاي تذكر إذ تراني قائماً) .

(٤) في الفوات : (ولئن عذرت) .

(٥) ضمن الشاعر الشطر الأول من بيت لأبي تمام وتمامه قوله :

«نقضي ذمام الأبع الأدراس»

(ديوان أبي تمام ، المجلد الثاني ، ص ٢٤٢) .

وإذا السُّرورُ عَصَى عليكَ،ولم يُطِعْ فخُذِ المُدامَ ، ودَعْ كلامَ النَّاسِ
لا تَكْذِبَنَّ ، فَلَستُ أَتْرُكُ شُرْبَها في الدَّيْرِ بَيْنَ القَسِّ والشَّمَّاسِ[1]
عَنَّفْتَني فيما مَضى ، وغَدَرْتَ إِذْ نادَمْتَني ، وشَرِبْتَ فَضْلَةَ كاسي
هذا ، ولو أَدْرَكْتَ لَذَّةَ نَشْوتي قَبَّلْتَ رِجْلي ، أَوحَلَفْتَ براسي[2]
ل 42 / و وحَسِبْتَني عِنْدَ انتشائي لِلنَّدى بعضَ الخلائفِ مِنْ بني العَبّاسِ

١٦٥

وقالَ ، رحِمَهُ اللهُ :

فَطَمْتَني مِنْ رَضاعِ كاسي لقد تَعسَّفْتَ في مِراسي
دَعْني لأَنحازَ عن همومي ما بَيْنَ دَنّي وبَيْنَ طاسي
لعلَّ في شُرْبِها شِفائي مِنْ أَصْلِ شكْوايَ وانْتِكاسي
ووَحْدتي مِنْ صِحابِ صِدْقٍ ما النَّاسُ بَعْدَهُمُ بِناسِ
بُدِّلْتُ عنهمْ بقُرْبِ مَنْ لا يأسو جِراحي ، ولا يُواسي
وحُرْمَةٌ مِنْ فِراقِ إِلْفٍ ما مَرَّ مِثْلٌ لَها براسي

(١) الشمَّاس : من رؤوس النصارى وهو الذي يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة . قال ابن سيده : وليس بعربي صحيح ، وجمعه شمامسة ، وقد ألحقوا به الهاء للعجمة أو للعوض .

(٢) في الفوات : (أدركت فضلة نشوتي) .

ما اللَّيثُ في خِيسهِ[1] شَبيهاً لهُ ، ولا الظَّبْيُ في الكِناسِ[2]
والغُصْنُ ، إنْ قِستَهُ إليـهِ يَجِـلُّ عن ذلكَ القِيـاسِ
أذْكَرَني البَرْقُ مِنْهُ ثَغْراً يا بَرْقُ ، أذْكَرْتَ غيرَ ناسِ
قد كانَ شَمْسي وبدرَ أُنسي مُصابِحاً شَخْصَه مُمـــاسِ
لا تَلْحُ في حُبّهِ ، فإنِّي بَنَيْتُ وَجْدي على أساسِ
واللَّومُ ، لاشكَّ فيهِ ، لُؤْمٌ لِمُقْتَضَى حِكْمَةِ الجِنـاسِ

١٦٦

وقالَ ، وقد سُئلَ ذلكَ :

ياجِيرةً ، لَمّـا نَبَذْتُ جِوارَهُمْ رَحلُوا بِراحةِ قَلْبِيَ المَخْلوسِ[3]
ياكوكباً ، غيَّبْتُهُ عن مَطْلَعي يادُرَّةً ، أَخْرَجْتُها مِنْ كيسي
ياشادِناً ، شرَّدْتَهُ عن أَضْلُعي يا ضَيْغَماً[4]، أزْعَجْتُهُ عن خِيسي

(١) الخِيس : بكسر الخاء وهو الشجر الملتف ، أو ماكان حلفاء وقصبا ، وموضع الأسد .
(٢) الكِناس : هو مستتر الظبي في الشجر لأنه يكنس الرحل حتى يصل ، وكنس الظبي دخل في كِناسه .
(٣) المخلوس : أصل معنى الخَلْس الأخذ في نهزة ومخاتلة ، وفي اللسان أن المخلوس هو الذي لا يرى من قلة لحمه .
(٤) الضيغم : الأسد .

كم قد جحَدْتُ هواكَ بعدَ ظهورِهِ حتى دُعيتُ بِمُنكِرِ المَحْسوسِ !

إنْ عادَ لي مِنْكَ الزَّمانُ بِدَوْلَةٍ يَجْلو تبسُّمُها ظَلامَ عُبوسي

لأُنافِسَنَّ عليكَ كلَّ مُنافِقٍ ولأُنفِقَنَّ عليكَ كلَّ نفيسِ

١٦٧

وقالَ لُزوميةً (١) :

جارَتْ عليَّ مِنْ الظِباءِ الكُنَّسِ غرّاءُ أغْرَتْ باللَّواحي(٢) الخُنَّسِ(٣)

دَنِسَتْ ثيابُ اللّائماتِ بِلَوْمِها وغَدَوْتُ بالسُّلوانِ غيْرَ مُدنَّسِ

ولَئِنْ أَنِسْتُ إلى سُعادَ ، فإنَّ لي هِمَماً بغيرِ سُعودِها لم تأْنَسِ

إنّا لَقَومٌ ، ما تَخِفُّ حلومُنا فنُساءَ ، أقدرَ ما نكونُ ، ولا نُسي

فُقْنا الأَنامَ بمَذْهبٍ ، في فَخْرِنا وعَلائِنا ، مُتنوِّعٍ مُتَجَنِّسِ

١٦٨

ظ/ 43 ب وقالَ في طَلَبٍ :

هذا حبيبٌ تَصْحيفُ مَعْكوسِهْ شيءٌ يَصُونُ الفَتَى بمَلْبوسِهْ

---

(١) في الديوان إشارة إلى الحرف الملتزم في القافية وهو النون .

(٢) اللواحي : العواذل ، واللِّحاء : العذل .

(٣) الخُنَّس : جمع خانس ، يقال خَنَس من بين أصحابه انقبض وتأخَّر واختفى .

فإنْ تُنَفِّذْ إلى أخيكَ بِهِ تُنْقِذْهُ بالنَّعيمِ مِنْ بوسِهْ

١٦٩

وقالَ :

لأُوثِرَنَّ عليكَ النَّاسَ كلَّهُمْ كما مَنحتُكَ إيثاراً على النَّاسِ

خُذْها قساوةَ قَلْبٍ عِفْتَ رِقَّتهُ عليكَ ، يَعْجَبُ مِنْها قلبُكَ القاسي

١٧٠

وقالَ :

تَلَقَّى الشَّمسَ بالآلَـــةِ للتَّخمينِ والحَدْسِ

وقالَ : الشَّمسُ في الثَّورِ فقلتُ : الثَّورُ في الشَّمْسِ[1]

١٧١

وقالَ لزوميةً[2] :

جاوزْتُ خَمْسينَ ، ولي صَبْوَةٌ إلى بَناتِ العَشْرِ والخَمْسِ

حكى الصِّبا هذا التَّصابي الذي أُصْبِحُ فيـهِ مِثْلَما أُمْسي

تَقُولُ نَفْسي كُلَّما لُمْتُهـــا : ما أَقْرَبَ اليَومَ مِنْ الأَمْسِ !

---

(١) الثور الأولى : أحد الأبراج السماوية الاثني عشر .

(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الميم الملتزم في القافية .

تَجوزُ بالتَّدريجِ أَهواءَها حتى تُؤدِّبَني إِلى رَمْسي

١٧٢

وقالَ لزوميةً ، يَرْثي صَديقاً لَهُ[1] :

رُوحي الفِداءُ لهالكٍ قَبَسَ الفَضائلَ ، واقْتَبَس
وَدَّعْتُهُ لَمّا قَضى وجَبينُهُ مِثْلُ القَبَسْ
ورَأَيتُهُ مُتوغِّلاً في النَّازعاتِ وما عَبَسْ[2]
مَنْ لامَ في وَلَهي عَلَيْهِ ، فقُلْ لهُ : أَقْصِرْ ، وبَسْ[3]



(١) في الديوان إشارة إلى حرف الباء الملتزم في القافية .

(٢) يقال : فلان في النزع أي في قلع الحياة . وهو تنزع نزعاً إذا كان في السياق عند الموت . والنازعات في التفسير : الملائكة التي تنزع الروح من الجسد .

(٣) بَسْ : جاء في اللسان أنها فارسية الأصل ، ومعناها حَسْبُ .

قافية الشين

١٧٣

قالَ[1] يمدحُ المَلِكِ المَنْصورِ[*] :

صَبٌّ ، لِخَدَّيْهِ بالدُّموعِ يَشِي ... مِنْ جَوْرِ واشٍ بكَمْ عليهِ يَشي

ومُولعٌ ، تَنْطوي أضالِعُهُ ... على حَشاً ، مِنْ جَوَى الغرامِ حُشِي

تَيَّمَهُ الواصلُ القَطوعُ ، فقدْ ... هيَّمَهُ بَيْنَ مارَجَا وخَشِي

ظَبْيٌ مِنَ الإنسِ ، كَمْ لِنَفْرَتِهِ ... والأُنْسِ ، مِنْ مُدْنَفٍ ومُنْتَعِشِ

[لا يَطْمعُ البَدْرُ أَنْ يُقاسَ بِهِ ... وهو مَعيبٌ بالنَّقْصِ والنَّمَشِ

بدا ، فأبْدَيْتُ غيرَ مُعْتَمِدٍ ... هَواهُ ، لكنْ دُهِيتُ مِنْ دَهَشِي][2]

عَقْرَبَ صُدْغاً كالنُّونِ عرَّقَها ... في آخِرِ السَّطْرِ كَفُّ مُرْتَعِشِ[3]

وثَعْبَنَ الشَّعرَ كي أُراعَ ، فلا ... وُقِيتُ مِنْ لَسْعِ ذلكَ الحَنَشِ[4]

(★) هو الملك المنصور الثاني محمد بن المظفر الثاني محمود ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٢) استدركنا البيتين من رواية الذيل (و ١٣٤) .

(٣) في الديوان : (في آخر الطرس) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .

(٤) الحَنَش : الحية ، وقيل الأفعى ، وقيل : هو أفعوان أبيض غليظ مثل الثعبان أو أعظم ، وقيل : هو الأسود منها ، وقيل هو منها ما أشبهت رؤوسه الحرابيّ وسوام أبرص ونحو ذلك .

راقَ جمالاً ، ورَقَّ مُحْتَضَناً فكِدْتُ أَشْتَفُّهُ منَ العَطَشِ [١]

[ضَمَمْتُ أَعْطافَهُ ، فباتَ على مُوسَّدٍ منْ يَدي ومُفْتَرَشِ] [٢]

وافى على أَدْهَمِ الدُّجا ، ومَضى رَكْضاً على أَشْهَبٍ منَ الغَبَشِ [٣]

طاش [٤] وقاري له ، وأيُّ فتىً فازَ بما نلْتُهُ ، فلَمْ يَطِشِ ؟

[مَولايَ عِشْ وادعاً فعبدُكَ إنْ دامَ بـهِ ذا السَّقامُ لم يعِشِ] [٥]

وَراعِ بالبَيْنِ مُهْجَــةً تَلِفَتْ لولا قدومُ السُّلطانِ لم تَخُشِ [٦]

محمَّدٌ خيرُ ماجــدٍ يَقِظٍ يَرْضى هُداهُ مُحَمَّدُ القُرشي [٧]

صَادَمَ جيشَ التَّتــارِ مُقْتَحِماً ما جَشَأَتْ نَفْسُهُ ، ولم تَجِشِ

لمَّا طغى كَبْشُهُ [٨] تعمَّــدَهُ فصيَّرَ الرأْسَ منه في الكَرِشِ

---

(١) في الذيل : (رق جمالاً) . وفي الديوان : (أستفه) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .

(٢) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل (و ١٣٤) .

(٣) الغبش : بقية الليل أو ظلمة آخره .

(٤) طاش : الطيش خفة العقل والنزق ، ويقال طاش الرجل بعد رزانته أي خف حلمه .

(٥) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل (و ١٣٤) .

(٦) في الأصل : (لم تعش) ، وهذا تحريف ، ومعنى خاش رجع . وربما كانت (لم تفش) ومعناها لم تفخر ، وهذه أقرب إلى الرسم ، وتلك أصوب للمعنى لأن القدوم يناسبه الرجوع .

(٧) كُتب فوق ياء القرشي (عليه السلام) .

(٨) كبشه : كبش القوم رئيسهم وسيدهم ، وكبش الكتيبة قائدها . والكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان والعرب تؤنثها .

فأسلمُوا الشَّامَ بعدمـا طمِعُوا ... في مُلْكِ أرضِ الحجازِ والحَبَشِ
يَفْدي مَعاليهِ كلُّ ذي بَخَلٍ ... على احْتِجابِ النُّضارِ مُنكمِشِ
بلْ كلُّ سَمْحٍ يَصُونُ مِسْمَعَهُ ... مِنْ لومهِ في النَّدى عن الفُحُشِ
راشَ جناحي بما حَباهُ ، وقد ... مَضَى عليهِ دَهْرٌ ، ولم يَرِشِ
فَدامَ شَمْساً ، إذا النَّهارُ عَلَا ... وبَدْرَ تِمٍّ ، إذا الظَّلامُ غَشِي

١٧٤

وقال[١] يمدحُه[٢] ، ويَذْكُرُ كَسْرَةَ التتارِ[٣] :

(١) المختصر : ١ ، ٤ ، ٥ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ؛ والذيل : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٢) ممدوحه السابق المنصور محمد بن المظفر الثاني محمود ، وقد سبقت ترجمته .

(٣) أورد المؤرخ أبو الفداء في تاريخه بعض أبيات القصيدة المذكورة ، واستشهد بها بعـد ذكره المناسبة : وفي هذه السنة (أي سنة ٦٥٨) كانت هزيمـة التتر في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، على عين جالوت ، وقد سار من مصر المظفر قطز ، وصحبته الملك المنصور محمد ، صاحب حماة ، وأخوه الملك الأفضل ، وكان كتبغا نائب هولاكو على الشام ، فسار إلى لقاء المسلمين ، فانهزم جنوده هزيمة قبيحة ، وقتل مقدمهم كتبغا ، وأسر ابنه ، وقد كافأ السلطان المظفر قطز الملك المنصور على شجاعته ، فأقره على حماة ، وأعاد إليه المعرة ، كما أعطاه الدستور ، فقدم الملك المنصور قدّامه مملوكه ونائبه مبارز الدين أقوش المنصوري إلى حماة ، ثم سار الملك المنصور وأخوه الملك الأفضل ، ووصلا إلى حماة ، ولمـا استقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتر واعتقلهم « وهنأ الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ المنصور بهـذا النصر العظيم وبعود المعرة بقصيدة منها : رعت ... » الأبيات (أبو الفداء : المختصر ، ج ٣ ص ٢١٤) .

رُعتَ العِدَا ، فضَمِنْتَ ثَلَّ عُروشِها[١] ولَقيتَها ، فأَخذْتَ فلَّ جُيوشِها[٢]

للهِ درُّ كتيبةٍ مَلْمومَةٍ تَبْغيك[٣] حينَ حَمَلْتَ في جاليشِها[٤]

جنَّبتَها نَغَمَ القِيانِ مُعَوِّضاً بتَردُّدِ الأَصواتِ مِنْ شاويشِها

نازَلْتَ أَملاكَ التَتارِ ، فأُنزِلَتْ عن فَحْلِها قَسْراً وعَنَ إكديشِها

صمَّتْ عن الإنْذارِ حتى أُوجِرَتْ صُمَّاً يُفتِّحُ مِسمَعَيْ أُطْروشِها[٥]

روَّيْتَ أَكبادَ القَنا بِدِمائِهِمْ لمَّا أَطالَ سِواكَ في تَعْطيشِها

فتَّشْنَ غُلفَ قُلوبِهِم عن غِلِّهـا عَمْري ، لقد بالَغْتَ في تَفْتيشِها

أَقْدَمْتَ مُقْتحِماً على نُشَّابِهـا تكسو الجِيادَ رِياشَها مِنْ ريشِها[٦]

---

(١) في الديوان : (تل عروشها) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .

(٢) في المختصر : (تلَّ جيوشها) .

(٣) في الذيل (تبعتك حين ...) .

(٤) في الديوان : (شاليشها) ، لم تورد معاجم اللغة ذكر معنى (جاليش) ، وقد عرفت في هذا العصر ؛ وهي الراية العظيمة في رأسها خصلة من الشعر ، وكان المماليك يطلقونها على الطليعة من الجيش ، وقد استعملها الشاعر في ذات المعنى هذا . أورد ذكرها القلقشندي (انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٨) وابن تغري بردي (انظر النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٠١) وكاترمير (انظر ترجمة السلوك ، ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ هامش) ، وعاشور (انظر العصر المماليكي ص ٤٠٣) .

(٥) الأُطْرُش والأُطْروش أي الأصمّ .

(٦) النُّشَّاب : النبل والسهام ، واحدته نُشَّابة . وقوم نَشَّابة يرمون بالنُّشَّاب ، والنَّشَّاب متخذه .

فَكأَنَّهـا بالنَّبلِ مِنْ نَشَّابِهـــا أهدَتْ إليكَ لآلئاً مِنْ كيشِها[١]

دارتْ رَحى الحَربِ الزَّبونِ عليهِمُ فغدَتْ رؤوسُهُمُ حُطامَ جَريشِها[٢]

فُقْتَ المُلوكَ بِبَذلِ ما تَحْويهِ إذْ خَتَمَتْ خزائنَها على مَنقوشِها[٣]

نَزَلَتْ على ما تَرْتضيهِ ، ولو أَبَتْ أَرْكَبْتَها قَهْراً ظُهورَ نُعوشِها

وطَويتَ عن مصرٍ فسيحَ مَراحلٍ ما بَيْنَ بِرْكَتِها وبَيْنَ عَريشِها[٤]

حتى حفظتَ على العبادِ بلادَهـــا مِنْ رُومِها الأقصى إلى أُحبوشِها[٥] ل44/ و

[فَرَشَتْ حماةُ لوطءِ نعلِكَ خدَّها فوطِئتَ عينَ الشَّمسِ مِنْ مَفروشِها

وضَرَبْتَ سِكَّتَها التي أخلصْتَها عمّا يَشوبُ النَّقْدَ مِنْ مَغْشوشِها

وكذا المعرَّةُ[٦] إذْ مَلَكْتَ قيادَها دَهِشَتْ سُروراً [سارَ في] مَدْهوشِها[٧]

---

(١) كيش : ذكر صاحب اللسان نقلاً عن ابن بزرج أن الأكياش من برود اليمن .

(٢) الجريش : جرش الشيء لم ينعم دقه أو طحنه . (٣) في الذيل (خزائنهم) .

(٤) بركتها : نظن أنها بركة الحبش ، وهي أرض في وهدة من الأرض واسعة ، طولها نحو ميل ومشرفة على نيل مصر ، خلف القرافة (معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٠١) .

(٥) ذُكر في اللسان أن الحبش جنس من السودان ، وهم الأحبُش والحُبشان والحبيش ، وقالوا الحبشة . والأُحبُوش : جماعة الحبش .

(٦) أشار اليونيني إلى قصة المعرة قائلاً: «فكان للملك المنصور ، صاحب حماة ، في هذه الوقعة اليد الطولى ، فأحسن إليه المظفر [قُطُز] ، وردَّ إليه حماة وماردين ومعرة النعمان ، وكانت المعرة قد أخذها الحلبيون منه سنة خمس وثلاثين» . (اليونيني : ذيل مرآة الزمان، و ٢ ، ٣) .

(٧) في الذيل : (دهشت سروراً . . مدهوشهـــا) فراغ في الأصل ، وقد أتممنا البيت بإضافة [سار في] لاستقامة الوزن وصحة المعنى .

(اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، و ٢ ، ٣) .

طرِبَتْ بِرَجْعَتِها إليكَ كأنَّما سَكِرَتْ بخَمْرةِ جأْشِها أو جَيْشِها] (١)

شَمَلَ الرَّعايا مِنْكَ بِرٌّ زادَ في إفراطِهِ ، فأزالَ مِنْ تَشْويشِها

لا زِلْتَ تُنْعِشُ بالنَّوالِ فقيرَها وتَنالُ أقْصَى الأَجْرِ مِنْ مَنْعوشِها

١٧٥

وقالَ :

قَسَماً بِراقِمِ عارِضَيْهِ وما وَشَى لا رَدَّ سَمْعي فيهِ مَقْولُ مَنْ وَشَى

نَشْوانُ مِنْ خَمْرِ الشَّبابِ أدارَ لي خمرَ الصَّبابةِ فانْتَشَيْتُ كما انْتَشَى

لاهٍ ، تُجَدِّدُ بِيَ البَلابِلُ كُلَّما عَبَثَ النَّسيمُ بِصُدْغِهِ وتَحَرَّشَا

سُبْحانَ مَنْ سَوَّى وصاغَ جَمالَهُ بِيَدِ الكَمالِ كَما يشا (٢) وكما أشا

عَذَرَ العَذولُ ، وقالَ : يا للهِ ما يَلْقاهُ هذا اللَّيثُ مِنْ هذا الرَّشا

لي مِنْ رِضاهُ ومِنْ رَحيقِ رُضابِهِ ما زادَني عِشْقاً لَهُ وتَعَطُّشا

فَمِنَ العِشاءِ إلى الصَّباحِ تَمُدُّني أَلْطافُهُ ، ومِنَ الصَّباحِ إلى العِشَا

---

(١) استدركنا الأبيات الأربعة من الذيل .

(٢) أي كما يشاء وكما أشاء وذلك بقصر الممدود لضرورة شعرية .

١٧٦

وقالَ ، وقد وَصَلَ النَّاصِرُ[*] إلى العَرِيشِ[١] :

أيا مَلِكاً ، لم يشِنْ مُلكَهُ بظُلْمِ الرَّعايا ، ولا غِشِّها
ويا أَسَداً ، لم يَزَلْ بَأْسُهُ يُزيلُ الكَتيبةَ عن كَبْشِها[٢]
حَبَتْهُ نُجومُ سُعودِ السَّما بِما زيَّنَ الأَرضَ مِنْ فَرْشِها
لكَ الحَمَلاتُ حَمَلْنَ العُـداةَ على طَوْعِها أو على نَعْشِها
ونَفْسٌ بما راقَ مِنْ حِلْمِها تَفوقُ بما[٣] راعَ مِنْ طَيْشِها[٤]
وما أَنْفَذَ اللهُ مِنْ عزمِها وما ثَبَّتَ اللهُ مِنْ بَطْشِها
حَلَلْتَ العَرِيشَ ، وفي إثْرِهِ تَحُلُّ بِمِصْرَ على عَرْشِها[٤]

(*) هو الملك الناصر الثاني صلاح الدين يوسف ، وقد سبقت ترجمته .

(١) ذكرها ياقوت في معجمه ، وقال : « هي مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل » (معجم البلدان ، ج ٤ ص ١١٣) .

(٢) كبشها : يقال كبش القوم أي سيدهم وقائدهم .

(٣) في الأصل : (وما) ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) في الأصل : (بطشها) ، والصواب ما أثبتناه لأن الطيش يقابل الحلم ، وهذا من سهو الناسخ .

(٤) عرشها : إشارة إلى عرش مصر الوارد في القرآن الكريم «ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّداً» (سورة يوسف ١٢ / ١٠٠) .

وقالَ يَمْدحُهُ[١] :

مَلَكَ الوَرَى بالحِلْمِ والبَطْشِ ساري المَواهِبِ ، ثابتُ الجَأْشِ
النَّاصرُ المَلِكُ الذي يــدُهُ تَجْتاحُ وَبْلَ المُزْنِ بالطَشِّ[٢]
يُثْني عليه بِطَمْسِ معلمِــهِ الـ إقتــارُ والدِّينارُ بالنَّقْشِ
دانٍ مِن المَعْروفِ مَنْصِبُهُ ناءٍ عنِ النَّكراءِ والفُحْشِ
كَفَلَتْ فواضلهُ[٣] وذَيَّلَهُ بِوَلائمٍ للإِنْسِ والوَحْشِ
يُفْشي إلى قُصّادِهِ بلُهــاً كِتمانُهـــا لحديثِها يُفْشي
بنَوالِهِ المَرْجوِّ فـاقَ على كلِّ الملوكِ وبَأْسِهِ المَخْشي
مَنْ كانَ مَكْتَفياً بمَحْتِدِهِ[٤] عن سؤددٍ يبنيهِ أو ينشي
فليُوسُفٍ أَصْـلٌ منابتُـــهُ تَجْني الفخارَ ، ونورُهُ يُعشي
ولَه طَريفُ مناقبٍ شَمِلَتْ أبويْهِ ، فارتَفعا على العَرْشِ[٥]
جُلِبَ المديحُ لهُ ، فزِينَ بـــهِ ماحِيكَ منهُ ، لهُ ، وما وُشي
لا زالَ يُنعِشُ كلَّ ذي أَمَلٍ حتى أراهُ مُشيَّعاً نَعْشي

ل 44 / و

---

(١) ممدوحه السابق الناصر الثاني صلاح الدين يوسف .
(٢) الطشّ : المطر الضعيف ، وهو فوق الرّذاذ .
(٣) فواضله : الأيادي الجسيمة أو الجميلة .
(٤) المحتِد : الخالص الأصل من كل شيء .
(٥) إشارة إلى قوله تعالى عن أبوي يوسف اللذين رفعهما ابنُهما على العرش ، وقد أوردنا نص الآية المذكورة في شرح القصيدة السابقة .

قافيـة الصـاد

١٧٧

قالَ في الزُّهْدِ :

قُـــلْ باعتِزالِكَ ، وانْتَهِزْ إصلاحَ حالِكَ ، فهو فُرْصَهْ
واعْزِفْ عَنِ الطَّمَعِ الكَذو بِ ولا يكنْ لكَ ، فيهِ رُخْصَهْ[1]
ودَعِ الأَطـــايبَ للِّئا مِ ، فأُكْلَةٌ مِنْهـــا بغُصَّهْ
وإذا شِرهْتَ لفاخِرِ الأَ لوانِ ، صُمْ تُقْنِعْكَ قُرصهْ[2]

١٧٨

وقالَ يَمْدحُ المَلِكَ المَنْصورَ(*) :

أَيرومُ قلبي مِنْ هواكَ تخلُّصا إنْ زادَ لَومي لائمي ، أَو نقَّصَا
كيفَ السُّلوُّ؟ولا مُساعدَ لي سِوَى دَمْعٍ يُطاوِعُني إذا جَلْدٌ[3] عَصَى

(★) هو الملك المنصور الأول محمد بن المظفر الأول تقي الدين عمر .

(١) رُخْصَة : الرُّخْصة في الأمر خلاف التشديد ، ورخَّص له في الأمر أذن له فيه بعد النهي عنه .

(٢) القُرصة : الخبزة كالقُرص أو القطعة الصغيرة من العجين .

(٣) جَلْد : الجَلَد في الأصل القوة والشدة والصلابة ، يقال : جَلُد الرجل فهو جَلْد وجليد وبيِّن الجَلَد والجَلادة والجُلودة .

يا مَنْ تقمَّصَ بالجمالِ ، أَجِرْ فتىً يُمْسِي ، ويُصبحُ بالضَّنَى[١] مُتَقَمِّصَا

وأَعِدْ بوَصْلِكَ طِيبَ عيشٍ حالُها قضَّتْهُ أيامُ الصُّدودِ مُنغَّصَا

لولاكَ لم أكُ بالزُّلالِ على الظَّما شَرِقاً ، وبالأَكلِ الشهيِّ مُغَصَّصَا

ولقد جَهَدْتُ ، فلم أجِدْ لحُشاشتي غيرَ الوصالِ مِنَ الصُّدودِ مُخَلِّصَا

وفَحَصْتُ عنْ طُرُقِ المكارمِ والعُلا ما كانَ يُمكنُ عاقلٌ أَنْ يفحَصَا

فوَجدْتُ أَنْجَحَها توَقُّلَ[٢] جَسْرةٍ[٣] تُقصي الدُّنا ، وعزيمةً تُدني القُصَا

مِنْ كلِّ مانحةِ المهامهِ شخصَها حتى تُرِينا سُؤلَنا مُتَشَخِّصَا

عَظُمَتْ ، فلا تُحصى أياديها ، وقد زُرْنا عليها خيرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى

المالكُ المَنْصورُ ، والمَلْكُ الذي عمَّ البرِيَّةَ بالنَّوالِ ، وخصَّصَا

مَلِكٌ ، إذا عجزَ الملوكُ عن السُّطا جَعَلَ الحُسامَ لمَنْ عَصَى بَدَلَ العَصَا

ثَبْتُ الجَنانِ ، إذا القلوبُ تَقَلْقَلَتْ ذَرِبُ[٤] اللِّسانِ ، إذا مَقالٌ أَعْوَصَا

إِيهٍ ، فَتَى عُمَرٍ[٥] ، وأنتَ أَجلُّ مَنْ شَرَعَ المكارمَ للأنامِ ونَصَّصَا

رُعْتَ الفِرِنْجَ بجَحْفَلٍ مُتعاقدٍ يَأْبَى العُلا لِكُماتِهِ أَنْ تَنْكُصَا

---

(١) تقمَّص : أي لبس وارتدى .

(٢) توقل : التوقل هو الإسراع في الصعود ، وفي الحديث : وتوقلت بنا القلاص .

(٣) جسرة : أى ناقة جسرة ، وهي العظيمة من الإبل الماضية .

(٤) ذرب اللسان : أى سليط اللسان وحاده .

(٥) فتى عمر : هو الممدوح ، وأبوه الظفر الأول تقيّ الدين عمر .

لم تَغزُهمْ إلاّ وأَمَّلَ رائـداً رُعْبٌ يَصُدُّ عنِ الفِرارِ القَوْمصَا[1]

فإذا بَدَوْتَ لليلِ باطِلِهِ صَغا[2] وإذا بدا لنهارِ حقِّكَ حَصْحَصَا

تَغزوهُ بعدَ وعيدِهِ ، فإذا رأى طَمَعاً كذوباً سامَهُ فتلصَّصَا

حتى إذا وافاكَ فرَّ كأنَّـــه كَلْبٌ، إذا زَأَرتْ لُيوثُكَ بَصْبَصَا[3] ل 44 / ب

دُمْ للعُلا ، يا خيرَ مَنْ نصَّ الرَّجا سارٍ لهُ وعلى عُلاهُ نصَّصَا

واستَجْلِها بِكراً نَتيجةَ لَيْـلَةٍ تُومي[4] بناظمِ سِمْطِها كلَّ الرَّصا[5]

أَحكمتُ مبدأَ نسجِها وخِتامَهـا ونسيبَها ومديحَهـــا والمخلَصا

١٧٩

وقالَ في مُسْمِعٍ[6] روميٍّ اسْمُهُ[7] « مَوْزونٌ »[8] :

(١) القومص : ملك الفرنجة وهي تعريب (الكونت) .

(٢) صغا : مال واستمع ، وصغت النجوم غابت .

(٣) بصبص الكلب : حرك ذنبه طمعاً أو خوفاً .

(٤) تومي : أي تومئ ومعناها تشير .

(٥) الرّصا : أي الرّصّا خففت الصاد لضرورة شعرية . يقال رصّ البنيان رصّاً إذا أحكمه وجمعه وضم بعضه إلى بعض .

(٦) المُسميع هو المغني ، والمُسْمعة هي المغنية .

(٧) في الذيل : « وقال في مغنٍ رومي يلقّب بالموزون » .

(٨) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ؛ والمنهل : ٤ ، ٥ ؛ والخزانة : ٤ ، ٥ .

رُوحي فِداؤكَ ، يا «مَوْزونُ» ، مِنْ «قَمَرٍ»[(١)]
تَهَتُّكي فيهِ مَعْدودٌ مِنَ الفُرَصِ

ظَبْيٌ مِنَ «الرُّومِ»[(٢)] ، نَسْجُ «العنكبوتِ»[(٣)] له
عَهْدٌ فكمْ «زُمَرٍ»[(٤)] قد ساقَ في غُصَصِ

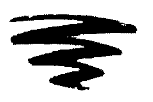
[أظْلَلْتَ «أَحزابَنا»[(٥)] «ياسينَ»[(٦)] غُرَّتِهِ
فاعْجَبْ لِمُقْتَبِسٍ «لِلنُّورِ»[(٧)] مقْتَنِصِ[(٨)] !]

سُبْحانَ مُورِثِهِ مِنْ حُسْنِ «يُوسُفَ»[(٩)] ما
لَمْ يَبْقَ في «الحِجْرِ»[(١٠)] لي ، والصَبْرِ مِنْ حُصَصِ

---

(١) من قمر : إشارة إلى سورة (القمر) في القرآن الكريم .
(٢) الروم : » » » (الروم) » » » .
(٣) العنكبوت : » » » (العنكبوت) » » » .
(٤) زُمَر : » » » (الزُّمر) » » » .
(٥) أحزابنا : » » » (الأحزاب) » » » .
(٦) ياسين : » » » (ياسين) » » » .
(٧) للنُّور : » » » (النور) » » » .
(٨) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل (و ١٢٢) .
(٩) يوسف : إشارة إلى سورة (يوسف) في القرآن الكريم .
(١٠) الحجر : » » » (الحِجر) » » » .

أَقـامَ «للشُّعراءِ[١]» العُـــذْرَ عارِضُه
فكَمْ، لهمْ في دَبيبِ «النَّملِ[٢]»، مِنْ «قَصصِ»[٣]



(١) للشعراء : إشارة إلى سورة (الشعراء) في القرآن الكريم .
(٢) النمـل : » » » (النمل) » » » .
(٣) قصص : » » » (القـَصص) » » » .

قافيــة الضــاد

١٨٠

وقالَ [يمدحُ المَلِكَ الأمجدَ ، ويُهنِّئُهُ بعيدِ الفِطْرِ] :

شَيْبٌ قَراهُ العَيْشُ ناعمَ خَفْضِهِ ... وَحباه جَفْنُ العَيْنِ لَذَّةَ غَمْضِهِ

وغريمُ شيبٍ لا يُدافَعُ خصمُهُ ... وافَى ، وحَقٌّ شَبيبتي ، لم أَقْضِهِ

فَصَدَفْتُ عن لَعِبِ الغرامِ ولَهْوِهِ ... وعَدَلْتُ عن رَفْعِ النَّسيبِ وخَفْضِهِ

فالحبُّ يُغْضِبُني ، وما أَغْضَبْتُهُ ... مِنْ بَعْدِ إرضائي ، ولم أَسْتَرْضِهِ

فلَئِنْ تَجافاني الغَزالُ ، فرُبَّمــا ... جازَى وِدادي المَحْضَ[1] فيهِ بمَحْضِهِ

ولَئِنْ أَصَخْتُ إلى العَذولِ ، فطالَما ... أَعْرَضْتُ عن طُولِ الغَرامِ وعُرْضِهِ

وَهَجَرْتُ في وَصْلِ الكَعابِ مُناصِحي ... وأَخَذْتُ في رَدْعِ العِتابِ ودَحْضِهِ[2]

وقَطَعْتُ مُسْوَدَّ اللَّيالي أَبيضاً ... في وَصْلِ مُبْيَضٍّ المجرَّدِ بضِّهِ[3]

---

(١) المحض : الخالص من كل شيء ، وكل شيء خلص حتى لا يشوبه شيء يخالطه فهو محض .

(٢) دَحْضه : دفعه .

(٣) بضّه : البضّ الرخص الجسد ، وليس من البياض خاصة ولكنه من الرخوصة والرخاصة . يقال : امرأة بضّة المجرّد والمتجرّد والجُرْدة أي بضّة عند التجرّد .

وكسرْتُ رمّانَ النُّهودِ بِهَصْرِهِ ... وأَكلْتُ تُفّاحَ الخُدودِ بعضِّهِ

فاليومَ تَوَّجني الزَّمـانُ بِمُسَوَّدٍ ... شَمِطٍ تنافَرَ بعضُهُ عن بعْضِهِ

وتَبايَنَتْ أَوْصافُـهُ ، فالغَيُّ في ... مُسودِّهِ ، والرُّشْدُ في مُبْيَضِّهِ

وأَراكَ حالي في الهوَى ما هِمْتُ في ... إبْرامِـــهِ إلا هَمَمْتُ بِنَقْضِهِ

لكنَّ لي في ابْنِ المُعِزِّ ، أَخي العُلا ... مِدَحاً تَبُثُّ على القِيامِ بِفَرْضِهِ

مَلِكٌ تَناهَى في مَحَبَّـةِ جُـودِهِ ... لَمّـــا تَناهى غيرُه في بُغْضِهِ

وسَحابُ إِفْضالٍ وفَضْلٍ صابَ في ... دَرَنِ[1] الزَّمانِ مُبالِغاً في رَحْضِهِ[2]

وعَزيمَـةٌ أَحْيَا الزَّمانُ شِهابَها ... وعلِمْتُ أَنَّ النُّجْحَ في مُنْقَضِّهِ ل 45 / و

فهَزَزْتُ صارمَها لأَجْنِيَ نَفْعَـهُ ... والرِّسْلُ[3] يَظْهرُ زُبْدُهُ مِنْ مَخْضِهِ[4]

للهِ كَمْ طودٍ ظَهَرْتُ بظَهْرِهِ ... عَلَماً ! وكم وادٍ عَرَضْتُ بِعُرْضِهِ!

حتى قَدِمْتُ على أَغَرَّ مُتَوَّجٍ ... جَـدْواهُ رَحْمَةُ ربِّهِ في أَرْضِهِ

فأَقَمْتُ في أَكْنافِ أَزْهَرَ باذِلٍ ... لِعَروضِـهِ ومُدافِـعٍ عن عِرْضِهِ

(١) دَرَن : الدرن في الأصل الوسخ أو تلطّخه ، وأمّ دَرَن الدنيا .

(٢) رحضه : الرحض هو الغسل ، ورحض الشيء غسله .

(٣) الرسل : اللبن .

(٤) مخضه : مَخَضَ اللَّبَن : أخذ زُبْدَه .

فَفَداكَ ، مَجْدَ الدِّينِ ، كلُّ مُبخَّلٍ تَسخو بِعِدٍّ[1] ، وهو مانِعُ بَرْضِهِ[2]

بل كلُّ مِتلافٍ ، كأَنَّ عَذولَهُ في المكرُماتِ ، مُبالِغٌ في حَضِّهِ

كُنتَ الملاذَ لشهرِ صومٍ راحلٍ أقرَضْتَ فيهِ اللهَ أَحسَنَ قرضِهِ[3]

وحَبَوْتَ عيدَ الفِطْرِ عندَ قدُومِهِ بعوارفٍ أَثقَلْنَهُ عن نَهْضِهِ

نُثْني على مَلِكٍ ، إذا خَطْبٌ سَطا كفِلَتْ مواضيهِ بِدَفْعِ مُمِضِّهِ

ويُجيلُ في العافينَ طَرْفاً طامحاً للجودِ يأخذهُ الحياءُ بِغَضِّهِ

يارَبِّ ، قدوَالاكَ ، فانْصُرْهُ ، وقد أرْضَيْتَ عنهُ العالَمِينَ ، فأرْضِهِ

١٨١

وقالَ يمدحُهُ[4] ، ويُهَنِّئُهُ بكَسْرِ الفِرَنْجِ :

أهلاً بإقبالِ سُعدَى بعدَ إعراضِ وبُرءِ جسمي بها مِنْ بَعْدِإمْراضِ

وحبَّذا وصلُها ، والطَّيفُ مُمتَنِعٌ وَوَبْلُها حيثُ لم أطْمَعْ بإيماضِ[5]

(١) العِد : الكثرة في الشيء ، وأصل معناها الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء الينبوع .

(٢) برضه : البَرْض هو القليل كالبُراض .

(٣) إشارة إلى أقواله تعالى في كتابه الكريم : المزمل ٧٣ / ٢٠ ، والمائدة ٥ / ١٢ ، والحديد ٥٧ / ١٨ ، والتغابن ٦٤ / ١٧ ، والبقرة ٢ / ٢٤٥ ، والحديد ٥٧ / ١١ .

(٤) ممدوحه السابق ، الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(٥) إيماض : أومض البرق لمع ، وأومضت المرأة : سارقت النظر ، ويقال : أومضت فلانة بعينها إذا برقت ، كما جاء في اللسان .

كادَ السُّرورُ بقُرْبِ الدَّارِ يُوهِمُني أَنِّي عن الدَّهْرِ في أَبعادِها راضِ
إنِّي فَقَدْتُكَ مَطْوِيّاً على مَضَضٍ لكنْ تَناسَيْتُ ، بالمُسْتَقْبَلِ ، الماضي
كما تَناسَى بنو الإِسْلامِ هَمَّهُمُ بِهِمْ أَرْوَعَ لِلأَهْوالِ خَوَّاضِ
بِلَيْثِ حَرْبٍ ، مِنَ الآسادِ ، مُنْتَقِمٍ وغَيْثِ جَدْبٍ على الأَجوادِ فَيَّاضِ
بالأَمْجَدِ المَلْكِ ، مجدِ الدِّينِ ، أشجعِ مَنْ
راضَ الحوادثَ أَعْيَتْ كُلَّ رَوَّاضِ
تَجاهَلَ النَّاسُ في مِصْرٍ وجارتِها قَدْرَ القُرومِ[1] ، فلم تخفضْ بإخفاضي
حتى غَزا الكُفْرُ « دِمْياطاً »[2] بطاغيَةٍ
أَمَــدَّ ظَهْرَ الهُدى مِنْها بأَنْقاضِ
فكادَ يَقْضي على الإِسْلامِ جاهِلُهُمْ ما ليسَ يطمعُ ، في إبطالِهِ ، قاضِ
فأَسْرَعَ ابنُ معزِّ الدِّينِ عَزْمَتَهُ مِنْ بَعْدِ إِحْكامِ تدبيرٍ وإمحاضِ[3]
بكلِّ ضَرْبِ رَبيطِ الجَأْشِ مُشْتَمِلٍ بكلِّ عَضْبٍ مُضِيءٍ في الوَغى ماضِ

(١) القروم : جمع القَرْم ، والقَرْم من الرجال السيد المعظم المقدم في المعرفـــة وتجارب الأمور .

(٢) دمْياط : مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل .
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٧٢ — ٤٧٥) .

(٣) إمحاض : يقال أمحضه الودّ وأمحضه له أخلصه .

ل45/ ظ
وكلِّ أجردَ مِخطيرٍ تُصرِّفُــهُ   يَسارُ ليثٍ إلى الهَيْجاءِ ركّاضِ
وكلِّ أسْمَرَ عسَّالٍ يُسيلُ مِنَ الْـــمَاذيِّ[1] بحرَ دمٍ للحِقْدِ رحّاضِ[2]
وكلِّ صفراءَ مِرْنانٍ مُفتَّرةٍ   نَبْضَ العُروقِ ، إذا ثارَتْ لإنْباضِ
فسابَقَتْهُ إليهم هَيْبَةٌ صَدَروا   عن وِرْدِها آيساً مِنْ وِرْدِ أحواضِ
فسلَّموا ثغر « دِمْياطَ » بلا عِوَضٍ   وطالما خُودِعوا عنهُ بإعراضِ
أجْلاهُمُ عنْ حِماها بأسُ ذي لبدٍ[3]   في السِّلْمِ والحَرْبِ رَفّاعٍ وخَفّاضِ
أعادَ للدِّينِ ما غِيظَ العَدوُّ بِهِ   وعادَ ، واللهُ عنْ أفْعالِهِ راضِ
شُكْراً لِدَهْرٍ تَلافاني بأوْبَتِهِ   مِنَ التَّلافِ وأغْنَى بَعْدَ إنفاضِ[4]
قد كانَ يَمْنَحني طَوراً ويَمْنَعُني   فاليومَ قد نِلْتُ مِنْهُ كلَّ أغْراضي

١٨٣

وقالَ :

أعرَضْـــتُمْ ، ثُمَّ تَعَرَّضْتُمْ   فكَفَّرَ المُستَقْبَلُ الماضي
فإنْ أدَمْتُمْ هجْرَ هِجرانِكُمْ   فوَصْلُكُمْ أنفَسُ أغْراضي
وإنْ تَراجَعْتُمْ إلى غَدْرِكُمْ   عُدْتُ إلى مَعْهودِ إعْراضي

---

(١) الماذيّ : الدرع اللينة السهلة كالماذية ، أو السلاح كلّه .
(٢) رحّاض : مبالغة اسم الفاعل راحض ، والرحض هو الغسل .
(٣) ذو لِبَدٍ : اللِّبــدة بالكسر في الأصل الشعر المجتمع على زُبْرة الأسد أو الشعر المتراكب على كتفيه ، وكنيته ذو لِبْدة .
(٤) في الأصل : (إنقاض) ، والصواب ما أثبتناه .

وجُمْــلَةُ الأَمْرِ وتَفْصيلُهُ أَنّي بِمـا يُرْضيكُمْ راضِ

١٨٤

وقالَ[١] :

أَرِقْتُ لبارقِ مُزْنٍ أَضا[٢] على الأَثْلاتِ[٣] بِذَاتِ الأَضا[٤]

كما نَبَضَ العِرْقُ ، ثمَّ انْبَرَى كإِدْمـانِ رامٍ ، إِذا أَنْبَضَا

فأَذْكَرَني بالغَضَـــا جيرَةً تَوَلَّوا[٥] ، وأُصْليتُ جَمْرَ الغَضَا[٦]

أَضاءَ الدُّجا لِيَ لَمّـــا دَنَوا وبانُوا ، فضاقَ عليَّ الفَضَا[٧]

وطَـوَّلَ في حُبِّهِــمْ لائمي فعَرَّضَ قَلْبي لِمــا عَرَّضا

رأَى النَّـارَ في كَبِدِي تَلْتَظي وفي جَوْفِهِ المـــاءُ ما خَضْخَضَا

فلم يُجْـدِ نَفْـعٌ سِوى أَنَّــهُ على العِشْقِ مَنْ لامَني حَرَّضَا

---

(١) الفوات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٢) أضا : أي أضاء حذفت الهمزة لضرورة شعرية .

(٣) الأثلات : جمع أثلة ، واحده الأثل ، شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عوداً تسوّى به الأقداح الصفر الجياد ، ومنه اتخذ منبر الرسول ﷺ .

(٤) الأضا : اسم غدير ماء ، والأضا في الأصل جمع أضاة وهي الغدير أو الماء المستنقع من سيل أو غيره .

(٥) في الفوات : (تدلـّوا) .

(٦) في الفوات (جمر الغضا) .

(٧) في الفوات : (عليّ الغضا) .

بِرُوحي غَزالٌ لألحاظِهِ[1] ... وعُودٌ بألحاظِنا تُقْتَضى

أُقابِلُ بالعُذْرِ مَهْما جَنَى ... وأُقْبِلُ بالوُدِّ ، إنْ أعْرَضا

سَقاني مِنْ رِيقِهِ خَمْرَةً ... شَفاني بِها ، وبِها أمْرَضا

رَنَا ، وانْثَنَى ، فَقَضَى حُسْنُهُ ... عليَّ ، ولي وَطَرٌ ما انْقَضى

فَمِنْ قَدِّهِ ذابِلٌ مُشْرَعٌ ... ومِنْ جَفْنِهِ صارِمٌ مُنْتَضَى

ل 46 / و

أبثُّكَ وَجْداً كَسَانِي الضَّنَى ... فأعْجَزَني السُّقْمُ أنْ أنْهَضَا

وعَمَّمَ فَوْدي وَخْطُ المَشيبِ ... فَسَوَّدَ حالي بِما بَيَّضَا

بِعَيْني أقيكَ ، فَنَمْ وادِعاً ... وإنْ كانَ جَفْني ما أُغْمِضَا

وزِدْني صُدوداً ، أزِدْ صَبْوَةً ... وفي حالةِ السُّخْطِ ، لا في الرِّضا[3]

أُعِدْ نَظَراً مِنْكَ في أمْرِ مَنْ ... إليكَ مَقاليدَهُ فَوَّضَا

وفاضَ على خَدِّهِ دَمْعُهُ ... فَذَهَّبَهُ بَعْدَما فَضَّضَا

وعاوَدَ إطْرابَهُ بَعْدَما ... نَضَا مِنْ شَبِيبَتِهِ ما نَضَا

---

(١) في الفوات : (بألحاظه) في الشطر الأول .

(٢) في الديوان : (ولي قط ما انقضى) ، وقد أثبتنا رواية الفوات .

(٣) في الفوات : (فزدني صدوداً) .

مَشوقٌ بَرَى جِسْمَهُ لاعِجٌ[١] إذا الحَيُّ مِنْ عالجٍ[٢]، قُوِّضا[٣]
قَضَى ، فادْعُ أَعْظُمَهُ تُحْيِهـا فإنَّ الدُّعـاءَ يَرُدُّ القَضَا
فإنْ كانَ أحْسَنَ في قَرْضِهِ[٤] فأحْسِنْ بتَضْعيفِ ما أَقْرضا[٥]
وإنْ كانَ فيما مَضَى مُذْنِبـاً فحُكْمُكَ يَغْفِرُ ماقـدْ مَضى

١٨٥

وقالَ في اللُّزومياتِ[٦] :

أفنيتَ عُمْري بإعْناتٍ وإعراضِ فهل مُعينٌ أخا عُدْمٍ بإقْراضِ ؟
يا مَنْ تَعرَّضَ أَقوامٌ لَمَوْضِعِهِ فلم أَبِعْ جوهراً مِنهُ بأَعْراضِ
مازِلْتُ أَنْزَعُ في أقواسِ تَجْرِبَتي حتى أصابَتْ سِهامي مِنْكَ أَغراضي
يَلومُني فيكَ نَدْماني ، فيُؤْلمني كأنَّـهُ قارضٌ سَهْمي بمِقْراضِ

(١) لاعج : اللاعج هو الهوى المحرق ، يقال هوى لاعج لحرقه الفؤاد من الحب .
(٢) عالج : رملة بالبادية مسماة بهذا الاسم ، وتقع بين فَيد والقُرَيّات ؛ ينزلها بنو بُحتر من طيء ، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة ، لا ماء بها ، ولا يقدر أحد عليهم فيه ، وهو مسيرة أربع ليال ، وفيه برك إذا سالت الأودية امتلأت . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٧٠ ، ٧١) .
(٣) قوّض أي نقض من غير هدم ، أو هو نزع الأعواد والأطناب .
(٤) في الأصل : (فرضه) ، والصواب ما أثبتناه .
(٥) » » : (أفرضا) ، » » » .
(٦) في الديوان إشارة إلى حرف الراء الملتزم في القافية .

حَلْفاً بجَفْنٍ مريضٍ مِنْكَ أَمرَضَني وكَمْ ، بهِ مَرَّةً ، داوَيْتُ أَمْراضي
إنْ كانَ يُرضيكَ إِسْخاطي بهجْرِكَ لي فاعْلَمْ بأَنّي ، إذا أَسْخَطْتَني راضِ

١٨٦

وقالَ[١] أيضاً[٢] :

النَّذْلُ مَفْروضٌ لهُ يُسْرُهُ والحُرُّ بالإعسارِ مَرْفوضُ[٣]
كذلكَ المَنْقُوصُ لم يَنْخَفِضْ وأَكْمَلُ الأَسماءِ مَخْفوضُ

١٨٧

وقالَ فيها أَيضاً[٤] :

لا ، وثناياكِ ، فهيَ إغْريضُ[٥] ما في اشْتياقي إليكِ تمريضُ
عَرَضْتِ لي بالنَّوَى ، فَصَرَّحَ لي وَجْدٌ ، بهِ للتَّلافِ تَعْريضُ
صيَّرني الحُبُّ هالكاً حَرَضاً لكلِّ واشٍ ، عليَّ تَحْريضُ[٦]

---

(١) البيتان واردان في الوافي .
(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الفاء الملتزم في القافية .
(٣) في الوافي : (بالإقتار) .
(٤) في الديوان إشارة إلى حرف الراء الملتزم في القافية .
(٥) الإغريض : الطَّلْعُ والبَرَد . وقال ثعلب : الإغريض ما في جوف الطلعة ثم شبه به البَرَد ، لا أن الإغريض أصل في البَرَد .
(٦) حرض : يقال رجل حرِض وحرَض ، وحرَضه المرض وأحرضه إذا أشفى منه على الموت .

١٨٨

وقال[١] فيها أيضاً[٢] :

وَدِدْتُ لو كانَ شُرْبُ الرَّاحِ مُفْتَرَضاً
على الوَرَى ، أَو مباحاً غيرَ مُفْتَرِضِ[٣] ل 46/ ظ

حتى أُقضّيَ مِنْ شُكْري بِهـا غَرَضاً
يُنْسِي فُؤاديَ مالم يَقْضِ مِنْ غرضِ

صَهْباءُ مهما سَقاها الماءُ لَبَّثَها
نوراً أُمِـدَّ بنورٍ غيرِ مُنْقَرِضِ

في حَلْبِهِ الدُّرُّ إلا أَنَّ جَوهَرها
في حالَةِ الشُّرْبِ يُكْسَى حالةَ العَرَضِ

١٨٩

وقالَ [يَمْدحُ المَلِكَ المَنْصورَ][٤] :

حاطَكَ اللهُ ، أيُّها المَلِكُ المَنْـصورُ حِفْظاً مِنْ سائِرِ الأَعْراضِ

---

(١) أي في اللزوميات .

(٢) في الديوان : إشارة إلى حرف الراء الملتزم في القافية .

(٣) في الديوان : (أو مباح) ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) أضفنا ما بين القاطعتين توضيحاً لبيـان اسم المدوح ، وهو أحد المنصورين الأول أو الثاني ، وقد عاصرهما الشاعر (انظر الملحق الرابع) .

بالسُّعود المُستَقْبلاتِ حَويْتَ المُلْكَ قِدْماً ، وبالسُّيوفِ المواضي
لي صُروفٌ مِنْ راتبي ، لم تُنغَّصْ بانْتِقاصٍ يَوماً ، ولا بانْتِقاضِ
ورَجائي مِنْكَ المزيدَ عليهـا غيرَ إنِّي راضٍ بما أنتَ راضِ
وأرَى أمْرَكُمْ بهـا قد تَرَاخى فاقْضِ في أمْرِها بما أنتَ قاضِ
وإذا المجدُ كانَ عَوْني على المرْءِ ، تَقاضَيْتُهُ بتركِ التَّقـاضي

١٩٠

وقالَ :

تَفقَّـهْ ، واعْتَزِلْ ، ودَعِ البَرايا يُهارِشْ[١] بعضُهم في السُّحْتِ[٢] بَعْضَا
ومُتْ مَعْنًى ، فما ألفيتُ حيّـاً فكَمْ مِنْ حاجةٍ لكَ ليس تُقضَى!
وإنْ قَبضَتْكَ ضائقـةٌ ، تَذَكَّرْ مَهالِكَ مَنْ سَطَا بَسْطاً وقَبْضَا
ومَصْرَعَ كُلِّ أشْوَسَ ليس يُغْضي غَدَا في التُّربِ مُنْجَدِلاً ، فأغْضَى
وصِيدِ قبـائلٍ كانوا بدورَ السَّماءِ ، فأصبحوا في الأرضِ أرْضَا
ألم تَعْلَمْ بأنَّكَ سوفَ تُفْضِي إلى حالٍ ، إليها الخَلْقُ أفْضَى
فكيفَ نَهضْتَ مُضْطلِعاً بذَنبٍ؟ ستَضْعُفُ عنهُ يَومَ العرْضِ نَهْضَا
دَعِ التَّسويفَ ، وامْضِ إلى المَعالي بعَزْمٍ ، مِنْ ذُبابِ[٣] السَّيفِ ، أمْضَى

---

(١) في الديوان : (يهارس) والصواب ما أثبتناه .
(٢) السُّحت : الحرام ، وكل ما خبث وقبح من المكاسب فلزم عنه العار .
(٣) ذُباب السيف : طرفه أو حدُّه الذي يضرب به .

وخُذْ في الجِدِّ ، وارفُضْ مَنْ أَباهُ   مِنَ الأَهلينَ والإِخوانِ رَفْضَا
وأَصْغِ لِمـــا أَشَرْتُ بِهِ ، فإِنِّي   صَبَحْتُكَ مِنْهُ كَأْسَ النُّصحِ مَحْضَا

١٩١

وقالَ لُزوميةً :

« وجّهْتُ وَجْهي لِلّذي فَطَرَ » السّماءَ وأَرْضَها[١]
وتَرَكْتُ داراً ، لو صَفَا لي وِرْدُهـــا ، لمْ أَرْضَها

١٩٢

وقالَ في اللُّزومياتِ أيضاً[٢] :   ل 47 / و

تَقَرَّبْ إلى رَبِّ السَّماءِ بِما يُرْضي   ودَعْ عَرَضَ الدُّنيا، تَعِشْ وافِرَ العِرْضِ
وَوَفِّ بَني الدُّنيا الوِدَادَ ، فإنْ وَفَوا   وإلاّ ، فقدْ أَقْرَضْتَهمْ أَحْسَنَ القرضِ
ولا تَرْضَ بالخُلْقِ الذَّميمِ ، فلمْ أَجِدْ   مُفيداً رِضا الخَلّاقِ كالخُلُقِ المُرْضي

(١) استهل الشاعر لزوميته بمـا جاء على لسان إبراهيم مخاطباً قومه : « فلما رأى الشمسَ بازغة قال : هذا ربي ، هذا أكبر ، فلمّا أفَلَتْ قال : يا قوم إني بريءٌ مما تُشركون . إني وجّهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين » (سورة الأنعام ٦/٧٨ ، ٧٩) .

(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الراء الملتزم في القافية .

قافية الطاء

١٩٣

قالَ ، في المَدائحِ النَّبويَّةِ ، مِنَ الأَراجيزِ :

أُخيَّ ، عُذْ بالقابِضِ البَسَّاطِ

مِنْ شِرَّةِ التَّفْريطِ والإِفْراطِ

واقْنَعْ مِنَ الدِّينارِ بالقِيراطِ

إنْ ارْتِفاعَ العُمْرِ في انْحِطاطِ

وموردٍ أَحْظَى بِهِ الْتِقاطِي

فكُنْتُ فيهِ فَرَطَ الفُرَّاطِ[1]

لطيرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الأَلْغَاطِ

تَخاصُمُ البَرْبَرِ والأَنْباطِ[2]

---

(١) الفارِط والفَرَط : المتقدم إلى الماء يتقدم الواردة فيهيء لهم الأرسان والدّلاء ويملأ الحياض ويستقي لهم وهو فَعَل بمعنى فاعل مثل تبع وتابع ، ومنه قول الرسول ﷺ « أنا فَرَطكم على الحوض » أي أنا متقدمكم إليه . يقال : رجل فَرَط وقوم فرطوقوم فرّاط .

(٢) الأنباط : جيل ينزلون السواد بالبطائح بين العراقين .

وذِنْبُـهُ مُتَّصِلُ العِيـــاطِ[١]

مِنْ جُوعِهِ مُنْقَطِعُ النِّياطِ[٢]

أَقْعَى[٣] لَدَيَّ مقْعَدَ الُمعاطي

مِثْلَ نديمينِ على بِساطِ

مُجاذِباً لي عَذَبَ الأَسواطِ[٤]

حتى ارْتَحَلْتُ مُنْكِحاً أَشْواطي

أَبْكارَ طِرْفٍ حَزْبَةِ[٥] الإِشْواطِ

ليسَ لَها عَهْدٌ بِوَطءِ الواطي

في بَحْرِ آلٍ مالَهُ مِنْ شاطي

على أَمُونٍ جَمَّـــةِ النَّشاطِ[٦]

---

(١) العياط : التعيط في الأصل هو غضب الرجل واختلاطه وتكبره ، وعيط فلان بفلان إذا قال له : « عيط عيط » ، وهي كلمة ينادي بها عند السكر أو الغلبة .

(٢) النياط : عرق علّق به القلب من الوتين ، فإذا قطع مات ، والنياط أيضاً الفؤاد .

(٣) أقعى : أقعى في جلوسه تساند إلى ما وراء ، وأقعى الكلب : جلس على استه .

(٤) عَذَب : جمع عَذَبة ، وعذبة السوط : طرفه و علاقته ، وللسوط عذبتان . وعذّبتُ السوط فهو معذّب أي جعلت له علاقة .

(٥) في الأصل : (خربة) .

(٦) الأمون : المطية المأمونة العثار ، وناقة أمون : وثيقة الخلق .

حَرْفٍ كَنُونِ الكاتِبِ الخَطّاطِ[1]

تُغْني بِأَدْنَى الزَّجْرِ عن سِياطِ

حتى تَيَمَّمْتُ على احْتِيــاطِ

قبرَ النَّبيِّ الهاشميِّ السَّاطي

على ذوي الإلحادِ والأَقْساطِ[2]

ومُنْذِرِ السَّاعـةِ بالأَشراطِ[3]

والحاشدِ الماحي ذُنوبَ الخاطي

فالسَّعدُ مِنْ أوصافِهِ الأَسباطِ

في زينـةِ الآذانِ بالأقراطِ

١٩٤

وقالَ أيضاً[4] ، رَحِمَهُ اللهُ :

---

(١) الحَرْف : من الإبل ، وهي النجيبة الماضية التي أنضتها الأسفار شُبهت بحرف السيف في مضائها ونجائها ودقتها ؛ وقيل : هي الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل في شدتها وصلابتها ، وقيل : إنها الناقة الضامرة المهزولة .

(٢) الأقساط : جمع قِسط ، وهو الجور والعدول عن الحق .

(٣) الأشراط : جمع شَرَط بالتحريك العلامة ، وفي القرآن « فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ، فقد جاء أشراطها .. » (سورة محمد ٤٧ / ١٨) وأشراط الساعة : علاماتها .

(٤) الفوات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

لائمي في العِشْقِ مُخْطي وعَليَّ العِشْقُ يُخْطِي [١]

مالكمْ ، يامَنْ لَحَوْني رمْتُمُ باللَّومِ ضَبْطِي ؟ [٢]

لا تَخُطُّـــوني إلى أَبْـــجَدَ ، قد جاوزْتُ خَطِّي [٣]

كَمْ شَرَحْتُمْ ما أُعَمِّي ! وكَشَفْتُمْ مـا أُغَطِّي !

ل 47/ ظ

وتَهَدَّدْتُمْ ، وقُلْتُمْ : إنَّ أَمْري ليس يُبْطِي ! [٤]

خَبِّروني : هل أَخذْتُمْ عِمْلَتي مِنْ تَحْتِ إبْطي؟

قـد تَخَلَّيْتُ عن العقْـــلِ ، فخلُّوني وخَبْطي

شَفَّني أغيَـدُ ، قَلْبي مِنْهُ في قَبْضٍ وبَسْطِ

وحَيـــاتي ومَمـــاتي في رِضاً ، مِنْهُ ، وسُخْطِ

كم سَأَلْتُ اللُّطفَ لي مِنْـــهُ فأَعطـــانيَ قِسْطي

ولحَـــاني في هَـواهُ كُلُّ واهي العَقْلِ زُطِّي [٥]

---

(١) في الديوان : (مخطي) ، وقد أثبتنا رواية الفوات . يقال : أخطيتُ غيري إذا حملته على أن يخطو .

(٢) في الفوات : (لمتم باللوم) .

(٣) في الفوات :

لا تخطوا بي إلى الجـــدِّ فقد جاوزتُ خطّي

(٤) في الفوات : الشطر الثاني من البيت : « إنني في الأمر مخطي » .

(٥) زُطّي : الزُّطّ بالضم جيل من الهند ، معرّب (جتّ) بالفتح ، وقيل جيل أسود من السند ، تنسب إليهم الثياب الزُّطيّة ، الواحد زُطيّ .

يُشْهِرُ اللَّحظَ يمانٍ ويُهزُّ القَدَّ خطِّي
زُيِّنَ الخَدُّ بخالٍ وعِذارٍ هو شَرْطِي
أبْدَعَ الحُسْنُ بِهِ ما شاءَ مِنْ شَكْلٍ ونَقْطِ
مدَّ أطْرافَ بَنانٍ حُسْنُها يَقْطعُ وَسطِي
ثم عاطاني سُلافاً مِثْلها مِنْ فِيهِ يُعْطِي
عُتِّقَتْ عِنْدَ قُسوسٍ مِنْ شُيوخِ[1] الدَّيرِ شُمْطِ[2]
فلَها بَذْلي ومَنْعي ولَها حَلِّي ورَبْطِي
خَلِّني أُفسِدُ مالي في الَّتي تُصْلِحُ خَلْطِي[3]
مَذْهبي : هذا الَّذي أُفْتِي بِهِ صَحْبي ورَهْطِي[4]
وبِهِ فاشْهَدْ على نُطْقِي،وخُذْ،إنْ شِئْتَ،خَطِّي

١٩٥

وقالَ :

سَامِحْ جليسَكَ فيما شاءَ مِنْ لَغَطِهْ وانْصبْ إصابَتَهُ عُذْراً على غَلَطِهْ

---

(١) في الفوات : (عند شيوخ) .

(٢) شمط : جمع أشمط ، والشمط في الشعر اختلافه بلونين من سواد وبياض ، والفعل منها شَمِط فهو أشمط وهي شمطاء .

(٣) في الفوات : (في الذي يصلح) .

(٤) في الفوات : (أفتى به) .

واضْبُطْ كَلامَكَ، واعْلَمْ أنَّ مُرْسَلَهُ عَيْبٌ لمُحْصِيهِ، أوْدُرٌّ لمُلْتَقِطِهْ

وارْبَأْ بِعِلْمِكَ عمَّـنْ[1] ليس يَفْهمُهُ ولا تُذاكِرْ بِهِ مَنْ ليس مِنْ نمَطِهْ

لا تَعْرِضَنَّ لِطرْفِ الجَهْلِ تَرْكَبُهُ فإنَّهُ رامِحٌ في صَدْرِ مُرْتَبِطِهْ

خالِفْ هَواكَ، وخالِفْ ما يُنَقِّصُهُ واعْلَمْ بأنَّ رِضا الرَّحْمنِ في سَخَطِهْ

لا تَحقِرَنَّ صَغيرَ الذَّنْبِ تُدْمِنُهُ فالخَطُّ مُجْتَمِعُ التَّأْليفِ مِنْ نُقَطِهْ

مَتاعُ دُنْياكَ، لا تَغْرُرْ بِهِ، سَقَطٌ ومَنْ تَرامَى إليهِ، فَهْوَ مِنْ سَقَطِهْ

والرِّزْقُ بالقَدَرِ المَحْتومِ مُتَّصِلٌ باللَّيْثِ في خِيسِهِ، والطِّفْلِ في قُمُطِهْ[2]

ورُبَّما زَلَّ وافي الحَزْمِ وافِرُهُ عن حَظِّ مُضْطَرِبِ التَّدْبيرِ مُخْتَلِطِهْ

أَغْنَتْ قَنـاعةُ ذي التَّوفيقِ عن حَمَلِ

مِنْ ضأْنِهِ، فاكْتَفَى بالثَّوْرِ[3] مِنْ أَقِطِهْ[4]

لا تَغْلُوَنْ في غِنىً يُفْضي لمَنْقَصَةٍ جُعودةُ الشَّعْرِ قد تُفْضي إلى قَطَطِهْ[5]

يُضْحي على حَظِّهِ ذو الجَهْلِ، وهْوَ عَمٍ عَنْها بما وَسِعَ الإيراءَ مِنْ خُطَطِهْ ل 48 / و

---

(١) في الديوان: (عن من) والصواب ما أثبتناه وهو (عمّن) بالوصل.

(٢) القُمُط: جمع قِماط، وهو ما يشد به الطفل في المهد.

(٣) الثور: القطعة العظيمة من الأقط.

(٤) الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل.

(٥) القَطَط: القصير الجَعْد من الشعر.

والأَحمقُ الغِرُّ لا يُصغي لِموْعظةٍ
كالأَقرَعِ الزُّطِّ[١] لا يَلْوي على مَشَطِهْ

فلْيَذكُرِ الثَّالِبُ المَعْوجُّ مَوْقِفَهُ
على السِّراطِ[٢] الذي يُؤذي بمُسْتَرِطِهِ[٣]

مُستَنبِطُ الرُّشْدِ ناجٍ غيرُ مُكترِثٍ أكانَ مِنْ عُرْبِهِ،أمْ كانَ مِنْ نَبَطِهْ؟

أُولى الحياةِ وأُخْراها مُنكَّدَةٌ وجُلُّ لَذَّةِ عُمْرِ المَرْءِ في وَسَطِهْ

خَمسٌ وستّونَ سَوَّدْنَ الصَّحائفَ إِذْ أُنْقي بِهِنَّ مَشيبَ الرَّأسِ مِنْ شَمَطِهْ[٤]

أَدْنَيْنَني ، فلَقِيتُ النّائباتِ بِهــــا لِقاءَ جَذْلانَ طَلْقِ الوَجْهِ مُنْبَسِطِهْ

وكَمْ شَرَطْتُ لإِخْواني على شِيَمي حَقّاً ، وكُنْتُ عليهمْ غيرَ مُشْتَرِطِهْ!

وكَمْ أَطَرْتُ بِفَضْلِ الرِّفْقِ رأسَ فَتىً عادٍ ، وعُدْتُ بِسَيفي غيرَ مُخْتَرِطِهْ[٥]

---

(١) الزُّطّ : قلنا إن الزُّط معناها في الأصل جيل من الهنـد ، وقيل : الأزطّ المستوي الوجه ؛ وفي بعض الأخبار : خلق رأسه زُطِّيَّة ، وقيل هو مثل الصليب كأنه فعل الزُّط ، والواحد زطّي مثل الزّنج والزّنجي والروم والروميّ .

(٢) في الأصل : (الصراط) .

(٣) بمُستَرِطه : فعلها استرط ، وأصل معناها ابتلع ، وقيل : إنما قيل للطريق الواضح سراط لأنه كأنه يسترط المارة لكثرة سلوكهم لاحبه . والصراط بالصاد لغة قريش التي جاء بها القرآن الكريم ، وعامة العرب تجعلها سيناً .

(٤) الشَّمَط : في الشعر ، أي اختلافه بلونين من سوادٍ وبياض .

(٥) اخترط السيف : سله من غمده .

طُوبَى لِمَنْ لم يُسَفْسِطْ في مباحثِهِ وصانَ مَنْظومَ هذا الدُّرِّ في سَفَطِهْ[1]

١٩٦

وقالَ :

يا نِصْفَ «طالوت»[2] لإيتانِـهِ في جِسْمِهِ ، لا عِلْمِهِ ، البَسْطَهْ

مَنْزِلُكَ الجَنَّـةُ في أَنْ مَنْ يَدْخُلُهُ ، لا يَأْكُلُ الحِنْطَـــهْ

١٩٧

وقالَ في اللّزومِيّاتِ[3] :

لا تَنْدُبِ الجِزْعَ ولا سِقْطَهْ[4] فَذاكَ مِنْ ذي أَدَبٍ سَقْطَهْ

وإِنْ رَضِيتَ الخُلُقَ مِنْ صاحبٍ فاحْفَظْهُ ، واعْلَمْ أَنَّـهُ لَقْطَهْ

(١) سَفَطه : السفط هو الذي يوضع فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء .

(٢) طالوت : ملك أعجمي ، وقد ورد ذكره في القرآن ، وكان أعلم قومه وأتمهم خلقاً ، ويلاحظ أن الشاعر استخدم بعض ما جاء من هذا المعنى في قوله تعالى : « وقال لهم نبيُّهم : إنَّ الله قد بعث لكم طالوتَ ملكاً ، قالوا : أنّى يكونُ له المُلكُ علينا ، ونحن أحق بالملك منـه ، ولم يُؤتَ سَعَةً من المال . قال : إن الله اصطفاه عليـكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء ، والله واسع علـــيم » . (سورة البقرة ٢ / ٢٤٧) .

(٣) في الديوان إشارة إلى حرف القاف الملتزم في هذه القافية .

(٤) سِقطه : سِقْط الرمل منقطعه .

وابْكِ على مَغْنَى كِرامٍ عَفَا وأَنْضَبَ[1] اللُّؤمُ بِهِ وَقْطَهْ[2]

١٩٨

وقالَ :

قُلْتُ لِمَنْ لامَ على حُبِّهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَعْطَيْتُهُ بَسْطَهْ
أَمَا تَرَى خطَّ العِذارِ الّذي صيَّرَني مِنْهُ على خُطَّهْ
فاخْلُصْ إلى عُذْري عليهِ ، فقد وَقَعْتَ مِنْ عَذْلِيَ في وَرْطَهْ
واعْجَبْ لِهذا الأَشْعَرِيِّ الّذي يَقولُ بالشَّكْلَةِ والنُّقْطَهْ !

١٩٩

وقالَ :

زَمانٌ مُوَطّأ أكْنافِهِ كَشَوْكِ القَتادِ ،[3] إذا ماخُرِطْ[4]
فأمّا الكِرامُ ، فَقَدْ أعوزُوا وأَمّا اللِّئامُ ، فقُلْ واشْتَرِطْ

---

(١) في الأصل : (وانصب) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) وَقطه : الوَقْط والوقيط وهو حفرة في غلظ أو كالردهة في الجبل يستنقع فيه الماء تتخذ فيه حياض تحبس الماء للمارة .

(٣) القَتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

(٤) خرط : خرط الشجرة انتزع الورق واللحاء عنها ، وفي المثل : « دونه خرط القتاد » .

قافية الظاء

٢٠٠

ل 48 /ظ

قالَ :

قَذَفَتْ صَمِيمَ فُؤادِهِ بِشُواظِ ... شُعَلٌ أَرَتْهُ نَصائحَ الوُعّاظِ[١]

بِيضٌ دقائقُ أَغْلَظتْ في الزَّجرِ عن ... بِيضِ الكَواعبِ ، غايةَ الإِغْلاظِ

وأَرَتْنِيَ المِرآةُ مِنْها عَبْرَةً ... لاحَظْتُها ، فغَضَضْتُ منْ أَلحاظي

وأَطَلْتُ في لَيلِ الشَّبيبةِ رَقْدتي ... فأَجَدَّ صُبْحُ الشَّيبِ في إيقاظي

فاقْرأْ على العَيْشِ السَّلامَ مُودِّعاً ... باليأْسِ مِنْ مَشْتىً لَهُ ومَقاظِ

كيفَ الفِرارُ مِنَ الرَّدى ونِصالُه[٢] ... بالشَّيبِ غارِقَةٌ[٣] إلى الأَرعاظِ[٤]

ياسائراً لِلْمَوتِ ، مالَكَ والسُّرَى؟ ... فانْهَجْ بِجُلٍّ عُراً وفَكٍّ شِظاظِ[٥]

لا تَطْلُبِ الدُّنيا بطُولِ تَرَكُّضٍ ... فالرِّزْقُ أقسامٌ بِها وأَحاظِ[٦]

---

(١) الشُّواظ . اللهب الذي لا دُخان له .

(٢) في الأصل : (ونضاله) .

(٣) في الأصل : (عارقه) .

(٤) الأرعاظ : جمع رُعْظ ، وهو مدخل سِنْخ النصل ، وفوقه لفائف العَقَب .

(٥) الشِّظاظ : خشبية عقفاء محدّدة الطرف توضع في الجوالق .

(٦) أحاظ : جمع حظّ ، فالمعروف أنها تجمع في القلة على (أحظّ) وفي الكثرة على (حظوظ) و (حظاظ) على غير القياس ، و (أحاظ) و (حظاء) من محوّل التضعيف وليس بقياس أيضاً .

فلو أنَّها حَصَلَتْ لشانَ حُصولَها ... ما فيهِ منْ مَضَضٍ وفَرْطِ مِظاظِ[1]

مَنْ خفَّ في كَسْبِ الحُطامِ فَعَدَّ عن ... كَسْبٍ لحامل ثِقْلِهِ بَهَّاظِ

واحْلُلْ إسارَ الذُّلِّ عَنكَ مُرابطاً ... للعِزِّ مُنْفَرِداً عن الأَوشاظِ[2]

فلُكلِّ جَمْعٍ بالحوادثِ والرَّدَى ... تَفْريقُ سُوقِ مِنًى وسُوقِ عُكاظِ

ودِّعْ سَفاهَكَ بالنُّهى، ودَعِ المَهَا ... تَزْهَى بحُسْنِ لَمًى وسِحْرِ لِحاظِ

حُسْنَ الخلائِقِ[3] والمعاني فاعتَبِرْ ... وتَعَدَّ حُسْنَ الخَلْقِ والألفاظِ

واصبِرْ على مُرِّ النَّصيحةِ، واغْتَبِطْ ... بودادِ مَنْ لا قالَ بالإحفاظِ

إنْ تَنْسَ ما أجرَمْتَ، فهو مُسَطَّرٌ ... بأكُفِّ أملاكٍ، لَهُ، حُفَّاظِ

٣٠١

وقالَ، رَحِمَهُ اللهُ:

وَرْدُ بِخَدَّيْكَ مَجْنِيٌّ بأَلْحاظي ... أَفْنَى معانِيَّ، وَصْفيهِ، وألفاظي

يا ظَبْيَ إِنْسٍ، إذا طافَ الأَسودُ بِهِ ... لم يَحْتَفِظْ، غيرَ جَفْنَيْهِ، بحُفَّاظِ

---

(١) المظاظ: ماظّه مُماظّة ومظاظاً أي خاصمه وشاتمه وشارّه ونازعه ولا يكون ذلك إلا مقابلة منهما.

(٢) الأوشاظ: جمع وشيظ، وهو الخسيس من الناس. والوشيظ أيضاً التابع والحليف.

(٣) الخلائق: جمع خليقة. وهي الطبيعة التي يخلق بها الإنسان، ويقال: إنه لكريم الطبيعة والخليقة والسليقة بمعنى واحد.

يا هاجراً ، كُلَّما أَلغَى مُواصلَتي أَلغَيْتُ فيهِ قبولي قولَ وُعّاظِي
ومِنْ غرائبِ ما يُروَى ، مُحافَظَتي على مَودَّةِ مَنْ يُرْضِيهِ إِحفاظِي[1]

٢٠٢

وقالَ :

مَوْلايَ ، إنْ خانَكَ ذو غِرَّةٍ فإنَّني ذاكَ الحَفِيُّ[2] الحَفِيـــظْ
فانْظُرْ إلى مَنْ غاظَهُ سُودُدي هـل كَيدُهُ لي مُذْهِبٌ ما يَغِيظْ ؟

٢٠٣

ل 49 / و

وقالَ في الأراجيزِ :

يارَبِّ ، تَوفيقاً لَنا ، وحِفْظاً
مِنْ كَرْبِ يومٍ نارُهُ تَلَظَّى
لقد شَفانا الهاشميُّ وَعْظَـــا
لو قَدْ وَعـاهُ جَبَلٌ تَشَظَّى[3]
خيرُ نَبِيٍّ راضَ نَفْساً يَقْظَى

(١) إحفاظي : أحفظه أي أغضبه بكلام قبيح .
(٢) الحفيّ : حفي به وتحفّى واحتفى أي بالغ في إكرامه وأظهر السرور والفرح وأكثر السؤال عن حاله فهو حاف وحفيّ .
(٣) تشظّى الشيء أي تفرّق وتشقق وتطاير شظايا .

وقــــد نَهَظْنا بالخطايا نَهْظَا[1]

وما أَعَرْنا النَّاصِحينَ لَحْظَــا

نَخْبُثُ مَعْنىً ، ونَطِيبُ لَفْظَا

رَبِّ اسْتَجِبْ مِنَّا لِمَنْ أَلَظَّا[2]

لا تُبْقِ للشَّيطانِ فيـــهِ حَظَّا



(١) عرف في بعض اللهجات قلب الضاد ظاءً ، وقد عقد الثعالبي فصلاً حول الإبدال ، وقال « من سنن العرب إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مكان بعض » (فقه اللغة ص ٥٦٤) وكان حرف الضاد أحـد الحروف التي أجاز فيها الإبدال ، واستشهد بفعل (فاض) أي مات ، وأجاز فيه (فاظ) .

(٢) ألظّ : التزم ، والتقدير أي ألظ بالدعاء . ومنه حديث الرسول ﷺ « أَلِظُّوا في الدُّعاء بياذا الجلال والإكرام » أي الزموا هذا واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائـكم .

قافيـة العـين

٢٠٤

قالَ يمدحُ المَلِكَ الأَمْجَد[*] :

هِيَ الدَّارُ مِنْ ذاتِ الجَمالِ المُمنَّعِ[1] فلا تَعْدِلا عن رَبْعِها قَبْلَ أرْبُعِ
ذراني إنْ لم أقْضِ في عَرَصاتِها[2] لأقْضِيَ حَقّيْ لَوْعَتي وتَفَجُّعي
وإنْ يَعْفُ مَغْناها ، فكمْ بِتُّ عانياً بِخَيْرِ ضَجيعٍ مِنْهُ في خَيْرِ مَضْجَعِ
شآمِيَّةٌ شامَتْ يَمانِيَ لَحْظِهـا عليَّ ، وأنْضاني بمـرأىً ومَسْمَعِ
يُذَكِّرُني لَمْعَ البروقِ ابْتِسامُها فتَرْعِـدُ أحْشائي ، وتَنْهَلُّ أدْمُعي
فَرَتْ بالنَّوى قَلْبي ، وقالتْ : شَقَقْتُهُ لأَكْسُوَ بَيْتي حُسْنَ بَيْتٍ مُصَرَّعِ
وما إنْ وَفى لي ، مذْ جَفَتْ ، غيرُ عَبْرَتي
ولم يَسْتَقِمْ ، إذْ خالَفَتْ ، غيْرُ أضْلُعي
وقالُوا : اقْتَنِعْ بالبَدْرِ عنها ، فقُلْتُ : مَنْ
رَأى الشَّمْسَ ، لم يَقْنَعْ ببَدْرِ المُقَنَّعِ

(★) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الممنّع : أي الجمال المصون ، ويقــال : امرأة منيعة متمنّعة أي لا تؤاتي على فاحشة .

(٢) عرصاتها : جمع عَرْصة وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

كأنّيَ مَجْدُ الدّينِ ، وهْيَ سَماحُهُ فَمَهْما ادَّعَى فيهِ مِنَ الحُبِّ أدَّعي

مَليكٌ أغارَ السُّحْبَ مِنْ جُودِ كَفِّهِ بأنقَعَ مِنْها للغليلِ ، وأنفَعِ

أخيرٌ ، إذا قِيسَتْ إليهِ أوائلٌ تَقاصرَ عنهُ مَجْدُ كِسْرَى وتُبَّعِ [1]

تَعوذُ بِهِ الأمْلاكُ عِنْدَ حِذارِها ولم يَكْفِ خَطْباً رائعاً مِثْلُ أرْوَعِ

بأشْبَهِهِمْ في الجَدْبِ مَشْتىً ، وفي الوَغى

مَصيفاً إذا أعْطَى ، وصالَ بِمَرْبَعِ

فَسيحُ الخُطَا ، مُحْيِي العَطَا ، مُهْلِكُ السُّطا

كريمُ السَّجايا ، ثاقِبُ الفِكْرِ ، ألْمعي

فَيَنْطِقُ ، إنْ ساءلْتَهُ ، عن بَراعةٍ ويُنْفِقُ ، إنْ ساءلْتَهُ ، عن تَبرُّعِ

لَواني زَماني باللُّها ، وتَسرَّعَتْ حوادثُهُ بالظُّلْمِ قَبْلَ تَسرُّعي

وقارَعْتُها عَمّا أُريدُ بِهِمَّةٍ طَموحٍ ، مَتَى أقْرَعْ بِها ، لا أُقَرَّعِ

ل49/ظ

---

(١) التبابعة : ملوك اليمن ، واحدهم تبّع ، وقد سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضاً. وفي القرآن الكريم قوله تعالى « أهم خير أم قوم تبّع » (سورة الدخان ٤٤/ ٣٧) . وجاء في التفسير أنه كان ملكاً من الملوك ، وأن قومه كانوا كافرين ، وكان فيهم تبابعة . وأما تبّع الملك الذي ذكره الله عز وجل في كتابه فقال « وأصحاب الأيكة وقوم تبّع كل كذّب الرسل فحقّ وعيد » (سورة ق ٥٠ / ١٤) ، فقد قيل إنه ملك في الزمان الأول اسمه أسعد أبو كَرِب ، وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال « ما أدري أكان تبّع نبياً أو غير نبي » ، وعن عائشة « لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً » . وفي الحديث أيضاً : « لا تسبّوا تبعاً فإنه أول من كسا الكعبة » .

فسِرْتُ ، وسَيفي عِنْدَ آخرِ نَبْوَةٍ جِداداً[١]،وقَوْسي عِنْدَ آخرِ مَنْزَعِ
على ضامِرٍ ظامٍ كَأَنَّ لُغامَهُ[٢] تفاريقُ[٣] شَيْبٍ في مَفارِقِ أَقْرَعِ
عَدَلْتُ بِهِ عن كلِّ مِصْرٍ أنيسةٍ وأَعْمَلْتُه في كلّ بَيْداءَ بَلْقَـــعِ
ونَزَّهْتُهُ عن وِرْدِ كلِّ متوَّجٍ على بُرْدِ بُخْلٍ باعْتِذارٍ مُرقَّـــعِ
ويَمَّمْتُ مِنْ خوفِ الحَوادثِ مَفْزَعاً[٤] بِهِ يَأْمَنُ الإِسْلامُ مِنْ كلِّ مُفْزِعِ
هَنيئاً لشَهْرِ الصَّومِ قَصْدُ جَنابِهِ وإِنْزالُهُ مِنْهُ بأَشْرَفِ مَوْضِعِ
وإِطْلاقُ مالٍ ، في الحقوقِ أَضاعَهُ كريمٌ لِحَـــقِّ اللهِ غيرُ مُضيِّعِ
أَراقَ لهُ كَأْسَ الفُكاهَةِ والكَرَى وأَتْرَعَ أَحْواضَ النَّدَى والتَّورُّعِ
لَيالي صِيامِ الفَرْضِ مِنْهُ طَوافِرٌ بما ظَفِرَتْ أيّامُ جُودِ التَّطَوُّعِ

٢٠٥

وقالَ أَيضاً [يَمْدَحُهُ][٥] :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ ، مِنْ دِيارِكِ ، لامعِ أَذَلْتُ[٦] لِمَرْآهُ مَصونَ المَدامعِ

---

(١) جداد : جمع جَدَد ، وهو ما استرق من الرمل أو الأرض الغليظة أو الصلبة .
(٢) لُغامه : زبد أفواه الإبل .
(٣) تفاريق الشيء أي ما تفرق منه . يقال ضم تفاريق متاعه أي ما تفرق منه .
(٤) مفزع : ملجأ .
(٥) ما بين القاطعتين زيادة اقتضاها التناسق والتوضيح .
(٦) أذلت : أذال الدمع سفحه وأهانه .

بَكَيْتُ دماً ، لّما تَبَسَّمَ ثَغْرُهُ فَبُرْدي كَبُرْدِ اللَّيلِ قاني الوَشائعِ
يُذَكِّرُني عَيْشاً ، بوَصْلِك ، ماضياً فؤادي لهُ مستقبِلٌ بالرَّوائعِ
وأيامَ لَهْوٍ كالشُّموسِ وَصَلْتُها بغُرِّ ليالٍ كالْبُدورِ الطَّوالعِ
أَحِبَّتَنا ، عُودُوا إلى الوَصْلِ ، واصرِفُوا كلامَ الأَعادي عن كِرامِ المَسامعِ
وإنِّي لذو عَقْلٍ ، منَ الحُزْنِ ، عاصمٍ ولكنَّهُ مُذْ بِنْتُمُ غيرُ نافعِ
عَفَا بِسقامي رَسْمُ جِسْمي ، كما عفَا بِعَدْلِ ابنِ عزِّ الدِّين رَسْمُ الوَقائعِ
مَليكٌ وجُودُ المُقتضِي لِعِقابِهِ يُعارِضُهُ مِنْ عَفْوِهِ بمَوانِعِ
ويَنْسَى عَظيمَ الذَّنْبِ نِسْيانَ جُودِهِ ويَحْفَظُ عَهْدَ الخِلِّ حِفْظَ الشَّرائعِ
ويَلْحَظُ أَعقابَ الأُمورِ بِفِكْرَةٍ يُؤَدِّي إليها الغَيْبُ أَقْصَى الوَدائعِ
أَشَدُّ البَرايا هَيْبَةً ، وهو واحدٌ وأَعْظَمُهُمْ في هَيْبَةِ المُتَواضِعِ
وإنِّي لأَرجو مِنْ عُلاهُ صنائعاً[١] تُغادِرُ مَنْ عادَيْتُهُ مِنْ صَنائعي
دَعَوْتُكَ ، مجدَ الدِّينِ ، دِعْوةَ خائسٍ[٢] على سَغَبٍ في مَوْطِنِ الذلِّ رابِعِ
ل 50 / و أَمُعْتَزِلي ، يا مالكي ، مِنْكَ نائلٌ ؟ غَدا رافِضي والفَضْلُ عِنْدكَ شافِعي

---

(١) صنائع : جمع صنيعة وهي العطية والكرامة والإحسان ، أو ما أعطيته وأسديته من معروف أو يد إلى إنسان تصطنعه بها ، والصنائع الثانية مأخوذة من قولنا: فلان صنيعة فلان إذا اصطنعه وأدبه وخرّجه ورباه .

(٢) الخائس : الذليل ، والمخيّس هو السجن لأنه يخيّس المحبوسين ، وهو موضع التذليل .

أُعيذُكَ مِنْ سُخْطٍ عليَّ تُديمُهُ[1] وعُذري مَبسوطٌ، وحِلْمُكَ واسِعي

وأنْتَ المَليكُ الأَمْجَدُ المُقْتَدى بِهِ إذا ضَلَّ عن طُرْقِ العُلا كلُّ شارعِ

فلا زالَ مُشْتاراً بشَهْدِ ثنائِــــهِ يُشارُ إلى عليائِـــهِ بالأَصابعِ

٢٠٦

وقالَ يَرْثي المَلِكَ المُعظَّمَ[*] :

انْظُرْ إلى حَدَثانِ[2] الدَّهْرِ، ماصَنَعا؟ فأيَّ رُزْءٍ لأكبادِ العُلا صَدَعا؟

سَمَتْ إلى مَلِكِ الأَمْلاكِ صَوْلَتُهُ فَفَرَّقَتْ مِنْ أُمورِ النَّاسِ ما جَمَعا

ويحَ الزَّمانِ ! لَقَدْ نابَتْ نوائبُهُ بِصَيْلَمٍ[3] أكَلَتْ لَحْمَ الوَرَى مِزَعا[4]

أوْدَى بأَسْمَحِ مَنْ أجدَى، وأفْصَحِ مَنْ قالَ الصَّوابَ، وأوْعى مَنْ لَهُ سَمِعا

وغالَ مَنْ غالَهُ فِقْدانُهُ فَرَقاً إنَّ الزَّمانَ لَمَفْجوعٌ بِمَنْ فَجَعا

لا تَبْكِهِ، فَهْوَ حَيٌّ بالقِياسِ على سَمِيِّهِ[5]، وابْكِ فيهِ النُّسْكَ والوَرَعا

(*) هو الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وقد سبقت ترجمته .

(١) في الديوان : (نديمه) والصواب ما أثبتناه .

(٢) حدثان الدهر : نوبه وما يحدث منه واحدها حادث . قال الأزهري : ربما أنث العرب الحدثان يذهبون به إلى الحوادث .

(٣) الصيلم : الداهية لأنها تصطلم .

(٤) المِزَع : جمع مِزْعة بالضم والكسر القطعة من اللحم أو النتفة منه .

(٥) سميه : الملقب باسمه عيسى النبيّ ، عليه السلام ، أي هو حيٌّ مثله .

عَهْدي بِهِ لا يُضِيعُ الدَّهْرُ مُنْتَصِراً ... بهِ ، ولا تَضَعُ الأَقدارُ مَنْ رَفَعَا
يُحِسُّ مِنْهُ الوَغَى في كلِّ مُعْضِلَةٍ ... ثَبْتاً ، إذا نَفَرَتْ أَبْطالُها رَبَعَا
ذو تالدٍ في العُلا أَوْدَى بِطارِفِهِ ... عليهِ متَّبِعاً طَوْراً ومُبْتَدِعَا
لتَبْكِ مِنْهُ الرُّدَيْنِيَّاتُ[1] مُشْرَعَها ... وَلْيَنْدُبِ المَجدُ مِنْهُ مَنْ لَهُ شَرَعَا
إنَّ المعظَّمَ عيسى مُنْذُ أَقْصَدَهُ ... حِمامُهُ لم يَدَعْ في عيشةٍ طَمَعَا
فلْيَنْتَهِزْ فُرْصَةَ الدُّنيا يُقَدِّمُها ... لَدَيْهِ مَنْ رامَ عُقْباهُ مُنْتَفِعَا
ولْيُنْعِمِ المَرْءُ فِكْراً في رَدَى مَلِكٍ ... لو قادَ للضَّيْمِ قَسْراً تُبَّعاً تَبِعَا
تَعَزَّ ، يا بْنَ مُعِزِّ الدِّينِ عَنْهُ ، فقدْ ... جَلَّ المُصابُ ، وجَلَّ الأَجْرُ فيهِ مَعَا
لَئِنْ جَزِعْتَ عليهِ ، فهي حادثَةٌ ... صَمَّاءُ يُسْمَعُ فيها عُذْرُ مَنْ جَزِعَا
وإنْ صَبَرْتَ على ما كانَ مِنْ مَضَضٍ ... بِها ، فمِثْلُكَ ، في أَمْثالِها ، شَجُعَا
لا زِلْتَ مِنْ كُلِّ مَفْقودٍ لنا خَلَفاً ... حتى نَظُنَّ جميعاً أَنَّهُ رَجَعَا

٢٠٧

وقالَ في رِثاءِ أَخيهِ :

جَهْدُ فُؤادي عليكَ أَنْ يَجْزَعْ ... وحَظُّ عَيْني لَدَيْكَ أَنْ تَدْمَعْ
وتلكَ حالٌ ، أُخَيَّ ، مُسِيئَةٌ ... إذْ لا تَرُدُّ الرَّدَى ، ولا تَرْدَعْ

(١) الرديبيات : جمع الردينية أي القناة الردينية ، زعموا أنها منسوبة إلى امرأة السمهري ، واسمها ردينة ، وكانا يقومان الرماح بخط هجر .

كيفَ قَراري؟ ولا سَبيلَ إلى الصَّـــبْرِ ، ولا في اللّقاءِ لِي مَطْمَعْ ل 50 / ظ

اسْمَعْ أقُلْ مـا أُريدُ أشْرَحُـــهُ مِنْ فَرْطِ حُزْني ، أولافقُلْ : اِسْمَعْ

هَيْهاتَ ، حَالتْ مِنْ دُونِ ذاكَ يَدُ سَدَّتْ سَبيـلَ المَقـالِ والمَسْمَعْ

أينَ فُؤادي والجَفْنُ والجِسْمُ ، إذْ نَبَتْ سُروري ،والغَمْضُ والمَضْجَعْ؟

تُوحِشُني بَعْدَكَ الدِّيارُ كَمـــا يُؤْنِسُ نَفْسي مَحَلُّكَ البَلْقَـعْ[1]

صيَّرْتَهُ لي رَبْعـــاً ، فَصَيَّرَهُ قَلْبي مَصِيفاً ، ومَدْمَعي مَرْبَعْ

وليس يُعْدي على البِعادِ سوى الـــمَوْتِ ، لَعَلَّ المَعادَ أنْ يَجْمعْ

٢٠٨

وقال[2] رَحِمَهُ اللهُ :

إنْ أنْجَدَتْ مُقْلَتي بِدَمْـــعِ وغارَ[3] صَبْري ، فغَيرُ بِـدْعِ

وقد طَوى الدَّهرُ بُرْدَ عُمْري في نَشْرِ ضُرٍّ وطَيِّ نَفْـعِ

وعاقَ عن صَيْدِ كُلِّ ظَـــبْيٍ عِقْدُ ثَلاثينَ بَعْـــدَ سَبْعِ

مـالي ولِلْبِيْضِ بَعْـــدَ بِيْضٍ بالغَنْ في رَدْعِهـــا ورَدْعي ؟

(١) البلقع : القفر .

(٢) يبدو لنا من خلال القصيدة أنه قالها في السابعة والثلاثين من عمره اعتماداً على قوله : « عقد ثلاثين بعد سبع » .

(٣) غــار : معناها في الأصل أخذ طريقه نحو الغور ، ومثلها أنجد أي ارتفع وأخـذ طريقه في النجد ، وقد استخدمها الشاعر استخداماً بلاغياً موفقاً .

يا جِـــيرةً ، أُولِعَتْ نَواهُمْ بِرَفْعِ خَفْضي ، وخَفْضِ رَفْعي
غـالَبَني فيكُمْ زَمـــاني فَشَتَّتَ الشَّملَ بَعْــدَ جَمْعِ
فَلَيْتَــهُ فيكُمْ وَفى لي وخانَ في ناظري وسَمْعي

٢٠٩

وقال[1] أيضاً :

أَوْقَعني في قيدِ أَسْرِ الهَوَى جاريةٌ أَوصافُها جامعَــهْ
ثالثَةُ البَدْرينِ في حُسْنِهـــا مَعْ أَنَّها في نُسْكِها رابِعَـهْ[2]
كَمْ جَنَّتْ قلبيَ في حُبِّهـــا ! فَليتَهـا كانتْ لهُ تابِعَـــهْ
وكَمْ وَشَتْ بي وبِها عُصْبَـــةٌ كاذِبَةٌ خافِضَةٌ رافِعَـــهْ !
لو كُنتُ في الصَّفِّ أُلاقي العِدا ما وَقَعَتْ بي هذِهِ الواقِعَـــهْ
يا رَبِّ ، غُفراً عن ذُنوبي ، فلي نَفْسٌ ، على أهوائِها نازِعَـــهْ
إنْ ضَيَّقَ الدَّهرُ خِناقي ، فما تَضيقُ بي رحمتُكَ الواسِعَـــهْ

---

(١) إن للشاعر قصة حقيقية عن جارية ممـا ملكت أيمانه ، اسمها مارية ، وقد خلدها في شعره من خلال بعض قصائده ، وكانت النهاية أليمة في حياته ، لم يفطن أحد لها ممن عاصره ، لكننا قرأنا قصتها في تضاعيف شعره ، ولاحظنـا أن الشاعر كان يعاني تجربة حب حقيقية لجاريته الحسناء ، أما نهاية هـــذه القصة فقد اختتمت بغرقها في نهر العاصي ، وسوف يمر معنا رثاؤهـا .

(٢) التورية باسم رابعة العدوية المتصوفة الناسكة .

٢١٠

وقالَ مُخَمِّساً[١]، وقد اقْتُرِحَ عليهِ ذلكَ :

أُكابدُ وَجْداً في هَواكِ مُجدَّدَا وأُخفي عن الواشينَ دَمْعاً مُرَدَّدَا
وأُظْهِرُ للعُـــذَّالِ عنكِ تَجلُّدَا « نَهاري نَهارُ النَّاسِ ، حتى إذا بَدَا
لِيَ اللَّيلُ هَزَّتْني إليكِ المضاجعُ »

إذا جَنَّ لَيْلي ، كِدْتُ أَنْ أَتَجَنَّنا وصَيَّرْتُ فيضَ الدَّمعِ دَأْباً ودَيْدَنا[٢] ل 51 / و
ويُنْعِشُني ضَوءُ الصَّباحِ ، إذا دَنَا « أُقَضِّي نَهاري بالحديثِ وبالمُنَى
ويَجْمعُنى والهمَّ باللَّيلِ ، جامعُ »[٣]

لعَمْري ، لَقَدْ وَفَّيتُكِ الوُدَّ والوَفا وأَخْفَيْتُ ما بي في هَواكِ لو اخْتَفَى
وأَنْصَفْتُ،لكنْ لم أَجِدْكِ مُنصِفا ولو كانَ هذا مَوْضعَ العَتْبِ لاشْتَفَى
فُؤادي ، ولكنْ لِلْعِتابِ مَواضعُ

تَرَكْتُ جمالَ الصَّبرِ عِنْدي سَماجَةً وشَهْدَةَ عَـذْلِ العاذلينَ أُجاجَةً

---

(١) يلاحظ أن الشاعر ضمن في تخميسه بعض الأبيات للشاعر مجنون بني عامر قيس ابن الملوح .

(٢) الدَّيْدَن ، والدَّيْدان ، والدَّيْدَوان : أي العادة .

(٣) في الأصل : (ويجمعنى والشوق والهم جامـــع) ، وقد أثبتنا رواية الأغاني (ج ٢ ص ٣٨) .

فلِمْ أتعاطَى سَتْرَ ما بي لَجاجــةً   وأنتَ الّذي صَيَّرْتَ جِسْمي زُجاجَةً

تَنِمُّ على مــا تَحْتَويهِ الأَضالِعُ

حَلَفْتُ بِثَغْرٍ مِنْكِ ، لي مِنْهُ نُهْبَةٌ   وعَذْبِ رُضابٍ ، ليس لي مِنْهُ نُغبةٌ[1]

وتلكَ يَمينٌ ، عِنْدَ مِثْلِيَ صَعْبةٌ   « لَقَدْ ثَبَتَتْ في القَلْبِ مِنْكِ مَحبَّةٌ

كما ثَبَتَتْ في الرَّاحَتَينِ الأَصابعُ »

٢١١

وقالَ :

غَنِيتُ بِما اكْتَنَزْتُ مِنَ القَناعهْ   إلى أَنْ قيلَ قد عَرَفَ الصِّناعَهْ

ولم أُعرِضْ بِوَجْهي عن نَصيحي   ولم أُقبِلْ مِنَ المُطْري خِداعَهْ

وقُلْتُ لمادحي : بُعْداً ، وسُحْقاً   وقُلتُ لناصحي : سَمْعاً ، وطَاعَهْ

ومَنْ أَرْبَى على سَبْعينَ عامــاً   بأربعةٍ ، فقــد أَخْلَى رِباعَهْ

فَخَلِّ عن الخَنا[2] ، إنْ كُنْتَ خِلِّي   وغَيِّضْ ، إنْ طَما بَحْرُ الطَّماعَهْ[3]

(١) النُّغبة والنَّغْبة ، بالضم : أي الجرعة ؛ وقيل : النَّغبة المرة الواحـــدة والنُّغبة الاسم ، كما فُرِق بين الجَرعة والجُرعة وسائر أخواتها بمثل هذا .

(٢) الخنا : القبيح من الكلام ، والفحش .

(٣) الطماعة : مصدر طمع ، يقال : طمع طمعاً وطماعةً وطماعيةً وطماعيَةً .

وأَبْطِنْ صالحاً ، يَظْهَرْ ثَنـــاءٌ فلِلنِّيَّـــاتِ أسرارٌ مُذَاعَـهْ
وأَصْلِحْ لَحْنَ فِعْلِكَ فهو مُرْدٍ وإنْ أَكْمَلْتَ في القَوْلِ البَرَاعَـهْ
وتُبْ عن مُوبقاتِكَ مِنْ قَريبٍ وخَـــلِّ عن التَّلَبُّس بالخَلاعَهْ
وإنْ شَفَّتْكَ أَمراضُ المعاصي فَرَجٌ لَهَـا الشِّفاءَ مِنَ الشَّفاعَهْ
ولا يَقْطَعْكَ عن عَمَلٍ تَوَانٍ فعُمْرُكَ ساعةٌ أو بَعْضُ ساعَهْ

٢١٢

وقالَ :

ليسَ ، لِي عَنْكَ ، مَنْزَعُ[1] لا ، ولا مِنْكَ مَفْزَعُ[2] ل 51/ظ
يا حبيباً ، لبُعْـــدِهِ ناظري ليس يَهْجَعُ
لكَ قَلْبي ومُقْلَتـــا يَ مَصِيفٌ ومَرْبَعُ
ليس لي ، إنْ حَفِظْتَني ضـائرٌ مَنْ يُضَيِّـعُ
وإذا ما سَخَطْتَ ، فلْـــيَسْخَطِ النَّاسُ أَجْمعُ
لي باليَـأْسِ والرَّجـا ءِ مَماتٌ ومَرْجِعُ

---

(١) منزع : يقـــال للإنسان إذا هوي شيئاً ونازعته إليه نفسه : هو ينزع إليه أي يشتاق ويحن .

(٢) مفزع : أي ملجأ .

٢١٣

وقالَ [(١)]، [مِنْ غاياتِ انْسجامِهِ] [(٢)] :

كَمْ كتبْتُ مِنْ رُقْعَهْ ! واخْتَصرتُ مِنْ لُمعَهْ ! [(٣)]

كَمْ شَرَحْتُ مِنْ وَجْدٍ ! كَمْ سَفَحْتُ مِنْ دَمْعَهْ !

كَمْ نَثَرْتُ مِنْ سَجْعٍ ! كَمْ نَظَمْتُ مِنْ قِطْعَهْ !

كَمْ بَعَثْتُ مِنْ رُسْلٍ دَفْعَةً على دَفْعَهْ !

بِنْتُمُ ، وأَعْرَضْتُمْ ما أَمَرَّها جُرْعَهْ !

هل عليكُمُ بَأْسٌ في المَقالِ : بالرَّجعَهْ [(٤)]

قد حَجَجْتُ مَغْناكُمْ لا تُحَرِّموا المُتْعَهْ [(٥)]

(١) الخزانة : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
يلاحظ اختلاف ترتيب الأبيات بالنسبة لرواية الديوان .

(٢) وهذه القصيدة الثانية من القصائد الست التي أوردها ابن حجة في ذكر الانسجام للشاعر المذكور ، وقال إنها « من غايات انسجامه » . (الخزانة ص ٢٤٩)

(٣) اللُّمعة : البُلْغة من العيش ، ويقال : معه لمة من العيش أي ما يكتفي به .

(٤) الرَّجعة : يقول ابن منظور : « الرجعة مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم ، ومذهب طائفة من فِرق المسلمين من أولي البِدع والأهواء ، يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان ، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون : إن علي بن أبي طالب مستتر في السحاب فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي منادٍ من السماء . . . » (لسان العرب ، ج ٨ ص ١١٤) .

(٥) المتعة : التمتع بالمرأة لا تريد إدامتها لنفسك .

يا مَليكَ قَلْبي ، خُـذْ مـا يَليـهِ بالشُّفعَهْ[١]

واسِ بَيْنَنا ، أَولا رُدَّنا إِلى القُرْعَهْ

لا تُحِـلْ على صَبْري[٢] ليس فيهِ مِنْ نَجْعَهْ[٣]

قد جَعَلْتُ أَرْداني[٤] مِنْ مَـدامعي نَقْعَهْ

ما لِناظري كُحْلٌ غيرَ هـذهِ الطّاعهْ

ليس عنْكَ لي نَزْعٌ بـلْ لِعـاذلي نَزْعهْ

كم يَسومُني خَدْعاً ! والُحروبُ بالخدْعهْ !

لو مَنَحْتَني كَنْزاً أَو فَتَحْتَ لي قَلْعَهْ

لم أَدَعْ على عِرْضي مثلَ هـذهِ السُّمعَهْ

تَرْكُ سُنَّتي فيكُمْ سادَتي مِنَ البِدْعَهْ

ذَلّني لكُمْ وَضْعي لا عَـدِمْتُمُ الرِّفْعَهْ

هـذِهِ صَبـاباتي والوِصالُ في مَنْعَهْ

كيفَ لو تعلَّمْتُمْ غيرَ هـذِهِ الصَّنْعَهْ؟

---

(١) الشُّفعة : هي أن تشفع فيما تطلب فتضمه إلى ما عندك فتشفعه أي تزيده ؛ وعند الفقهاء حق تملك الشخص شريكه المتجدد ملكه قهراً بعوض .

(٢) في الخزانة : (لاتحل عني قلبي) .

(٣) نجعة : النجعة عند العرب هي المذهب في طلب الكلأ في موضعه عند هيج العشب .

(٤) في الخزانة : (قد تركت أرداني) .

٢١٤

وقالَ :

إذا المَرْءُ يوماً أساءَ الصَّنيعَ ... أحالَ على دَهْرِهِ ما صَنَعْ
ويُولَعُ بالباقِلاءِ[١] الفتَى ... ويَعْزي إلى الباقِلاءِ الوَلَعْ

٢١٥

وقالَ :

جَزِعْتُ لِبينِ الحَيِّ عنْ بانِ جِزْعِهِ[٢] ... فَسَلْ عنْ فُؤادي بَيْنَ أَكْنافِ[٣] سَلْعِهِ[٤]
تَقَنَّصهَ مِنِّي غزالٌ مُمَنَّـعٌ ... حَلالي تَمَنِّي بَذْلِهِ بَعْـدَ مَنْعِـهِ
حَرارةُ قَلْبي مِنْ فُتورِ بطَرْفِهِ ... وأَصْلُ جُنوبي مِنْ مُسلْسَلِ فَرْعِهِ
بِرُوحِي مَنْ أَرْصَدْتُ رُوحي لِطَوْعِهِ ... وإنْ كانَ ذِكري لا يَمُرُّ بِسَمْعِهِ
هو الجَوْهرُ الفَرْدُ الّذي لم أُثَنِّهِ ... فَمـا بالُهُ لم يُجْنِني شَمْلَ جَمْعِهِ

ل 52 / و

(١) الباقلاء والباقلّى : ممدودة ومخففة هي الفول ، يقول الفيروزبادي « وأكله يولد الرياح والأحلام والسدر والهم وأخلاطاً غليظة » .

(٢) الجزع : منعطف الوادي ووسطه ، أو منقطعه ، أو منحناه ، أو لا يسمّى جِزْعاً حتى تكون له سعةٌ تنبت الشجر ، أو هو مكان بالوادي ، لاشجر فيه ، وربما كان رملاً ، ومحلة القوم ، والمشرف من الأرض إلى جنبه طُمأنينة .

(٣) أكناف : جمع كنف وهو الجانب والظل والناحية .

(٤) سَلْع : جبل في المدينة ، أو جبل لهذيل ، أو حصن بوادي موسى من عمل الشَّوْبَك .

سُرِرتُ بِرِقِّي في هَواهُ فعَهْدَتي يُحَرِّرُهـــا جَفْني بمُحْمَرِّ دَمْعِهِ

وقَفْتُ بِصَحْبي في حِماهُ فشاقَني حَميمي بِشِعْري والحَمامُ بِسَجْعِهِ

وقد صَار شَيْبي للشَّبابِ خَليفةً عَطَفْتُ على بُرْدِ التَّصابي بخَلْعِهِ

٢١٦

وقالَ أيضاً ، رحِمَهُ اللهُ :

خُذْ في أحاديثِ المَلامَةِ ، أو دَعِ فالقَلْبُ وَدَّعَ يومَ سارَ مُودِّعي

لا يُطْمِعَنَّكَ في السُّلوِّ مَشُورَةٌ إلاَّ تَضرَّ ، فإنَّها لمْ تَنْفَعِ

كَلَفي بِرائعةِ الجَمالِ مصونةٍ والقَلْبُ لم يَأْمَنْ ، ولم يَتَرَوَّعِ

رُؤْدٌ[1] مُبَرْقَعةُ الملاثِمِ ، جَفْنُها يَسْطو بكُلِّ مُلَثَّمٍ ومُبَرْقَعِ

كَحْلاءُ مُولعةُ اللِّحاظِ بِسَلْبِها لُبَّ الخَليِّ ، فكيفَ لُبُّ المُولعِ ؟

سارَتْ على جَذَلٍ ، وضَاعفَ بَيْنُها حُزْناً رَبَعْتُ بِدائِهِ في الأرْبُعِ

فَجَزِعْتُ مِنْ ألمِ الهوَى ، وجَزِعْتُ مِنْ وَشْكِ النَّوى ، وجَزِعتُ ، إنْ لم أجْزَعِ

وغزالِ إنسٍ كلُّ حُسْنٍ في الوَرَى نَوْعٌ لِجِنْسِ جَمالِهِ المُتَنوِّعِ

(١) في الأصل : (رود) غير مهموزة ، خففت لكثرة الاستعمال ، وهي الشابة الحسنة الشباب ، والجارية المشوقة قد ترأد في مشيها ، ويقال للغصن الذي نبت من سنته أرطب ما يكون وأرخصه رؤْد ، وسميت الجارية الشابة رؤداً تشبيهاً به .

عَطَفَتْهُ عاطفةُ الوَفاءِ ، فَردَّني عنهُ الحفاظُ بغُلَّةٍ[١] لم تُنقَعِ[٢]

ومَضَى،فجاءتْ زَفْرتي مِنْ مُقْلَتي بسَحابةٍ صَيفيَّـــةٍ لم تُقْلِعِ

ورَجعْتُ أَحْسَبُ يَقْظَتي حِلماً بِهِ لولا خوالفُ طِيبهِ المُتضوِّعِ

غالَطْتُ رُوحي فيهِ ، حتى إنَّني لم أدْرِ أنّي مُنْكِرٌ أو مُدَّعي

٢١٧

وقالَ :

دَعاني للِسِّباقِ شَقيقُ رُوحي فقَابَل أَمْرَهُ طَوعي وسَمْعي

أُسابِقُ طَرْفَه بِلِحاظِ طَرْفي فيَسْبِقُها ، وأَسْبِقُه بِدَمْعي

٢١٨

وَقالَ ، رَحمَهُ اللهُ :

ل 52/ظ شَمْلٌ شَتيتٌ ، وغَرامٌ جميعْ وسَلْوةٌ تَعْصي ، ودَمْعٌ يُطيعْ

ومُدنَفٌ[٣] أَوحى إِليهِ الهَوَى أنَّ سَماعَ اللَّومِ ذَنْبٌ فَظيعْ

(١) الغلة : العطش الشديد .

(٢) تنقع : نقع الغلة سكّن عطشها .

(٣) مدنَف : يقال رجل مدنَف ومدنِف ودَنَف ودنِف أي براه المرض حتى أشفى على الموت ، والمقصود به هنا المحب المضنى .

يُصْغي لِمَنْ يُغري ، ويأبى عن الـــعُذّال ، فاعْجَبْ للأَصمّ السَّميعْ

وإنْ تكُنْ لي صَاحِباً ، فارْعَ لي سَرْحَ لَذيذِ العَيْشِ كيلا يَضيعْ

وانْصِبْ خيامَ اللّهوِ ، وارْبَعْ بِها مِنْ قَبْلِ تَقْويضِ خِيامِ الرَّبيعْ

في رَوْضةٍ تُحْرَسُ أطرافُهـــا مِنْ نَهرِها « العاصي » بَسيفٍ صنيع[1]

أَودَعَها المُزْنُ مِنَ السِّرِّ مـــا تَكَفَّلَتْ ريحُ الصَّبا أَنْ يَذيعْ

وسَقِّني الرَّاحَ على وَجْنــةٍ قَلْبي بِسُكْري، في هَواها ، صَريعْ

ونظرةٍ تُرْسَلُ في فَـــتْرةٍ إليَّ مِنْ ربِّ جَمالٍ بَـــديعْ

وصوتِ شادٍ شادنٍ ، لحنُــهُ ولحظُهُ بُرْءٌ وحَتْفٌ ذَريع[2]

ذلكَ دَأْبي في شَبـــابي إلى أن يَهْتِكَ الشَّيبُ حِجابي المَنيعْ

فإنْ تُساعِدْني على صَبْوَتي أَبِعْكَ أَقْصَى الوُدِّ فيمَنْ يَبيعْ

وإنْ تَسُمْني[3] فَوْقَ هذا ، فَقَدْ كَلَّفْتَني فَوْقَ الّذي أَستطيعْ

---

(١) صنيع : سيف صنيع أي مجرب مجلو .

(٢) ذريع : سريع ، وموت ذريع أي سريع فاش لايكاد الناس يتدافنون .

(٣) تسمني : تكلفني مشقة .

٢١٩

وقالَ[١] :

أَكملْتُ سِتّاً وأربعينَ بِهـــا أَخلَتْ هُمومي مِنْ راحَتي رَبْعي[٢]

وجُزْتُ في السَّبعِ خائِفاً وَجِلا كأَنّني جائزٌ[٣] على السَّـــبُعِ[٤]



(١) ورد هذان البيتان في الوافي ، والفوات ، والخزانة .

(٢) في الوافي : (أحلت همومي) .

(٣) في الخزانة : (لأنني جائز) .

(٤) في الديوان وفي الخزانة : (على سبع) ، وقد أثبتنـا روايتي الوافي والفوات . السبع في صدر البيت العدد المعروف ، والسبع في عجز البيت هو الأسد .

قافيـــة الغيْـن

٢٢٠

قالَ في المدائِحِ النَّبويّةِ :

أيُّ بَدْرٍ مِنْ قُرَيشٍ بَزَغا؟ فاضِحاً شَيْطانَ كُفرٍ نَزَغا

زاهرُ الأَخلاقِ منظومٌ لهُ زاهرُ المَدْحِ بأَصنافِ اللُّغا[1]

غالَ في بَدْرٍ قُروماً[2] هَدَرَتْ فكَأَنْ في وَسْطِها سَقْبٌ[3] رَغا[4]

هامعُ الجَدْبِ إذا خَطْبٌ طرا قاطعُ العَضْبِ إذا خَطْبٌ طَغى

ونبيٌّ بابُهُ مَنْ زارَهُ سوّغَ الفردوسَ فيما سوَّغا

يوسفيُّ الوجهِ رُؤيانا لهُ مبتغانا ، وهيَ نِعمَ المبتغى

٢٢١

وَقالَ[5] ، رَحَمهُ اللهُ :

---

(١) اللغا : جمع لغة .

(٢) القُروم : جمع قَرْم ، وهو السيّد والعظيم .

(٣) السقب : ولد الناقة أو ساعة يُولد .

(٤) رغا البعير : صوّت وضجّ .

(٥) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

شيطانُ عذلٍ نَزَغـــا[1] في بــدرِ تمٍّ بَزَغـــا

بالَغَ ، لكنْ ساءَني رسولُه مـا بَلَّغـــا

[أفتَى الهوَى بإثمـــهِ لّمـا تَعدَّى ولَغا[2]][3]

هَيهاتَ أنْ يَشغَلَ عن إلْفٍ لِصَبْري فَرَّغـــا

ذي مُلحٍ أوصافُهـــا تُعجزُ أَصنافَ اللُّغَـــا

أَلْثَغُ يُضحي عِنْـــدَهُ كُلُّ فَصيحٍ أَلْثَغـــا

إنْ قُلْتُ : يا ظبيَ الفَلَا قالَ : أَنا لَيْثُ الشَغَى[4]

أو قُلْتُ : صِلْني ، قالَ لي : أَيْنَ الثُّغَيّـــا والثَّغَى ؟[5]

أو قُلْتُ : أَنجزْ مـا وَعَدْتَ ، قالَ : هذا ما جَغَى ![6]

أَو قُلْتُ : أَسْلو بِسِوا كَ : قالَ : مِثْلي ما تَغَى ![7]

[سُبْحانَ مَنْ بَلَّغَـــهُ مِنْ دَلِّهِ مـا بَلَّغـــا !

ل 53 / و

---

(١) في الديوان : (شيطان عذل بزغا) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .

(٢) لغا : لغا في القول أخطأ وقال باطـلاً ، ولغا أيضاً إذا تكلم بالمطّرح من القول وما لا يعني .

(٣) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل (و ١٢٠) .

(٤) الشغى : أي الشرى وذلك حكاية على لسان الحبيب الألثغ الذي يقلب الراء غيناً .

(٥) أي : (أين الثريا والثرى) وقد أوردها الشاعر حكاية على لسان الحبيب الألثغ .

(٦) أي : (ما جرى) حكاية على لسان الحبيب الألثغ .

(٧) أي : (ما ترى) حكاية على لسان الحبيب الألثغ .

وَجَلَّ مَنْ أَضْفَى بُرو ... دَ حُسْنِه ، وأَسْبَغَـــا !

وعَقْرَبَ العَقْرَبَ إِذْ ... صَدَّغَ مِنه الصُّدْغَـــا !

فاعْجَبْ لَهـا لَديغُها الْـ ... آمِنُ مِنْ أَنْ تلدَغا !] [1]

تيَّمَني بمُقْلـــــــةٍ ... أَصْمَتْ فؤادي فَصَغَـا

فقري إلى إِنْسانِهـا ... أَبدَى غِنـاهُ ، فَطَغَى

ذي وَجْنةٍ في صَحْنِهـا ... مـاءُ الشَّبابِ أُفرِغـا

دُونَ اقْتِبـاسٍ نارُهـا ... تَشُبُّ نِيرانَ الوَغَى

لاَطَفَـــني ، حتى إذا ... أَصْلَحَ شَـأْني أَوْتَغَـــا [2]

[ومـا بَـــدا لِيَ أَنَّـهُ ... «يُسِرُّ حَسْواً في ارْتغا» [3]] [4]

مولاي ، وَجْدي فيكَ ، ما ... أَشَـدَّهُ ! وأَبْلَغَـــا !

---

(١) استدركنا الأبيات الأربعة من رواية الذيل (و ١٢٠) .

(٢) أوتغ : أوتغه أي أهلكه أو أفسده يقال : وتِغ يوتغ وتغاً أي فسد وهلك وأثم، وأوتغه هو .

(٣) يُسرُّ حسواً في ارتغا : أي في ارتغاء ، وهـذا مثل يُضرب لمن يظهر أمراً ، وهو يريد غيره . قال الشعبي لمن سأله عن رجل قبَّل أمَّ امرأته ، قال : «يُسرُّ حسواً في ارتغاء» ، وقد حرُمتْ عليه امرأته . وفي التهذيب يضرب مثلاً لمن يُظهر طلب القليل ، وهو يُسرُّ أخذ الكثير .

(٤) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل (و ١٢١) .

[وعَينيَ العَبْرى ، فَمَا أَغْزَرها ، وأَرْزَغا !] (١)

فاحكُمْ بما أوجَبَهُ شَرْعُ الهوَى ، وسَوَّغا

إنْ كانَ في قَتْلِكَ لي رِضاكَ ، فَهُوَ المُبْتَغَى



(١) أرزغت السماء وأرزغ المطر : كان منه ما يبل الأرض ، وقيل : أرزغ المطر الأرض إذا بلها وبالغ ولم يسل . والمقصود هنا في البيت مطر الدموع وهو يتعجب من غزارتها ورزغها .

قافية الفاء

٢٢٢

قالَ في المَدائحِ النَّبَويَّةِ اللُّزوميَّةِ :

أَمْرُ عَلْياكَ في الوَرى غيْرُ خافِ فإلَيْكَ انْتَهى مَدَى الأَوصافِ
بَعَثَ اللهُ مِنْكَ خَيْرَ نَبيٍّ خاتَمِ الرُّسلِ فاتحِ الأَطرافِ
ثَمَّ جُوداً لِلْمُسْتَميحينَ مُعْفٍ واغْتِفاراً عن المُسِيئينَ عافِ
جَلَّ رَبْعاً بطَيْبَةٍ حَلَّ فيهِ خَيْرُ حالٍ بِسُؤْدُدٍ وعَفافِ [1]
حُجُراتٍ كَمْ لِلْمُلوكِ ولِلْأَمْـ ـلاكِ فيهِنَّ مِنْ حَفاً واحْتِفافِ [2]
راقبُوا ما يَفيضُ عن رُكْنِها القِبْـ ـلِيِّ مِنْ رَأْفةٍ ومِنْ إِسْعافِ
صانَهُ ذو الجَلالِ مِنْ الدُّنْـ ـيا مُصَفّىً مِنْ جَوْهرٍ شَفّافِ

---

(١) طَيْبَة : وهي اسم لمدينة الرسول ﷺ يثرب . لم يذكر الجوهري من أسمائها سوى طيبة . وقال ابن الأثير في الحديث الشريف : إن الرسول ﷺ أمر أن تسمى المدينة طَيْبَة وطابة ، وهما من الطيب ، لأن المدينة كان اسمها يثرب . والثرب الفساد ، فنهى أن تسمى به ، وسماها طابة وطيبة وهما تأنيث طاب وطَيْب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٥٣) .

(٢) حفا : رقة القدم والخف والحافر ، والاسم الحِفوة والحُفوة .

وإليهِ خَفَّتْ بنا العِيسُ في عُرْ ضِ الفَيافي قَوادماً وخَوافي

يَمَّمَتْ ماجداً سَرَتْ مِدَحُ الآ ياتِ فيهِ ، ثم اقْتَفَتْها القَوافي

٢٢٣

وقالَ [يَمْدحُ المَلِكَ الأَمْجَد(*)، ويُهنِّئُهُ في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ شَعْبانَ]:(١)

لعَمْري ، لِمَنْ ظُلْمِ الخَليلِ وعَسْفِهِ مَلامةُ إلْفٍ راعَهُ صَدُّ إلْفِهِ

وإنّي لأَقْوَى في مقاوَمةِ العِدا وأَضْعُفُ عن رَدْعِ الغَرامِ وكَفِّهِ

فلا تَلْحَني ، إنْ كُنْتُ حِلْفي، وإنْ أَعِدْ بِسُلْوانِهِمْ وَعْداً ، فأَيْقِنْ بخُلْفِهِ

ل 53/ظ وعُجْ بي على رَبْعٍ عَفاهُ بِعادُهُمْ ورَبْعُ غَرامي عامرٌ لم يُعَفِّهِ

وَقَفْتُ بِهِ رَكْبَ الأَسَى مُتَعَرِّفاً دَلائلَ ما أَنْكَرْتُه بَعْدَ عُرْفِهِ

فأَلْزَمْتُهُ خَدِّي ، وَروَّيْتُ تُرْبَهُ بِدَمْعي ، وباقي حَقِّهِ لم أُوَفِّهِ

عَهِدْتُ حِماهُ مَرْبعاً لمُشَنِّفٍ صُنوفُ مَلاحاتِ الوَرَى دُونَ وَصْفِهِ

فيُعْرِبُ عن فِعْلِ التَّعدِّي لِسانُهُ ويَجْرِفُهُ الإعْراضُ عن حَرْفِ عَطْفِهِ

(*) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) ما بين القاطعتين زيادة اقتضاها التوضيح رأينا من الفائدة إضافتها .

إذا لم يُنادِمْني على الكَأْسِ عِفَّةً كَفاني الَّذي نادَمْتُ مِنْ كأْسِ طَرْفِهِ

تَناهيتُ وَجْداً إذْ تَناهَى مَلاحَةً فَوصْفي شَبيهٌ في التَّناهي بِوَصْفِهِ

وأُضيعُ سَعْياً في الوَرَى مِنْ عَواذلي عَواذِلُ مجدِ الدِّينِ في جُودِ كَفِّهِ

مَليكٌ يُبيدُ المالَ والفَقْرَ والعِدا فلا جَيْشَ إلّا وهْوَ هادِمُ صَفِّهِ

تُوازَنُ أَقْدارُ المُلوكِ بقَدْرِهِ فَيَرْجَحُ عن قِنْطارِهِمْ قَدْرُ وافِهِ[1]

لهُ عَسْكَرا رُعْبٍ وحَرْبٍ يَسيرُ ذا أَماماً وذا مِنْ جانِبَيْهِ وخَلْفِهِ

يَجُرُّ إلى الأَعداءِ جَيْشاً عَرَمْرَماً[2] يُزاحِفُهُمْ آجالُهَمْ يومَ زَحْفِهِ

ويَصْرِفُ عن آرائِهِ كلَّ قَوْمَصٍ[3]

تُهالُ صُروفُ الدَّهرِ مِنْ جَوْرِ صَرْفِهِ

لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ العَجاجَةِ شاخِصٌ تَكَفَّلَ إيماضُ السُّيوفِ بِخَطْفِهِ

فَيَشْغَلُهُ عن جَيْشِهِ جَيْشُ خيفَةٍ تَخَيَّلَ في عَيْنَيْهِ صُورةَ حَتْفِهِ

كَذا يَهْدِمُ الرُّكْنَ الشَّديدَ إذا نَوَى خِلافاً على رُكْنِ الضَّعيفِ وكَهْفِهِ

---

(١) في الديوان : (وأْفه) ، وصوابها (وافه) ، وأصلها (وافيه) وقد حذف الياء تخفيفاً لضرورة شعرية . والوافي : هو درهم وأربعة دوانق .

(٢) عرمرم : جيش عرمرم أي كثير .

(٣) قومص : أي الكونت ، وهي لفظة معربة استخدمها العرب كثيراً في وصف أمراء الفرنجة .

فَتىً عُرفُـهُ يَخْفَى بإفْراطِ جَهْـدِهِ ولكنَّه كالمسْكِ يَخْفو[١] بعَرْفِهِ

طَروبٌ بِصَوْتَيْ سائلٍ ومُسائلٍ إذا مَلِكٌ أَصْغَى إلى نَقْرِ دُفِّهِ

يُحَبِّبُ غَيْثٌ هاطِلٌ تحْتَ بُرْدِهِ ويُرْهَبُ لَيْثٌ باسلٌ فَوْقَ طِرْفِهِ[٢]

فلا زالَ تَخْشِيَّ العِقــابِ ، سَحابُهُ
يَدُرُّ[٣] ولا تَخْشَى الوَرَى خُلْفَ خِلْفِهِ[٤]

وخصَّصَـهُ شَعْبانُ مِنْـهُ بأَنْعُمٍ
نُشَعْبِنُ[٥] في أَوقــاتِ لَيْلَةِ نِصْفِهِ

٢٢٤

وقالَ يَمْـدَحُه[٦] :

سُقِيَ الحِمَى مِنْ مَرْبَعٍ ومَصِيفِ غَيْثاً كفائضِ دَمْعِيَ المَذْروفِ

---

(١) يخفو : يظهر .

(٢) الطِرف : الكريم من الخيل ، أو الكريم الأطراف من الآباء والأمهات .

(٣) في الأصل : (يدر) .

(٤) خِلْف : حَلَمَة ضرع الناقة أو طرفه أو المؤخر من الأطباء أو هو للناقة كالضرع للشاة .

(٥) لم تورد معاجم اللغة هذا الاستعمال لفعل شعبن . مشتقاً شهر شعبان ؛ والمعروف أن الناس يشتقون أيضاً فعل رمضن من شهر رمضان .

(٦) ممدوحه السابق الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

وَوَشَتْ يدُ الأَنْواءِ بُرْدَ رِياضِهِ بِغَرائِبِ التَّوشيعِ والتَّفْويفِ
فلَعَلَّ مَنْ عَزَمَ النَّوَى عن حاجةٍ يَدْنو بِراحةِ قَلْبِيَ المَشْغوفِ
رَبْعٌ لو أنَّ ظِباءَهُ أَمَّنَني مِنْ جَوْرِهِنَّ أَمِنْتُ كُلَّ مَخوفِ ل 54 / و
وأَعدْتُ ماضي عَيْشِهِ مُسْتَقْبلاً فغَنيتُ فيهِ بِذلكَ التَّصْريفِ
لَهْفي على زَمَنٍ بِهِ قَضَّيْتُهُ واللَّهْفُ آخِرُ حِيلَةِ المَلْهوفِ
أيَّامَ سَهْمُ البُعْدِ غيرُ مُصادِفٍ أغراضَه وصَدوفُ غيرِ صَدوفِ
عَطَفَتْ عليَّ بِنَظْرَةٍ مَخْلوسَةٍ فَقَوِيتُ مِنْ نَظَرٍ إلى تَضْعيفِ
وأماتَني يَأْسُ الفِراقِ ، وشَوَّقَتْ بِلِقائِها ، فَحَيِيْتُ بالتَّسْويفِ
وفَرِقْتُ مِنْ عَذْلٍ، ورُبَّ مُناصِحٍ في حُبِّها فارَقْتُ ، وهْوَ أَليفي
دَعْني ووَجْدي ، يا عَذولُ ، فإنَّني لا أَرْعَوي بالعَذْلِ والتَّعْنيفِ
وإليكَ عن بَهْرامَ شاهَ وجُودِهِ لا تَلْحَهُ في طَبْعِهِ المَأْلوفِ
ولَئِنْ نَكِرْتَ غُلوَّهُ في جُودِهِ فَلَقَدْ نَكِرْتَ النُسْكَ مِنْ مَعْروفِ
مَلِكٍ مُهابٍ في المُلوكِ مُبَجَّلٍ سَمْحٍ رحيمٍ بالضُّريكِ[1] رَؤوفِ
بَحْرٍ لِزَخَّارِ البِحارِ مُغَرِّقٍ طَوْدٍ على شُمِّ الجِبالِ مُنيفِ
مَلَكَتْهُ في بَذْلِ الأُلوفِ سَجِيَّةٌ تُشْقَى العِدا مِنْها بِهَزْمِ أُلوفِ

(١) الضَّريك : الفقير السيء الحال ، أو الفقير الجائع ، أو الهالك ، والأنثى ضريكة .

يَقْظانُ لم يحوِ المَمالكَ بالنُّهى ... لكنْ بطَعْنِ قَناً وضَرْبِ سُيوفِ
وعَرَمْرمٍ يَسْري فيَنْتَهِبُ الفَلا ... مِنْهُ زُحوفٌ أُتْبِعتْ بزُحوفِ
تَخْشَى الغَزَالةُ طَيْرَهُ فتَغيبُ في ... سَجْفٍ عليهِ مِنَ القَتامِ كَثيفِ
تَقْفو كتائبُهُ لِواءَ مُشيَّعٍ ... شَهْمٍ بنُصْرةِ رَبِّـهِ مَحْفوفِ
سَدِكٌ[1] اليَمينِ بأَسْمَرٍ ذِي لَهْذَمٍ ... سَدِكٌ بمُرْغِمِ أَنْفِ كُلِّ أَنُوفِ
مِلِكٌ وَفيٌّ للعُـلا بكَمالِهِ ... أَضْحى على كُلِّ البَرِيّةِ مُوفي
وإذا أقامَ على الثُّغور مُخَيِّما ... مَلأَ المَلا[2] مِنْ ضَيْغَمٍ وعَرِيفِ
ومُهنَّدٍ يَعْتاضُ مِنْ صَلَفٍ بِـهِ ... عن غِمْدِهِ بِمَلاغمٍ[3] وصَليفِ[4]
سارتْ جِيادُ قَصائدي ، فأَغَرْنَ مِنْ ... أَمْـوالِهِ في تالدٍ وطَريفِ
وثَقُلْتُ عن نَهْضي بِعِبءِ جَميلِهِ ... فخَفَفْتُ في شُكْرِيهِ أَيَّ خُفوفِ

---

(١) يقال : رجلٌ سَدِكٌ أي خفيف اليدين في العمل ، ورجلٌ سَدِكٌ بالرمح : أي طعّان به رفيق سريع ، وهذا المعنى المقصود في هـذا البيت . والأسمر : هو الرمح ، واللهذم : القاطع من الأسنة .

(٢) الملا : أي الملأ وأصل المعنى : جماعة القوم وأشرافهم الذين يملؤون العيون أبهة والصدور هيبة .

(٣) الملاغم : جمع مَلْغَم ، وهو الأنف أو الفم أو ما حولهما .

(٤) الصليف : وهو عرض العنق ، وهما صليفان ، أو هما رأس الفقرة التي تلي الرأس من شقيها .

٢٢٥

وقالَ ، وقد اقْتَرَحَ عليهِ المَنْصور[*] تَضْمينَ الثَّالثِ بَديهاً :

حبيبٌ شَفاني مِنْ تدانيهِ ما شفا وكُنْتُ من البَيْنِ المُشِتِّ على شفا[1]

أحِنُّ إليهِ في الصُّدودِ صَبابـــةً وأحْنو عليهِ في الوِصال تَعَطُّفَا ل 54/ ظ

وأَعْشَقُهُ حتى أوَدَّ بأنَّـــني أموتُ ، ويَحْيا ، هذهِ شيمةُ الوَفا

فلا تَعْجبوا مِنْ فَرْطِ وَجْدي ، واعْجَبوا

إذا لم أكُنْ يَعقوبَ ، إذْ كانَ يُوسُفَا !

وما أنْصَفُوا إذْ شبَّهوا حُسْنَ وَجْهِهِ بِبَدْرِ الدُّجا في الشَّهْرِ حينَ تَنَصَّفا

عَقَدْتُ لهُ ما شاءَ مِنْ حَبْلِ عَهْدِهِ فَحَلَّ بِقَلْبي مالِكاً مُتَصَرِّفَا

وأفْرَغْتُ جَهْدي في مَديحِ مُحَمَّدٍ بِغُرِّ القَوافي ، واقْتَفَى بي مَن اقْتَفَى

مَليكٌ رَبيطُ الجَأْشِ ، كمْ شَهِدَ الوَغَى فَفَرَّقَ مِنْ شَمْلِ العِدا ما تألَّفا !

كَفَتْهُ اللَّيالي ، ما يَخافُ ، فطالما كَفانا نَداهُ الحاتِميُّ ، وما اكْتَفَى

(★) نعتقد أن الممدوح هنا هو الملك المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) شفا كل شيء : حرفه وحدّه .

٢٢٦

وقالَ ، وقَدْ أنْشَدَ المَلِكُ المَنْصورُ للمُتَنَبِّي :

(تَمَلَّكَ الحَمْدَ ، حتى ما لِمُفْتَخِرٍ ... في الحَمْدِ: حاءٌ ، ولا مِيمٌ ، ولا دَالُ)[1]

يا أيُّها المَلِكُ المَنْصورُ ، يا مَلِكاً ... أوصافُه كاملاتٌ ، وهي أصنافُ

رَفقْتَ بالخَلْقِ ، حتى ما لِذي وَرَعٍ ... في الرِّفقِ: راءٌ ، ولا فاءٌ ، ولا قافُ

وفُزْتَ بالمُلْكِ ، حتى ما لِذي شَرَفٍ ... في المُلْكِ ميمٌ ، ولا لامٌ ، ولا كافُ

وكَمْ كتائبَ رُعْتَ المارقينَ بها ... فيهنَّ مِنْ ألِفاتِ الخَطِّ آلافُ !

٢٢٧

وقَالَ[2] ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى :

---

(١) هذا البيت من قصيدة للمتنبي يمدح أبا شجاع فاتكاً ، وهو البيت الرابع والثلاثون ، وقبله قوله :

أبو شجاع أبو الشجعان قاطبة ... هول نمته من الهيجاء أهوال

(ديوان المتنبي ، ج ٣ ص ٢٨٥) .

(٢) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ؛ والخزانة ٣ ، ٤ .

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى هَوَى ذلكَ الخشْفِ[١]
وإنْ كانتِ الذِّكْرَى تَشُفُّ[٢] ، ولا تُشفِي

غزالٌ غزَ الآسادَ في جَيشِ حُسْنِهِ فصادَهُمُ بينَ السَّوالفِ والشَّنْفِ[٣]

وبَدْرُ دُجاً لم يَنْتَقِلْ كَسَمِيِّهِ ولكنَّه ما زالَ في القَلْبِ والطَّرْفِ[٤]

يَلوحُ لِعيني ماشِقاً نُونَ صُدْغِهِ فأعْبُدُ خَلَّاقي على ذلك الحَرْفِ[٥]

تَعدَّى ، ولم يُنْصِفْ[٦] فؤاديَ إذْ غلا
تجنُّبِهِ ، والمُغْلَى يُرَدُّ إلى النِّصفِ

وأقْدمَ زَحْفاً خارِجيُّ عِذارِهِ فهلْ عِندَهُ أنِّي أفِرُّ مِنَ الزَّحْفِ ؟

---

(١) الخِشف : الظَّبي بعد أن يكون جداية ، وقيل : هو خِشفٌ أول ما يولد ، وقيل : هو خِشف أول مشيه . وقال الأصمعي : أول ما يولد الظبي فهو طلا ، وقال غيره : هو طلاً ثم خِشْف .

(٢) شف جسمه شفوفاً نحل ، وشَفَّه الهم هزله .

(٣) الشَّنْف : الذي يُلبس في أعلى الأذن بفتح الشين ، والذي في أسفلها القُرْط ، وقيل : الشَّنْف والقُرط سواء .

(٤) أورد ابن حجة البيتين الثالث والرابع في ذكر التورية وأنهما « من بديع نكته » (الخزانة ، ص ٣١٥) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأنَّ به ... » (سورة الحج ١١/٢٢) ، وقوله : (على حرف) أي على شك في عبادته ، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته .

(٦) في الذيل : (تعزى ولم ينصف) .

وَلي فيه بَلْبالٌ يدقُّ حَديثُهُ الـــقَديمُ ، وأَشجانٌ تَجلُّ عن الوَصْفِ

ولي ثَوبُ سُقْمٍ ، مُحْرِقٌ مِنْ جُفونِهِ معارٌ ، وأَثوابُ العَواري لا تُدفّي

أَلامُ ، ولي كَفٌّ لوا كفِ أَدْمعي[1] تَكُفُّ،وأُخرى مِنْ ملاميَ تَستَعْفي

وأَنْني إِساءاتِ الوُشاةِ بِحُسْنِهِ فَيَرْجِعُ كلٌّ منهُمُ راغمَ الأَنفِ

ل 55 / و وتَرْجو[2] فَلاحاً عُـذَّلي ، فأُحيلُهمْ

على آخرِ العِشرينَ مِنْ سُورةِ « الكَهْفِ »[3]

٢٢٨

وقالَ في الأَمجدِ(*) ، وقد عَرَضَ المَنْصورُ(**) على الشَّيخِ الإِقامَةَ عِنْدَهُ :

(★) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(★★) لا نعرف بالضبط أي المنصورين قصد ، المنصور الأول أو المنصور الثاني .

(١) في الذيل : (لوا كف مدمعي) .

(٢) في الذيل : (ويرجو) ، والديوان : (وترجوا) .

(٣) أشار الشاعر هنا إلى قوله تعالى : « إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا إذاً أبداً » (سورة الكهف ١٨/ ٢٠) . والمقصود بآخر العشرين أي آخر الآية العشرين من سورة الكهف ، وآخر الآية المذكورة هو قوله « ولن تفلحوا إذاً أبداً » وهو ما أحال عُذّاله عليه من الدعاء عليهم . كما كتب الناسخ في أعلى الورقة : « ولن تفلحوا إذاً أبداً » .

إلى جنابِكَ يَلْجَا كلُّ مَلْهوفِ ... ومِنْ ثَوابِكَ يُرْجى كلُّ مَعْروفِ[1]

والجودُ عِنْدَكَ فِعلٌ لازمٌ فلِمَنْ ... يَبْغيهِ مِنْ نَحْوِكَ اسْمٌ غيرُ مَصْروفِ

يا أيُّها الأَمجدُ المَلْكُ الذي عَلِقَتْ ... كَفَّايَ مِنْهُ بِحَبْلٍ غيرِ مَكْفوفِ

رامَتْ أُناسٌ مَقامي، وارتَجَوْا مِدَحي ... وعالَجوني بِتَرْغيبٍ وتَخْويفِ[2]

وطالَما سَوَّفوني، قَبْلَ جودِكَ لي ... جُوداً، فقابَلْت تَسْويفاً بتَسْويفِ

٢٢٩

وقالَ :

قُلْتُ للبَدْرِ، إذْ أنا ... رَ، وأَخفاني الدَّنَفْ :

لَكَ، يا بَدْريَ، الكَمَا ... لُ، ولي، دونَكَ، الكَلَفْ

قالَ : طُوبَى لِمُنْصِفٍ ... عرفَ الحقَّ، فاعترَفْ

٢٣٠

وقالَ :

غَدَرَتْ بِي سِتٌّ وسَبْعونَ حتَّى ... غادَرَتْ لي نِسْيانَ عِلْمي خَلَفَا

---

(١) في الديوان : (ملجا)، وقد فضلنا (يلجا) أي يلجأ، ولعل هناك تصحيفاً بين الياء والميم لتشابه الرسم، يضاف إلى ذلك ضرورة التناسق بين (يلجا) و (يُرجى) المقابلة لها في الشطر الثاني.

(٢) إشارة هامة تلفت النظر إلى مكانة الشاعر عند الملوك الأيوبيين في حماة وغيرها. ونلاحظ من خلال هذه المدحة أنه يشير إلى تنازعهم للحظوة به فعالجوه بترغيب وتخويف.

كانَ يجفو لَدَيَّ ما ليس يَجْفو صارَ يَخْفَى عَلَيَّ مـا ليس يَخْفَى

٢٣١

وقالَ[1] [يمدحُ المَلِكَ النَّاصرَ][*] :

أَحَلْتُ عليكَ ، ابنَ العَزيزِ ، بَني سُرىً
بَضائعُهمْ تُزْجى إليكَ ، وتُصْرَفُ
فَمَنْ مَسَّهُ ضُرٌّ مِنَ النَّاسِ كلِّهمْ
فهـا حلبٌ مِصْرٌ ، وها أَنتَ يُوسُفُ

٢٣٢

وقالَ :

يا شادِنـاً أَيسرُ وَصْفٍ لهُ مُستغرِقٌ أَكملَ أَوْصافي
يا مُخْلِفَ الصّادقِ في « مَريَم » ومُنْجِزَ الآخرِ مِنْ « قافِ »[2]

(★) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز ، ملك حلب ، وقد سبقت ترجمته .

(١) أضفنا ما بين القاطعتين توضيحاً لمناسبة البيتين .

(٢) أشار الشاعر في قوله : « يا مخلف الصادق في مريم » إلى ما جاء في سورة (مريم) عن إسماعيل عليه السلام : « واذكر في الكتاب إسمعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً » (سورة مريم ١٩ / ٥٤) وأشـار في قوله أيضاً : « ومنجز الآخر من قاف » إلى ماجاء في سورة (ق) في الآيات الثلاث الأخيرة ، وهي تبدأ بقوله تعالى : « إنّا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير . . . » (سورة ق ٥٠/٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥).

وَصْلُكَ يُحْيِينِي إذا صـــحَّ لي والموتُ مِنْ: ها، جيم، را، كافِ[١]

إنْ سرّني منكَ لقاءٌ، فكمْ بُليتُ مِن: فا، را، أَلِفْ، قافِ[٢]

تَلافَ قَلْباً فيكَ أَوْدَىٰ بِـــهِ آخرُ لَفظٍ مِنْ «لإِيلافِ»[٣]

٢٣٣

وقالَ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

رعـاكَ اللهُ، يا إِلْفِ[٤] وإنْ بالَغْتَ في عَسْفِي

أَمـا تذكُرُ إذْ كفُّـــكَ يومَ الجِزعِ في كَفِّي؟

وقـــد أحكَمْتَ ما بَيْني ومـا بَيْنَكَ مِنْ حِلْفِ

فَمَنْ أَغراكَ بي حتى تقـــوَّيتَ على ضَعْفِ؟ ل 55 / ظ

ومـاذا عَنَّ في أَمْرِ يَ حتى جُرْتَ في عُنْفِي؟

ومـا أنسَ فـلا أنسَ زَمانَ اللَّهوِ والقَصْفِ[٥]

---

(١) من: ها، جيم، را، كاف: أي من هجرك، وقد لفظ أحرفها.

(٢) من: فا، را، ألف، قاف: أي من فراق، وقد لفظ أحرفها.

(٣) أي من سورة قريش التي تبدأ بـ «لإيلاف قريش»، وآخر لفظ منها هو (خوف) في الآية الأخيرة «الذي أطعمهم من جوعٍ، وآمنهم من خوف» (سورة قريش ١٠٦/٤).

(٤) المضاف إلى ياء المتكلم، إن كان صحيح الآخر غير أب ولا أم، فالأكثر حذف ياء التكلم، والاكتفاء بالكسرة التي قبلها تخفيفاً، والأصل هنا: (يا إلفي).

(٥) القصف: اللهو واللعب والجلبة والإعلان باللهو. ذكرت معاجم اللغة أن هذا المعنى للقصف غير عربي من اختراع المولدين كما جاء في اللسان والقاموس.

وإذ عِطفُكَ مُختالٌ ومَيّالٌ على عِطْفي
وإذْ يُسكِرُني ريقُكَ مِنْ خَمرتِهِ الصِّرفِ
وإذْ خدُّكَ قد زانتْهُ إذْ زادَ على الوَصْفِ
أَلَيْفاتٌ مِنَ الوَصْلِ وواواتٌ مِنَ العَطْفِ
وأغزاليَ تُغْنيني عن المِزْمارِ والدُّفِّ[1]
ولِلْواشينَ عنّا نَوْمُ أَهْلِ الكَفِّ في الكَهْفِ
فما باليَ لا أُصْفَى ودادًا مِثْلَ ما أُصْفي؟
وما غيَّرْتُ ما أُبْدي مِنَ الوَجْدِ، وما أُخْفي
وقد أَصبَحْتُ لا أُبْصِرُ قُدّامي، ولا خَلْفي
كَفى لي تَعَباً أنِّي أَرى الرَّاحةَ في حَتْفي
فوا لَهْفي، إذا لم يُغْنِني قَولِيَ: والَهْفي!

٢٣٤

وَقالَ أيْضاً، رَحِمَهُ اللهُ تَعالى:

قَلْبي إلى غَيرِكِ لا يُصْرَفُ وطَرْفُ عَيْني عنكَ لا يَطْرِفُ
كُنْ كَيْفما شِئْتَ فسِيّانِ أَنْ تجورَ في حُكْمِكَ، أَو تُنصِفُ

(١) الدُّف: بضم الدال وفتحها الذي يضرب به، وضم الدال أعلى.

إنْ كُنْتَ هذا الغُصُنَ المُنْثَني عنِّي ، فإنِّي ذلكَ المُدْنَفُ

والدِّيمةُ الوَطْفاءُ طَرْفي إذا أعرَضَ عني طَرْفُكَ الأَوْطَفُ[1]

أشكو ، فلا أُشْفَى بإنْهاءِ ما ألقى ، ولا تحنو ، ولا تَعطِفُ

ولي لِسانٌ كَلَّ عن وَصْفِهِ لكنَّ حالي للجَوَى أَوْصَفُ

عُلِّلْتُ عن ريقِكَ بالرَّاحِ إذْ أمَّلْتُ أنْ تُشْبِهَهُ القَرْقَفُ[2]

فاخترْتُها صَهْباءَ لم يَحْكِها أسْلَسُ مِنْ شِعْري ولا أَلْطَفُ

مِنْ بيتِ قِسِّيسٍ لهُ حانَةٌ يَحْرُسُها البَطْرَكُ والأُسْقُفُ

وعندَهُ ساقٍ هضيمُ الحَشا يَهْفو بِقَلْبي قَدُّهُ الأَهْيَفُ

حَيّاكَ بالنَّرْجِسِ مِنْ لَحْظِهِ والوَرْدِ مِنْ وَجْنَتِهِ يُقْطَفُ

وطافَ بالرَّاحِ التي خِلْتُها لِطيبِها مِنْ فَمِهِ تُرْشَفُ

شرِبْتُها بالرَّغمِ مِنْ عاذلٍ كأنَّها عِلْيَ دَمِهِ تُنْزَفُ

لو كانَ سُلْطاناً لَخالَفْتُهُ وقُلْتُ : هذا السَّيفُ والمُصْحَفُ

كَرْمِيَّةٌ هامَ بِها مَعْشَرٌ أكارمٌ مَعْروفُها يُعرَفُ

---

(١) الوطفاء : الديمة السحّ الحثيثة طال مطرها أو قصر ، إذا تدلت ذيولها . والأوطف : يقال طرف أو طف وعين وطفاء ، أي مسترخية النظر ، فاضلة الشفر .

(٢) القرقف : هي الخمر ، وقد قيل : إنها سميت قرقفاً لأنها تقرقف شاربها أي ترعده .

قد أَسْلَفُوا خَمَّارَها وُجْدَهُمْ وأَيْقَنُوا الفوزَ لما أَسْلَفُوا[١]
ماتُوا ، وقد أَغْنَاهُمُ فَقْرُهُمْ وخلَّفُوا اللهَ لِمَنْ خَلَّفُوا

٢٣٥

وقالَ ، وقد غُنِّيَ بِمِثْلِها بَيْنَ يَديهِ :

ل 56 / و

لا بُدَّ لي مِنهمْ ، وَفَوا أو لم يَفُوا أو بَخِلُوا بالوَصْلِ ، أو تعَطَّفُوا
قالُوا : سَلَوْتَ ، قُلْتُ : عن سُلوانِهِمْ قَلْبي مِنَ السُّلوانِ قاعٌ صَفْصَفُ[٢]
وكيفَ يَقْوَى بالسُّلوِّ وامِقٌ يَكادُ عن حَمْلِ القَميصِ يَضْعُفُ ؟
يا سادةً ، أَسْعَفْتُهم بِمُهْجَتي فعَذِّبوها بالأَسَى واعْتَسِفُوا
لا غَرْوَ ، إنْ بُحْتُ بِسِرِّ حُبِّكُمْ جَدَّ الهَوَى ، فارْتَفَعَ التَّكَلُّفُ
غازَلَتْ مِنْ سِرْبِكُمْ غزالةً[٣] فرائصُ[٤] الأُسْدِ لَدَيْها تَرْجُفُ
جائرةٌ عَدِمْتُ فيها مُنْصِفي وأَيْنَ مِنْ ذاتِ النَّصيفِ[٥] النَّصَفُ ؟

(١) الوَجْد : مثلثة الفاء ، وهو المال اليسار والسعة . يقال وجدت في المال وُجْداً أي صرت ذا مال .

(٢) قاع صفصف : أي مستوٍ لانبات فيه .

(٣) في الأصل : (غازلةً) ، وهذا من تحريف الناسخ .

(٤) فرائص : جمع فريصة ، وهي لحمة في الجنب ترتعد عند الخوف والفزع ، ومنه القول أرعدت فرائصه .

(٥) النَّصيف : الخمار .

مالي؟ وما لعُذْلي؟ لو نَظَرُوا لَعَنَّفوا نُفوسَهمْ إذْ عنَّفُوا

٢٣٦

وَقالَ :

ومُهَفْهِفٍ[١] قَسَمَ الفُتونَ جَمالُه بَـيْنَ البرِيَّةِ قِسْمةَ الإنْصافِ
طَفْلِ البنانِ[٢] يلوحُ منْ أثوابِهِ طِفْلٌ يُذِلُّ قبائلَ الأشرافِ
أجِدُ الضَّلالةَ فيهِ عَيْنَ هِدايةٍ وأرى تَلافي في هَواهُ تَلافي

٢٣٧

وقالَ :

كتابُكَ ، يا شَمْسُ ، لَمّا أتَى صَرَفْتُ بِهِ الدَّهرَ عن صَرْفِهِ
وعَرَّفَني قَبْلَ بُشْرَىٰ البَشيرِ بِهِ ما تَنَسَّمْتُ مِنْ عَرْفِهِ
فحُيِّيتَ مِنْ كاتبٍ خطُّهُ يُعافَى بِهِ الطَّرفُ مِنْ طرْفِهِ
أُرَدِّدُ عُجْبِي مِنْ فِعلِهِ وأعْبُدُ رَبِّي على حَرْفِهِ[٣]

---

(١) مهَفهف : يقال جارية مهفهفة وهي الخميصة البطن الدقيقة الخصر ، ورجل مهفهف كذلك .

(٢) الطَّفْل : البنان الرخص الناعم .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : « ومِنَ الناسِ مَنْ يعبدُ اللهَ على حرف ، فانْ أصابه خيرٌ اطمأن به ، وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » (سورة الحج ٢٢/١١) ، وقوله : (على حرف) أي شاك في عبادته ، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته .

وأحوي بِـهِ ذَهباً خالِصاً تَشِحُّ الأكارمُ عن صَرْفِهِ[١]

٢٣٨

وقالَ في الزُّهدِ :

أَينَ القلوبُ الرَّواجفْ؟ أَينَ الدُّموعُ الذَّوارفْ؟
على ارْتكابِ ذُنـوبٍ لم يُحْصِها وَصْفُ واصفْ
وقَطْـعِ أيّامِ عُمْرٍ مثلِ البُروقِ الخَواطفْ[٢]
وخَوفِ أهوالِ حَشْرٍ تَفوتُ كلَّ المَخاوِفْ
فابْكِ الدِّماءَ إلى أنْ تَخالَ جَفْنَكَ راعِفْ
وارْغَبْ إلى اللهِ تَظْفَرْ مِنْ بِرِّهِ بِلَطائفْ
وازْهَدْ بقَلْبِكَ فيما عَهِدْتُكَ لَـهُ آلِفْ
لا تَدَعِ الرُّشدَ يوماً إنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُناصِفْ
فما تُعدُّ رشيداً في بَيْعِ باقٍ بِتالِفْ
واستأْنِفِ العَقْلَ وانْزِعْ[٣] عن الذُّنوبِ السَّوالِفْ

ظ/56

---

(١) في الديوان : (تسحّ) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) خواطف : جمع خاطف ، أي بروق تخطف نور الأبصار ، ومنه قوله تعالى : « يكاد البرق يخطَف أبصارهم » .

(٣) نَزَع ينزِع عن كذا أي كف وانتهى عنه .

ولا تَموتَنْ قُنوطــاً فللإلـــهِ عـواطِفْ
ولا يصدَّنْكَ عمّـــا يَعنيكَ لومُ السَّفاسِفْ
إنْ خوّفوكَ خِلافاً لَمـا نَحَوْهُ ، فخالِفْ
لا قُدْوَةٌ لَكَ في عُرْ فِ غيرِ أهْلِ المعارِفْ
فسِرْ إلى الفَوْزِ سَيْراً سَبيـــلُهُ مُتَجانِفْ
عن شاطحٍ[1] مستحيلٍ ويابسِ القِحْفِ[2] ناشِفْ
وآأنسْ بطائفةِ الحـــقِّ دونَ كلِّ الطَّوائِفْ
ولُذْ بإحسانِ رَبٍّ لِلْكَربِ والضُرِّ كاشِفْ
طُفْ بالتَّفكُّرِ إنْ لم تكنْ لجسْمكَ طائِفْ
وانظرْ إلى الأرْضِ تُطْوَىٰ بالنّـاسِ طَيَّ الصَّحائِفْ
كم غيَّبَتْ تَحْتَهـا مِنْ أملاكِها والخَلائِفْ[3]
غَدَوْا عليهـا ، وراحُوا معَ الرِّياحِ العَواصِفْ

---

(١) شاطح : مصطلح صوفيّ مولد .

(٢) القِحف : العظم فوق الدماغ ، وما انفلق من الجمجمة فبان ، ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منهشيء ، ويطلق القحف على الجمجمة كما جاء في الأساس « ضربه على قحف رأسه وهو جمجمته . ويابس القحف أي متزمت غير مرن وصلب متشدد .

(٣) الخلائف : جمع خليفة .

فاقْذِفْ بنَفْسِكَ مِنْها في مَهْمَهٍ مُتَقاذِفْ
وأَنْكِرِ النَّاسَ مهما اسْتَطَعْتَ،إن كُنْتَ عارفْ
فقَلَّ ما كُنْتَ فيهمْ إلّا وبالُكَ كاسِفْ
تَجْني عليهمْ ، ويَجْني عليكَ منهمْ زَعانِفْ[1]
فلا تَقِفْ مَعْ رِضاهمْ وكُنْ معَ اللهِ واقِفْ

٢٣٩

وقالَ :

إنْ كُنْتَ ذا دينٍ،فَدَعْ زُخْرُفَ الـدُّنيا ، وخَفْها غايةَ الخِيفَهْ
أَو كنتَ ذا مَيلٍ إلى عِزِّها فاقْنَعْ مِنَ الثَّلَّةِ بالصُّوفَهْ[2]
أَو كُنْتَ ذا حِرْصٍ على فَضْلِها ها أَنتَ والأَكْلُبُ والجِيفَهْ

(١) زعانف كل شيء رديئه ورُذاله ، ومفرده زِعنفة . وقيل : إنما سمي رُذال الناسِ زعانف على التشبية بزعانف الثوب والأديم . وتطلق هـذه اللفظة أيضاً على الفرق المختلفة ، وعلى الأحياء القليلة في الأحياء الكثيرة ، وقيل هي القِطع من القبائل تشذُّ وتنفرد . أما في أساس البلاغة فقد قال « اجتمع الصميم والزعانف » وقال : إن الزعانف هم الأدعياء وذكر « وهي في الأصل أطراف الأديم وأجنحة السمك » .

(٢) الثّلّة : جماعة الغنم ، أو الكثيرة منها ، أو من الضأن خاصة .

٢٤٠

وقالَ في شَعْبانَ سَنَةَ (٦٥٢) ؛ وآخرُ ما قالَهُ سنةَ (٦٦٢) :

لَيْلةُ نِصْفٍ جارَتْ عليَّ ولمْ أَزَلْ مِنَ الدَّهرِ غيرَ مُنْتَصَفِ
سامَرْتُ فيها بَدْرَ التَّمامِ[1] وما حَصَلْتُ مِنْهُ إلّا على الكَلَفِ



(١) بدر التمام : يقال أتمَّ القمر أي امتلأ فبهر ، فهو بدر تَمام وتِمام .

قافية القاف

٢٤١

قالَ :

مُحِبٌّ هامَ وَجْداً واشْتياقا وأسْكَرَهُ الغَرامُ ، فما أفاقا
عَصَى أمْرَ النَّصيحِ ، فلمْ يُطِعْهُ ولو رامَ السُّلوَّ لَما أطاقا
وكيفَ لعاذلي في الحبِّ منّي بصبرٍ لا يليقُ ، ولا يُلاقَى ؟
وبي مُتَلَوِّنٌ أرَقي دُموعي رِضاهُ وسُخْطُهُ لِدَمي أراقا
وَرَقَّ عَواطفاً إذْ رَقَّ عِطْفاً فَفي إحسانِهِ والحُسْنِ فاقا
ويَطْرُقُ[1] طَيفُهُ ، واللَّيلُ مُلْقٍ علينا مِنْ دُجُنَّتِهِ[2] رِواقا
فَيهْزِمُهُ سُفوراً وابتسامـــا وأُفنيهِ الْتِثاماً واعْتِناقا
فيا بَدْراً ، بَذَلْتُ تَمامَ وُدِّي لِطَلْعَتِهِ ، فعوَّضَني المَحاقا
أجِرْني مِنْ فِراقِكَ لي ، فإنّي أراهُ لِكُلِّ راحاتي فِراقا
تَضيقُ ، إذا نَأيْتَ ، الأرْضُ عنّي فلا شامٌ تُقِلُّ ، ولا عِراقا

---

(١) طرق : أتى ليلاً .

(٢) دُجُنَّة : الظلمة أو الظلماء .

سَبَقْتُ بسَيْفِ عَزْمي كلَّ عَذْلٍ ... فلم يُطِقِ المُفَنِّدُ[١] لي لحَاقَا

لقد أَغْرَيْتَني ، يا مَنْ لحَاني ... فَشَقَّ عليَّ مَنْطِقُـــهُ وشاقَا

عليكَ بأَمْرِ نَفْسِكَ ، أَو فَدَعْني ... أُدِيرُ عليَّ كَأْساً ، لي ، دِهاقَا[٢]

وحَسْبُكَ إِذْ نَكِرْتَ عليَّ سُكْري ... بِخَمْرٍ مـا عَرَفْتَ لها[٣] مَذَاقَا

٢٤٢

وقالَ [يمدحُ المَلكَ الأَمجدَ[*]][٤] :

كَمْ في حُروبِ الرُّقادِ والأَرَقِ ... مِنْ فَتْكَةٍ بالقُلوبِ والحَدَقِ !

سُهادُ مُضْنًى سُعادُ تُقْلِقُـهُ ... ونَومُـــهُ باعِثٌ على القَلَقِ

طابَ كَراهُ إِذْ أَعْدَتِ الطَّيْفَ في الْـــخَلْقِ إلى أَنْ أَعدتْهُ في الخُلُقِ

فعادَلَتْ غَمْضَهُ بِيَقْظَتِـــهِ ... في لوعةِ الصَّدِّ والشَّقِيُّ شَقي

يا ظَبْيَةَ الخِدْرِ مِنْ بني أَسَدٍ ... أَسْكَرْتِني بالنَّوى ، فلم أُفِقِ

لا تَعْجَلي بالنَّوى على جَسَدٍ ... لم يُبْقِ فيهِ الصُّدودُ مِنْ رَمَقِ

(★) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) المفنّد : فنّده أي كذبه وعجزه وخطّأ رأيه فهو مفنّد .

(٢) كأس دِهاق : ممتلئة أو متتابعة ، ودَهَق الكأس ملأها .

(٣) في الأصل : (له) ، فالأعرف في الخمر التأنيث ، وقد تذكر ، ويقال : خمرة .

(٤) زيادة اقتضاها توضيح القصيدة .

ولاطفي مُهْجَــةً إذا وُقِيَتْ تَفْديكِ مِنْ حادثٍ ، وثِقي

إن تَحْجُبي وَجْهَكِ البَهِيَّ ، فَمَنْ يَنْصُرُ جيشَ الضُّحا على الغَسَقِ ؟

ليس لبَــدْرِ التَّامِ مُتَّسقاً غيرُ ضياءٍ عليـــهِ مُتَّسقِ

وليس لِلأَكْرَمينَ غيرُ نَدىً مِنْ جُودِ بَهْرامَ شاهَ مُسْتَرَقِ

المَلِكِ الأَمْجَدِ الهُمامِ النَّقِــيِّ النَّدْبِ الفَصيحِ المُفَوَّهِ النَّطِقِ

لهُ خِلالٌ بالسَّعْدِ مُشْرِقَـةٌ أَحْلَى مِنَ الماءِ عِنْد ذي الشَّرَقِ[(١)]

مَلْكٌ إذا حَفَّتِ المُلوكُ بِـهِ لَقَّنَها الرُّعبُ سُورَةَ «العَلَقِ»[(٢)]

يَلْقى الأَعادي بِشَمْسِ غُرَّتـهِ فَرْداً فَتَبْدو كالدُّرِّ في البَلَقِ

تَخْضعُ أَعْناقُهـا لـهُ جَزَعـاً يَطْرُدُ فُرْسانَها عن العَنَقِ[(٣)]

أَحظاهُ بالمُلْكِ ضَرْبُ أَبيضَ لا يَفرقُ بَيْنَ المُلوكِ والسُّوَقِ[(٤)]

---

(١) شرق : شرق بريقه غص .

(٢) في الديوان (سورة الملق) ، وهذا من تصحيف الناسخ ، والصواب ما أثبتناه جرياً على سنة المؤلف في مذهبه الفني كما رأينا ذلك مراراً . (وسورة العلق) وهي أول سورة أُنزلت على الرسول في غار حراء ، وقد استبعدنا سورة (الفلق) أيضاً ، لأن ما في سورة (العلق) من السجود والاقتراب في آخرها أصح للمعنى وأفضل .

(٣) العَنَق : محركة سير مسبطرٌ للإبل والدابة .

(٤) السُّوَق : جمع السُّوقة ، وهي بمنزلة الرعية التي تسوسها الملوك ، وسُمُّوا سوقة لأن الملوك يسوقونهم ، فينساقون لهم ، ويقال أيضاً للواحد سُوقة وللجماعة سُوقة ، وقد أشار صاحب اللسان إلى أن كثيراً من الناس يظنون أن السوقة أهل الأسواق .

وزَيَّنَ اللهُ أوجَ سُوْدُدِهِ بأنجمٍ مِنْ بَنـانِـهِ الأَنِقِ ل 57 /ظ

فلْيَهْنِىءِ النَّصفَ مِنهُ ذو كَرَمٍ فرَّقَ فيه النَّدَى على الفِرَقِ

يَومٌ كلَيْلِ الوِصالِ مُتَّصِلٌ بلَيْـلةٍ صِبغُهـا مِنَ العَلَقِ

سِيقَ إليهِ سَرْحُ القَرِيضِ في رِياضِ إنعامِـهِ رِعْيِ وسُقِي

فاقَ ثَناءً إذْ فاقَ مَكْرُمَةً فدامَ ما دامَ مُلْكُـهُ وبَقِي

٢٤٣

وقالَ ، رحِمَهُ اللهُ :

مُحِبٌّ تُؤَجِّجُ أشواقَـــهُ دُمـوعٌ تُغَـرِّقُ آماقَهُ

أقـامَ الحُروبَ على ساقِهـا غَـرامٌ إلى حَتْفِـهِ ساقَهُ

فيـا مَنْ لَحَـاهُ ، أعِنْهُ على دَعْواهُ ، فمـا ذُقْتَ ما ذاقَهُ

ولا تَطْمَعَنَّ بسُلْوانِـــهِ فمـا يَتْرُكُ الشَّيخُ أخْلاقَهُ

تأمَّلْ بعَيْنَيكَ عَيْنَ الحِمَى يرُقْكَ الجَمالُ الَّذي راقَهُ

تَعَشَّقْتُ مِنْ سِرْبِهِ شادِناً[1] يَعِنُّ فَيَفْـــتِنُ عُشَّاقَهُ

حَبِيبٌ لَهِجْتُ بِنِسْيانِ مـا سِواهُ وحِفْظِي مِيثـاقَهُ

---

(١) الشادن : من أولاد الظباء الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه .

وأَوْجَدَني بُعدُهُ والدُّنوُّ سِمامَ فؤادي ودِرْياقَهُ[1]
أَمُلُّ حَياتي إذا مَلَّها وأَشْتاقُ حَتْفي إذا شاقَهُ
وإنْ أَنكَرَ النَّاسُ ما أدَّعي فقد عَلِمَ اللهُ مِصْداقَهُ

٢٤٤

وقالَ ، يمدحُ النَّاصرَ بنَ العَزيزِ(*) :

يا صادِفاً عن وُدِّيَ الصَّادقِ وساكِناً في قلبِيَ الخافقِ
ناظِرُكَ الجائرُ ، هل مُسْلِمٌ يُجيرُني مِنْ سَهْمِهِ المارقِ ؟
نافَسْتَ مِنْ حُسْنِكَ في نَظْرَةٍ كَمْ مِنْ كَليمٍ عِنْدَها صاعقِ !
والسَّبْعَةُ الأَبْحُرِ مَخْلوقَةٌ مِنْ ماءِ عَيْني ذلكَ الدَّافقِ
يا مَنْ تَناهَيْتُ غراماً بِهِ كما انْتَهى في حُسْنِهِ الفائقِ
احكُمْ بِما شِئْتَ ، فقاضي الهوَى قد حكَّمَ المعشوقَ في العاشقِ

(★) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز غياث الدين محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) سِمام : جمع سَمّ بتثليث الفاء ، وهو المادة القاتلة المعروفة ، والدرياق هو الترياق كما ذكر صاحب اللسان ، وقد وضَّح صاحب القاموس هذه اللفظة وأصل معناها اليوناني ، وذكر أنه « دواء مركب اخترعه ماغنيس وتمَّمه أندروماخسُ القديم بزيادة لحوم الأفاعي فيه ، وبها كَمَلَ الغرضُ ، وهو مُسمّيه بهذا لأنه نافع من لدغ الهوامّ السَّبُعية ؛ وهي باليونانية (تِرياء) نافعٌ من الأدوية السُّمية ، وهي باليونانية (قا آ) ممدودة ، ثم خفِّف وعرِّب .

يا ناطقَ الوَشْحِ صَمُوْتَ البُرا[١] أَفْديك بالصَّامت والنَّاطقِ

لا تَحْمِلَنْ ثِقْلَ الهوَى والنَّوَى على مُحِبٍّ دَنِفٍ وامقِ

أَحْيا بِمـا حُمِّلْتُ مِنْ أَنْعمٍ لِيُوسُفٍ قد أَثْقَلَتْ عاتِقي

مَلْكٌ تَعالَى عن مُلوكِ الوَرَى في باذخٍ مِنْ مَجْدِهِ باسِقِ

فَكَمْ لهُ زاهداً[٢] حتى بَدَا ولِلْعِدا مِنْ باطِلٍ زاهِقِ

يَسْبِقُ طَرْفَ العينِ مِنْ طِرْفِهِ بسابقٍ يُعْزَى إلى لاحقِ

إذا اسْتَوَى في مَتْنِهِ خِلْتَهُ على بُراقٍ أَو على بارقِ

ل 58 / و

رَبٌّ تَقِيٌّ يُشْعِرُ أَنَّه مِنْ أَكْرمِ الخَلْقِ على الخالقِ

وذو الجُيوشِ الجائشاتِ التي يَضْعُفُ عنها رَمَقُ الرَّامقِ

كَمْ أَنْطَقَتْ جَدْواه مِنْ مُفْحَمٍ ! وأَفْحَمَتْ عَلْياهُ مِنْ ناطقٍ ![٣]

كَمْ رَتَقَتْ مِنْ فَتْقِ ثَغْرٍ ! وكَمْ مزَّقَتِ الأَبْطالَ في مَأْزِقِ !

فَمِنْ نَداهُ الرِّفْدُ للمُعْتَفِي ومِنْ ثَناهُ المِسْكُ لِلنَّاشِقِ

---

(١) مفردها : بُرة ، وتجمع أيضاً على بُرات وبُرين وبِرين ، وهي كل حلقة من سِوار أو قُرط أو خلخال . يقال : جارية صموت الخلخالين غليظة الساقين لا يسمع لها حسّ . والصامت من المال الذهب والفضة ، والناطق منه الإبل .

(٢) في الأصل : (زاهد) والصواب ما أثبتناه ، فالمعروف في مميز (كم) الخبرية أنه يجب نصبه على التمييز إذا فصل بينهما .

(٣) المفحم : العيي ، وتطلق أيضاً على الذي لا يقول الشعر ؛ ويقال : كلمته حتى أفحمته إذا أسكته في خصومة أو غيرها .

٢٤٥

وقالَ ، يَمْدحُ الملكَ الأمجدَ[*] :

عَجِبْتُ للطَّيفِ وافانا ، وما فَرِقا ... والكاشِحونَ هُجودٌ حولَنا فِرَقا

طَوَى مَفاوِزَ لم تُقْطَعْ مسافَتُها ... لولا سَوابقُ مِنْ ذِكْرٍ لهُ سَبَقا

لَمَّا توهَّمْتُ زُوْراً منْهُ زوَّرَهُ ... جَفْني ، وما طَرَقَتْ سَلْمَى ولا طَرَقا

غَزالةٌ لو تَرَسَّمَ المُحْدِقونَ بِها ... مِنْ أُسْدِها أَصْلَتَتْ أَجفانُها الحَدَقا

آثارُ أَسْهُمِهِم تَبْدو وأَسْهُمُها ... تَخْفَى ، فكيفَ يُرى سَهْمٌ وقد غَرِقا ؟

أَسْتَنْجِدُ النَّومَ إِذْ بانَتْ على أَرَقي ... فيَبْعثُ النَّومُ لي ما يَبْعَثُ الأَرَقا

حَلْفاً بُمتَّسِقٍ مِنْ بَدْرِ طَلْعَتِها ... «واللَّيلِ» ، مِنْ فَرْعِها الدَّاجي ، «وما وَسَقا»[1]

إِنِّي لأُكْذِبُ فيها مَنْ يُؤَنِّبُني ... نُصْحاً ، ولو صَدَقَ اللاَّحي ، وما صَدَقا

(*) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « والليلِ وما وَسَقَ ، والقمرِ إذا اتَّسق »(سورة الانشقاق ٨٤/١٧ ، ١٨) . والوُسُوق : مادخل الليل فيه وما ضَمَّ ، وقد وسَق الليل واتسق ، وكل ما انضم ، فقد اتسق . واتساق القمر : امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة إلى ست عشرة .

عَذْلٌ إذا جـاءَ حَقٌّ مِنْ محاسنِها أوْدَى ، فأَهْوِنْ بِهِ مِنْ باطلٍ زَهَقا !

خالَفتُ أمرَ عَذولي في الغَرامِ بِها وإن أطاعَتْ غُرابَ البَيْنِ إذْ نَعَقا

لا أَستَطيعُ حُؤولاً عنْ مَحبَّتِهـا ولو أَحالَ شَبابي شَيْبِيَ اليَقَقا[1]

ولا تَزالُ بحُسْنِ الخُلْقِ مالِكَتي لأَنَّـهُ مُشْبِهٌ مِنْ مالكي خُلُقَا

ولا أُكافِئُ جُودَ ابْنِ المُعِزِّ ولو نَطَقْتُ في المَدْحِ بالشِّعرِ الَّذي نَطَقَا

المالكُ الأَمجـدُ النَّظَّـامُ خاطرُهُ قَلائـــداً لم يُقَلَّدْ مثلَها عُنُقَا

خَطُّ الطُّروسِ ، وقَطُّ الرُّوسِ[2] يُتْقِنُهُ

حِذْقاً إنِ امْتَشَقَ الهِنْدِيَّ أو مَشَقَا[3]

سَمْحٌ إذا أَطْفَأَ الأَجوادُ نارَهُمُ تَرَى الضُّيوفَ على نِيرانِهِ خُرُقَا[4]

يسُحُّ مالاً إذا سَحَّ الغَمامُ لَنـا ماءً ، فما اتَّفَقا جُوداً ، ولا افْتَرَقا

سَقَتْ غمائمُهُ كلَّ البِلادِ كَـما ساقَتْ عَصا مُلْكِهِ الأَمْلاكَ والسُّوَقا

---

(١) اليقق : أبيض يَقَق ويَقِق بكسر القاف الأولى أي شديد البياض ناصعه والتناهي فيه .

(٢) الروس : أي الرؤوس .

(٣) امتشق الشيء : اختطفه ، وامتشق الهندي استله . ومشق الخطّ مده ، وقيل : أسرع فيه ، وقلم مشّاق : أي سريع الجري في القرطاس . والمقصود بقطّ الروس أي قطع الرؤوس .

(٤) خُرُق : خرِق في المكان أقام فيه ولم يبرحه .

ل 58/ ظ شَكَتْ إلى الدَّهرِ عَدْواهُ فقالَ لها : هَيْهاتَ ! هَيْهاتَ مِنّي رَتْقُ ما فَتَقا
إنّي لَيَصْرِفُني عن قَلْبِ فَيْلَقِهِ قَلْبٌ إذا خَفَقَتْ راياتُهُ خَفَقا
مَلْكٌ إذا أعْمَلَ الخَطِّيَّ في مَلِكٍ أحالَ حُمْرَ أفاعي سُمْرِهِ عَلَقا
ولَيْلِ خَطْبٍ عَلا مُسْوَدَّ هامتِهِ مِنْ رايةٍ بِعَمودِ الصُّبْحِ فانْفَلَقا
يَبْدو لِحاسدِهِ في أوْجِ رِفْعَتِهِ
شَمْسٌ ، إذا أشْرَقَتْ أنْوارُها شَرِقا[1]
ذو فَضْلِ قولٍ إذا ما هَمَّ أعْقَبَهُ
فِعْلاً ، وما كلُّ مَنْ يَفْري إذا خلقا[2]
يا مالِكاً مُذْ رَعَتْنا عَيْنُ رَأْفتِهِ أعَزَّنا ، وأهانَ العَيْنَ والوَرِقا
لَكَ الهَناءُ بِما عُوِّدْتَ مِنْ كَرَمٍ تَمَّ الهَناءُ بِهِ لِلْعيدِ واتَّسَقا
أمواهُ جُودٍ تَرَى الأعيادَ مُشْرِقَةً بِها فتُذْكِرُ نارُ الفُرسِ والصُّدَقا
وَصَلْتَ سُرّاقَ ما نَظَمْتَ مِنْ دُرَرٍ
وليس في العُرْفِ إلا قَطْعُ مَنْ سَرَقا
جَواهِراً بِصُدورِ الأولياءِ تُرَى قَلائِداً وبِأعْناقِ العِدا رِبَقا[3]

---

(١) يقال شَرِقَ فلان بريقه ، والشَّرَق هو دخول الماء الحلق حتى يغص به .

(٢) في الأصل : (ذو فضل قول . . .) والصواب ما أثبتناه لاستقامة المعنى .

(٣) رِبَق : مفردها رِبْقة ورَبْقة ، وهي العروة في الحبل . والرِّبق حبل فيه عدَّة عُرًا يشد به البهم .

أوْسَعْتَ وَفْدَكَ منْ فَضْلٍ ومنْ حِكَمٍ ... ما ضَيَّقَ الطَّرْقَ حتى وَسَّعَ الطُّرُقَا

فَناءُ مالِكَ أَبْقَى مِنْ ثَنائكَ مـا ... يَسْتَنْفِدُ النَّقْسَ والأَقلامَ والوَرَقَا

لولا ارْتفاعُكَ في عَلْياءِ مَجْدِكَ عن ... أُفْقِ السَّماءِ لَنالَتْ كَفُّكَ الأُفُقَا

وكُلَّما قِيلَ قـد أَحرَزْتَ غايتَها ... رَكِبْتَ عن طَبَقٍ مِنْ بَعْدِها طَبقَا

ومُظْهِرِ النُّصْحِ لي مُخْفٍ جِنايَتَـهُ ... تَيَقَّنَ الغَـدْرَ حتى يُحْسِنَ المَلَقَا

أَغْرَى بغيْرِكَ مَخْدوماً ، فقُلْتُ لَهُ : ... أَقاعِـدٌ أَنتَ تَجْنِي نَخْلَهُ سُحُقَا(١)

وَعدْتَنِي مِنْ سِوَى بَهْرامَ شاهَ عُلاً ... فكانَ غايَةُ دَعْوَى كَسْبِكَ الحُمُقَا

رجاؤه سُلَّمٌ لي في السَّماءِ ، بـهِ ... أَرْقَى، فلا أَبْتَغِي في الأَرْضِ لي نَفَقَا(٢)

أَرْجو مِنِ ابْنِ الدَّآدي(٣) في مَغارِبِهِ ... نُوْراً ، وأَتْرَكَ ضَوْءَ الشَّمسِ إذْ شَرَقَا؟

لا تَسْأَلِ الرِّزْقَ إلّا قادراً كَلِفاً ... بالجُودِ لا يَحْرِمُ الأَرزاقَ مَنْ رَزَقَا

لا ماطِلاً بأَياديـهِ يُنكِّـرُها ... لَنا ، ولا مُخْجِلاً بالرَّدِّ مَنْ وَثِقَا

هو الخَليقُ بأَنْ يُغنيكَ ، فاغْنَ بهِ ... ولا تَعُدَّنَّ خَلْقـاً غيرَهُ خُلِقَا

---

(١) سحق : جمع سحوق ، والنخلة السحوق أي الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني .

(٢) سلَّم : المرقاة ، وقد تذكر جمع سلاليم وسلالم .

(٣) ابن الدآدي : هو القمر . والدآدئ مفردهـا دأداءة ، وهي ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالي المحـاق ، وقيل هي . وقد ذكر أن سبب تسمية الليـالي الأخيرة دآدئ لأن القمر فيها يدأدئ إلى الغيوب أي يسرع .

٢٤٦

وقالَ يَمْدحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ(*) :

ل 59 / و نَصائحُ عَذْلٍ لا تُؤَدَّى حُقوقُها لو أنَّ بِحارَ الحُبِّ يَنْجو غَريقُها

فلا تَطْمَعا لي في إفاقةِ سَلْوَةٍ فسُكْرِيَ قاضٍ أنّني لا أُفيقُها

فإنَّ ضَلالاً مِنْكما إنْ رَجَوْتُما لِنَفسٍ دَعاها الحُبُّ ، إنّي عَتيقُها

بِروحي غَزالٌ في مَفاوزِ حُبِّهِ مَهالكُ مَسْلوكٌ إليهِ طريقُها

له دَولةُ الإطلاقِ والحَبْسِ في الهوى فمَحْبوسُها قَلْبي ، ودَمْعي طَليقُها

شَكَوْتُ إليهِ مِنْ زَفيري لواعجاً يَروعُ الغَوادي رَعْدُها وبُروقُها

وقُلْتُ : شِفائي شَهْدُ ريقِكَ فاسْقِني فقالَ : هيَ الرّاحُ التي لا تَذوقُها

ولو جادَ مِنْ ذاكَ الرُّضابِ بِشُرْبَةٍ لأَطفأَ مِنْ هذا الحَريقِ رَحيقُها

أما وهِلالٍ ، مِنْ مُحَيّاكَ ، نَيِّرٍ تُغيرُ بهِ شَمْسَ الضُّحا وتَفوقُها

لقد عَقَّني صَبْري وساعَدَ لائمي على مُقْلَتي مذْ كانَ دُرّاً عَقيقُها

(*) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور محمد الأول ، وقد سبقت ترجمته .

ومِنْ عَجَبٍ جُودي وبُخْلُكَ دائماً ... وأَنَّكَ تُشْقِي مُهْجتي وتشُوقُها

وإنَّ نَذيرَ الأَربعينَ لَنَاصِحٌ ... ولكنَّ ناري ليسَ يُطْفَا حَريقُها[1]

وإنْ أَنا فارَقْتُ الشَّبابَ ، فإنَّ لي ... صَبابات نَفْسٍ لا تَشيبُ فُروقُها

وإنْ ضاقتِ الدُّنيا عليَّ ، وكُلُّها ... إلى جُودِ مَحْمودٍ ، فيُفرَجُ ضِيقُها

مَليكٌ إذا مارَنَّحَ المَدْحُ عِطْفَهُ ... نَأَى عن قُلوبِ المادحينَ خُفوقُها

وبَحْرٌ يَليقُ الشُّكرُ منْهُ بِزاخرٍ ... إذا مَلَكَ الدُّنيا ، فليس يُليقُها[2]

وذِمِرٌ[3] هوالضِّرغامُ يَزْأَرُ في الوَغى ... فيَخْرَسُ مِنْ بَعْدِ الهَديرِ فَنيقُها[4]

وشَمْسٌ أَنارَتْ مِنْ «حماةَ» بُروجُها ... فدامَ لنـــا إشْراقُها وشُروقُها

تَدارَكَها[5] المَلْكُ المُظَفرُ بَعْدَ مـا ... تَمَادتْ ، ولجَّتْ في اتّساعٍ خُروقُها

فبُورِكْتَ مِنْ لَيْثٍ وغَيْثٍ أَغاثَها ... فقامَتْ بِهِ في البَأْسِ والجُودِ سُوقُها

---

(١) يطفا أي يُطفأ بالبناء للمجهول ، وفعلها أطفأ ، يقال أطفأ النار والحرب .

(٢) يليق الشكر : يحسن ويناسب . ويُليقها : يقال فلان ما يُليقُ شيئاً من سخائه أي ما يمسك ، وماضيها ألاق .

(٣) في الأصل (ودمر) ، والصواب (وذِمِر) كما أثبتناه . والذِّمير : هو الشجاع يقال : رجلٌ ذِمِرٌ ، وذَمِرٌ ، وذِمِرٌ ، وذَميرٌ أي شجاع من قوم أذمار .

(٤) الفنيق : معناهـا في الأصل الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يُهان لكرامته على أهـله .

(٥) في الأصل (تدارها) ، والصواب (تداركها) كما أثبتناه .

أَرَحتَ مِنَ الباغي العَقُوقِ رَعيَّةً تَساوَى لَدَيْهِ بِرُّها وعُقُوقُها[1]
رَمَى نَفْسَهُ مِنْ فَوْقِ أَبْلَقِ حُصْنِها وقَد وَدَّ لو يَرمي بِهِ مَنْجَنيقُها
لقد مَرَجتْ ، لَمّا نَأَيتَ ، أُمورُها فما رُتِقتْ ، حتى أَتَيْتَ ، فُتوقُها
وما كَحَلَ الأَجفانَ ، لولاكَ ، غَمْضُها ولم يَحْلُ في الأَفواهِ ، لولاكَ ، ريقُها
فَهُنِّئْتَ مِنْ شهرِ الإلهِ مُهَنَّأً بِسيرتِكَ العالي على النَّجْمِ فُوقُها[2]
فقد قَرَّ عَيْناً في ممالِكِكَ التي تَزَحْزَحَ عنها ظُلْمُها وفُسوقُها
ومُلِّيتَ ما مَرَّ الزمانُ بَدولةٍ وِثاقٌ عُراها واجباتٌ حُقوقُها[3]
وإِنْ كُنْتُ فيها مُسْتَجِدّاً ، فإنَّني عَتيقُ أَيادِيـ بِرِّها ورَقيقُها

ل 59 / ظ

٢٤٧

وقالَ ، يمدحُ المَلِكَ الأَمجدَ(*) :

(*) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الباغي العقوق : يشير الشاعر هنا إلى شقيق ممدوحه الملك الناصر قليج أرسلان ، وقد ذكرنا أنه تآمر بعد موت والده المنصور الأول ، فسلب حق أخيه المظفر الثاني المعهود إليه بالملك ، بيد أنه استطاع بعد تسعة أعوام تقريباً أن يستعيد حقه المسلوب بمساعدة خاله ملك مصر الكامل .

(٢) فُوقها : أصل معناها مشقّ رأس السهم حيث يقع الوتر ، ويقال : هو أعلاهم فُوقاً أي أكثرهم حظاً ونصيباً ، وله من الشيء سهم ذو فُوق أي حظ كامل .

(٣) ومُلِّيت : يقال تملّى العيش ، ومُلِّيَه ، وأملاه الله إياه ، وملّاه ، وأملى الله له أي أمهله وطوّل له ومتعه به .

يا دارَ ذاتِ الخـالِ بالأَبْرَقِ جادَكَ صَوْبُ العارِضِ المُغْدِقِ[(١)]

ووشّعَتْ أرْضَكِ أيْدي الحيا بنـاضرٍ مِنْ رَوْضِهِ المُونِقِ

وبلّغَتْ عنكِ رُواةُ الصَّبا رسائلَ الشّائقِ للشّيِّـــقِ

لَعلَّ مَنْ أَوْثَقَنا حُبُّـــهُ يُوثّقُ بالقُرْبِ عُرا المُوثَقِ

ويُشْرِقُ الأَنْجُمَ مِنْ عامرٍ ويُعْمِرُ الأَقْمارَ في المَشْرِقِ

ويَشْفَعُ الجدُّ لذي الوَتْرِ أنْ يُذالَ مِنْ ذي القُرْطِ[(٢)] والقُرْطَقِ[(٣)]

فَرُبَّ عَيْشٍ فيكِ قَضَّيْتُهُ والدَّهْرُ عَبْدٌ ليَ لم يَأْبَقِ

وغـادةٍ شوّقَـــني لائمي فيهـا إلى البَدْرِ ، فلم أشْتَقِ

فاترةِ الأَلْحاظِ فتّانَـــةٍ والخَمْرُ لولا اللِّينُ لم تَنْزَقِ

إنْ تُوعِدِ الهجرانَ تَصدُقْ،وإنْ وَعَدْتُ بالسُّلْوانِ لم أَصْدُقِ

وإنْ أَزُرْ، قالتْ : مَتى تغْتَدي ؟ وإنْ تَسِرْ ، قُلْتُ : مَتَى نَلْتَقي ؟

فاعْجَبْ لإقبالي وإعْراضِها قَبْلَ عُروضِ الشَّيْبِ في مَفْرِقي !

---

(١) الأبرق : أصل معنى الأبرق هو غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطه . ذكر ياقوت أن الأبرق منزل من منازل بني عمرو بن ربيعة .

(٢) القُرط : الشّنف أو المعلّق في شحمة الأذن ، وقيل : الشنف في أعلى الأذن والقُرط في أسفلها .

(٣) والقُرطَق : القَباء ، وهو معرب كُرْتَهْ ، وقد تضم طاؤه ، وإبدال القاف من الهاء في الأسماء المعربة كثير . ويقال قرطقته فتقرطق أي ألبسته إياه فلبسه .

يا ظَبْيَةَ الإِنسِ التي فاقَتِ الـ آرامَ في البَهْجـةِ والرَّوْنَقِ

مِثْلَكِ لم تُخْلَقْ مهـــاةٌ كما لَيْثٌ كَمَجْدِ الدِّينِ لم يُخلَقِ

مَلْكٌ إذا ما هَزَّ صَمصامَــــهُ أَعدَى بِهِ الأَعداءَ في الأَسوُقِ[1]

أَو شامَ مِنه راعــــداً بارِقا أَخْفَتَ صوتَ المُرْعدِ المُبْرِقِ[2]

أَعلاهُ مِنْ فوقِ الوَرَى هِمَّــةٌ مـا فَوْقَها مَرْقىً لَمنْ يَرْتَقي

وعَزْمَةٌ حـــارَ لإِمْضائِها الـــبَرْقُ ، فلم يَخْفَ ، ولم يَخْفِقِ[3]

إن كانَ في الأَمْلاكِ مَنْ مُلِّكَ الـــعَجْزَ ، فلم يَفْتُقْ ، ولم يَرْتِقِ[4]

فأَنتَ بَهْرامُ الّذي وَسْمُــهُ تاجٌ لِكَيوانَ على المَفْرِقِ[5]

---

(١) الأسوق : جمع سُوق أو سياق ، يقال رأيت فلاناً في السَّوق أي في الموت يساق سوقاً ، والسياق نزع الروح ، وأصله أيضاً سِواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين .

(٢) المرعد : يقال رَعَد لي بالقول وأرعد ، أي تهدّد وأوعدد . والمبرق : يقال برق الرجل وأبرق أي تهدد وأوعد ، وهو من ذلك كأنه أراه مخيلة الأذى كما يري البرق مخيلة المطر . وكثيراً ما استعمل الفعلان معاً ، فيقال أبرق وأرعد ، ورعد وبرق ، إذا أوعد الرجل وتهدّد .

(٣) خفق البرق البرق : أي اضطرب .

(٤) الفَتْق : وقوع الحرب بين الجماعة وتصدع الكلمة ، والرتق ضد الفتق والمعنى أن هذا الملك كان غير عاجز كسائر الملوك الذين لا حول لهم ولا طول .

(٥) كيوان : زُحل ممنوع من الصرف .

كَمْ وَصلَ السُّؤَّالَ في مَحْفِلٍ ! ومَزَّقَ الأَبطالَ في مَأْزِقِ[1]

يُنفِقُ في الجودِ ، ولولم يَرِدْ في الشَّرْعِ إخلافٌ على المُنفِقِ

ل 60/ و

يا أيُّها المَلْكُ الذي شُكْرُهُ فَرْضٌ على المُشْئِمِ والمُعْرِقِ[2]

هُنِّئْتَ بالعامِ الّذي عَمَّنَــا إشْراقُهُ مِنْ وَجْهِكَ المُشْرِقِ

أطْمَعَنا في الخُلْدِ ما نَلْتَنَـا مِنْ سُنْدُسٍ فيـهِ وإسْتَبْرَقِ[3]

وأطْلَقتَنا مِنْ يَـدَيْ عُسْرِنا فيـــهِ يَـدًا نائِلِكَ المُطْلَقِ

فدُمْتَ مـا دامَ ثناكَ الَّذي يَبْقَى بَقاءَ الدَّهرِ مَهْما بَقي

يا مُرْشدي في كلِّ مـا أبْتَغي ومُبعدي مِنْ كلِّ ما أَتَّقي

يَنْبوعُ جَدْواكَ سَقَى نَبْعَـهُ لولم يكنْ غَرْسَكَ لم يُورِقِ[4]

هذَّبْتَني حتى لَقَـــالَ الوَرَىٰ : واهـــاً لهُ مِنْ شاعرٍ مُفْلِقِ[5]

---

(١) المأزق : الموضع الضيق الذي يقتتلون فيه ، وكذلك مأزق العيش ومنه سمي موضع الحرب مأزقاً .

(٢) أشأم : أتى الشأم ، وقد وردت غير مهموزة أيضاً ، وأعرق : أتى العراق .

(٣) السُّندس : لفظ معرَّب ، وهو ضرب من البُزْيون يتخذ من المِرعِزّى ، وقد قال المفسرون : إنه رقيق الديبـاج . الإسْتَبْرق : لفظ فارسي معرَّب أيضاً ، أصله (اسْتَفْرَه) وقد قال المفسرون إنه غليظ الديباج ، وقد تكرر ذكرهما في القرآن الكريم والحديث الشريف .

(٤) النبع : شجر للقسي والسهام ينبت في قلة الجبل ، وقصد به الشاعر نفسه .

(٥) مُفلق : يقـال شاعر مفلق أي مجيد يجيء بالعجائب في شعره ، وأصل المعنى أفلق في الأمر إذا كان حاذقاً به ، وإذا جاء بالعجب .

وُجِدْتُ مِنْ بِرِّكَ لي مِثْلَما جُدْتَ ، فلم تُشْفِقْ ، ولم أُشْفِقِ
مَنْ سارَ يَبْغي صَدَقاتِ الوَرَى وسُرَّ بالدَّعوَى ، ولم يُصْدَقِ
فَمِنْ سِوَى فَضْلِكَ لا أَجْتَدي ومِنْ سَوَى لَفْظِكَ لم أَسْرِقِ

٢٤٨

وقالَ ، يمدحُ الملِكَ المُظَفَّرَ[*] :

أَهْدَى إليَّ لواعِجَ الأَشواقِ نظَرُ الفَرِيقِ ، وقد أَجَدَّ فراقي
ليسَ الفَرائصُ[١] بالمَقاتِلِ إنَّما بَيْنَ الجفونِ مَقاتِلُ العُشَّاقِ
مَنْ لي بِرَيَّانِ المَعاطِفِ أَهْيَفٍ واهي عُقودِ الخَصْرِ والمِيثاقِ؟
ملَّكْتُهُ رِقِّي ، وعِفْتُ لحبِّهِ ذَنْبَ الإِباقِ وقُرْبَةَ الإِعْتاقِ
وغَفَتْ عُيونُ وُشاتِنا سِلْماً ، وكَمْ قامَتْ لحَرْبِ عِناقِنا مِنْ ساقِ[٢]
جاذَبْتُهُ أَطرافَ كلِّ طَريفَةٍ في العَتْبِ لم تَنْفَقْ بسُوقِ نِفاقِ
وتعارَضَتْ أَقوالُنا ، فتَعارَضَتْ شُعَرا القُلوبِ وأَبْحُرُ الآماقِ
في رَوْضَةٍ لِلنَّارِ مِنْ نَوَّارِها لَهَبٌ بِفائِضِ مائِها الرَّقْراقِ

(★) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته.

(١) الفرائص : مفردها فريصة ، وفريص العنق أوداجه . تقول : فرصته أي أصبت فريصته ، وهو مقتل . وفريص الرقبة عروقها .

(٢) ساق : يقال مجازاً قامت الحرب على ساق أي اشتدت .

راحي بها حُلوُ المَذاقِ ونُزْهتي ... وَرْدُ الخُدودِ ونَرْجِسُ الأَحْداقِ
أَفْديهِ مِنْ عَذْبِ الفُكاهةِ واللَّمى ... أَضْحَىٰ يُساقيني الهَوَى ، وأُساقي
بَدْرٌ يَزِيدُ سَناً أَزيدُ بهِ ضَنًى ... حتى كأَنَّ تَمامَهُ لِمحَاقي
قُبْحُ الصُّدودِ يَقيهِ عَيْنَ كَمالِهِ ... واللهُ لِلمَلِكِ المُظَفَّـــرِ واقِ
مَلِكٌ تَحَكَّمَ سُخْطُهُ ورِضاهُ في ... سَلْبِ النُّفوسِ وقِسْمَةِ الأَرزاقِ
عَقِمَ الحواضنُ عنْ سَليلٍ مِثْلِهِ ... فَحَوىٰ عظيمَ المُلْكِ باسْتِحْقاقِ
شَهْمٌ تَحَمَّلَ في الخُطوبِ همومَهُ ... ما شاءَ مِنْ خيلٍ لَدَيهِ عِتاقِ

ل 60 / ظ

سَدَّ الثُّغورَ بصَدْرِ كُلِّ مُسَدَّدٍ ... ما زالَ مرَّاقاً مِنَ المرَّاقِ
نَفَّاذُ كلَّ مُفاضةٍ يَسْعَىٰ بِهـــا ... الخَطِّيُّ مِثْلَ الخطِّ في الأَوراقِ[1]
تَرَكَتْ جُموعَ المُشْرِكينَ صِفاحُهُ ... رَهْنَى حَديدِ قَواضبٍ ورِباقِ[2]
حتى أَعادتْهُمْ ضَراغمُ صِيدِهِ ... في خِيسِها كالصَّيْدِ في الأَوهاقِ[3]
أَقْصاهُمُ ماضي العَزيمةِ ماجِـــدٌ ... زاكي الفُروعِ مُطَهَّرُ الأَعْراقِ
رَحْبُ الذَّرا[4] ، لَمَّا مُنيتُ ببعدِهِ ... ضاقتْ عليَّ مسالكُ الآفاقِ

(١) مُفاضة : يقال دِرْع مُفاضة وفَيُوض وفاضة أي واسعة .

(٢) رباق : جمع رَبْقَة ورِبْقة وهي العروة في الحبل أو الحلقة أو الحبل .

(٣) الأوهاق : جمع وهَق ، وهو الحبل المُغـار يُرمى فيه أُنشوطة ، فتؤخذ فيه الدابة أو الإنسان .

(٤) الذَّرا : الملجأ وكل ما استترت به ، يقال : اتخذت الحائط ذَراً لي أي أويت إليه، وتذريت من برد الشمال بصخرة ونحوها ، وأنا في ذَرا فلان أي في كنفه .

فالآنَ مُذْ سَمَحَ الزَّمانُ بِقُرْبِهِ فالشَّامُ شامي ، والعِراقُ عِراقي
مَحْمودُ، يا بْنَ مُحَمَّدٍ، فُقْتَ الوَرَى مَجْداً يُقَصِّرُ عنهُ جَهْدُ الرَّاقي
حَبَّسْتُ مِنْ نَظْمي عليكَ قَلائداً أَبْقَى مِنَ الأَطْواقِ في الأَعْناقِ
ولَبِستُ مِنْ نُعماكَ أَشْرَفَ حُلَّةٍ لكنَّها تَفْنَى ، ومَدْحي باقِ
ماذا يَصُدُّ قَصائدي عن قَصْدِها وجَداكَ عن بِرِّي وعن إرْفاقي
بَذَرَ النَّدى عِنْدي بأَخْصَبِ مَنْبِتٍ والمَدْحُ عِنْدَكَ نافِقُ الأَعْلاقِ
شَرُفَتْ بناتُ قَرائحي، وتَكَرَّمَتْ فَعَرَضْتُها في أَنْفَقِ الأَسْواقِ
وزَفَفْتُها زَفَّ الهَدِيِّ مُهَنِّئاً بقُدومِ عيدٍ سيقَ خَيْرَ مَساقِ
فاسْعَدْ بِنَحْرِ الظُّلْمِ والإظلامِ والـ أعداءِ والأَنعامِ والإمْلاقِ
لا زِلْتَ تُطْلِقُ عانياً مِنْ حَبْسِهِ بِلُهـا مُحَبَّسةٍ على الإطْلاقِ
وبَقيتَ مَلْكاً للخَلائقِ واحداً تَرْعاكَ عَيْنُ الواحِدِ الخَلَّاقِ

٢٤٩

وقالَ يمدحُ النَّاصرَ بنَ الظَّاهِرِ(*) ، رَحِمَهُما اللهُ :

طَرِبْتُ لِبَرْقٍ راقَ طَرْفاً فأَرَّقا[1] فأَلَّفَ شَمْلَ الوَجْدِ لمَّا تأَلَّقا[2]

(*) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر ، وقد سبقت ترجمته .
(١) في الديوان (ثارقا) ، والصواب ما أثبتناه .
(٢) في الديوان : (متأنف) ، والصواب ما أثبتناه .

سَرَىْ مِنْ رُبَا لُبْنانَ يَطْوي وِهادَهُ / وغَرَّبَ في تِلك البِقاعِ وشَرَّقَا
مَلاعِبُ جَدَّ البَيْنُ بي عن قَطينِها / فلِلَّهِ قَلْبي ! ما أَحَنَّ ، وأشْوَقَا !
مَلأْتُ بِها صدرَ الشَّبابِ تَغَزُّلاً / بِكُلِّ غزالٍ يَمْلأُ العَيْنَ رَوْنَقَا
وأهْيَفَ تَهْفو بي إليه صَبابَةٌ / إذا جاذبَتْني بُرْدَ صَبْري تَمَزَّقَا
جَفاني ، ولو وافَى ضَريحي مُسَلِّماً / «لَسَلَّمْتُ تَسْليمَ البَشَاشةِ ، أو زَقَا»[1]
وأنشأَ لي باللَّحْظِ سُكْراً مُجَدَّداً / فأسْكَرَتْ منهُ البابِليَّ المُعَتَّقا ل 61 / و
تَصَدَّى لِحَيْني مُقْبِلاً ومُوَلِّياً / فلم أَلْقَهُ إلّا وغادَرَني لَقَى[2]
وعَقْرَبُ ذاكَ الصُّدغِ تَلْسِبُ مَنْ رَنا / وثُعْبانُ ذاكَ الشَّعْرِ لا يَقْبَلُ الرُّقَى[3]
وعَنَّفَني فيـــهِ العَذولُ جَهالَةً / ألالا رَعَى اللهُ العَذولَ ، ولا سَقَى
لَحاني إلى أَنْ لاحَ نُورُ جَبينِهِ / فغَصَّصَهُ مِنْ خَجْلَةٍ حينَ أَشْرَقا

---

(١) هذا هو الشطر الأول من بيت للشاعر توبة بن الحميّر ، أحـــد عشاق العرب المشهورين ، وصاحبته ليلى الأخيلية ، وتمامه قوله :

« إليها صدى من جانب القبر صائح »

وقبله قوله :

ولو أنَّ ليلى الأخيليَّة سلَّمت / عليّ ودوني تربة وصفـائح

(ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ ص ٤١٤)

(٢) اللقى : كل شيء مطروح متروك كاللُّقطة .

(٣) لسبته الحيـة والعقرب والزنبور أي لدغته ، وأكثر ما يستعمل في العقرب ، وهو المعنى المختار هنا ليناسب عقرب الصدغ .

طَرَقْتُ حِماهُ مُقْدِماً غيرَ هائبٍ كما صَبَّحَ السُّلطانُ بالفَتْحِ جِلَّقا

فلم تَقِهِ مِنّي الحِجالُ ، ولا حَمَتْ ولم يَحْمِها مِنهُ القِتالُ ، ولا وَقَى

ففرَّقْتُ مِنْ سُحْبِ الجَوَى ما تَجمَّعَتْ

وجَمَّعَ مِنْ شَمْلِ العُلا ما تَفَرَّقا

وصَدَّقَ ظَنّي مُوشِكاً في افْتِتاحِها وما زالَ ظَنّي في عُلاهُ مُصَدَّقا

لَقَدْ سَبَقَتْ سُكّانَها مُسْتَغيثةً فكُنْتَ إليها بالإغاثةِ أسْبَقا

وفاقَتْ بُروجَ الشَّمسِ مِنْها بُروجُها غَداةَ أَقَلَّتْ مِنْ شِعارِكَ سَنْجَقا[1]

ولَمّا هَمَى مِنْكَ النَّدَى مُتَحَلِّباً ضَمِنْتَ لأهلِ الشّامِ أن تَدَمْشَقا[2]

وقد صَرَفَتْ مِصْرُ إليكَ الْتِفاتَها لِتغْمرَ بالجُودِ العَمودَ المُخلَّقا

وتُرْضي ذَوي إحسانِها بسُعودِهِمْ وتَقْضِي على أهْلِ الإساءةِ بالشَّقا

---

(١) السنجق : تجمع على سناجق ، وهي رايات صغار تربط بطرف الرمح ويحملها (السنجقدار) ، وهو الذي يحمل السنجق خلف السلطان . والسنجق في الأصل تركي «ومعناه الرمح ، وهو في لغتهم مصدر طعن ، فعبَّر به عن الرمح الذي يطعن به » (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨) .

وذكر القلقشندي في مكان آخر « أن أول من حمل السنجق على رأسه من الملوك في ركوبه غازي بن زنكي ، وهو أخو السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، صاحب الشام » . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٨) .

(٢) في النص (تتدمشق) والصواب ما أثبتناه .

تَعُمُّ مُطيعيها بِجَدْواكَ بَعْدَ ما ... تُعمِّمُ عاصيها الحُسامَ المُذَلَّقا[1]

وتَضْبُطُ أَمْرَ المسلمينَ بعَزْمةٍ ... يُفاوِضُ فيها مُشْئِمٌ عنكَ مُعْرِقا

ورِثْتَ صلاحَ الدِّينِ جَدَّكَ في اسْمِـهِ ... وفي نَعْتِـــهِ والمُلْكِ إرْثاً مُحَقَّقا

فأَنتَ المَليكُ النّاصرُ العادلُ الّذي ... رَأَيْناهُ مِنْ جَدَّيْهِ أَسْمَى وأَسْمَقا

فآراؤه تُرْوَى ، ورِاياتُه تُرَى ... ونُعْماهُ تُرْجى ، وبُؤْساهُ تُتَّقى

لِسانٌ إذا ناجى بهِ العُصْمَ أَسْهَلَتْ ... وكَفٌّ إذا ما باشَرَ الصَّخْرَ أَوْرَقا

أَتَمُّ بني أَيُّوبَ حِلْمــاً وقُدْرَةً ... وأَصْبَحُهُمْ وَجْهاً ، وأَفْصَحُ مَنْطِقا

وأَولاهُمُ بالمَجْدِ والمُلْكِ والعُلا ... وأَحظاهُمُ بالحَمْدِ والنُّسْكِ والتُّقى

فـكَمْ عارِضٍ مِنْ جَيْشِهِ أَمْطَرَ الرَّدَى ... وأَرْعَـدَ في أَرْضِ العَـدُوِّ وأَبْرَقا !

وكَمْ مِنْ يدٍ بيضاءَ بالجُودِ مَدَّها ! ... فكانَتْ لنا في أَزْمَةِ الدَّهْرِ مِرْفَقا

وكَمْ أَوْرَدَتْني بُغْيَةُ العِزِّ بابَه ! ... فأَوْرَدْتُهُ فَصْلاً مِنَ القَوْلِ مُنْتَقى

لَجَأْتُ إليهِ واثقــاً باشْتِمالِهِ ... عليَّ ، فأَعطاني على الدَّهْرِ مَوْثِقا[2] ل 61/ ظ

---

(١) المذلَّق : الذَّلَق حدة الشيء ، ويقال حسام مذلَّق ، أي حاد .

(٢) المَوْثِق : العهد .

فعُدْتُ وما قَلْبي مِنَ الرَّدِّ خافقاً   لَدَيهِ ، ولا سَعْيي إلى الجِدِّ مُخْفِقا

وجلَّلَني مِنْــهُ بسابغِ أَنْعُمٍ   فبالغَ في مَدْحِيهِ فِكْري ودَقَّقا

هنيئاً لشَهْرِ اللهِ مِنْكَ مكارِمٌ   تُواصلُ صِدْقاً في البَقاءِ وتَصْدُقا

فأَنتَ الذي رَوَّىْ صَدَى المُلْكِ فائزاً   بما أَعْجَزَ الأَمْلاكَ غَرْباً ومَشْرِقا

وما جهَّزَ الأَملاكُ نَحْوكَ جَحْفلاً   فأَنْجَــحَ إلّا ذِلَّةً وتَمَلُّقا

فلازالَ مَنْ يَنْوِي لَكَ الغَدْرَ مُوبَقاً   شَقِيّاً ، ولازِلْتَ السَّعيدَ المُوَفَّقا

٢٥٠

وقالَ [يَمْدحُ النَّاصرَ(*) يُوسُفَ بْنَ العَزِيزِ] :

لكَ الخيرُ ، كَمْ زَحْزَحتَ شَرّاً عن الخَلْقِ !

وللهِ ما قَسَّمْتَ في الخَلْقِ مِنْ رِزْقِ !

حَبَتْكَ العُلاَ ، يا يُوسُفُ بنَ مُحَمَّدٍ ،

سِيوفُكَ والأَقْلامُ بالحِــذْقِ والدَّفْقِ

وكـم مَلِكٍ طالَ المُلوكَ ، فطُلْتَهُ

وأَحْرَزْتَ إِذْ جارَيْتَهُ قصَبَ السَّبْقِ !

(*) الناصر الثاني صلاح الدين يوسف بن العزيز غياث الدين محمد مالك حلب ، وقد سبقت ترجمته .

وكم بَدْرَةٍ مِنْ صُلْبِ مالِكَ أَعْنَقَتْ
إلى راحتي حتى تَحلَّتْ بِهـــا عُنْقي[١]

ففي جَنْبِ قدْري مـــا بَلَغتُ نهايتي
وفي شَرْعِ وُدِّي ما وَصَلْتُ إلى حقّي

هنيئاً لعيـدِ النحرِ مـــا أَنتَ ناحرٌ
بهِ مِنْ دِمـاءِ البُدْنِ[٢] والبازلِ[٣] الدَّفْقِ[٤]

ولا زِلْتَ في كلِّ الملوكِ مُحكَّماً وَدُمْتَ مَليكَ الأَرضِ، يامالكَ الرِّقِ

٢٥١

وقالَ ، [وقد أُهديَ خِلْعةً حَمْراءَ] :

يا أَيُّها المَلِكُ الذي لِبَيانِـــهِ قَوْلٌ بأَلْسِنَةِ الفَعـالِ يُصدَّقُ

(١) َبدرة : كيس فيـه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . أعنقت : أي أسرعت .

(٢) البُدْن : مفردها َبدْنة ، وهي من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم ، الذكر والأنثى في ذلك سواء ، وسميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها لـكي تنحر في مكة .

(٣) البـازل : يقال للبعير إذا استكمل الثامنة وطعن في التاسعة ، وفطر نابه ، فهو حينئذ بازل ، وكذلك الأنثى بغير هاء ، فالجمل بازل والناقة بازل .

(٤) والدفق : يقال دَفِق البعير دفقاً ، وهو أدفق ، وناقة دُفاق أي سريعة . ويقال أيضاً : بعير أدفق أي بين الدفق إذا كانت أسنانه منتصبة إلى خارج .

شُكْراً لِما خَوَّلْتَني مِنْ أَنْعُمٍ ... شُكْري عليكَ بِها حَبيسٌ مُطْلَقُ
تُعْدي على دَهْري فتُغْنيني بِهـا ... أَبَداً ، و يُعْديني[1] نداكَ فأُمْلِقُ
حكَّمْتَني فيما لديكَ ولم تَـدَعْ ... بَيْني وبَيْنَ جَداكَ باباً يُغْلَقُ
فَدفَعْتَ في صَدْرِ الشِّتاءِ بِخِلْعةٍ ... خَلَعَتْ قُلوبَ الحاسدينَ، فأطْرَقُوا
أَهْدَيْتَها حَمْراءَ مِنْ يَـدِ مُنْعِمٍ ... بَيْضاءَ ، فاصْفَرَّ العَدُوُّ الأَزْرَقُ
لِشَكيرِها[2] في كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ ... مِثْلي لِسانُ هُدَىً بِشُكْرِكَ يَنْطِقُ
لا زِلْتَ مَلْكاً للوَرَىٰ مُستَعْبِداً ... للدَّهرِ تَحْرِمُ مَنْ تشاءُ وتَرْزُقُ

٢٥٢

وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالى :

ومَعْشَرٍ حاوَلُوا ذُلِّي لِعـزِّهِمُ ... فلَمْ أُجِبْهِمْ ، وبالرَّحْمٰنِ تَوفيقي
ولم أُبَلْ حينَ جانَبْتُ الخُضوعَ لَهُمْ ... أَكُنْتُ في سعةٍ أَمْ كُنْتُ في ضِيقِ
وكُلُّ خُلْقٍ يُؤاتيني[3] تَخَلُّقُهُ ... إلاَّ عِبـادةَ مَخْلوقٍ لِمخْلوقِ

ل 62 / و

(١) أعداه عليه : نصره وأعانه وقواه . أعداه : أصابه وانتقل إليه .
(٢) الشكير : صغار الشعر والريش بين صغاره .
(٣) يؤاتيني : يقال آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته .

٢٥٣

وقالَ[١] :

ما لم يُغيِّرْ عكسُهُ لفظَهُ ؟ مثالُهُ « قد نَبلَ البُنْدُقُ »[٢]

وما إذا صُحِّفْتَ[٣] معكوسَهُ[٤] عـــادَ إلى صِيغتِهِ « فُستُقُ » ؟

٢٥٤

وقالَ :

يَقولونَ : صَبْراً جميلاً ، فقُلْتُ : وهل يَحْسُنُ الصَّبْرُ بالعاشقِ ؟

تَحمَّلْتُ مِنْ فَقْدِ أَهلِ الصَّفاءِ جِبـــالَ أسىً أَثْقَلَتْ عاتِقي

وكُنْتُ أُظُنُّ تَمادي الزَّمانِ يُسكِّنُ مِنْ قَلْبيَ الخافِقِ

فلم يُخْلِني الدَّهرُ مِنْ لاحِـــقٍ يُجـــدِّدُ حُزْني على السَّابِقِ

(١) البيتان واردان في الفوات .

(٢) يلاحظ عدم تغير المعنى عند قراءة « قد نبل البندق » طرداً وعكساً .

(٣) في الفوات (صحف) .

(٤) أي لو صفحنا لفظ « فستق » فجعلنا فاءها قافاً بزيادة نقطة ، وجعلنا قافها فاء بإنقاص نقطة لما تبدّل اللفظ إذا قُرئت عكساً .

٢٥٥

وقالَ في جاريةٍ له غَرِقَتْ في نهرِ «العاصي»:

وجاريةٍ مُـــذْ تعلَّقْتُهـا[1] نَبَذْتُ إليهـا جَميـعَ العِلَق[2]

تَمَلَّكْتُها، فاعْتراني لهَـــا غرامٌ تَمَلَّكَني فاسْتَرَقْ

وقـد كُنْتُ أَغْرَقُ في حُبِّهـا وما كُنْتُ أَخْشَى عليها الغَرَقْ

وكنتُ أخافُ عليهـا العيونَ فقد حقَّقَ النَّهرُ ذاكَ الفَرَقْ[3]



(١) تعلَّقتها: يقال تعلَّقها وتعلّق بها أي أحبها.

(٢) العِلق: العِلق والعِلقة الثوب النفيس يكون للرجل، والعِلقة قميص بلا كمين، والعِلقة للصدرةِ تلبسها الجارية تبتذل بها وتجمع قياساً على عِلق.

(٣) الفرق: الفزع والخوف.

قافيـة الكاف

٢٥٦

قالَ يُهنِّيءُ [المَلِكَ المُظَفَّرَ الثَّاني(*)] بفتحِ « آمِدَ » :

بِكَ المهنَّأُ مَنْ وافى يُهنِّيكا ... فاقْدُمْ بما شِئْتَ مِنْ إرغامِ شانيكا

وَرَوَّ بالشَّامِ أكباداً مُسَعَّرَةً ... بانَ التَّلافُ بِها لولا تَلافيكا

هَزَمْتَ قَبْلَ لِقاءِ الكُفْرِ جيشَهُمُ ... بِهَوْلِ ما حدَّثوهُ عن مَغازيكا

أَخذْتَ بالجِدِّ حتى عادَ وهوَ حِمىً ... ما كانَ بالأمسِ للأتْراكِ متروكا

وزُرتَ « آمِدَ » ذاتَ الزِّيرِ مُنْتَزِعاً ... بالحقِّ ما أَودعَ الماضينَ ماضيكا

أعْطَيْتَ إذْ شكَرَ المُعْطي نَداكَ وقد ... أخذْتَ إذْ صارَ حَبْلُ الشُّكرِ مَبْتوكا(1)

(*) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن الملك المنصور الأول ، ولم يشر جامع الديوان في طرة القصيدة إلى الممدوح المذكور ، صاحب فتح آمد ، كما لم يشر الشاعر نفسه كعادته إلى اسم ممدوحه ، وقد تأكد لنا بعض التحقيق الدقيق أن الشاعر مدح بهذه القصيدة أحد ملوك حماة بدليل أنه أشار إلى واديها ، وعاصيها ، ونواعيرها ، في الأبيات : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ . ويبقى علينا أن نعرف اسم هذا الملك الأيوبي ، ونعتقد أنه المظفر الثاني ، وهو صاحب فتح آمد ، كما أشار الشاعر إلى ذلك في معرض مدحة أخرى سوف تمر معنا .

(1) مبتوكا : مقطوعاً .

مَنَعْتَ بالعَدْلِ منْها ما بَذَلْتَ يَداً فالبَذْلُ والمَنْعُ فيها مِنْ أياديكا

دَيْنٌ تَقاضَيْتَهُ بالسَّيفِ مُنْصَلِتاً ولا تَقاضِيَ أَنكَى مِنْ تَقاضيكا

هامَ الشَّقيُّ بِغِيدِ الخِدْرِ يَفْضَحُها وهِمْتَ بالأُسْدِ تُدْميها عَواليكا

ومُذْ تَعَقَّبَكَ الأَمْلاكُ بانَ لهُ أَنْ ليس في النَّاسِ مِنْ مَلْكٍ يُضاهيكا

62 / ظ أَقْبَلْتَ في الحَرْبِ تُذْكيها، فأُفْرِجَ[1] عن

شُهْبِ[2] الحُصونِ لِحُصْنٍ مِنْ مَذاكيكا[3]

لم تَصْحُ حَوْباؤهُ مِنْ شُكْرِ حَوْبتِها

حتى سَقاها بِكأسِ الحَرْبِ ساقيكا

للهِ دَرُّكَ ! كَمْ أَفْقَرْتَ مِنْ مَلِكٍ جَمِّ الثَّراءِ، وكَمْ أَغْنَيْتَ صُعْلُوكا

وكَمْ تَقَحَّمْتَ في الهَيجاءِ تَسْأَلُها أَشَدَّ أَبطالِها بَأْساً، فتُعْطِيكا

خافُوا نِزالَكَ حتى إِنَّ أَشْجَعَهُمْ يَخْشَى المَنايا، ويَخْشَى أَنْ يُلاقيكا

يا بْنَ الأُلَى كُلُّوا حِلْماً ومَقْدِرَةً فَمُلِّكوا أَكْمَلَ الأَمصارِ تَمْليكا

قد حاوَلَ المَجْدَ أَقوامٌ، فهل ظَفِروا إِلّا بِما عَزَفَتْ عنْهُ مَواليكا ؟

---

(١) في الأصل : (فأفرح) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) في الأصل : (سهب) ، وشهب الحصون أي القوية الممتنعة ، يقال يوم أشهب ، وسنة شهباء ، وجيش أشهب أي قوي شديد .

(٣) مذاكيك : المذاكي من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أوسنتان .

وقـد تملَّكَ أقوامٌ ، فهل لُهمُ ... طَوْدٌ كطَوْدِكَ ، أو وادٍ كواديكا ؟؟
مُسِفَّةٌ زَاحَمَتْ أَبْراجُهـا شُهُبـاً ... مِنَ السَّما ، وبزُهْرٍ مِنْ حواشيكا[١]
وبلدةٍ هِيَ في البُلْدانِ مِثْلُكَ في الـ ... أملاكِ عِزّاً ، وأوصافاً ، وناهيكا !
باهتْ نواعيرُها الأفلاكَ دائرةً ... مُطيعةً أَمرَ عاصٍ غيرَ عاصيكا
تَناصَفَتْ في فنونِ الْحسْنِ أَربعُها ... لّمـا دَعَا أَهْلَها لِلْعَدلِ داعيكا
ولا تَرَى عَيْنُ مُسْتَقْصٍ بِها نَظَراً ... إلّا حبائلَ في أَيْدي مُحِبّيكا
وافَيْتَها بَعْدَ ما اهْتَزَّتْ معاطِفُها ... شَوْقاً ، فكادتْ تَمنْ فيها تُوافيكا
أَنْسَيْتَها البَيْنَ إذْ آنَسْتَها نَظَراً ... صُنْتَ الرَّعايا بِهِ ، فاللهُ راعيكا
لكَ النَّوالُ يُرِينا الْحرَّ مُستَتِراً ... صَوناً ، ويَتْرُكُ سِتْرَ المالِ مَهْتوكا
يا ذا العَطَا والسُّطَا، ما زِلْتَ بَيْنَهُما ... تُفْني مُصافيكَ ، أَو تُفني معاديكا[٢]
إذا رَضِيْتَ ، رَأَيْنـا البحرَ مُنْفَرِقاً ... وإنْ غَضِبْتَ ، رَأَيْنا الطَّودَ مَدْكوكا[٣]
فـدَامَ سَعيُكَ مَرْضِيّاً ، ولا بَرِحَتْ ... صُروفُ دَهْـرِكَ تَسْعَى في مَراضيكا

(١) كتب الناسخ بحرف صغير فوق (السما) كلمة (قصر) أي أن هـذه الكلمة بقصر الممدود للضرورة الشعرية .
(٢) في الأصل (مصاديكا) ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) مدكوكا : دُكَّ الطود هُدم .

٢٥٧

وقال[١] يمدحُ النَّاصرَ[*] :

رِفقاً بِروحي ، فهيَ لكْ وعلى السَّخِيِّ بِما مَلَكْ

أَفضِلْ بِحقٍّ مَنِ اصْطفا كَ على المِلاحِ ، وفَضَّلَكْ

وكَأَنَّ[٢] ربَّكَ في الجما لِ[٣] على اقتراحي مَثَّلَكْ

أَحظاكَ مِنْهُ[٤] بمَنْصِبٍ سَوَّاكَ فيهِ ، وعَدَلَكْ

مَنْ فَرَّ مِنْ ذُلِّ السُّؤا لِ ، فعِزَّتي أَنْ أَسألَكْ

إنْ تَحْمِ طَرْفي أَنْ يرا كَ ، جعَلْتُ قَلْبي مَنْزِلَكْ

إنِّي أَغارُ إذا الأَرا كُ ، دَنا إليكَ ، فقَبَّلَكْ

ويَروعُني واشي النَّسيـ ـمِ ، إذا ثَناكَ ، ومَيَّلَكْ

ما أَقْبَحَ الصَّبرَ الجميـ ـلَ بِعاشقيكَ ! وأَجْمَلَكْ !

[ما أَنقصَ اللوامَ في وَلَهي عليكَ ! وأَكْمَلَكْ !][٥]

ل 63 / و

(*) الناصر الثاني ، صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) في الذيل : (فكأن) .

(٣) » » : (بالجمال) .

(٤) في الأصل : (أحظاك فيه) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .

(٥) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل .

ما أَسْمَحَ السُّلطانَ بالْـــمالِ الجزيلِ ! وأَبْخَلَكْ !

النّاصرُ المَلِكُ الّذي بَذَلَ الرَّغائبَ إذْ مَلَكْ

يا يوسفُ بنَ مُحمَّـــدٍ مَلِكاً نَعُدُّكَ ، أَمْ مَلَكْ ؟

العيشُ عِنْدَكَ والرَّدَى وَقْفاً بِمَسْلَكِ مَنْ سَلَكْ

فالجودُ يُنْجي مَنْ نَجا والبَأْسُ يُهْلِكُ مَنْ هَلَكْ

إِنّا نَدينُ بِطاعَـــةٍ لِلّهِ خالِقِنـــا ولَكْ

فَلَكَ الهنـــاءُ بدولةٍ بدوامِها دارَ الفَلَكْ

٢٥٨

وقالَ [يَمْدحُهُ أَيضاً] :

أَيا يوسُفُ بنَ المَليكِ العَزيزِ ووارِثَ يوسُفَ فيما مَلَكْ

تَبَوَّأْ مِنَ الأَرْضِ ما شِئْتَهُ فقد مكَّنَ اللهُ في الأرضِ لَكْ

٢٥٩

وقالَ أَيضاً :

يا ظَبْيَةَ الجِزْعِ ، أَينَ مَغْناكِ ؟ يا قُرْبَ وَجْدي ، وبُعْدَ مثواكِ ![1]

(١) الجِزع : جِزع الوادي بالكسر حيث تجزَعُه ، أي تقطعه ، وقيل مُنقطعه أو منحناه أو جانبه أو منعطفه أو ما اتسع من مضايقه أنبت أم لم ينبت ، وقيل : لا يسمى جزع الوادي جِزعاً حتى تكون له سعة تنبت الشجر وغيره ، وقيل : هو رمل لا نبات فيه ، وجمعه أجزاع .

بينَ فُؤادي ، وبَيْنَ راحتِـهِ ما بينَ عَيْني ، وبَيْنَ مرآكِ

لولاكِ ، لم تَخْلُصِ المَسرَّةُ لي ولا عَرَفْتُ العَناءَ ، لولاكِ

فلي مَقامـاتُ فَرْحـةٍ وأَسىً أَرجوكِ ، في كُلِّها ، وأَخْشاكِ

أَفْتَوْكِ بالصَّوْنِ في حِجابكِ عنْ عَيْني ، فَمَنْ ذا بالفَتْكِ أَفْتاكِ ؟

أَعْدَيْتِ جِسْمي بسُقْمِ جَفْنِكِ ، يا عَيْني ، فَمَنْ بالصُّدودِ أَعداكِ ؟

أَنْساكِ عَهْدِيَ طُولُ المَدَى ، فثِقي أَنِّي ، على البُعْدِ ، لَسْتُ أَنساكِ

وإنْ تَجافَيْتِني بِـلا سَبَبٍ فمـا أَمرَّ الجفا ! وأَحْلاكِ !

وكَأْس ثَغْرٍ صَبَحْتِنيهِ ، وقـد حَيَّيْتِ بالوَرْدِ مِنْ مُحَيَّـاكِ

في زَوْرَةٍ لِلْخَيـالِ تَشْهـدُ لي بأَنَّـــني مـا رَأَيتُ إلّاكِ

يا ثَغْرَها الضَّاحكَ ، ادْنُ مِنْ شَبَحي عَسَاكَ تَرْثي لطَرْفِيَ البـاكي

أَوْدَعكِ المِسْكُ سِرَّهُ ثِقَـةً فضَاقَ ، لَمّا أُودِعْتِهِ ، فاكِ

وعادَ عُودُ الأَراكِ[1] مُنْثَنِياً سُكْراً ، فأَثْنَى على ثَناياكِ

قالوا : حَكاها القَضيبُ[2] ، قُلتُ لهمْ : لا جَمْعَ بَينَ المَحْكِيِّ والحاكي

وقيلَ : شمسُ الضُّحا كطَلْعتِها حَاشاكِ مِمَّـا يُقالُ ، حَاشاكِ !

خُلِقْتِ ، دُونَ المِلاحِ ، كاملةً سُبْحانَ ربٍّ ، لذاكَ ، سوّاكِ !

63 / ظ

(١) الأراك : شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوارة العود تنبت بالغور ، تتخذ منها المساويك .

(٢) القضيب : الغصن .

٢٦٠

وقالَ[١] رحمَهُ اللهُ تعالَى[٢] :

قُم ، فاصْطَبِحْها ، وأَرِحْ سِرَّكا صَبَّحَـــكَ اللهُ بِما سَرَّكا

وعاطِني منهــا الُمـــدامَ التي أشْرَبُ منهـــا دائماً سِرَّكا

يا يوسفَ الُحسْنِ الذي وصفُه أن يَمْلِكَ النَّاسَ ، ولا يُمْلَكا

[يا بَـدْرَ تِمٍّ ، مُنْذ سايَرْتُهُ لم ألْقَ في سَلْوتي مَسْلَكا

يا مَنْ رَمَى ، لَمَّا رَنَا ، مُقلتي إليكَ مِنْ ألحاظِكَ الُمشْتَكَى][٣]

إنْ دَمَعَتْ عيني ، فَمِنْ أجْلِها بَكَى على حاليَ مَنْ لا بَكَى[٤]

أوْقَعني إنْسانُهـا في الَهوَى « يا أيُّها الإنْسانُ[٥] : ما غَرَّكا؟»[٦]

---

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ؛ والنفحات : ٦ ، ٧ .

(٢) ذكر اليونيني في مناسبة الأبيات المذكورة على لسان الشاعر نفسه قوله بعد أن استمع إليها والده : « قال الشيخ شرف الدين ، رحمه الله ، وأنشدتُ والدي الأبيـات ، فاستحسنها ، وقال بديهاً :

بادرْ إلى توبةٍ عنهُ تُنيلكَ مِنْ ذي الطَّوْلِ في الحشرِ أجراً غيرَ منتقص »

(ذيل مرآة الزمان ، ورقة ١٢٢) .

(٣) استدركنا هذين البيتين من ذيل مرآة الزمان ، ورقة ١٢٢ .

(٤) في الذيل : (بكى على قلبي ...) .

(٥) اقتبس الشاعر قوله تعالى : « يا أيها الإنسانُ ماغرَّكَ بربكَ الكريم »(سورة الانفطار ٦/٨٢) .

(٦) أورد النابلسي هذين البيتين في معرض شواهده عن الاقتباس في نفحاته ، وقال =

٢٦١

وقالَ :

مُتَيَّمٌ وَدَّ في عَيْنَيْــــهِ لو خَبَّأَكْ
ما كانَ ضرَّكَ ، لو عَرَّفْتَهُ نَبأَكْ

للهِ دركَ ! ما أَلْهاكَ عن دَنِفٍ[1] ؟
ما رَدَّ أَمْرَكَ ، في حالٍ ، ولا دَرَأَكْ[2]

بَرَيْتَ جِسْمِيَ بالإِعْراضِ مِنْكَ ، ولو
عَطَفْتَ أَبْرَأْتَهُ ، سُبْحانَ مَنْ بَرَأَكْ !

إِنْ أَثَّرَتْ نَظْرَتي في وَجْنَتَيْكَ ، فقد
نَكَأْتَ قَلْبي بِهـا أَضعافَ ما نَـكَأَكْ[3]

= « الاقتباس المبــاح ، وهو ما كان في الغزل والرسائل والقصص » (نفحات الأزهار ، ص ١٥٣) ، وقد لاحظنا أن والده لم يستسغ منه هذا الاقتباس ، وطلب من ولده أن يبادر إلى توبة من هذا الغزل .

(١) الدَّنَف والدَّنِف : يقال رجل دنَفٌ ودنِف . أما قولنا : دنف ، بفتح النون ، فتكون بلفظ واحد مع الجميع ، إذ نقول رجل وامرأة وقوم دَنَف ، أما قولنا : دَنِف ، بكسر النون ، فالواجب فيها تأنيثها أو تثنيتها أو جمعها خلال استعمالها .

(٢) درأك : يقال درأ الشيء أي دفعه .

(٣) نكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ فنديت .

أدْمَيتُ خدَّكَ إذ أَدْميتَ لي كَـبِدي
أَنْصِفْ ، وقُلْ لي ، تُرَىْ بالشرِّ مَنْ بَدَأَكْ ؟

قد قُلْتُ للسَّجفِ ، لما أَنْ[1] حُجِبْتَ بهِ :
يا سَجْفُ ، ليثَكَ قد أَخفيتَ ، أَم رَشأَكْ؟[2]

ويا مُنَمْنِمَ خَطَّيْ عارِضَيْهِ ، لَقَــدْ
قَراكَ بَهْجَتَهُ الرَّائي ، ومـا قَرأَكْ

وأَنْتَ ، يا مَنْ يُساميني إلى شَرَفي
لقـد وَسِعْتَ إذاً أَضعافَ مـا مَلأَكْ

قُلْ مـا بَدَالَكَ مِنْ لُؤْمٍ لدى كَـرَمي
فلو نَبَحْتَ طَوالَ الدَّهرِ مـا خَسأَكْ[3]

هَذا ، وسَرْحُكَ يَرْعَىْ في حِمَىْ كَلَئي
فلا حَمَىْ سَرْحَكَ الباري ، ولا كَلأَكْ[4]

(١) أن هنا حرف صلة ، وهو حرف المعنى يزاد للتأكيد ومنه قوله تعالى : « ولما أن جاء البشير » .

(٢) الرشأ : محركة الظبي إذا قوي ومشى مع أمه .

(٣) خسأ الكلبَ : طرده .

(٤) السرح : الماشية والمال السائم .

٢٦١

وقالَ [يَمْدحُ النَّاصرَ الثَّاني(*)] :

يا صلاحَ الدِّينِ ، يا مَلِكاً صَلُحَتْ أَحوالُ مَنْ مَلَكَهْ
وتَوَلَّى اللهُ نُصْرَتَـــهُ في سُكونٍ ، مِنْهُ ، أَوْ حَرَكَهْ
حَسَنٌ فــيما تَمَلَّكَهُ وسِواهُ سَيِّئُ المَلَكَهْ
كَمْ دماءٍ لِلْوَرَى حُقِنَتْ بِدَمٍ صَمْصامُهُ سَفَكَهْ
يا لَهُ في جِسْمِهِ عَرَضٌ ! عَرَّضَ الأَرْواحَ للهَلَكَهْ
وحِباهُ اللهُ عافيـــةً هيَ بَيْنَ النَّاسِ مُشْتَرَكَهْ
جَعَلَ اللهُ الكَريمُ ، لَهُ ولَنا في عُمْرِهِ ، البَرَكَهْ

ل 64/و

٢٦٣

وقالَ(١) ، رَحِمَهُ اللهُ(٢) :

ضَحِكَ العَواذِلُ إِذْ بَكَيْتُكْ فَشَغَلْتَهُمْ عنِّي(٣) ، فَدَيْتُكْ

(★) الناصر الثاني ، صلاح الدين يوسف بن العزيز ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الوافي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ .

(٢) في النص إشارة إلى حرف التاء الملتزم في هذه القافية .

(٣) في الوافي : (فشَغَلْتَني عنهم) .

لا ماتَ مَنْ يَلْحَىْ عَلَيْـــكَ ، وعاشَ عَيْشي إذْ نَأَيْتُكْ
أَطْمَعْتَـــني بِلَطيفِ وَعْـــدِكَ في وصالِكَ ، فاقْتَضَيْتُكْ
وأَرَدْتَ قَتْـــلي بالبِعـــادِ ، فقَالَ هَجْرُكَ[1] : قد كَفَيْتُكْ
وصَرَفْتُ عن كلِّ الوَرَى عَيْني ، فكيفَ رَنَتْ رَأَيْتُكْ
ومَتَى ذَكَرْتُ بِصالِحٍ أَحداً سِواكَ ، فقد عَنَيْتُكْ
ونَزَلْتَ قَلْبي فاحْتَكِمْ فيـــهِ ، فإنَّ البَيْتَ بَيْتُكْ
أَخْشَىْ سُطاكَ ، وإنْ أَطَعْـــتُ ، وأَرْتَجيكَ ، وإنْ عصيتُكْ
ما كانَ أَرْبَحَ صَفقَتي ! مُذْ بِعْتُ رُوحي واشْتَرَيْتُكْ

٢٦٤

وقالَ في اللزومِ[2] :

عارَضَتْني غَريرَةٌ بَيْنَ «عُرْضٍ»[3] إلى «أَرَكْ»[4]

(١) في الوافي : (فقال صدُّك) .
(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الراء الملتزم في القافية .
(٣) عُرْض : ذكرها ياقوت « وعُرْض : بليد في برية الشام ، يدخل في أعمال حلب ، وهو بين تدمر والرُّصافة الهشـامية » (معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٠٣) .
(٤) أرَك : بفتحتين ، وضم ابن دريد همزته « مدينـة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدمر ، وهي ذات نخل وزيتون ، وهي من فتوح خالد بن الوليد في اجتيـازه من العراق إلى الشام » (معجم البلدان ، ج ١ ص ١٥٣) ؛ وذكرهـا ابن منظور في اللسان ، وقال : إنهـا أرض قريبة من تدمر .

قَلْبُها مِثْـلُ قُلْبِها[1] آمِنٌ لوعَـةَ الحَرَكْ
وفُؤادي كقُرْطِها بَيْنَ رِيحَيْنِ مُشْتَرَكْ
وعَـذولي مُغَـرَّرٌ بي ، فقد ضُمِّنَ الدَّرَكْ
يا حَبيباً ، جَمالُـهُ غادَرَ النَّفْسَ في شَرَكْ
ليس لي راحـةٌ ، إذا راحَ وَقْتٌ ، ولم أَرَكْ

٣٦٥

وقالَ[2] ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى :

عَـدِّ عن عَـذْلي وبَسِّكْ[3] إنَّ ناري لَن تَمَسَّكْ
لو تعي حُرْقَةَ قَلْبـي برَّدَتْ ، واللهِ ، حِسَّكْ
وَيْكَ ! يا مِسْكينُ ، فارِقْ نَوعَكَ الرَّذْلَ وجِنْسَكْ
قـد دَرَسْتَ الأَصْلَ جَهْلاً وجَعَلْتَ الفَرْعَ دَرْسَكْ
ليس يُجْدي حِفْظُكَ النَّفْـلَ[4] ، إذا ضَيَّعْتَ خُمْسَكْ

---

(١) قلب : القُلْب من الأسورة ، وهو ما كان قلداً واحداً ويقال أيضاً : سوار قلب .

(٢) الوافي : ١ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٥ .

(٣) بسَّك : البسّ هو الجَهْد .

(٤) والنَّفْل بالسكون ، وقد يحرك ، الزيادة : وفي الحديث « أنه بعث بعثاً قِبَلَ نجد ، فبلغت سهمانهم اثني عشر بعيراً ، ونفّلهم بعيراً بعيراً ، أي زادهم على سهامهم ، ويكون من خُمْس الخُمْس » وقد تكرر ذكر النَّفل والأنفال في الحديث ، وبه سمّيت النوافل في العبادات لأنها زائدة على الفرائض .

أَنَا قَـــد رَوَّقْتُ راحي فاحسُ يا مَحْرومُ ، دِبْسَكْ

لَـــو تَلَبَّسْتَ بِحـــالي لأَزالَتْ عَنْـكَ لَـبْسَكْ[1]

قَدْ ضَرِسْنَا مِنْكَ ، فاقْلَعْ مِنْ قَبُوْلِ اللَّوْمِ ضِرْسَكْ

لا تَلُمْـــني في حَبيـــبٍ لو تَرَاهُ لُمتَ نَفْسَكْ

كُنْتُ مِنْ قَبْلِ هَـــواهُ أَزْهـدَ النَّـــاسِ وأَنْسَكْ

قُلْتُ : قد أَنْكَرْتُ يَوْمي قَالَ : ما تَعْرِفُ أَمْسَكْ

ل 64 / ظ

فــازَ صَبٌّ ، بي تَمَـنَّى وبـأَذْيـــالي تَمَسَّـــكْ

واهْتَدَى إذْ أَسْكَـرَتْـهُ خَمْرَةُ الرِّيقِ الْمُمَسَّـــكْ

سَيِّدي ، مَأْتَمُ صَـــبْرِي قـائمٌ هُنِّئْتَ عُرْسَـــكْ[2]

لَسْتُ أَنساكَ فـــلا تُعْـــدِمْ فُؤادي مِنْكَ أُنْسَـــكْ[3]

٢٦٦

وقالَ :

لَكَ الأَمْنُ ، يا نابحَ الزِّبْرِقانِ[4] كَفَتْكَ الخَساسَةُ أَنْ أَخْسَأَكْ

---

(١) اللَّبس واللُّبس : الشُّبْهة .

(٢) في الوافي : (مأتم) .

(٣) » » : (يعْدُمْ) .

(٤) الزبرقان : القمر .

فإمّا نَفَرْتَ مِنَ المكرُماتِ فبالفُحْشِ واللُّؤْمِ ما أَبْسَأَكْ ![1]
تَناهَىٰ بِكَ الجَهْلُ حتى اغْتَرَرْتَ بِمَنْ ليس يَنْساكَ إِنْ أَنْسَأَكْ[2]



(١) ما أبسأك : يقال بسأ فلان بهذا الأمر أي ألفه ومرَن عليه .

(٢) أنسأك : يقال نسأه وأنسأه أي أمهله وأخَّره .

قافية اللام

٢٦٧

قالَ يمدحُ سيِّدَنا رسولَ اللهِ ﷺ :

أوْهَمتَ نُصحاً ، «لو أنَّ النُّصحَ مقبولُ»[١]

«لا أُلهينَّكَ ، إنِّي عنكَ مَشْغولُ»[٢]

بانَ التَّجلُّدُ عنِّي والتَّصبُّرُ مُذْ

«بانَتْ سُعادُ ، فقَلْبي اليومَ مَتْبولُ»[٣]

تيَّاهةٌ آثَرَتْ صدّاً لُمغرَمِها

«متيَّمٌ إثْرَها ، لم يُفْدَ ، مكْبولُ»[٤]

---

(١) هذا بعض الشطر الثاني من بيت قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ ، وتمامه :

يا ويحها خُلَّةً لو أنها صَدَقتْ ما وعدت ، أو لو أنَّ النصح مقبولُ

(٢) هذا هو الشطر الثاني من بيت في القصيدة المذكورة ، وشطره الأول :

وقال كل خليل كنت آمله ... ...

(٣) هذا هو الشطر الأول من مطلع القصيدة المذكورة ، وشطره الثاني :

... ... متيمٌ إثرَها لم يُفْدَ مغلولُ

(٤) هذا هو الشطر الثاني من مطلع القصيدة المذكورة ، وقد اقتبس الشاعر الشطر الأول وضمنه الشطر الثاني من البيت السابق .

ثَرَّتْ دُموعي إذِ افْتَرَّتْ بذي أُشُرٍ[1]

«كأنَّــه مَنْهلٌ بالرَّاحِ مَعْــلولُ»[2]

جديدةُ الحُسْنِ يَبـدو في مُقَسَّمِهـا

«عِتْقٌ مَتينٌ ، وفي الخـدَّينِ تَسْهيلُ»[3]

حَلُمْتُ عنـدَ تمنِّيهـا بزَوْرَتِهـا

«إنَّ الأَمـانيَ والأَحلامَ تَضْليلُ»[4]

خـوّانـةٌ حقَّقَتْ فينـا توَعُّدَهـا

«ومـا مواعيدُهـا إلا الأَبـاطيلُ»[5]

---

(١) ثرّت العين : غزر ماؤها . أُشُر وأَشَر : حدة ورقة في أطراف الأسنان ، أو هو التحزيز الذي يكون فيها خِلقة ومستعملاً . وقيل ثغر مؤشَّر .

(٢) هذا هو الشطر الثاني من بيت في القصيدة المذكورة سابقاً ، وشطره الأول :

تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت ... ...

(٣) في الديوان (يبدو) والصواب ما أثبتناه . ورد في شرح هذا البيت من قصيدة كعب قوله : (والمعنى أنه إذا نظر البصير إلى أذنيها وسهولة خديها بان له عتقها أي كرمها) .

قِنْواء في حُرَّتَيهـا للبصير بها ... ...

(٤) هذا هو الشطر الثاني من بيت في القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ ... ...

(٥) هذا هو الشطر الثاني من بيت في القصيدة المضمَّنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول:

كانتْ مواعيدُ عُرقوبٍ لهـا مثلاً ... ...

دَعْني ، فإنْ فاتني مِنْها النَّوالُ فلي

« مِنَ الرَّسولِ بإذنِ اللهِ تَنْويلُ »[١]

ذاكَ النَّبيُّ الذي لُذْنا بعَقْوَتِهِ

فتَمَّ فيها لَنا المَقْصودُ والسُّولُ[٢]

رَسولُ صِدْقٍ رَحيبُ الباعِ قَرَّبَنا

مِنْ رَبْعِهِ الأَرْحَبِيّاتُ « المراسيلُ»[٣]

زُرْناهُ ، لا رَوضةٌ غَنّاءُ تَشْغَلُنا

ولا «أَغَنُّ غضيضُ الطَّرفِ مكحولُ»[٤]

سَلَّتْ حُقودَ الأَعادي إذْ تَخَرَّمَها

« مُهَنَّدٌ مِنْ سيوفِ اللهِ مسلولُ»[٥]

---

(١) هذا هو الشطر الثاني من بيت في القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

لظلَّ يرعَدُ إلاّ أن يكونَ لــه ... ...

(٢) العقوة : ما حول الدار ، والمحلة .

(٣) الأرحبيات : الأرحب هو الفحل ، ومنه النجائب الأرحبيات . والمراسيل من النوق ، وهو ما كان منها سلس السير سريع المشي بعيد مابين الخطوتين . وقد وردت المراسيل في آخر بيت من القصيدة المضمنة .

(٤) هذا معظم الشطر الثاني من بيت في القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول:

وما سعادُ غداةَ البين إذ رحلوا إلا أغنُّ ... ...

(٥) هذا الشطر الثاني من بيت في القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

إنَّ الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ بهِ ... ...

شامتْهُ كَفُّ الهُـــدَىٰ في كلِّ معركةٍ
كانتْ ضرائبُـــه فيهـــا الأضاليلُ

صالَتْ على الحُمْسِ[١] في بَدْرٍ مَصاعِبُهُ
وفي لفيفِهِمُ العُـــوذُ المطـــافيلُ

ل 65 / و ضراغمٌ أقْـدمُوا في الحربِ يَقْدُمُهُمْ
على الملائِـــكِ مِيكالٌ وجِبْريلُ

طَلُّوا الدِّمـاء ، فطالُوا بالإِسـارِ على
جيشٍ تباعَـــدَ مِنْهُ العُرْضُ والطُّولُ

ظَلَمْتُ نفسي ، فإنْ أُوخَذْ بِمـا اجْتَرَمَتْ
« فـكلُّ مـا قـــدَّرَ الرَّحمنُ مفعولُ »[٢]

عِنْدي ذُنوبٌ مِنَ الغُفرانِ مُؤْيِسَةٌ
« والعفوُ عِنْـــدَ رسولِ اللهِ مأمولُ »[٣]

---

(١) الحُمْس : قريش ، ومن ولدتْ قريش وكنانة وجديلة قيس ، وهم فَهْمٌ وعدوانُ ابنا عمرو بن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة . هؤلاء الحُمْس ، سمُّوا حُمْساً لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشدّدوا .

(٢) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :
فقلتُ : خلُّوا سبيلي لا أبا لـكم ... ...

(٣) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :
أُنبئتُ أنّ رسولَ الله أوعـــدني ... ...

غَمْرِ النَّوالِ جزيلاتٍ مواهِبُـــهُ
فمـا الفراتُ ، إذا فاضتْ ، وما النِّيلُ ؟؟

في جَحْفَـــلٍ لا يَرَى أدناهُمُ خَطَراً
« أنْ يُتْرَكَ القِرْنَ إلّا وهْوَ مَفلولُ »[1]

قومٌ تُبَرِّدُ نارُ الحربِ أكْبُدَهُمْ
« إذا تَوَقَّـــدَتِ الحِزَّانُ والمِيلُ »[2]

كَمْ مَأزِقٍ مزَّقوا أبطالَهُ كِسَفاً
« وقـــد تَلَفَّـعَ بالقُورِ العسَاقيلُ »![3]

---

(١) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة المضمنة ، وتمـــامه قوله في الشطر الأول :

إذا يساورُ قِرْناً لا يحـــلُّ لـه ... ...

(٢) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

ترمي الغيوبُ بعيني مُفْرِدٍ لَهِقٍ ... ...

والحِزّان : بكسر الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة ، وهو المكان الغليظ الصلب . والميل : جمع أميل وهو العقدة الضخمة من الرمل .

(٣) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

كأنَّ أوبَ ذراعيها إذا عَرِقَتْ ... ...

تلفّع : أي التحف . القور : جمع قارة ، وهي الجبل الصغير . العساقيل : السراب .

لو حاربُوا أسداً لم يحمِ أظهرها
«مِنْ بطنِ عِثَّرَ غيلٌ دونَهُ غِيلُ»[1]

مُسَرْبَلُونَ يَقيناً لا يماثلُهُ
«مِنْ نسجِ داودَ في الهَيْجا سَرابيلُ»[2]

نِعْمَ الهداةُ هُمُ في كلِّ مُظْلِمَةٍ
كأنَّ أوجهَهُمْ فيها قناديلُ

هيمٌ إلى وِرْدِها لا يَستَفِزُّهُمُ
«صافٍ بأَبْطحَ ، أضحى وهو مَشْمولُ»[3]

وكمْ بدا مِنهمُ بَدْرٌ بكلِّ وغىً
كأنَّ ضاحيَهُ بالشَّمسِ مهْلولُ

---

(١) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة المضمنة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

مِنْ خادرٍ منْ ليوثِ الأسْدِ مسْكنه ... ...

عِثَّر : بالعين المهملة وتشديد الثاء المثلثة ، اسم مكان . غيل : شجر كثير ملتف ، ثم نقل للأجمة وموضع الأسد .

(٢) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة وتمامه قوله في الشطر الأول :

شمُّ العرانين أبطال لبوسُهُم ... ...

سرابيل : جمع سربال وهو الدرع .

(٣) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

شجَّت بذي شَبَمٍ من ماءِ محنيةٍ ... ...

المشمول : هو الماء الذي ضربته ريح الشمال .

لا تُمسِكُ المـــالَ أَيْديهم إِذا سُئلوا
« إِلّا كما تُمْسِكُ المـــاءَ الغَرابيلُ»[١]

يُرْضيكَ تكبيرُهُمْ في كلِّ داجيـــةٍ
« وما لهمْ عن حياضِ المَوْتِ تَهْليلُ»[٢]

٢٦٨

وقالَ يَمْدَحُ المظفَّرَ[*] ، صاحبَ «حماةَ» :

صَحِبْتُ هَواكُمْ في أَمانٍ مِنَ العَذْلِ ... ومَنْ ذا الّذي يَلْحَى على مثلِكُمْ مِثْلي

وأَحْبَبْتُكمْ طِفْلاً ، وقد شابَ مَفْرِقي ... ولي بدواعي حُبِّكمْ لَهَجُ الطِّفْلِ

فإِنْ خُنْتُ ، أَو أَضْمَرْتُ يوماً جِنايةً ... فلا صَحِبَتْني نحو أَرضِكم رِجْلي

صفا لكمُ وُدِّي على القُرْبِ والنَّوى ... وصَحَّ لكمْ عَهْدي على الهَجْرِ والوَصْلِ

فلا قُرْبُكمْ ، لا زالَ عنّي يَمَلُّني ... ولا بُعْدُكُمْ ، حاشايَ مِنْ بَعْدِكُمْ ، يُسْلي

(*) المظفر الثاني ، تقيّ الدين محمود بن المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

ولا تمسَّك بالعهدِ الذي زَعَمَتْ ... ...

(٢) هذا هو الشطر الثاني من بيت القصيدة ، وتمامه قوله في الشطر الأول :

لا يقعُ الطعنُ إلا في نحـــورهمُ ... ...

تهليل : يقال هلَّل عن الشيء ، إذا تأخر عنه .

ولي في تَمنِّيكُم أفانينُ لَذَّةٍ ... إذا البَيْنُ أقصاني جَمعْتُ بها شَمْلي
تَفرَّدْتُمُ حُسناً، وأُفرِدتُ في الهوَى ... كما انفَرَدَ السُّلْطانُ بالبَأْسِ والبذْلِ
مَليكٌ تَعالَىٰ في المعالي، فأَصبحَتْ ... بهِ تُضرَبُ الأَمثالُ، وهو بلا مِثْلِ

ل 65 /ظ

أنافَ على الأملاكِ مِنْهُ مُشَيَّعٌ[١] ... بيَقْظَةِ ذِمْرٍ[٢] لا يَنامُ على ذَحْلِ[٣]
وأوفَى على فِتيانِهِمْ وكُهولِهِمْ ... فَتىً سُؤْدُدٍ لا يَخْلِطُ الجِدَّ بالهَزْلِ
لَديكَ، تَقيَّ الدِّينِ، تَمَّتْ مَآربي ... وجَمَّعَتِ الدُّنيا بشَمْلِ العُلا شَمْلي
وألَّفْتَ ما بَيْنَ الفَضائِلِ والعُلا ... وفرَّقْتَ ما بَيْنَ المَطيَّةِ والرَّحْلِ
وأولَيْتَني جَمّاً شُغِلْتُ بشُكْرِهِ ... فأصْبَحْتُ مِنْهُ في فَراغٍ وفي شُغْلِ
بَهَرْتَ جَميعَ العالَمِيْنَ مَناقِباً ... فأَحْسَنْتَ قَبْلَ القَولِ، يا حَسَنَ الفِعْلِ
ورُعْتَ مُلوكَ المُشرِكينَ بسَطْوَةٍ ... سَقَتْهُمْ سِمامَ الموتِ عَلّاً على نَهْلِ[٤]
فأكْرِمْ بيومٍ فيهِ زاحَفْتَ «آمِداً» ... فَكلَّ الوَرَىٰ عمّا تَحمَّلْتَ مِنْ كَلِّ
وقد مَطَرَتْ سُحْبُ العَجاجِ صَواعِقاً ... مِنَ الصَّخْرِ مُزْجاةً بوَبْلٍ مِنَ النَّبْلِ

---

(١) في الديوان (مشبع) والصواب ما أثبتناه . والمشيَّع : هو الشجاع لأن قلبه لايخذله ، فكأنه يُشيِّعُه ، أو كأنه يُشيَّع بغيره . ويقال رجل مشيَّع القلب .

(٢) الذِمْر : الشجاع أيضاً .

(٣) الذَحْل : الثأر .

(٤) سِمام : جمع سُمّ .

وصابَرْتَها يوماً أُمِـــدَّ بِلَيْلَةٍ ... تُكابِدُ فيهـا مـا يُمِرُّ لِما يُحْلي

إلى أَنْ حَباكَ النَّصْرَ حدٌّ مُهَنَّدٍ ... تَكَفَّلَ قِدْماً فتحَ ماشِئْتَ مِنْ قُفْلِ

بِهَوْلِ سُطاً يَسْلُبْنَ لُقْمانَ حِلْمِهِ ... ورُبَّتَما أذْهَبْنَ جهلَ أبي جَهْلِ

لَدَى « خَرْتَبِرْتٍ » والمنايا مُطيفَةٌ ... وجَأْشُكَ في كُثْرٍ ، وجيشُكَ في قِلٍّ

أَقَمْتَ قريرَ البـالِ في غَمَراتِهـا ... وحيداً ، وقد فَرَّ الشُّجاعُ مِنَ الظِّلِّ

فَرَوَّيْتَ مِنْ أوداجِهِمْ يابِسَ الثَّرَى ... وأَوْضَحْتَ مِنْ أسلابِهِمْ غامِضَ السُّبْلِ

وعُدْتَ ، وقد حُزْتَ الفَخارَ بِفِعْلَةٍ ... تُرَغِّبُ في الهَيْجاءِ مَنْ ظَنَّها تُسْلي

فيا قاطعَ الأَقرانِ ، دامتْ لَكَ العُلا ... قَرينَةَ مُلْكٍ غيرِ مُنْقَطِعِ الحَبْلِ

فأنتَ جوادٌ لا يُشَقُّ غبـــارُه ... سِوى نَجْلِكَ المنصورِ قُدِّسَ مِنْ نَجْلِ

تبـارَكَ مَنْ أنشاهُ شِبْهَكَ في العُلا

فبُورِكَ مِنْ فَرْعٍ ، وبُورِكْتَ مِنْ أَصْلِ[1]

٣٦٩

وقالَ ، يَمْدَحُ المَلِكَ الأَمْجَدَ (*) :

بعيدٌ ، لعَمْري ، بَيْنَ عَذْلِكَ والعَدْلِ ... أَمِثْلُكَ يَلْحَى في هَوَى مِثْلِها مِثْلي

(*) الملك الأمجد بهرام شاه بن المعز فرّوخ شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) في الأصل : (وبورك) ، والصواب ما أثبتناه .

ل 66/ و

أَعنِّي على وَجْدي، فإنْ كُنْتَ عاجزاً أعذْنيَ مِنْ لومٍ يُمِرُّ ولا يُحْلي

فقَدْ كُنْتُ ذا صَبْرٍ جَميلٍ فَشانَهُ جَمالٌ أَصارَ القَلْبَ وَقْفاً على جُمْلِ[1]

ظَلومٌ أعارَتْهـا المحاسِنُ قَدْرَهُ فَأَضحَتْ بِجُرْمِ البَعْضِ تَسْطو على الكلِّ

أَقامَ هَواها في تَنَقُّلِهـا، فَلا يُمَلُّ تَدانيها، ولا بُعْدُهـا يُسلي

نِزارِيَّةُ الأَجْدادِ مَنْزورَةُ الجَدَا تَعِزُّ، فَلا يَقْوى على عِزِّهـا ذُلِّي

حَمَتْ حُسْنَها عَيْنٌ لهـا مازِنِيَّةٌ فَلَمْ تَسْتَبِحْها مقْلَةٌ مِنْ بَني ذُهْلِ

بِهِجْرانِها يَسْطو على جِسْمِيَ الضَّنَى وبابْنِ مُعِزِّ الدِّينِ أَسْطو على المَحْلِ

بِذي كَرَمٍ يُعْطِي الفَتَى فَوْقَ سُؤْلِهِ إلى أَنْ يَظُنَّ الجِدَّ ضَرْباً منَ الهَزْلِ

يُسابِقُ لَفْظَي وَعْـدِهِ وسُؤالِهِ فَيُغْني ويَسْتَغْني عَنِ القَوْلِ بالفِعْلِ

كَريمُ السَّجايا مُطْلَقُ الحَمْدِ قَدْسَرَتْ لَهُ سيرَةٌ تُرْضي ذَوي العَقْلِ والنَّقْلِ

أَطـافَ سَرايا عَدْلِهِ ونَوالِهِ فَأَعْدى رَعاياهُ على الظُّلْمِ والبُخْلِ

أَنَخْتُ بِرَبعِ الأَمْجَـدِ المَلْكِ ناقَتي وأَغْمَدْتُ عَنْ حَرْبِ الزَّمانِ بِهِ نَصْلي

وإنِّي لمطْويُّ الضُّلوعِ على الجَوَى وإنْ كُنْتُ مُملوءَ اليَدَيْنِ مِنَ البَذْلِ

أَيَمْضي زَمانٌ لا أَفوزُ بِنَظْرَةٍ أَحوزُ بِها بُرْءَ الفُؤادِ مِنَ الخَبْلِ

فَإنْ لمْ أَكُنْ أَهْلاً لِذاكَ، فَفي الحَشا غَرامٌ يَرَى أَنْ لسْتُ لِلْعَيْشِ بالأَهْلِ

---

(١) جُمْل : اسم امرأة .

٢٧٠

وقالَ[١] يَمدحُ سَيْفَ الدِّينِ بنَ أَبي عَليٍّ[*] :

أَقْسَمْتُ : ماخَدُّهُ القاني مِنَ الخَجَلِ ... أَرَقُّ مِنْ دَمْعِيَ الجاري، ولا غَزَلي

وقَــدْ بَذَلْتُهما فيا بَذَلتُ لَهُ ... فاعْجَبْ لِوَجْنَتِهِ في الصَّوْنِ منْ قِبلي

غَزالُ إِنْسٍ غَضيضُ الطَّرْفِ ناظِرُهُ ... يَخلُو مِنَ الكُحْلِ مَملوءٌ مِنَ الكَحَلِ

غانٍ عَنِ الحَلْي تُغْنيهِ مَواقِعُــهُ ... ما أَكَملَ الحَلْي في الحالي مَعَ العَطَلِ!

لِلعُجْمِ والعُرْبِ فَخْرٌ مِنْ تَزَيُّنِـهِ ... بالجَفْنِ مِنْ يافِثٍ[٢] واللحْظِ مِنْ ثُعَلِ[٣]

لاهٍ عَدَلْتُ[٤] إليهِ بالهَوى ولَهُ ... جَوْرٌ عَليَّ بِقَـدٍّ مِنْـهُ مُعْتَدِلِ

وماسَ غُصْناً ، ولكنْ غَيْرَ مُهْتَصَرٍ ... واْهتَزَّ رُمحاً ، ولكنْ غَيْرَ مُعتَقَلِ

(★) سيف الدين ، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي ، وقد سبقت ترجمته ، ويلاحظ أن الشاعر هنا ممدوحه المذكور في هذه القصيدة بحلول شهر رجب .

(١) الفوات : ١ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ؛ والوافي : ١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١١ ؛ والذيل : ١١ ، ١٤ ، ١٥ ؛ والمنهل (مخطوط) : ١٠ ، ١١ ؛ والخزانة : ١٠ ، ١١ ؛ والغيث المسجم : ١٦ ، ١١ .

(٢) يافث : ابن نوح ، وهو أبو الترك .

(٣) ثُعَل : حيّ من أحياء العرب ، وبنو ثعل بن عمرو .

(٤) في الأصل : (عذلت) .

66/ ظ

لا تَسْأَلِ الرَّكْبَ عَنْهُ، فَهْوَ في خَلَدي — مُذْ بانَ عَنِّي، وعَنْ حالي فَلا تَسَلِ

أَشْتاقُهُ، فَإِذا لاقَيْتُهُ مَنَعَ الْـ — إِجلالُ مِنْهُ، فَلَمْ يَهْجُرْ، ولَمْ يَصِلِ

يا نَظْرَةً ما جَلَتْ لي حُسْنَ طَلْعَتِهِ — حتَّى انْقَضَتْ، وأَدامَتْني على وَجَلِ

عاتَبْتُ إِنْسانَ عَيْني في تَسَرُّعِهِ — فَقالَ لي: «خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلِ»[1]

ونازَعَتْ سُقْمِيَ الوَجْدِيَّ جِدَّتُهُ — فما نَزَعْتُ، ولم أَبْلَلْ، ولَمْ أُبَلِ

ما كَفَّ مِنْ نَزَقي خَيْطُ المَشيبِ، فَقَدْ — أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَليعٍ في الهَوى غَزِلِ

يا عاذِلي[2] لَيْسَ مِثْلي مَنْ تُخادِعُهُ[3] — ولَيْسَ مِثْلُكَ مَأْموناً على عَذَلي

ما دُمْتَ خِلْواً، فما تَنْفَكُّ[4] مُتَّهَماً — اعْشَقْ[5]، وقولُكَ مَقْبولٌ عَلَيَّ ولي

إِنْ تَدْعُني خالِياً مِنْ لَوْعَتي، فَلَقَدْ — أَجابَ دَمْعي، وما الدّاعي سِوى طَلَلِ

تَلْحى[6]، وأَيْنَ لِسانُ العَذْلِ مِنْ أُذُني؟ — لَيْسَ التَّفَرُّغُ لِلْعُذّالِ مِنْ شُغُلي

---

(١) في الديوان: «فقال: قد خلق...»، وقد أثبتناه رواية الوافي، والغيث المسجم. ١٦، ١١. يلاحظ أن الشاعر ضمن قوله تعالى: «خلق الإنسان من عجل، سأريكم آياتي فلا تستعجلون» (سورة الأنبياء ٢١/٣٨).

(٢) في الذيل والفوات: (فلا تنفك).

(٣) في الذيل والفوات: (فاعشق).

(٤) في الغيث المسجم: (أعاذلي).

(٥) في الغيث المسجم: (تفنده).

(٦) تلحى: تلوم.

ماأَكْذَبَ الخائِنَ المُبْدي نَصيحَتَهُ فيهِ ! وأَصْدَقَ قَولي في مَديحَ علي !

سَيْفُ الإلهِ الذي أنضَتْهُ(١) قدرَتهُ في المالِ والظُّلْمِ والأَعْناقِ والقُلَلِ(٢)

ما اهتَزَّ في الجُودِ مِنْ مِثْلٍ لَهُ وكَذا ما هَزَّ عِطْفيهِ بَيْنَ البيضِ والأَسَلِ

مُؤيِّدُ الرَّأْيِ والرَّاياتِ ، عادَتهُ تَقَنُّصُ النَّصْرِ بَيْنَ الرَّيْثِ والعَجَلِ

فما تَأَمَّلْتُ في قَوْلٍ ولا عَمَلٍ عَليًّا السَّيْفَ إلّا قُلْتُ : سَيْفُ علي

صانَ الثُّغورَ ومَنْ فيها ، فَمُنْيَتهمْ لو أُوطَؤوا طِرْفَه مِنهمْ على المُقَلِ

يَفْديكَ كلُّ حَسيرٍ عَنْ مَداكَ ، وهُمْ كلُّ البَرِيَّةِ : مَنْ حافٍ ومُنْتَعِلِ

لَكَ الرَّوائِعُ لَمْ تُسْبَقْ بِشِبْهِهِما لَوْلا سَمِيُّكَ في صِفِّينَ والجَمَلِ

أَمَّا الفِرَنْجُ فَقَدْ فَرَّقْتَ شَمْلَهُمُ بِجِدٍّ مُعْتَزِمٍ بالحَزْمِ مُشْتَمِلِ

وجَحْفَلٍ شابَ مِنهمْ طِفْلُهُمْ فَرَقاً وعادَ فيهِ الضُحا فالنَّقْعُ(٣) كالطَّفَلِ(٤)

فَكَمْ كَشَفْتَ خَفايا مِنْ مَكايدِهِمْ رَفَلْتَ(٥) مِنْ أَجْرِه والشُّكْرِ في حُلَلِ(٦) !

---

(١) أنضته : أي سلته .

(٢) القُلل : ج قُلَّة ، وهي أعلى الرأس ، وتجمع أيضاً على قِلال .

(٣) النقع : الغبار .

(٤) الطَّفَل : دنو الشمس للغروب ، وطفــــل العشي : آخره عند غروب الشمس واصفرارهـا .

(٥) رفلت : رَفَل وأرفل أي جر ذيله وتبختر ، أو خطر بيده .

(٦) حُلل : جمع حُلَّة وهي إزار ورداء بُرْدٌ أو غيره ، ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة .

وكم أحلْتَ إلى هُونٍ إباءَهُمُ ! اللهُ أكبرُ ! لولا أنتَ لم يَحُلِ !

وكم خميسٍ بهِ لم تُبقِ مِنْ أحدٍ منهمْ سليماً مِنَ البأْساءِ والغِيَلِ[1]!

قتْلاً وأسراً وصَرْفاً رَدَّ سائلَهمْ في قَبْضةِ اليُتْمِ والتَّأْثيمِ والثُّكلِ

يَعِزُّ جيشُكَ والهيْجاءُ جائشةٌ رُعْباً ، وتأْمَنُ والألبابُ في وَهَلِ[2]

أنتَ الفتَى لم يَرُعْكَ الغَيُّ عن رَشَدٍ ولا شَرَيْتَ هُمومَ المُلْكِ بالجَدَلِ

67 / و ولا اسْتَفزَّتْكَ فيمَنْ زَلَّ بادرةٌ إلّا رَجَعْتَ إلى إخلاقِكَ الأُوَلِ

يُنْميكَ مِنْ هَذَبانٍ كلُّ مُضْطَلِعٍ بالحَرْبِ لا وَرَعٍ[3] فيها ولا وَكَلِ[4]

زادتْ على نَزَواتِ الشَّيبِ جُرْأتُهُ وثقَّفَ الدَّهرُ منهُ غيرَ مُكْتَهِلِ

تَلوذُ مِنْكَ أمانينا بذي كَرَمٍ على مَعاليهِ بَعْدَ اللهِ مُتَّكَلي

مَلْكٌ طَلَعْتُ ثَنايا المَجْدِ آمِلَهُ فكانَ بالرِّفْدِ نَزّالاً على أمَلي

أحلَّ رَبْعي بُدوراً[5] رَحَّلتْ عَدَمي[6] وأمَّنَتْني مِنْ حِلٍّ ومُرْتَحَلِ

---

(١) الغيل : جمع غِيلة بالكسر وهي الخديعة والاغتيال أو القتل خدعة .

(٢) وَهَل : فزع .

(٣) وَرَع : جبان ، وقدسمي بذلك لإحجامه ونكوصه ، وهي في الأصل : (لاوزع) والصحيح ما أثبتناه .

(٤) وَكَل : الذي يكل أمره إلى غيره ، أو هو العاجز الذي يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه .

(٥) بدور : جمع بَدْرة كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار .

(٦) عَدَمي : فقري .

مـا زالَ يُزجي أياديهِ إليَّ إلى | أنْ صيَّرَ العَذْلَ في الإحسانِ مِنْ عَملي
واحتَلْتُ في خَدْعِهِ بالزُّهدِ أُظهِرُهُ | فمـا تَخلَّصْتُ مِنْ جَدواهُ بالحِيَلِ
أغْنَىٰ فأفقَرَني مِنْ شُكْرِ نائلِهِ | وكُنْتُ أحسَبُ أنِّي بالثَّناءِ ملي
يا ناصرَ المِلَّةِ المَهْديِّ ناصرُهـــا | ومَنْ أتاهُ الثَّنا مِنْ سائرِ المِلَلِ
تَهَنَّ مِنْ رَجبٍ شَهْراً قَرَنْتَ لهُ | فَرْضَ الجهادِ بنَفْلِ البِرِّ والنُّحَلِ[1]
ودُمْ لِخَيْرِ مَليكٍ خيرِ مُنْتَصِرٍ | في دَوْلةٍ هي حقاً خِيْرَةُ الدُّوَلِ
واسْمَعْ بَديعَ نَظيمٍ لا يُساجِلُهُ[2] | جَزْلٌ مِنَ المَدْحِ في سَهْلٍ مِنَ الغَزَلِ
شِعْرٌ أتَيْتُ على أقْصَى تَناسبِـــهِ | حتى أتَيْتُ بِهِ والشَّمسُ في الحَمَلِ[3]

٢٧١

وقالَ يَمدحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ[*] :

تَناهَىٰ إلَيكَ المُلْكُ ، واشْتَدَّ كاهِلُهْ | وحَلَّ بِكَ الرَّاجي ، فحُلَّتْ رَواحِلُهْ
[تَرَحَّلْتَ عن مِصْرٍ ، فأمْحَلَ رَبْعُها | ولَمّا حَلَلْتَ الشّامَ رَوَّضَ ماحِلُهْ

(★) المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .
(١) النُّحل : جمع نُحلة ونِحلة : الهبة والعطية .
(٢) يساجله : باراه وفاخره وعارضه في جري أو قول شعر .
(٣) الحَمَل : برج في السماء من البروج الربيعية .
(٤) المختصر : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

وعَزّتْ « حَماةُ » في حِمىً أَنتَ غابُهُ بِصَوْلَتِـه تُحْمَى كُليبٌ ووائلُهْ

وقـد طالما ظلَّتْ بِتَدْبيرِ أَهْوَجٍ يَخيبُ مُرَجِّيهِ، ويُحرَمُ سائلُهْ][1]

أَلا هكذا فلْيَمْنَعِ المَجْدَ مـانعٌ أَلا هكذا فلْيَبْذلِ الرِّفْدَ باذلُهْ

سَبقْتَ إلى وِرْدِ العُلا كلَّ سابقٍ فما نالَ إلّا فَضْلَ ما أنْتَ نائلُهْ

وعَدَّلتَ بالعَدْلِ الزَّمانَ، وزِدْتَه سَناً فاسْتَوَتْ أَسْحارُهُ وأَصائلُهْ

إذا فاعلٌ رامَ ارْتِفاعاً بِفِعْلِـهِ فَفِعْلُكَ مَرْفوعٌ بأَنَّكَ فاعلُهْ

وذي أَمَلٍ أَعْطَيْتَه فوقَ سُؤْلِـهِ فغاضَتْ أَمانيهِ، وفاضَتْ مناهلُهْ

وغاوٍ سَنَنْتَ العَدْلَ بالسَّيفِ رادعاً لَهُ، فاهْتَدَتْ لمّا أَضاءتْ مقاتلُهْ

أَبرُّ تقيُّ الدِّينِ جُوداً[2] وسُؤْدُداً فَعمَّتْ[3] عَطاياهُ، وتَمَّتْ فضائلُهْ

وفاقَ على الأَمْلاكِ مَعْنًى وصُورَةً فراقَ مُحَيّـاهُ، ورَقَّتْ شَمائلُهْ

فمـا لِبَني أَيُّوبَ مَلْكٌ مُساجِلٌ ولا في بَني أَيُّوبَ مَلْكٌ يُساجِلُهْ

فكَمْ فضَّ ضِيقٌ حينَ زارَتْ هِباتُهُ! وضاقَ فَضاءٌ حينَ سارَتْ جَحافلُهْ!

ل 67 / ظ

وصادٍ تولّاهُ فحالَ أُوامُـهُ[4] وأَصْيَدَ عاداهُ فآمَتْ[5] حلائلُهْ[6]

(١) استدركنا الأبيات الثلاثة من رواية المختصر .

(٢) في الأصل (جوددا) والصواب حذف إحدى الدالين .

(٣) في الأصل (فتمت) والصواب ما أثبتناه .

(٤) أوامه : عطشه أو غلته .

(٥) آمت : يقال آمت المرأة من زوجها فقدته .

(٦) حلائله : جمع حليلة وهي الزوج .

مَليكٌ لِشَمْلِ المَكْرُماتِ مُجَمِّعٌ فلا جَمْعَ إلّا وهْوَ بالْبَذْلِ شامِلُهْ
وبَحْرٌ طويلُ الباعِ مُنْسَرِحُ النَّدَى بَسيطُ المعالي وافرُ الفَضْلِ كامِلُهْ
يُـــذَلُّ مُعاديهِ ، ويَعْتزُّ جارُهُ وتُرْجَى عطاياهُ ، وتُخْشَى[1] غوائلُهْ
دَعاهُ إلى حُبٍّ المواضي مَضاؤهُ وهل يَصْحَبُ الإنسانُ مَنْ لا يُشاكِلُهْ ؟
كَريمٌ يَقيهِ الذَّمَّ بُرْدُ محامـــدٍ وشاهَ مُواليــــهِ كما شاءَ نائلُهْ
فيَخْلَعُ مـا يُصْبيكَ مِنْ حَبَراتِهِ ويَلْبَسُ ممَّـــا حَبَّرَتْهُ[2] أفاضلُهْ
تَعَدَّى نَـداهُ الجَمُّ أقْصَى مآربي فأفْضَلْتُ ممَّـا أمْطَرَتْني[3] فواضلُهْ
وقَرَّ قَراري في جِنانِ جَنانِـــهِ وقد قُلْقِلَتْ بابْنِ الحُسَينِ قلاقِلُهْ
وصانَ قَريضي مِنْهُ أشْرَفُ ضَيْغَمٍ[4] فلم أبْتَـــذِلْهُ في غزالٍ أغازِلُهْ

٢٧٢

وقالَ[5] أيضاً :

لَنا مَلِكٌ واجِـــدٌ ما اشْتَهَى ولكـنَّهُ لم يَجِـــدْ مِثْلَهُ[6]

(١) غوائله : دواهيه .
(٢) في الأصل : (خبرته) ، ولعله من تصحيف الناسخ .
(٣) فواضله : أياديه الجسيمة وعطاياه .
(٤) الضيغم : الأسد .
(٥) الغيث المسجم : ١ ، ٦ .
(٦) في الديوان : (نجد) ، وقد أثبتنا رواية الغيث المسجم .

لَهُ الخُلُقُ العلويُّ الّذي أبو جَهْلٍ يَنْسَى بِهِ جَهْلَهُ

تَباكى عِداهُ وأموالُهُ وضاحكَ أَفْضالُهُ فَضْلَهُ

كَمالٌ لَهُ يُطْرِقُ الأَلمعيّ[1] وجُودٌ بِهِ يَنطِقُ الأَبْلَهُ

فَمِيماتُ أَوْصافِهِ أَرْبَعٌ[2] قَرَنْتُ بِمَعْدودِها شَكْلَهُ

مَلاذي بِهِ ، ومُثُولي لَدَيْهِ ومالي مِنْهُ[3] ، ومَدْحي لَهُ

٢٧٣

وقالَ يَمْدَحُ الأَمْجَدَ(*) :

حُشاشَةٌ[4] بالمُنَى أُعَلِّلُها ومُقْلَةٌ بالرُّقادِ أَمْطُلُها[5]

وعَبْرَةٌ لِلْغَرامِ مُوقَدَةٌ يَنْسَخُ شَرْعَ السُّلُوِّ مُرْسِلُها

وآيَةٌ للصُّدودِ بَيِّنَةٌ يُعْجِزُني في الرِّضا تَأَوُّلُها

(*) هو الملك الأمجد ، مجد الدين بهرام شاه ، مالك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الألمعي : الألمعي والألمع واليلمعي وهو الذكي المتوقد النابه .

(٢) الميات الأربع هي ميات الكلمات : (ملاذ ، ومثول ، ومال ، ومدح) الموجودة في بيت الختام التالي .

(٣) في الغيث المسجم : (ميلي إليه) .

(٤) حُشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

(٥) أمطلها : أسوّفها .

وقَتْلُ نَفْسٍ في الحُبِّ زاكيةٍ لو غُضَّ طَرْفي لم يَبْدُ مَقْتَلُها
وسُنَّحٌ مِنْ مَهَا بني أَسَدٍ صادَ فُؤادي باللَّحْظِ مُطْفِلُها
غَزالَةٌ في البَهاءِ باهرةٌ غزالةٌ في السَّماءِ مَنْزِلُها
جوّالةُ الوُشْحِ كلّما خَطَرَتْ[1] وشَّحَني بالضَّنَى مُخَلْخَلُها[2] ل 68 / و
لا اليأسُ مِنْ وِصالِها يُريحُ،ولا حالةُ بُعْدٍ عَنِّي تُحَوِّلُها
وكُنْتُ مُسْتَكْثِراً جِنايَتَها بالهَجْرِ حتى اسْتَقَلَّ مَحْمِلُها
إلامَ تُعْطي الهَوَى نُهاكَ ؟ وما أَنْتَ ، وهذي الرُّسومُ تَسْأَلُها ؟
قد أَعْذَرَ الشَّيْبُ في عِذارِكَ فانْـــهَ النَّفْسَ عن شَهْوَةٍ تُسَوِّلُها
ولا يَهُوْلَنْكَ صَرْفُ هِمَّتِها عن مَطْمَعٍ ، فَهِيَ حيثُ تَجْعَلُها
وارْضَ لَها بالكَفافِ مُقْتَنِعاً إنَّ قَنوعَ الرِّجالِ أَرْجَلُها
واسلُكْ بها سُبْلَ كلِّ مَكْرُمَةٍ واعْلَمْ بأَنَّ العَفافَ أَمْثَلُها
واعْرِفْ لَدَى المَجْدِ حقَّ مَرْتَبَةٍ أَجْهَلَ ما كنتَ حينَ تَجْهَلُها
فإنَّ خيرَ الملوكِ أَعرفُها بأَنَّ بهرامَ شاهَ أَفضلُها

(١) الوشح : أي الوشُح ، سكنت الشين للضرورة الشعرية ، وهي جمع وشاح ، من حلي النساء ، وهو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح به المرأة وتشده بين عاتقها وكشحها ، يقال : هي غرثى الوشاح أي هيفاء .

(٢) الخَلخَل والخَلْخُل والخلخال : حلية تلبس في الرجل،والمخلخل موضعه من الساق.

أَكْرَمُها عُنصراً ، وأَحلمُها أَعْظَمُها قُدْرَةً ، وأَعْدَلُها

مُتَيَّمٌ بالجميــــلِ يَغرِسُهُ ومُولَعٌ بالعُــــلا يُؤَثِّلُها[1]

وراغبٌ في الثَّناءِ يُحرِزُهُ وزاهدٌ في البُدورِ[2] يَبْذُلُها

المَلِكُ الأَمجدُ الذي يدُهُ عِزُّ السَّلاطينِ مَنْ يُقَبِّلُها

يَمْلأُ خَطِّيُّها الصُّدورَ كما يُنْصِلُ[3] صَبْغَ الرُّؤوسِ مُنْصُلُها[4]

إنْ طالَ مَلْكٌ بجحْفَلٍ ، فبها على الأَعادي يَطولُ جَحْفَلُها

فيا بْنَ فُرُّخْشَهٍ ، لقد غَنِيَتْ نَفْسُكَ عن واصفٍ يُجمِّلُها

حَسْبُكَ أَنَّ العصورَ ذاهِبُها يَفضلُهُ ، مذ أَتيْتَ ، مُقبِلُها

عَمَمْتَ أَهلَ الدُّنيا بعارفةٍ يَشْمَلُهمْ عُرفُها ، ويَشْمَلُها

لم تُكمِلِ البِرَّ بالرَّعيَّةِ والرَّ... أْفَةِ إلّا وأَنتَ أَكْمَلُها

عفوُكَ عنها فَضْلٌ وسطوُكَ عن فاضلِ عَدْلٍ بهِ تُعَدِّلُها

حقَّقْتَ آمالَهـــا فَخَوَّلَكَ الــــرَّحْمنُ أَضعافَ ما تُخوِّلُها

---

(١) يؤثلها : يبنيها ويقيمها .

(٢) البدور : جمع بَدْرَة ، وهـــو كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار .

(٣) ينصل : أنصله أزاله عنه .

(٤) مُنصُل : السيف .

٢٧٤

وقالَ يَمدَحُهُ(*) أيضاً :

جَسيمٌ هَوايَ لِلْخَصْرِ النَّحيلِ ... وبُرْءُ ضَنايَ في الجفْنِ العَليلِ
وسَيْلُ الدَّمـعِ في خَـدَّيَّ سِرْبي ... لِرَعْي شقـائقِ الخَـدِّ(١) الأَسيلِ
وليستْ زُرْقُ أطرافِ العوالي ... بأَقتلَ لي مِنَ اللَّحْظِ(٢) الكَحيلِ
وطَودُ حِجـايَ لم أَحسَبْـهُ فيهـا ... هَوَىً لولا هَوَىٰ ذاتِ(٣) الحُجولِ
وما أَبْدَتْه مِنْ كَفٍّ خضيبٍ ... أَمـدَّ خِضابَ شَيْبي بالنُّصولِ
ولَمَّـا جَـدَّ بي وَجْـدي بِسَلْمَىٰ ... تَركْتُ العَـذْلَ يَلْعَبُ بالعَذولِ
فيـا لكِ مِنْ مَهـاةٍ أَرْهَقَتْني ... بِقَطْعِ حِبـالِ وَصْلي في الحُبولِ !
بَرَتْ جِسْمي ، فسارَ القَلْبُ عنهُ ... وكيفَ يُقيمُ في رَسْمٍ مُحيلِ ؟

ل 68/ ظ

(★) ممدوحه السابق الملك الأمجد بهرام شاه ، صاحب بعلبك .

(١) الأسيل : من الخدود الأسيل ، وهو السهل اللين الدقيق المستوي والمسنون اللطيف الدقيق الأنف .

(٢) الكحيل : يقال كحل العين فهي مكحولة وكحيل وكحيلة ، والكَحَل محركة سواد يعلو منابت أشفار الأجفان خلقة .

(٣) الحجول : جمع حِجْل وحَجْل ، وهي الخلاخيل ، وذات الحجول كناية عن المرأة التي يشبب بها الشاعر .

لَها مِن طَيِّءٍ قَولٌ كَريمٌ تُناقِضُهُ بِفِعْلٍ مِنْ سَلولِ
رَأَيتُكِ دَوحةً أَبدَعتِ نَوْراً فهل لي ، في ظِلالِكَ ، مِنْ مقيلِ ؟
وأَمّا فِتنَتي فيها حَلالي جَناكِ ، وعن عُهودي لم تَحولي
ولم تَحْلُلْ بساحتِنا وُشاةٌ يَرَوْنَ الفَضْلَ إفراطَ الفُضولِ
أُفيضَ مِنَ القَبيحِ لَهُمْ علينا كما لابْنِ المُعِزِّ[1] مِنَ الجَميلِ
مَليكٌ عَمَّ نائلُهُ ، فَخَصَّتْ عُلاهُ دَقائقُ المَدحِ الجَليلِ
وأَيقَنَ أَنَّ شُكْرَ المَرءِ يَبقى ويَفنَى النّاسُ جيلاً بَعْدَ جيلِ
فَأَلغَى في المكارِمِ كُلَّ عَذْلٍ وأَعمَلَ مَضرِبَ السَّيفِ الصَّقيلِ
فَلا خُبْرُ الخَبيرِ بِمُسْتَكِفٍّ غَوائِلَهُ ، ولا جَهْلُ الجَهولِ
فَتىً خَلَفَ الخَليلَ قِرىً ونُسْكاً وأَرْبَى في الذَّكاءِ على الخَليلِ[2]
وأَبدَعَ كُلَّ قافِيَةٍ أَغارَتْ عقائِلُها[3] على سَرْحِ العُقولِ
وحَلَّ جَمالُها مِنْ كُلِّ قَلْبٍ كما حَلَّتْ بُثَيْنَةُ مِنْ جَميلِ

---

(١) ابن المعز : المعز هو والد الممدوح عز الدين فرّوخ شاه داود الأول (المتوفى سنة ٥٧٨ هـ) .

(٢) في هامش مخطوطة الديوان تعليق على ما في هذا البيت من إغراق ومبالغة: (ما هذا ويحك) ولعله من تعليق الناسخ ، إذ إنه من ذات الخط .

(٣) عقائلها : جمع عقيلة ، وهي في الأصل المرأة الكريمة النفيسة ثم استعمل في الكريم من كل شيء من الذوات والمعاني ، ومنه عقائل الكلام أي درره ونفائسه .

كَفاهــا لَفظُها نَسَباً إليْهِ وعِتْقُ الخَيْلِ يُعرَفُ بالصَّهيلِ

عَجبْتُ لِصَرْفِ دَهرٍ رامَ صَرْفي عَنِ العَلْياءِ والمَجْدِ الأثيلِ[1]

وإنّي صارِمٌ ، حَدّايَ عَزْمي ومَدْحُ أغرَّ مَمْدوحٍ جَليلِ

إلى بَهْرامَ شاهَ مذيلِ فَضْلٍ على الأيّامِ قُدِّسَ مِنْ مُذيلِ

فأنْزَلَنا السُّرى مِنْهُ بِسَمْحٍ مُذالِ النُّزْلِ مَحْمِيِّ النَّزيلِ

ظَنَنّا رَبْعَهُ الفِرْدَوْسَ حَتّى طَمِعْنا في الخُلودِ المُستَحيلِ

فمالي لا أُخلِّدُ فيهِ مَدْحاً يُبيدُ[2] عِداهُ في الحُزْنِ الوَبيلِ[3]

وهَلْ لا أستَقِلُّ كثيرَ شُكْري لِمَنْ يُعطي الكَثيرَ مِنَ القَليلِ ؟

أمَجْدَ الدِّينِ ، دونَكَ كلَّ وَصْفٍ فما وَصْفي؟ وجودُكَ فَوْقَ سولي[4] ل 69 و/

ودُمْتَ قَرينَ إقْبالٍ ، ودامَ الثَّناءُ عَلَيْكَ يُقْرَنُ بالقُبولِ

٢٧٥

وقالَ[5] :

عَنّي مَلامَكَ ، قَدْ أكْثَرْتَ تَعْذالي لَيْسَتْ شِعابُ الهَوى مِنْ طُرْقِ أمثالي[6]

(١) الأثيل : يقال مجد مؤثل وأثيل أي قديم مؤصل ، والأثال هو المجد .

(٢) يبير : يُهلك .

(٣) الوبيل : الشديد .

(٤) سولي : أي سؤلي .

(٥) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٦) سكنت راء الطرق للضرورة الشعرية .

يا رَبَّةَ الخالِ كُفِّي عَنْ عِتابِ فَتىً جَمٍّ الوَفاءِ كَريمِ العَمِّ والخالِ
لَمْ يَثْنِهِ عَنْكِ ثانٍ[1] مِنْ حَديثِ هَوىً ولا مُغاداةُ[2] غِزْلانٍ بِأغْزالِ
لكِنْ أثارَ زِنادُ الشَّيْبِ مَفْرِقَهُ بِشُغْلَةٍ بَصَّرَتْهُ يَقْظَةَ السَّالي
واصَلْنَهُ قاطِعاتٍ عَنْ وِصالِكُمُ فاعْتاضَ[3] عَنْ شُغْلِهِ فيكُمْ بأشْغالِ
يُقِرُّ[4] ما جاشَ[5] مِنْ غَدْرٍ ومِنْ عَذَلٍ[6]
وما تَعارَضَ[7] مِنْ قيلٍ ومِنْ قالِ
ولَوْ أَنِسْتُ إلى لَهْوٍ لَنَفَّرَني ما نَفَّرَ الغيدَ مِنْ شَيْبٍ وإقْلالِ
خُذي، إلَيْكِ ابْنَةَ البَكْريِّ مَعْذِرَتي أوْدى شَبابي، وحالَتْ بَعْدَكُمْ حالي
لولا ثَلاثونَ تَحْدوها ثَمانِيَةٌ لَكانَ مِثْلُكِ مِنْ مِثْلي على بالِ
أَصَبْوَةٌ بَعْدَ أنْ أَضْرَبْتُ عَنْ طَرَبي وقارَعَ المَوْتُ أضْرابي[8] وأشْكالي

(١) في الذيل : (عنكم بان) .
(٢) في الأصل : (معاذاه) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .
(٣) في الذيل : (واعتاض) .
(٤) في الذيل : (فقر) .
(٥) في الأصل : (حاس) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .
(٦) في الأصل : (علل) ، وقد لوحظ أن الناسخ أصلح رسم اللام فجعلها دالاً ، وقد أثبتنا رواية الذيل .
(٧) في الذيل : (معارض) .
(٨) أضراب : جمع ضَرْب ، وهو المِثْل .

[طولُ التَّفَكُّرِ في التَّقْصيرِ أَقْعَدَني عَنْكُمْ وسَكَّنَ بالإِقْصارِ بلبالي][1]
فالآنَ فلْيَعْتَزِلْ هَزْلي[2] مُصاحَبَتي ولْيُكْثِرِ الجِدُّ في إِصْلاحِ أَعْمالي

٢٧٦

وقالَ في الزُّهْدِيّاتِ :

أَفِقْ مِنْ سِنَةِ الغَفْلَهْ وصُنْ نَفْسَكَ ، يا أَبْلَهْ !
وصُنْ وَجْهَكَ بالوَحْدَ ةِ والقُنْعِ عَنِ البِذْلَهْ
فإِنَّ الذُّلَّ في الخُلْطَـــةِ والعِزَّةَ في العُزْلَـــهْ
تَكَثَّرْ بالتُّقى ، وٱغْنَ عَنِ الكَثْرَةِ بالقِـــلَّهْ
إِذا صَحَّ لَكَ القوتُ فَمـــا تَصْنَعُ بالفَضْلَهْ ؟
ولا تَفْرَحْ ، ولا تَحْزَنْ مِنَ الشَّهْدَةِ[3] والنَّحْلَهْ
فَمـــا يُوْسَى على شَيْءٍ يُرى مُنْقَطِعَ الوَصْلَهْ
تَنَقَّـــلْ عَنْ خَطاياكَ فقَـــدْ قارَبْتَ النُّقْلَهْ
فَهَيِّئْ زادَ تَقْـواكَ فَقَـدْ هُيِّئَتِ الرِّحْـلَهْ

ل/69 ظ

---

(١) استدركنا هذاالبيت من رواية الذيل .
(٢) في الديوان : (هزل) ، وقد أثبتنا رواية الذيل .
(٣) الشُّهدة : الشَّهْد والشُّهْد ، وهو العسل ما دام لم يُعصر من شمعه ، واحدته شَهْدة وشُهدة ويكسَّر جمعاً على شِهاد .

كأنّي بِكَ قَدْ أُفرِدْ تَ عَنْ خِلّك والخُلَّهْ
وقَدْ فارَقَتِ الرُّوحُ وما فُرْقَتُها سَهْلَهْ
وقَدْ أُنْشِرْتَ للْبَعْثِ على حالَتِكَ الرَّذْلَهْ
ونُوقِشْتَ على الخَطْرَةِ والقَوْلَةِ والفَعْلَهْ
وإنْ سُومِحْتَ في التَّفْصِيلِ ، عُذِّبْتَ على الجُمْلَهْ
فَقُمْ ، وانْتَهِزِ الفُرْصَةَ ، إنْ ساعَدَتِ المُهْلَهْ

٢٧٧

وقالَ أيضاً :

تَذَكَّرِ المَوْتَ وأهْوالَهُ يَنْسَ بِهِ قَلْبُكَ آمالَهُ
وخُذْ كَفافَ القوتِ ، واقْنَعْ بِهِ واتْرُكْ لِذي العِزَّةِ أمْوالَهُ
وإنْ تَقُلْ قَوْلَ جَهولٍ ، فَقُلْ : سَيَذْهَبُ القَوْلُ ومَنْ قالَهُ

٢٧٨

وقالَ [مِنْ انْسجاماتِهِ الغَرامِيّةِ][1] :

خَبِّروهُ تَفْصيلَ حالي جُمْلَهْ فَعَساهُ يَرِقُّ لي ، ولَعَلَّهْ

---

(١) الخزانة : ١ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ . أورد ابن حجة القصيدة المذكورة في الطائفة التي اختارها من «انسجاماته الغرامية الموعود بإيرادها» (الخزانة ص ٢٤٩ ، ٢٥٠).

رَشاً تحـذَرُ الأُسودُ سُطاهُ ... وهِـلالٌ مِنْـهُ ضِياءُ الأَهِلَّهْ

فهوَ رَوْضُ الرَّبيعِ في كلِّ وَقْتٍ ... ومُرادُ النُّفوسِ مِنْ كلِّ مِلَّهْ

كم تَنَحْنَحتُ إِذْ تَبَدَّى حذاراً[١] ... مِنْ رَقيبي ، وكم تَكَلَّفْتُ سَعْلَهْ !!

ليس لي عن هُدَى هواهُ ضَلالٌ ... أَكْثَرَ اللَّومَ عاذلي ، أَو أَقلَّهْ

رُكِّبَتْ في جِبلَّتي نَشْوةُ العِشْـ ... ـقِ ، وصَعْبٌ تَغْييرُ ما في الجِبِلَّهْ[٢]

فتَنَتْني بَقْلةُ[٣] العِذارِ التي قد ... تَرَكَتْني بصارمِ اللَّحظِ بَقْلَهْ

ولِسِحْرِ العُيونِ كَيْدٌ لطيفٌ ... يُنْشِبُ الحَرْبَ بينَ قَلْبٍ ومُقْلَهْ

وخِصالُ المِلاحِ في الحُبِّ شَتَّى ... ولِحِبِّي تَكَمَّلَتْ كلُّ خَصْلَهْ

يا مَليكاً ، لهُ تَلَوُّنُ شأنٍ ... صِرْتُ منْهُ بَيْنَ البَرِيَّةِ مُثْلَهْ

كَمْ ، بِوَصْلٍ ، أَحيَيْتَ أَلفَ حياةٍ ... وبِصَدٍّ ، قَتَلْتَني أَلفَ قَتْلَهْ !!

سادتي ، عاوِدُوا رِضاكُمْ ، وعُودُوا ... عن جَفاكُمْ ، فما بَقِيْ[٤] فيَّ فَضْلَهْ

ذُبْتُ شَوْقاً ، فَعالِجوني بِقُرْبٍ ... مِتُّ عِشْقاً ، فحَنِّطُوني بقُبْلَهْ

(١) حذاراً : استخدم الشاعر حذاراً لضرورة الشعر وصوابها حذراً .

(٢) الجبلّة : الخلقة والطبيعة .

(٣) بقلة : يقال بقل الوجه أي خرج شعره .

(٤) بقي : سكّنت الياء لضرورة الشعر ، أو لعل ذلك جرياً على لغات بعض العرب كما هو معروف في مثل هذه الحال .

وانْجنيالِي مِنْ وَرْدةِ الرَّاح روحي[1] فهو حكمٌ قامتْ عليهِ الأَدِلَّهْ

واشْغَلاني[2] عن لائمٍ ما أتاني بِرَشادٍ أَتتْـــهُ آفــةُ غَفلَهْ

قلتُ : باللهِ[3] ، خلِّني ، فتمادَى وقَليلٌ مَنْ يَتْرُكُ الشَّرَّ لِلهْ !

٢٧٩

وقالَ في الزُّهْدِ :

مُلْكُ القَناعـةِ عِزٌّ يُذْهِبُ الذِّلَّهْ فَمَنْ حوَى كَنْزَهُ ، لم يُؤْتَ مِنْ قِلَّهْ

ل 70 / و

تَبّاً لِذي طَمَعٍ مُستَعْبِدٍ ومُنَىً لا تَستقِرُّ على رِيٍّ ولا غُلَّهْ

يَسومُ إِبْلاعَـه مِنْ ريقِـهِ بَلَلاً وليس يُروَى ، ولو أَبْلَعْتَهُ «دِجْلَهْ»

فاقْنَعْ غَليلَكَ مِنْ نَهْلٍ بِلا عَلَلٍ واقْنَعْ إِذا أَكْلَةٌ أَغْنَتْكَ عن أَكْلَهْ

وأَوْطِنِ الزُّهْدَ،واهدَأْفي الخُمولِ بِهِ إذا رأَيتَ فَسادَ القَلْبِ في النُّقْلَهْ

وإِنْ ذُلِلْتَ على حالٍ ذَلَلْتَ بِهـــا حتى نَجَوْتَ ، فيا طُوبَى لها ذِلَّهْ !

فرُبَّما دَخَلَ المُعتزُّ في شَرَفٍ شِبْراً ، فأَخْرَجَهُ مِيلاً عن المِلَّهْ

وإِنْ تَخيَّلْتَ ضَيْماً في رَفاهِيـــةٍ فارْعَ المَدارَ ، وخلِّ الحِمصَ والحِلَّهْ

(١) في الديوان : (ورحي) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) في الخزانة : (واشغلوني) .

(٣) في الديوان : (لله) ، وقد أثبتنا رواية الخزانة .

قالُوا : نَراكَ اعْتَزَلْتَ النّاسَ ، قُلْتُ لَهُمْ :

كُفُّوا ، فإنّي رَأَيتُ العِزَّ في العُزْلَهْ

ومُذ جَبُنْتُ عن التَّجريدِ مِلْتُ إلى ... حالٍ توسَّطُ بَيْنَ الشُّغْلِ والعُطْلَهْ

شَكْوايَ مِنْ جانبِ التَّفصيلِ مُتعِبَةٌ ... لكنَّها جُمْلَةٌ تأْتيكَ مِنْ جُمْلَهْ

فاعْجَبْ لحالٍ أَحلَّتْني بِمَضيَعَةٍ ! ... عَيْشي بها عِيشةُ السُّنّيِّ في «الحَلَّهْ» [1]

بَلَوْتُ أَخْلاقَ إخواني ، فكَمْ ثِقَةٍ ... مِنّي بِهِمْ ، ثُمّ كَمْ ، مِنْ بعدِها ، خَجْلَهْ !!

وكُنْتُ كالشُّعلَةِ الحَمْراءِ مِنْ مَرَحي ... فصيَّرَتْني رَماداً هـــذِهِ الشُّعلَهْ

شَيْبٌ طلائعُ تَرْحالي طوالِعُــــهُ ... ونَزْلَةٌ تَعتَري في إثْرِها نَزْلَهْ

ما دامَ في قَلَمي آثارُ مَدَّتِــــهِ [2] ... فالرَّأْيُ أَنْ أَتَلافى هـذه المُهْلَهْ

وإنْ رَجَعْتُ إلى حِلْمي وتَبْصِرتي ... فكَم تَقَدَّمَ لي مِنْ قَبْلِها جَهْلَهْ !

وأَسْأَلُ اللهَ توفيقاً لمعرِفَــــةٍ ... تَبْدو فتوقِظُني مِنْ هـذه الغَفْلَهْ

كَمْ قَولَةٍ فَخمةٍ فيها أَصَبْتُ ، وما ... أَجدَتْ عَلَيَّ ، وكَمْ أَخطأْتُ في فَعْلَهْ !!

فلا يَغُرَّنكَ التَّزويقُ [3] مُجْتَلِباً [4] ... غُرَّ المعاني إلى أَلفاظِكَ الجَزْلَهْ

---

(١) الحلّة : مدينة بناحية دجيل في العراق .

(٢) المدة : المُدة (بضم الميم) اسم ما استمددتَ به من المداد على القلم ، والمَدة (بفتح الميم) المرة من مدَّ أي غمس القلم مرة في الدواة للكتابة .

(٣) التزويق : التزيين والتحسين .

(٤) في الديوان (محتلياً) ، والصواب ما أثبتناه لاستقامة المعنى .

فليس يَحْظَى مَنِ انْقادَ الكلامُ لهُ إلّا إذا كانَ مُنْقاداً لأَمْرِ اللهْ

٢٨٠

وقالَ[١] يمدحُ المَلِكَ الأَمجدَ[*] :

أَتُطْمِعُني لَيْلَى[٢] بِتَقْبيلِ خالِها غُروراً، وقد ضَنَّتْ بِطَيْفِ خيالِها ؟

وإنّي ، وما أَبْغيه[٣] منها بِوَعْدِها كَراقٍ إلى شَمْسِ الضُّحَا بِحِبالِها[٤]

وكيفَ أُرَجّي عِنْدَها بَلَّ غُلَّتي إذا كانَ مَنْعي فيهِ إنعامُ بالِها ؟

كِنانيَّةٌ تَحْمي كِنانَةُ خِدْرَها بِزُرْقِ نِصالٍ مِنْ كَنائنِ آلِها

ومهما يُصَبِّني مِنْ تَحَوُّلِ عَهْدِها فإنَّ صَباباتي عَلَيْها بِحالِها

ل 70/ظ ومهما يُذَكِّرْني العَذولُ بِفعْلِها قَبيحاً ، فَلا أَنْسى جَميلَ جَمالِها

وإنْ حَلَّلَ السّاقي حَرامَ مُدامَةٍ أَبيتُ سِوى ما حَرَّمَتْ مِنْ حَلالِها

وما زِلْتُ في ماضي زَماني ساخِطاً لِما قيلَ فيها راضِياً بِفِعالِها

(*) هو الملك الأمجد . بهرام شاه ، ملك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الذيل : ١ ، ٢ .

(٢) في الذيل : (أتطمعني سلمى . .) .

(٣) في الذيل : (وما أرجوه . .) .

(٤) في الذيل : (لينالها) .

ولكنْ سَماحُ ابنِ المُعِزِّ أعاقَني هَواها لِأَنَّ البُخْلَ بَعْضُ خِلالِها

كَريمٌ إذا عَمَّ الكِرامَ نَوالُهُ تَضاءَلَ ما خُصَّتْ بِهِ مِنْ خِصالِها

فَيَعْجِزُ عَنْ إحصاءِ جُودِ سَمائِهِ على الأَرضِ مَنْ أَحصى عَديدَ رِمالِها

هُمامٌ يَفوقُ العالَمينَ بِهِمَّـــةٍ تَدِقُّ المَعاني في صِفاتِ جَلالِها

تَكادُ عَواليهِ تَطـــيرُ إلى العِدا عَوارِفَ أَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيالِها

إذا ضَلَّتِ الأَملاكُ في لَيْلِ جَهْلِها هَداها سَنَا أَسْيافِهِ مِنْ ضَلالِها

بِفِكْرٍ مُصيبٍ في طَريقِ غُرورِها وصَدْرٍ رَحيبٍ عِنْدَ ضيقِ مَجالِها

فإنْ نَزَلَتْ دورَ الحُروبِ أَخافَها فَعاجَلَها بالقَتْلِ قَبْلَ قِتالِهـــا

وإنْ رَكِبَتْ حِصْنَ الحُصونِ ، فإنَّهُ قَديرٌ على اسْتِنْزالِهـــا بِنِزالِها

فيامُلْجِمَ الآسادِ يَوْمَ جِلادِها[1] ويا مُفْحِمَ السادَّاتِ يَوْمَ جِدالِها

بَهَرْتَ بِحُسْنِ اللَّفْظِ شَمْسَ نَهارِها ولَمْ تَكْتَرِثْ في الخَطِّ بابْنِ هِلالِها

أَشَرْتَ إلى غُرِّ المعاني ، فأَصْبَحَتْ وكانَ مَنالُ الشُّهْبِ دونَ مَنالِها

عَذارَى قَوافٍ جِئْتَ فيها بِمُعْجِزٍ تَبَيَّنَ أَنْ لَيْسَ الوَرى مِنْ رِجالِها

عَمَمْتَ البَرايا مِنْ يَمينِكَ طائِعاً بِإِفْضالِها أو عاصِياً بِنَكالِهـــا

فأَفْنَيْتَها بالسَّيْفِ بَعْدَ وَعيدِهـا وأَغْنَيْتَها بالسَّيْبِ قَبْلَ سُؤالِهـا

(١) جلادها : يقال جالده بالسيف ضاربه به ، ومنه الجلاد .

قَوينا على أَيدي الزَّمانِ بِما حَبَتْ يَداكَ ، فأَضْعَفْنا شَديدَ مَحالِهـا

ولَمَّا تَدَرَّعْنا نَوالَكَ لَمْ نُبَلْ بِما أَرْسَلَتْ أَحْداثُهُ مِنْ نِبالِها

أَدالَتْ عليهِ دَوْلَةٌ أَمْجَدِيَّةٌ كَفاها كَمالُ العَدْلِ عَيْنَ كَمالِها

يُلاقي المَنايا في ظِلالِ سُيوفِها ويُلْقي عَصا التَّسيارِ تَحْتَ ظِلالِها

فَضاعَفَتِ العَلْياءُ يُمْنَ يَمينِها وجَمَّعَتِ النَّعْماءُ شَمْلَ شِمالِها

ودامَتْ لنا في كلِّ عَشْرٍ مُزيلَةً لِسَبْعِ ليالي[1] الدَّهْرِ قَبْلَ زَوالِها

٢٨١

وقالَ يَمدحُ المَلِكَ النَّاصِرَ[*] :

ل 71/و مَليحَةٌ صَيَّرَتْ مِثْلي بِهـا مُثْلَهْ

مالي إلى وَصْلِها مِنْ دونِها وُصْلَهْ[2]

غَزالَةٌ لَمْ يَزَلْ دَأْبي تَصَيُّدَهـا

بيْنَ الكِناسينِ مِنْ قَصْرٍ ومِنْ كِلَّهْ

(★) هو الملك النـاصر ، صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد ، ملك حلب ودمشق .

(١) في الديوان (ليال) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) الوصلة . الاتصال والذريعة .

تَميسُ في زِيٍّ ذي دَلٍّ وذاتِ لمىً
مِنْ بَنْدِها(١) والقَبا(٢) والطّارِ(٣) والشَّمْلَهْ(٤)

مَرَّتْ، فقُلْتُ لها : أَهْلاً ، فما عطَفَتْ ... حَتَّى حَمَلْتُ على أعطافِها حَمْلَهْ
فقابَلَتْني بِوجْـــهٍ جَلَّ رَوْنَقُهُ ... عَنْ أَنْ تُقابِلَهُ الأفواهُ بالقُبْلَهْ
أَظْهَرْتُ وجْدي ، فَلامَتْني،فقُلْتُ لها: ... أنتِ التي عَمِلَتْ بي هـذِهِ العَمْلَهْ ؟
فَصَّلْتِ جُمْلَةَ أوصالي ومُصْطَبري ... بالهَجْرِ ، هذا هو التَّفْصيلُ والجُمْلَهْ !
وكَمْ تَنازَلْتُ في ذُلِّ العِتابِ لَهـا ... عن دَشْتِ(٥) عِزّي،ولم تَنْزِلْ عنِ البَغْلَهْ!
وأَنْكَرَتْ قُبَلي عِنْدَ الوَداعِ لها ... فقُلْتُ : لا بُدَّ للصوفيِّ مِنْ زَلَّهْ !

(١) بندها حبل رفيع يشد به الثوب أو السيف أو غيرهما ، وهــو لفظ مولد . ذكره دوزي في ملحق المعاجم العربية (ج ١ ص ١١٧) .

Dozy : Supplément aux dictionnaires Arabes . (V. I P. 117)

(٢) القبا : أي القباء بقصر الممدود لضرورة شعرية ، والقباء من الثياب معروف ، وسمي بذلك لاشتقاقه من القبوة لاجتماع أطرافه كانضمام مابين الشفتين .

Dozy : Dictionnaire détaillé des noms des vetements Arabes (P. 352) .

(٣) الطــار : هو الدف في اللغة العامية ، وربما كان من المرجح أن هذه اللفظة هي الطرطور ، بضم الطاء وفتحها ، وهو غطاء للرأس . انظر قاموس الثياب العربية لدوزي :

Dozy : Dictionnaire détaillé des noms des vétemonts Arabes (P. 262)

(٤) الشملة : عند العرب كساء دون القطيفة له خمل متفرق يشتمل به ، أو هــو مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به .

Dozy : Dictionnaire détaillé des noms des vétements Arabes. (P. 232)

(٥) دست : صدر البيت ، فارسيٌّ معرب .

قالتْ : أرىٰ النَّاسَ منْ ذكري بِعِشْقِكَ لي
في شِدَّةٍ ، قُلْتُ : هـذي شِدَّةٌ سَهْلَهْ

قالتْ : فماذا الذي ياشيخُ ، تِهْتَ بهِ ؟ فقلْتُ : جاهُ صَلاحِ الدِّين ، يا طِفْلَهْ
ربُّ العَزائِمِ تَنْقادُ المُلوكُ بِها لأَمْرِهِ وهو مُنْقادٌ لأَمْرِ اللهْ
فَلا يحِلُّونَ أَمْراً كانَ عاقِدَهُ فيهمْ ، ولا يَعْقِدونَ الأَمْرَ إنْ حَلَّهْ
مَلْكٌ لَهُ في النَّدىٰ خُلْقٌ يَفوقُ بهِ مَنْ بَعْدَهُ مِثْلَما قدْ فاقَ مَنْ قَبْلَهْ
يُعَقِّبُ المدْحَ آلافاً مُؤَلَّفَةً كالفاءِ جاءتْ لِتَعْقيبٍ بِلا مُهْلَهْ
ولَسْتُ أعرِفُ ما حازَ الكمالَ لَهُ جَزيلُ جَدْواهُ أَمْ أَلفاظُهُ الجَزْلَهْ
أَمْ بأْسُهُ المُتَصَدّي في الوَغىٰ قِبَلاً أَم عَدْلُهُ المُتَبَدي للوَرىٰ قَبْلَهْ
أَصْفَيْتُهُ مِنْ مُوالاتي ومِنْ مِدَحي مَحْضاً ، ولم أَرَ مَلْكاً غيرَهُ أَهْلَهْ
فَخَصَّني بِعُلا يَعْلو على أَمَلي فَلا عَساهُ يُدانيها ، ولا عَلَّهْ
يَكْسوني الحِبَرَ[1] الفُضْلى ، وأَمْدَحُهُ ما دامَ في كأْسِ عُمْري هذهِ الفَضْلَهْ
قَدْ ودَّعَتْ سِنُّهُ الخَمْسينَ شاكِرَةً ما أودَعَتْها لُها[2] كَفَّيْهِ مِنْ نُحلَهْ[3]
وقادِمُ العامِ عَمَّتْهُ مواهِبُهُ فذو الإقامَةِ فيها مِثْلُ ذي الرِّحْلَهْ

---

(١) الحِبَرَ : ضرب من برود اليمن .
(٢) اللُّها : أفضل العطايا وأجزلها .
(٣) نحلة : هي العطية .

رأيتُ مُلْكَ صَلاحِ الدِّينِأَصْلَحَ ما ... يُنْمى عليهِ صَلاحُ المُلْكِ والمِلَّهْ

وقامَ فينا مَقـامَ الشَّمْسِ نائِلُهُ ... فأَسْبَغَ اللهُ ، ما جَنَّ الدُّجا ، ظِلَّهْ ل 71 / ظ

ولا أرَى مِثْلَ عُمرِ الدَّهرِ يُقْنِعُني ... فدامَ لِلنَّاسِ مَلْكاً أو يَرى مِثْلَه

٢٨٢

وقالَ (١) مِنْ أبياتٍ :

جُـدْ لي بِها ، يا سَيِّدي ، حُلَّةً ... تُخْلي بِهـــا عاطِلَ أَحوالي

أَرَقَّ مِنْ قَلْبي ومِنْ عَـبْرَتي ... وخَـــدِّ مَحْبوبي وأَغْزالي

٢٨٣

وقالَ(٢) ، رَحِمَهُ اللهُ :

[أَلا يا مالِكي مالي ... إلى غَيْرِكَ مِنْ مَيْـــلِ

أَمَـــا تنظرُ في حالي ... فقد أَضْعَفْتَ مِنْ حَبْلي](٣)

غرامي(٤) فيكَ لا يُحْصَى ... بميزانٍ ، ولا كَيْلِ

(١) إشارة هامة إلى عدم وجود شعره كله في الديوان .

(٢) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ؛ والوافي : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧.

(٣) استدركنا البيتين من رواية الذيل ، والحبل هو القوة .

(٤) في الذيل : (ووجدي فيك . .) .

وأمّا دَمْـعُ أَجفـاني فلا تَسْأَلْ عن السَّيلِ
وما أَنسَ ، فلا أَنسى[1] مَراحي ساحباً ذيلي
وإجـلابي على اللذَّا تِ بالرَّجْـلِ وبالخيلِ
مِن اللَّيلِ إلى الليلِ إلى اللَّيلِ إلى اللَّيلِ

٢٨٤

وقال[2] :

رَبْعُ اصطِباري دِمْنَةٌ وسُيوفُ عذَّالي كَليلَهْ
فارْعَيْ جَميلي يا بُثَيْـنُ وأَسْلِفي عِندي جَميلَهْ

٢٨٥

وقالَ :

يا رَبِّ ، إنَّ سؤالَ الباخلينَ ثَنَى وَجْهي وكَفِّي بلا ماءٍ ولا مالِ
فاصْرِفْ بِلُطْفِكَ قلبي عن رجائهِمُ ولا تَصِلْ بِسِوَى نُعماكَ آمالي

(١) في الوافي : (فلا تنسى . .) .
(٢) الذيل : ١ ، ٢٠١ .

٢٨٦

وقال[١] :

[أهلاً بطَيفِكُمُ وسَهْلا | لو كُنْتُ للإغفاء أهْلا
لكنَّـه وافى وقـــد | حَلَفَ السُّهادُ عليَّ ألّا[٢]
إنْ لم تَزوروا فاجْمَعوا | بخيالِكُمْ في النَّومِ شَمْلا
ولقد قَنِعْتُ بوَعْدِكُمْ | فترَى أفوزُ بذاكَ أَمْ لا ؟
أَطْوي الزَّمانَ مُعَلِّلاً | عنكمْ بليتَ ، ولوْ ، وعَلّا
وأكرِّرُ الشَّكوَى عسا | يَ يُعِينُني مَنْ كانَ أَبْلَى
قالوا : سَلَوْتَهمْ ، فقلْـــ | ـتُ : كَذَبْتُمُ ، حاشا وكَلّا !
إنِّي فُطِرْتُ على النُّهى | وتَفَطَّرَ العُذّالُ جَهْلا][٣]

---

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، والخزانة : ١ ، ٢ ؛ والنفحات : ٩ ، ١٠ ؛ والغيث المسجم : ٩ ، ١٠ .

(٢) أورد ابن حجة هذين البيتين في شواهد حسن ابتداءات الشاعر ، وقال بعد ذكر البيت الأول : « وما أحلى ما قال بعده : لكنه . . » ، وعلق عليها قائلاً : « وقد توارد هو وابن عنين في هذا المعنى ، وكل كساه ديباجة تأخذ بمجامع القلوب ، ومطلع ابن عنين قوله :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى | وعليهم لو سامحوني بالكرى

وقول مهيار الديلمي في هذا الباب مشهور » (الخزانة ص ٧ ، ٨) .

(٣) استدركنا القصيدة كاملة من رواية الذيل ، ولم يردمنها في الديوان غير بيتيها التاسع والعاشر ، فرأينا إثباتها في مكانها هنا .

رامُوا فِطامي عن هَوَىً ... غُذِّيتُه طِفلاً وكَهْلا
فوَضَعْتُ في جَيْبي[1] يَدَ ... يَّ، وقُلْت، خلُّوني، وإلّا
[يا مَنْ يَتيهُ بِناظرٍ ... عَزَلَ التَّصبُّرَ إذْ تولّى
يا حاكماً في صَبْوَتي ... وتَصبُّري عَقْداً وحَلّا
قَلْبي لَديكَ ومُهْجَتي ... تَفْنيهما أسْراً وقَتْلا
خاطَبْتَني ولَحَظْتَني ... فَسَحَرْتَني قَولاً وفِعلا
الغُصْنُ أنتَ إذا انْثَنَى ... والبَدْرُ أنتَ إذا تَجَلَّى
بَهَرَتْ محاسِنُكَ العُقو ... لَ فَعَزَّ خالقُنا وجَلّا]

٢٨٧

وقالَ:

سَلامٌ لو شَفَى التَّسليمُ غَلَّهْ ... على تِلْكَ الرُّسومِ المُضمَحِلَّهْ
تُذَكِّرُني بُدوراً كُنَّ فيها ... دوارسَ من نُئيٍّ[2] كالأَهِلَّهْ
وأَغْناني عن الأَملاكِ مَلْكٌ ... غنيُّ المكرماتِ عن الأَدِلَّهْ

---

(١) في النفحات: (فوضعت في طوقي يديّ ...)، وقد أورد النابلسي هذين البيتين مستشهداً في بحث الاكتفاء (ص ١١٩).

(٢) في الديوان (نؤي) وصوابها (نئي) و (نيئي) جمع نؤي لاستقامة الوزن وسلامة المعنى.

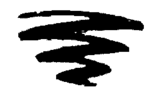
رَأى حُلَلَ المدائحِ ليس تَفْنَى فأَغلاها، وأَرخصَ كلَّ حُلَّهْ

أَبادَ اللهُ أَهلَ الشِّركِ مِنْهُ بخيرِ مُكافحٍ عن خيرِ مِلَّهْ

وقسَّمهمْ على قتلَى وأَسْرَى أُسودَ عرينةٍ[1] وظباءَ كِلَّهْ[2]

إذا دَخلَتْ عساكرُهُ بلاداً لهمْ خَرَجتْ أَعِزَّتُها أَذِلَّهْ

فنحنُ بِهِ نَعوذُ إذا خَشِينا الـــرَّدَى والفَقْرَ، وهو يَعوذُ باللهْ



(١) العرينة والعرين : مأوى الأسد وغيره .

(٢) الكِلّة : الستر الرقيق ، وغشاء رقيق يتوقّى به .

قافية الميم

٢٨٨

ل 72 / و قالَ يَمْدَحُ المَلِكَ الأَمْجَدَ[*] :

هَوَىً هُوَ البُرْءُ[1] مِنْ سُقْمي بِهِ لاما | يُهْدي إليهِ مِنَ السُّلوانِ مَنْ لامَا
وهل يَسومُ التَّسلي بُرْءَ عِلَّتِهِ | مَنْ يَشْتري فيهِ بالإِيجادِ إِعداما ؟
مَنْ لي بِرُؤْدٍ بَرودُ ماءِ ريقَتِها | لكنَّهُ يُوسِعُ الأَحشاءَ إِضراما ؟
تُولي ، ولكنَّها تَلْوي ، فإِنْ بَذَلَتْ | لَنا شِفاءَ غرامٍ عادَ إِرْغاما
فيُؤْلِمُ الهَجْرُ أعواماً يضيعُ لها | حِسابُنا ، ويُلِمُّ الوَصْلُ أيّاما
شَمْسٌ إذا غَرَّبَتْ أو شَرَّقَتْ نَزَلَتْ | بالقَلْبِ في يَقْظَةٍ والطَّرفِ أحلاما
أَوطَنْتُ مِنْ حُبِّها نَجْداً ، فحرَّكَني
مَديحُ مَلْكٍ قَضَى أَنْ أَسكُنَ الشَّاما
وهانَ تَسْويفُ نُعْمٍ حينَ أَنْجَزَ لي | بَهْرامُ شاهُ بْنُ فُرُّخْشاهَ إِنْعاما
لي مِنْ بِحارِ أياديهِ وأَعْيُنِها | ما يَمْلأُ القَلْبَ إِسقاءً وإِسْقاما

(★) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، ملك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .

(١) رؤد : هي الشابة الحسنة .

تجرّمتُ حـــينَ لم أُجرِمْ فأنْجَـدني
مَنْ يُـكثِرُ العفوَ ، إنْ أكثرتُ إجراما

أسْنَى البَرِيّةِ أفعالاً ، وأفْصحُ أقْـــــوالاً ، وأرْجَحُ أخْوالاً وأعْماما

ثَبْتٌ إذا اسْتَسْلَمَ الأمْلاكُ في رَهَجٍ[1] حامتْ عُقابُ المَنايا حَولَ ما حاما

لهُ مِن الخطِّ أقلامٌ إذا مُشِقَتْ[2] أمدَّهـــا نَبْلُهُ شَكْلاً وإعْجاما

ورُبَّ أمَّـــةِ شِرْكٍ حيْنَ أمَّهُمُ شَرَوْهُ أنْفُسَهُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ ساما

وجَحْفلٍ جَذِلٍ[3] الأعلامِ جَدَّلَهُ بِجَحْفَـلٍ يَجْعَـلُ الأعلامَ أعْلاما

تَعاظمُوا فأعاضتْهمْ قَواضِبُـــهُ عن التّعاظمِ إجلالاً وإعظاما

كأنّمـا قُسِّمَتْ لِلَثْمِ هامُهُـــمُ بَيْنَ السَّنابكِ والأقدامِ أقساما

فلِلسَّنابِكِ مِنْها مـا تَجانفَ عن سَيلِ الدّماءِ ولِلأقدامِ مـا عاما

كأنَّ ما جَهِلَتْ مِنْ فَرْضِ طاعتِهِ غُلْفُ القُلوبِ وَعَتْه الهامُ إلهاما

فاعْتَدّهُ ذُلّ مُخْتارٍ فرَفّعَهـــا على رُؤوسِ القَنا عِزّاً وإكراما

مَهابَةٌ وجَمالٌ صوّراهُ لَنـــا في السِّلْمِ بَدْراً ، وفي الهَيْجاءِ ضِرْغاما

أبادَ أعداءَنا سَطْواً ، وكانَ لَنا هُـدَىً ، فأمَّنَنا ظُلْماً وإظْلاما

(١) رهج : يطلق الرهج على الغبار والشغب .
(٢) مشقت : يقال مشق الخط أي مدّه أو أسرع فيه .
(٣) جذل : يقال جذل الشيء انتصب وثبت لا يبرح .

ما دامَ لِلنّاسِ دامَ النّاسُ في دَعَةٍ فدامَ حِرْزاً لأَهلِ الدَّهرِ ما داما
وهُنِّئَ العـامُ نُعماهُ وأَبْلغُ مَنْ هنّاهُ بالعامِ مَنْ هَنّا[1] بِهِ العاما

٢٨٩

ل 72/ظ وقالَ أَيضاً [يمدحُ المَلِكَ النَّاصرَ الثّاني[2]][*] :

وَجْـدي بِمَنْ لا أُسمِّي وفَّى مِنَ السُّقمِ قِسْمي
هلالُ فِطْرٍ تَبـدَّى أَتَمَّ مِنْ بَدْرِ تَمِّ
حُسامُ جَفْنَيهِ يَلْقَى داءَ المَـلامِ بِحَسْمِ
إذا دَنَـــا فبِوُدِّي وإنْ نَأَى فبِرَغْمي
نعِمْ الحبيبُ المُنيلي عن حُبِّ سُعْدَى و نُعْمِ
قَبَّلْتُـــه في ضَميري فكادَ يُدْميهِ وَهْمي
وكُنْتُ في خَفْضِ عَيْشٍ لو فُزْتُ مِنْـه بِضَمِّ
يا مُنْتَهى غَرَضي ، لا تَجْعلْ صُدودَكَ سَهْمي
رُضْني بِمــا تَرْتَضيه واحـكُمْ عليَّ بعِلْمِ

(★) هو الملك الناصر الثاني ، صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد .
(١) أي هنأ ، وقد خففت الهمزة للضرورة الشعرية .
(٢) زيادة أضفنـــاها إثباتاً لاسم المدوح اعتماداً على البيت الثاني عشر إذ وردت فيه إشارة إلى اسمه .

شَنِّفْ بِسِرِّكَ أُذْني ثم اخْتَبِرْ فيه كَتْمي

فإنْ نَطَقْتُ بِحَرْفٍ لا تُسمِّيني بِاْسمي

وإنْ هَمَمْتُ بِغَدْرٍ فسيفُ يُوسُفَ(١) خَصْمي

سَيفٌ أبادَ الأعادي ما بَيْنَ عُرْبٍ وعُجْمِ

بكفِّ مَلْكٍ هُمامٍ(٢) مُفَرِّجٍ كلَّ هَمِّ

كاللَّيثِ في يومِ حَرْبٍ والغَيْثِ في يَوْمِ سِلْمِ

رَوَّى وَلِيَّ عُـــلاهُ مِنْهُ وَلِيٌّ(٣) وَوَسْمي(٤)

لَهُ أفانينُ(٥) فَضْلٍ بِنائلٍ مِنْـــهُ جَمِّ

فَريدُ مُلْكٍ وفَخْرٍ ومكرُماتٍ وفَهْمِ

ماضي جَنانٍ وأمْرٍ وحَدِّ عَضْبٍ وعَزْمِ

قَويُّ إيمانِ قَلْبٍ مُكفِّرٌ كلَّ جُرْمِ

فَدامَ في سَعْدِ جَدٍّ يَرْمي الأعادي فيُصْمي

---

(١) يوسف هو اسم ممدوحه الملك الناصر الثاني ، وهذا البيت هو الذي هدانا إلى ذلك.

(٢) همام : ملك عظيم الهمة ، والسيد الشجاع السخيّ ، وهو خاص بالرجال .

(٣) ولي : هو مطر بعد مطر .

(٤) وسمي : مطر الربيع الأول .

(٥) أفانين : ضروب وأنواع .

وفي اكْتِسابِ سُرورٍ   مِنْ خَيْرِ طالـعِ نَجْمِ

٢٩٠

وقالَ لُزوميةً[١] [يَمْدَحُ بِها النّاصِرَ الثّانيَ] :

صلاحَ الدِّينِ[٢] يا مَلِكاً نَداهُ   أَجَـــلُّ مآثِراً وأَعَزُّ قَومَا
رَعـاكَ اللهُ ، كم طاوَعْتَ جُوداً   على كَسْبِ العُلا وعَصَيْتَ لَومَا
سَأَلْنـا النّاسَ عن أَنْدَى الْبَرايا   فـكُلٌّ بالبَنانـِ إليكَ أَومَا[٣]
فلا عادَتْكَ شَكْوَى أَحرَقَتْنـا   فعُمْنـا في بِحارِ الدَّمعِ عَومَا
ودُمْتَ لِكَنَفِ عافيةٍ ومُلْكٍ   تُعَمَّرُ أَلْفَ عامٍ فيـــهِ أَومَا[٤]
فلولا أنَّ يومَ لِقاكَ عيـــدٌ   لَكُنْتُ نَذَرْتُـــهُ للهِ صَومَا

---

(١) في الديوان إشارة إلى حرف الواو الملتزم في القافية.

(٢) يوضّح هذا الاستهلال اسم ممدوح الشاعر وهو النـــاصر صلاح الدين يوسف الثاني .

(٣) أي أومأ بتخفيف الهمز لضرورة الشعر .

(٤) أي أو مائة ألف عام ، وهذا ضرب معروف في القافية في عصور الدول المتتابعة ، يسمى بالاكتفاء .

٢٩١

وقالَ[١] لزوميةً أيضاً[٢] :

مَرَرْتُ وبدرُهُ في عقربَيْـــهِ فَصَدٌ ، فبانَ لي صِدقُ النِّجامَهْ

فَدَيْتُكَ ، لَوْ رَأَيْتَ لَهيبَ قَلْبي إذاً لَرَحِمْتَ دَمْعي وانسِجَامَهْ

وخَدُّكَ في العِذَارِ بَديعُ حُسْنٍ وأحْسَنُ مِنهُ ساقُكَ في الحِجامَهْ

٢٩٢

وقالَ لزوميةً[٣] :

جَهْـــلٌ تَجانَفَ بي عن الحِلْمِ وهَوًى ضَلَلْتُ بِـهِ على عِلْمِ

وأغنُّ كم حاوَلْتُ فيـهِ عِـــداً عَنفُوا ! وكم عاديتُ من حِلْمِ !

قَرَنَ النِّفارُ صُدودَه بنَوًى فأَجَـــدَّ لي كَلْماً على كَلْمِ

كُنْتُ ابْنَ سِلْمٍ قبلَ فُرْقَتِـهِ فاعْتاضَني بالوَصْفِ مِنْ سَلْمِ

٢٩٣

وقالَ ، مِنْ أبياتٍ ، لُزوميةً[٤] :

ولكنَّها حَوْباءُ[٥] أَعدَدْتُ حِلمَها لإطفاءِ جَمْرِ الغَيْظِ عِنْدَ اضْطِرامِهِ

(١) الوافي : ١ ، ٢ ، ٣ ؛ والفوات : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الجيم الملتزم في القافية .

(٣) في الديوان إشارة إلى حرف اللام الملتزم في القافية .

(٤) في الديوان إشارة إلى حرف الراء الملتزم في القافية .

(٥) حوباء : نفس .

وأَقْتَلُ شَيءٍ لِلَّئيمِ لو اهْتَدَىٰ مُراماتُه بالهجْرِ مَنْ لم يُرامِهِ

٢٩٤

وقالَ :

بي لَمَمٌ[1] مِنْ وَضحِ اللِّمَّهْ[2] وفَرْطُ هَمٍّ أَضعفَ الهِمَّهْ
لكنَّ لي فيمنْ مَضَىٰ أُسوةً فإنْ تَسَلَّيْتُ ، فمِنْ ثمَّهْ
كَمْ ضامني المَكْروهُ منْ ضَيْمِهِ ! وضَمَّني المَحْبوبُ مِنْ ضَمِّهْ !
حتى سَمَا الشَّيبُ إلى مَفْرِقي كأَرْقَمٍ أَوجَرَني[3] سُمَّهْ
فقُلْ لمَنْ يَحْسُدُني : إنَّمـا أَنْتَ ومَنْ تحسُدُه رِمَّـهْ[4]
لَمْ أَزْوِ مِنْ رِزْقِكَ يا ماقتي شَيْئاً ، فهذا المَقْتُ لي ثَمَّهْ ؟

٢٩٥

وقالَ :

دَعِ المُدَّعي في هواهُ التُّقَىٰ وتَرِّبْ عليه ، وكَذِّبْ كَلامَهْ
فما قَصْدُ ذي العشْقِ إلّا الفُجورَ بِظَهْرِ الغُلامِ وبَطْنِ الغُلامَهْ!

---

(١) لممٌ : جنون خفيف ، أو طرف من الجنون يلم بالإنسان .

(٢) اللـّمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، وما تشعث من الشعر .

(٣) أوجرني : يقال أوجره الوَجور وهو الدواء ، أي جعله في فمه .

(٤) رِمّة : أي عظام بالية .

٢٩٦

وقالَ(١) ، رَحِمَهُ اللهُ :

ولقد عَجِبْتُ لِعذَّلي(٢) في حُبِّهِ ... لمّا دَجا لَيلُ ٱلعِـذارِ المُظلِمِ

أوَما رَأَوا(٣) مِنْ سُنَّتي وطَريقتي ... أنّي أميلُ مَعَ السَّوادِ الأعظمِ ؟(٤)

٢٩٧

وقالَ يمدحُ الأمجدَ بنَ المعِزِّ(*) :

سَلِّمْ على الدَّارِ إنْ أعياكَ تَسْليمُ ... أنّى ؟ وقد بانَ عنها ذلكَ الرِّيمُ

أخْلَتْ ملاعبَها هيفاءُ مـا مَنَحَتْ ... وِشاحَها فَوْقَ ما تَحوي الخَواتيمُ

يا جَنَّةً عِشْتُ في رِضوانِهـا زَمَناً ... في مَوْسِمٍ هُوَ باللَّذّاتِ مَوسومُ ل 73 / ظ

أيَّامَ عَقْـــدُكَ في النَّوّارِ مُنْتَثِرٌ ... وعِقْدُ حُسْنِكَ بالضِّدينِ مَنْظومُ

(*) هو الملك الأمجد بهرام شاه ، وقد سبقت ترجمته .

(١) ورد البيتان في الخزانة ، والنجوم الزاهرة ، والمنهل الصافي .

(٢) في الخزانة والنجوم والمنهل : (لعاذلي ..) .

(٣) في الخزانة والنجوم والمنهل : (أو مادرى ..) .

(٤) علق ابن حجة في معرض ذكر مقتطفات التورية من شعر الشاعر قائلاً : « ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره ، فأما ابن نباتة فإنه أخذه وزناً وقافية ، وقال :

أهواه معسول الرُّضاب منعماً ... ولقـد يعذّبني الهوى بمنعَّم

يا قلبُ هـذا شعرُه وجفونه ... صبراً على هذا السوادِ الأعظمِ »

(الخزانة ، ص ٣١٦ ، وديوان ابن نباتة ، ص ٤٧٩) .

بِمُرْسَلِ الشَّعْرِ شَرْعُ الصُّبحِ مُنْتَسَخٌ ... وَجَحْفَلُ اللَّيلِ بالكاساتِ مَهْزومُ

فكيفَ لي والأَسَى بالبُعْدِ مُتَّصِلٌ ... وَحَبْلُ طَيْفِكَ بالتَّسْهادِ مَصْرومُ ؟

إنْ هامَ مِنْ ظَمأٍ قَلْبي إليكَ ، فَفي ... أمواهِ عينيَ ما تُروَى بـه الهِيمُ[(١)]

كم أعجَمَ الحبَّ ، والأَجفانُ تُعرِبُهُ ... والسِّرُّ،لولا وُشاةُ الدَّمعِ ، مكتومُ

قد كان لي طَمَعٌ في العَيْشِ بعدَكَ لو ... تزاوَرَ الهَمُّ ، أو لو زارَ تَهْويمُ[(٢)]

والعمرُ أضيَقُ عن مَجْـــدٍ أُؤثِّلُهُ ... وعن هَوىً حُكْمُهُ بِالذُّلِّ مَحْتومُ

حَسْبي ، بِخِدْمَةِ مَجْدِ الدِّينِ ، مرتبةٌ ... لأنَّ خادمَهُ للدَّهرِ مَخْدومُ

أغرُّ لولا نَدَى كفّيهِ مـا عُرِفتْ ... في الخَطِّ فاءٌ ، ولا راءٌ ، ولا جيمُ

وناظمٌ ليس يَرْضَى غيرَ أبْحُرِهِ ... للنَّظْمِ نونٌ ، ولا ظاءٌ ، ولا ميمُ

أَباحه اللهُ مِنـــهُ سِرَّ مُحكَمِهِ ... والشِّعْرُ مِنْ قِبَلِ الرَّحمنِ تَعْليمُ

لا غَرْوَ إنْ غَلَبَ الإعرابَ لفظُ فَتىً ... لولا كتائبُهُ لم تُغْلَبِ الرُّومُ

يُعْطي فنُعْطَى[(٣)] الغَواني مِنْ مَواهبِهِ ... والخُمْرُ[(٤)] الجُرْدُ[(٥)] والمَهرِيَّةُ[(٦)] اللُّومُ

(١) الهيم : جمع أهيم وهيماء ، وهما مشتقتان من الهُيام ، وهو العطش .

(٢) التهويم والتهوّم : هز الرأس من النعاس أو النوم القليل .

(٣) في الأصل : (يعطى فيعطى) دون إعجام .

(٤) الخمر : يقال فرس مخمَّر أي أبيض الرأس وسائر لونه ما كان .

(٥) الجرد : جمع أجرد ، والأجرد من الخيل ، السبّاق ، أو قصير الشعر رقيقه .

(٦) المهرية : أي الإبل المهرية نسبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن ، وقالوا : إنها كانت لا يعدل بها شيء في سرعة جريانها .

فبَيْتُ عَلْيائـهِ بالحمْدِ مُرتَفِعٌ وبَيْتُ أموالِه بالرِّفـدِ مَهْزومُ
أُحرَزْتُ حظّي في الدّارينِ منْهُ فإنْ قَصَّرْتُ في مَدْحِهِ إنّي لَمذْمومُ
فَرَّغْتَ ، يابْنَ مُعزِّ الدّينِ ، جَهْدَكَ في جَدْواكَ ، فامْتَلأَتْ منها الأقاليمُ
سَعَى إلى المَجْدِ أقوامٌ ، وأنتَ لهمْ فيهِ إمامٌ ، منَ الأدناسِ ، مَعْصومُ
فتارَةً بِيَدَيْكَ المالُ مُكْتَسَبٌ وتارَةً منْ يَدَيْكَ الرِّزْقُ مَقْسومُ
أُعيذُ عِزَّكَ بالعَشْرِ[1] التي شَرُفَتْ وهْيَ : الطّواسينُ ، حَقّاً ، والحَواميمْ
خُذْها بَديهَةَ عَبْدٍ مُخْلِصٍ رُزِقَتْ وُدّاً ، وفي الشِّعرِ مَرْزوقٌ ومَحْرومُ
أنتَ[2] الفَريدُ بِسِلْكِ الجودِ مُنْتَظَمٌ
وهي الرحيقُ بِمِسْكِ الشِّعرِ مَخْتومُ

---

(١) العشر : أي الآيات العشر من الطواسين والحواميم ؛ فأما الطواسين فهي ثلاث آيات هي : « طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين » (النمل : ٢٧/١) ، و « طسم تلك آيات الكتاب المبين » (الشعراء:٢٦/١)، و « طسم تلك آيات الكتاب المبين » (القصص:٢٨/١) ؛ وأما الحواميم فهي سبع آيات هي : « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم » (غافر:٤٠/١) و « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » (فصلت : ٤١/١) ، و « حم عسق ... » (الشورى : ٤٢/١) و « حم والكتاب المبين .. » (الزخرف : ٤٣/١) ، و « حم والكتاب المبين .. » (الدخان : ٤٤/١) و « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » (الجاثية : ٤٥/١) ، و « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » (الأحقاف : ٤٦/١) .

(٢) في الديوان (هي) والصواب ما أثبتناه .

٢٩٨

وقالَ أيضاً [يَمْدحُهُ][1] :

لَكُمْ مِنْ وِدادِي خَيْرُ نائِلِهِ الْجَمِّ ... ولي في هَواكُمْ شَرُّ قِسْمٍ مِنَ السُّقْمِ

وما كُنْتُ مِنْ قَبْلِ الهَوَى جاهِلاً بِهِ ... ولكنَّني فيكُمْ ضَلَلْتُ على عِلْمِ

ذَهَبْتُمْ بِرُوحي ، ثم أَذْهَبَني الضَّنَى ... فجِسْمي بِلا رُوحٍ ، كَرُوحٍ بِلا جِسْمِ

ل 74 / و

سأُصْبِحُ في حُكْمِ الصَّبابَةِ عاصِياً ... عَذولي إذا لم يُصْبِحِ البَيْنُ في حكمي

فأَنْقَصُ أَهْلِ الحُبِّ رُشْداً مُتَيَّمٌ ... يُقيمُ على حِلْمٍ ولو كانَ في حُلْمِ

وأَفْضَلُ عيدٍ عيدُ فِطْرٍ مُهَنَّأٌ ... بِبَهْرامَ شاهَ أَفْضَلِ العُرْبِ والعُجْمِ

وأَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الوَريدِ إلى الفَتَى ... إذا راعَهُ خَطْبٌ ، وأَعْلَى مِنَ النَّجْمِ

وأَمْضَى عَزيماً في القَضايا مِن الظُّبا ... وأَنْفَذُ أَمْراً في البَرايا مِنَ السَّهْمِ

إذا جَرَّ جَيْشاً ساكِنَ الجَأْشِ أَمَّهُ ... فَتىً حَزْمُهُ يَقْضِي على الفِعْلِ بالجَزْمِ

لَكَ اللهُ مِنْ مَلْكٍ أَبَرَّ على الوَرَى ... بِإفْضالِهِ والفَضْلِ والعِزِّ والعَزْمِ !

فكَمْ لَكَ مِنْ عِرْضٍ مُصانٍ ونائلٍ ... مُهانٍ ومَخْصومٍ[2] مُعانٍ على خَصْمِ !

---

(١) زيادة اقتضاها النص لبيان اسم الممدوح ، وقد سبقت الإشارة إليه في القصيدة السابقة . تأكدنا من اسم الممدوح المذكور من البيت السادس في قوله : (بهرام شاه) ، والبيت الخامس عشر في قوله : (ابن المعز) .

(٢) مخصوم : أي مغلوب على أمره .

وكم صُمَّ عن مَفهومِ أمرِكَ ماردٌ فأفهمَهُ المقصودَ قصدُ القَنا الصُّمِّ !

وكم فتكةٍ بِكرٍ شَنَنْتَ مَغارَها فشُنَّتْ بها غاراتُ غُنْمٍ مِنَ الغُنْمِ !

غَزَوْتَ بيوتَ النّاكثين فأصبحتْ كأبياتِ شِعرٍ هِيضَ بالخَرْمِ والخَزْمِ (١)

إلى ابنِ معزِّ الدِّينِ أعملْتُ جسرةً ذَلولاً نُثارَ (٢) اللَّحمِ مُوبَقَةَ العَظْمِ

بُليتُ بِداءَيْ : فاقةٍ وجهالةٍ فوافيتُ مَنْ يَشْفي مِنَ العِيِّ والعُدْمِ

وقصَّرتُ في مَدْحيـــهِ مُعترفاً بِما أتيتُ مِنَ الإجرامِ ، فليَعفُ عن جُرمي

٢٩٩

وقالَ يُهنِّئُه (٣) بالعَودِ مِنَ الغَزاةِ :

نِلْتَ السَّعادةَ راحـــلاً أو قادِماً ولكَ الفَخارُ مُحارِباً ومُسالِما

أمْدَدْتَنا حِلماً يُسفِّهُ أحنفاً وعَمَمْتَنا جُوداً يُبخِّلُ حاتِما

ما إنْ تعدّى لائمٌ في قولِهِ إلّا رأيتَ الجودَ فِعلاً لازِما

ولئنْ غدوتَ لِحصنِ عِرضكَ عامراً فبما غَدَوْتَ لِبَيْتِ مالِكَ هادِما

أهلاً بغُرَّتِكَ التي مُذْ أشرقَتْ ما غرَّ بارقُهـــا بخُلْفٍ شائِما

---

(١) في الأصل : (بالحرب) ، والصواب ما أثبتناه ، إذ إن الخرم والخزم من العلل الجارية مجرى الزحاف .

(٢) في الديوان : (لبار) والصواب ما أثبتناه .

(٣) ممدوحه السابق الملك الأمجد بهرام شاه .

أسْلَمْتَنا يومَ الوَداعِ لِلَوْعـــةٍ ... لم يَنْجُ مِنْها غيرُ عُودِكَ سالِما
أَقبلْتَ تَقْدُمُ قَلْبَ جَحْفلِكَ الذي ... غَشِيَ البِلادَ خَوافياً وقَوادِما
فإذا سَرَى مَلَأَ العَراءَ سَنابِكاً ... وإذا سَطَا مَلَأَ القِفارَ جَماجِما
فغَزالَةُ الحَرْباءِ فوقَ عُقابِـهِ ... نَثَرَتْ عليهِ مِنَ الشُّعاعِ دَراهِما
صَلَّتْ صوارِمُهُ ، وصامَتْ خيلُهُ ... فلَكَمْ فَكَكْتَ بها مُصَلٍّ[1] صائما !
ولَكَمْ أَقَمْتَ لَمَنْ هنا بِكَ شاهداً ... حتى غَدَوْتَ على عُداتِكَ حاكِما !
وأَدَمْتَ للإِسلامِ دَولةَ عِزَّةٍ ... في ذُلِّهِمْ لا زالَ عِزُّكَ دائما

٣٠٠

وقالَ يَمْدحُ الأَمجدَ ، ويُهنِّئُه بعيدِ النَّحرِ :

لِغَيرِ التَّسَلّي أَنْهَضَتْني العَـزائِمُ ... وفي غيرِ سَلْمَى فلْتَلُمْني اللَّوائِمُ
تَميميَّةٌ حَلَّتْ شَدائِدُ حُبِّهـــا ... بقلبيَ مُذْ شُدَّتْ عليَّ التَّمائِمُ
إذا وَصَلَتْ ، فاللَّيلُ أَبْلَجُ زاهرٌ ... وإنْ هَجَرَتْ ، فالصُّبحُ أَكْلَفُ قاتِمُ
يَعِزُّ على الكَفِّ الخَضِيبِ مَنالُها ... وكيفَ ، وقد ضَمَّتْ عليها البَراجِمُ[2]

---

(١) أي مصلياً ، وقد حذف الشاعر ياءها للضرورة الشعرية .

(٢) البراجم : أحياء من بني تميم ، وذلك أن أباهم قبض أصابعه ، وقال : كونوا كبراجم يدي هذه أي لا تفرّقوا ، وذلك أعزُّ لكم ، وهم خمسة من أولاد حنظلة بن مالك بن عمرو ابن تميم يقال لهم البراجم ، وهم : عمرو وقيس وغالب وكلفة وظُلَيم أبناء حنظلة المذكور آنفاً .

فَلا تَلْحَني، ياصاحِ ! جَهْلاً ، فإنّني بِغَيِّ وَرُشْدي ـ لا أبالَكَ ـ عالِمُ
بِحَسْبِكَ أنّي في سُلَيْمى مُسَهَّدٌ وَأَنّيَ عَنْ إدراكِ نُصْحِكَ نائِمُ
فَعُدْ عنْ مَلامي، فهوَ شُرْبٌ مُكَدَّرٌ ودَعْني وَوَجْدي، فَهْوَ قُوتٌ مُلائِمُ
ودُونَكَ مِنّي عَبْرَةً إثْرَ زَفْرَةٍ غَدا بِهِما أعْدي ٱلوَرى وهْوَ راحِمُ
وشاهِدُ سُقْمٍ ناقِضٌ ما قَضى بِهِ فُؤادٌ بِكِتْمانِ ٱلمَحَبَّةِ حاكِمُ
كَفاني خَساراً بَيْعُ روحي بِوَصْلِها ولا هِيَ تُدْنيهِ ، وَلا أنا كاتِمُ
أَنِسْتُ بِذُلّي في هَواها وبُخْلِها كما أنِسَتْ بِٱبْنِ ٱلمُعِزِّ ٱلمَكارِمُ
بِأَسْجَحَ مَنْ رَدَّ ٱلرَّدى ، وهْوَ قادِرٌ
وأَسْمَحَ ، مَنْ أجدى ٱلنَّدى ، وهْوَ عارِمُ
مَليكٌ أقامَتْ بِيضُهُ أوَدَ ٱلعُلا بِما عَجِزَتْ عَنْهُ ٱلمُلوكُ ٱلقَماقِمُ[1]
تَفَرَّدَ في ٱلعَصْرِ ٱلأخيرِ بِكُلِّ ما تَقاسَمَ في ٱلعَصْرِ ٱلقَديمِ ٱلأكارِمُ
فَفي رَأْيِهِ قَيْسٌ، وفي ٱلحِلْمِ أحنَفٌ وفي بَأْسِهِ عَمْرٌو ، وفي ٱلجُودِ حاتِمُ
يُصَرِّفُ مِنهُ ٱلسّابِقَ ٱلنَّهْدَ سابِقٌ ويُعْمِلُ مِنهُ ٱلصّارِمَ ٱلعَضْبَ صارِمُ
يَبُذُّ مُجارِيهِ إلى مَوْقِفٍ بِهِ تُحازُ ٱلمَعالي أوْ تَحيزُ ٱلأكازِمُ[2]
كُماةٌ وَغىً لا يَضْعُفُ ٱلجارُ بَيْنَهُمْ مُقيماً ولا يَقْوى بِهِ مَنْ يُقاوِمُ

(١) القماقم : القَمْقام والقُماقِم من الرجال السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وتجمع على القماقم .
(٢) الأكازم : جمع الأكزم ، والعرب تقول للرجل البخيل : أكزم اليد . وكزم الرجل : أي هاب التقدم على الشيء ما كان .

لِقَتْلاهُمُ فِي ٱلْحَرْبِ مِنْ خَضَدِ ٱلْقَنَا قُبورُ كِرامٍ لَمْ تُذِلْها ٱلْقَشاعِمُ[1]

يَخُوضُ بِهِمْ بَهْرامُ شاهُ غِمارَها إِذا جاشَ مِنْها بَحْرُها ٱلْمُتَلاطِمُ

ل 75 / و بِتَفْرِيقِ شَمْلِ ٱلْمالِ تَأْلِيفُ مَجْدِهِ وَقَدْ عَزَّ مَنْ ذَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلدَّراهِمُ

لِيَهْنِكَ ، مَجْدَ ٱلدِّينِ ، عِيدٌ بِيُمْنِهِ وَمَنِّكَ عَمَّتْ فِي ذُراكَ ٱلْغَمائِمُ

تَلَقَّيْتَهُ عُطْلاً ، وَحَلَّيْتَ جِيدَهُ بِنَحْرٍ أُمِدَّتْ مِنْ مَداهُ ٱلْمَطاعِمُ

أَغَثْتَ عِبادَ ٱللهِ مِنْكَ بِرَأْفَةٍ تَشارَكَ فِيها عُرْبُهُمْ وَٱلْأَعاجِمُ

فَحُيِّيتَ مِنْهُ بِٱلسَّلامِ ، وَلَمْ تَزَلْ تُحارِبُ فِي مَرْضاتِهِ وَتُسالِمُ

٣٠١

وقالَ يَمدَحُ ٱلْمُظَفَّرَ (*) ، وَيُهَنِّئُهُ بِعُرْسٍ :

هَناءٌ لَيالِيهِ حَوالٍ بَواسِمُ وَأَيّامُهُ لِلْمَكْرُماتِ مَواسِمُ

وَوَصْلَةُ مُلْكٍ لا يُقاوَمُ جَدُّهُ بِمَلْكٍ لَهُ تَعْنُو ٱلْمُلوكُ ٱلْأَكارِمُ

وَإِهْداءُ شَمْسٍ دُونَها ٱلشَّمْسُ رُتْبَةً إِلى أَسَدٍ تَخْشَى سُطاهُ ٱلضَّراغِمُ

قِرانُ سُعودٍ فِي بُروجِ سِيادَةٍ بِها ٱلْعَيْشُ صَفْوٌ وَٱلزَّمانُ مُسالِمُ

(*) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد .

(١) القشاعم : مفردها القَشْعم والقِشعام وهو المسن من النسور والرخم لطول عمره. والقشعم أيضاً من أسماء الأسد .

فَوَاللهِ ! ما أدْري : أَموسى وَأَهْلُهُ بِجَنَّاتِ عَدْنٍ ؛ أَمْ عَلِيٌّ وفاطِمُ ؟
عَظيمَةُ قَدْرٍ كافَأَتْ مِنكَ ماجِداً تُكَفُّ بِهِ ٱلبُؤْسى ، وتُكْفى ٱلعَظائِمُ
يَمانِيَّـــةٌ أَلْفَتْكَ عَضْباً يَمانِياً تُشارِكُها في مَجْدِهـا ، وتُلائِمُ
فَيا لَيْلَةٌ تَمضي ٱللَّيالي وذِكْرُها تُزانُ بِهِ ٱلعَلْيا ، وتُزْهى ٱلمَعالِمُ
غَذَتْها أفاويقُ[1] ٱلفَخارِ ، وجادَها كَمالٌ ، لِأَدْواءِ ٱلنَّقائِصِ ، حاسِمُ
رَأَيْتُكَ ، يا مَحْمُودُ ، يَابْنَ مُحَمَّدٍ فَتىً حَمْدُهُ فَرْضٌ عَلى ٱلنّاسِ لازِمُ
وإِنَّكَ لَلْمَلْكُ ٱلّذي بِنَوالِهِ وعَدْلِ سُطاهُ بَشَّرَتْنا ٱلمَلاحِمُ
تُهابُ ، فَلا قَلْبُ ٱلمُؤالِفِ ساكِنٌ وتُرْجى ، فَلا وَجْهُ ٱلمُخالِفِ واجِمُ
وتَحْلُمُ ، فالشُّمُّ[2] ٱلرَّواسي[3] طَوائِشٌ
وتَكْرُمُ ، فَٱلجُونُ[4] ٱلرَّواسي[5] لَآئِمُ
وتَدْنُو[6] ، فَمُرُّ ٱلصّابِ شَهْدٌ لِذائِقٍ وتَنْأى ، فَكاساتُ ٱلرَّحيقِ عَلاقِمُ

---

(١) أفاويق : جمع الجمع ، مفرده فيقة ، وهو اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين .

(٢) الشم : جمع أشم ، وجبل أشم أي طويل الرأس ومرتفع .

(٣) الرواسي : يقال رسا الجبل إذا ثبت أصله في الأرض ، وجبال راسيات ، والرواسي من الجبال جمع راسية ، وهي الثوابت الرواسخ .

(٤) الجُون : جمع جوناء ، وهي القدر ، وتطلق أيضاً على الناقة الدهماء .

(٥) الرواسي : جمع راسية وهي القدر التي لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها .

(٦) في الديوان : (وتدنوا) .

وتُفني ٱللُّها جُوداً لِتَقْني بِها ٱلعُلا ... ألا هكذا فَلْيَغْنَمِ ٱلمَجْدَ غارِمُ

كذا أيُّها المَلْكُ المُظفَّرُ فَلْيكُنْ ... مِنَ النَّاسِ مَخْدومٌ لهُ الدَّهرُ خادمُ

أَبَتْ لكَ عارَ الشَّكِّ نَفسٌ كريمةٌ ... وفِكْرٌ بِمجهولِ العَوارفِ عالِمُ

وناظِرُ فِكْرٍ ليسَ يَغْفَى وعامِلٌ[1] ... بأَمْرِ الوَغى في الرَّفعِ والخَفْضِ جازمُ

وليلٌ بِبَرْقِ البيضِ أَبْلَجُ زاهرٌ ... ويومٌ بِدَجْنِ النَّقْعِ أَكْلَفُ قاتمُ

75 / ظ فَهُنِّئْتَ بالدَّهْرِ الذي أَنتَ مالِكٌ ... جَديدَيْهِ[2] والشَّهرِ الذي أَنتَ صائمُ

ولا زِلْتَ بالمُلْكِ الخَطيرِ مُمَتَّعاً ... تُقارِنُكَ النُّعْمى بِـهِ وتُلازِمُ

نَوالُكَ مَقسومٌ ، وفَضْلُكَ شائعٌ ... ومَجْدُكَ مَحْروسٌ ، وعِزُّكَ دائمُ

٣٠٢

وقالَ ، رحِمَهُ اللهُ :

إنْ صَرَفَ اللَّومُ عنكَ عَزْمي ... لا تَدْعُني إنْ فَعلْتُ باِسْمي

يا مُضرِماً في حَشايَ نـاراً ... مِنْ عَـبْرةٍ لا تَزالُ تَهْمي

مِنْكَ إلى عَـدْلِكَ اشْتِكائي ... يا حَكَمي في الوَرَى وخَصْمي

---

(١) عامل : صدر الرمح ، وهو ما يلي السنان ، والمراد هنا الرمح نفسه .

(٢) جديديه : الجديدان والأجدّان هما الليل والنهار ، وذلك لأنهما لا يبليان أبداً ، ولا يفردان ، فلا يقال للواحد منهما : الجديد أو الأجد .

إنْ تَنفِ عنّيَ الكَرَى ، فوَجْدي فيكَ أخي مِنْ أبي وأمّي
يا جيرَةً زُرتُهـــمْ بِوُدّي وسِرْتُ عن دارِهمْ بِرَغْمي
ما غَرَضي في الوَرَى سِواكُمْ فكيفَ كانَ الصُّدودُ سَهْمي؟[1]
يسألُني عنكُمُ عَـــذولي فلا أُكَنّي ، ولا أُسمّي
ولَسْتُ عَمّـــا أرادَ أعمَى لكنّني عَنْكُمُ أُعَمّي
ومـا أُبالي بِحَرْبِ دَهْـــرٍ جَنَحْتُمُ دُونَـــهُ لِسِلْمي
فَنَفِّسُوا عن خِناقِ رُوحي فإنَّـــني مِنْ دَمٍ ولَحمِ

٣٠٣

وقالَ :

وشادِنٍ حارَبتُ في حُبِّهِ صَحْبي ، ولم يَجْنَحْ إلى سِلْمي
قَبَّلْتُ مِنْ حاجِبِهِ نُونَـــهُ فغُرِّقَتْ مِنْ خَجَلِ اللَّثْمِ
وخصَّهُ الوافِرُ مِنْ حُسْنِـهِ فقَدَّ أقسامي مِنَ السُّقْمِ
إنْ لامَني مَنْ لا رآهُ ، فقد جارَ على الغائِبِ في الحُكْمِ
وإنْ لَحاني بَعْدَ رُؤْيا ، فقد « أضَلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ »[2]

---

(١) سهمي : حظي ونصيبي .
(٢) ضمَّن الشاعر قوله تعالى : « أفرأيتَ مَنِ اتخذَ إلهه هواه ، وأضلَّه الله على علم » (سورة الجاثية ٤٥/٢) .

٣٠٤

وقالَ :

وحـــالٍ بحُسْنٍ بِتُّ نُصْبَ عِناقِهِ
فأحرزْتُ خَفْضَ العَيْشِ مِنْ ذلك الضَّمِّ

ولولا التُّقَى عـايَنْتُ فَضَّ خِتامِهِ
بأصلبَ مِنْ عَيْني وأثْقَبَ مِنْ فَهْمي !

٣٠٥

وقالَ في اللُّزومياتِ[1] :

لامَني لُؤْماً ، فلا جرَمَا ... أنَّني خالَفْتُهُ كَرَما
ظنَّ بَذْلَ المالِ مَنْقَصَةً ... فاجْتَرَا في المَنْعِ واجترما
والفَتَى والمُسْدي نوافلَهُ ... غانِمٌ أضعافَ ما غَرِما
مَنْ أهانَ المالَ عزَّ ، ومن ... حُرِمَ التَّقْوَى ، فقد حُرِما

ل 76 / و

٣٠٦

وقالَ أيضاً فيها[2] :

هِيَ الأَرْزاقُ مَقْسومَـهْ ... بِهـا الأَقْـدارُ مَحْتومَهْ

(١) في الديوان إشارة إلى حرف الراء الملتزم في قافية هذه اللزومية .
(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الواو الملتزم في قافية هذه اللزومية .

فإنْ تضِنَ بِها تُهْدَ لكَ الرَّاحةُ مَزْمومَهْ
وإلّا ذَهَبَتْ نَفْسُكَ بالحَسْرةِ مَوسومَهْ
فعالِجْها بتَفويضٍ بِهِ الأَدواءُ مَحْسومَهْ
وخَفْ إن تَنْفَذَ[1] الأَحكامُ فيها ، وهْيَ مَذْمومَهْ

٣٠٧

وقالَ فيها أَيضاً[2] :

اِرْمِ شَيْطانَ الهَوَى مِنْ شُهُبٍ طَرْدٍ بِرُجومِ[3]
وخَفِ اللهَ ، وأَسْبِلْ أَدْمُعاً ذاتَ سُجومِ
« ومِنَ اللَّيلِ فَسَبِّحْهُ ، وإِدْبارَ النُّجومِ »[4]

٣٠٨

وقالَ فيها[5] :

جَهْلٌ تَجانَفَ بي عن الحِلْمِ وهَوًى ضَلَلْتُ بِهِ على عِلْمِ

---

(١) في الديوان : (تنفد) .

(٢) في الديوان إشارة إلى حرف الجيم الملتزم في قافية هذه اللزومية .

(٣) في البيت إشارة إلى قوله تعالى : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلناها رجوماً للشياطين » (سورة الملك : ٦٧/٥) .

(٤) هذا البيت هو آخر آية في (سورة الطور ٥٢/٤٩) .

(٥) في الديوان إشارة إلى حرف اللام الملتزم في قافية هذه اللزومية .

قَرَنَ النِّفارُ صدودَه بِنَوىً فأجَدَّ لي كَلْماً على كَلْمِ

كُنْتُ ابْنَ سَلْمٍ قَبْلَ فُرقَتِهِ فأعاضَني بالوَصْفِ مِنْ سَلْمِ

ولَطالما نادَمْتُه ، فَشَفَى حَرَّ الأُوامِ ببارِدِ الظَّلْمِ[1]

وَوَفَى ، فَصرَّفَ لي كُؤوسَ هَوىً عَزَفَتْ عُزوفَ الدَّهْرِ عن ظُلْمي

ثم انقَضَى ما بَيْننا ، ومَضَى فَكَأَنَّهُ قد كانَ في الحُلْمِ

٣٠٩

وقالَ [يمدحُ الملكَ الأمجدَ][2] ، وقد اقترحَ عليهِ ، بديهاً :

رامَ عُذْري ، وعَزَّ ذاكَ مَراما عاذلٌ حالَ عن وَفائي ، وحاما

حالَفَ العَذْلِ مِثْلَما حالَفَ الهَجْـ ـرَ حَبيبٌ حالَفْتُ فيهِ الغَراما

مَنَعَ البُخْلُ مِنهُ خَمْراً حَلالاً لَيْتَها أمْكَنَتْ ، وكانتْ حراما

فُقْتُ أهْلَ الهَوَى ، وفاقَ ذَوي الحُسْـ ـنِ ، وبَهْرامُ شاهُ فاقَ الكِراما

مَلِكٌ لا يَزالُ يَخفِرُ للما لِ ذِماماً ويَغْفِرُ الإِجْراما

---

(١) الظَّلْم : الماء الذي يجري ويظهر على الأسنان من صفاء اللون لا من الريق كالفيرند حتى يتخيل لك فيه سواد من شدة البريق والصفاء ، وقيل : الظَّلْم رقة الأسنان وشدة بياضها وجمعها ظُلوم .

(٢) زيادة اقتضاها سياق الكلام توضيحاً للنص ، وهي غير موجودة في الديوان .

أَبْرَمَتْ راحَتاهُ بالفَضْلِ والإفــــضالِ أَسْبابَ مَجْدِهِ إبْراما

وأَرانا دمَ العُداةِ حلالاً مُذْ أَرَتْنا سيوفُهُ الإحْراما

حازَ سَعْدي بالأَمْجَدِ بْنِ مُعزِّ الـــدِّينِ مَجْداً وعِزَّةً واحْتِراما

فإذا رامَ مِنْــهُ ما لم يُنِلْهُ دَهْرُهُ نالَ فَوْقَ ما كانَ راما

٣١٠

وقالَ[١] ، رحمَهُ اللهُ تَعالى[٢] :

صَبٌّ أَخَـذَ الهَوَى زِمامَهْ مُذْ[٣] صارَ جَمالُكُمْ إمامَهْ ل76/ظ

في حُسْنِكُمُ البَديعِ شُغْلٌ عن عَلْوَةَ لي ، وعن أُمامَهْ

صِدْتُ الظَّبَياتِ ثم صادَتْ قَلْبي لَحَظاتُ رِيمِ[٤] « رامَهْ »[٥]

مَنْ لي بِمُحَجَّـــبٍ أراهُ بالفِكْرِ ، ولا أَرَى خِيامَهْ؟

---

(١) هذه القصيدة من بحر السلسلة ، أحد البحور المستحدثة في هذا العصر .

(٢) الخزانة : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٣) في الخزانة : (قد) .

(٤) الريم : الظبي الخالص البياض .

(٥) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمَّرة ، وهي آخر بلاد بني تميم ، وبين رامة والبصرة اثنتا عشرة مرحلة ، ورامة أيضاً من قرى بيت المقدس ، بها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقيل : رامـــة هضبة ، وقيل : جبل لبني دارم .

كم أقْعَدَهُ الدَّلال عَمّنْ ! كم أَقْعَدَهُ ! وكم أقامهْ !
أَشْدو بِتَغزْلي لَدَيْهِ فيهِ فيُجِدُّ[1] لي خِصامَهْ
يُزْهى[2] ، ويقولُ : كانَ ماذا لو يَتْرُكُ جاهلٌ كَلامَهْ ؟
شَبَّهْتَ بِطَلْعَتي هِلالاً ما كُنْتُ رَضِيْتُهُ قُلامَهْ
والغُصْنُ حَسِبْتَهُ شَبيهاً مِنّي بِتَعَطُّفٍ وقامَهْ
والظَّبْيُ ، إذا رَنَتْ لِحاظي لا كَيْدَ لهُ ، ولا كَرَامَهْ
أفْديهِ بِمُهْجَتي وإنّي لا حَسْرَةَ لي ، ولا نَدامَهْ
كم دَعْوَةِ مَوْعِدٍ لِوَصْلٍ قامَتْ بِحُضورِها[3] القِيامَهْ
أَخْبَرْتُ بِها العَذولَ لكنْ ما قُلْتُ لَهُ : مَعَ[4] الغَرامَهْ

٣١١

وقالَ[5] أيضاً رحِمَهُ اللهُ :

---

(١) في الخزانة : (فيجد) .
(٢) في الخزانة : (يزهو) .
(٣) في الخزانة : (لحضورها) .
(٤) في الخزانة : (كم) .
(٥) الوافي : ١ ، ٢ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٩ ؛ والفوات : ١ ، ٢ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ؛ والخزانة : ١٤ ، ١٥ ؛ والنفحات : ١٤ ، ١٥ ؛ والغيث المسجم : ١ ، ٢ ، ١٠ .

زَعَمُوا أَنَّني هَوِيتُ سِوَاكُمْ كَذَبُوا ، ما عَرَفْتُ إِلَّا هَواكُمْ

قد عَلِمْتُمْ بصدقِ مُرْسَلِ دَمْعي فاسْألوهُ[1] ، إِنْ كانَ قَلْبي سَلاكُمْ

طالَ عَهْدي بِكُمْ ووَجْدي وِجِدٌّي فَسقَى اللهُ عَهْدَكُمْ ، ورَعاكُمْ

ذِلَّتي فيكمْ كعِزِّي ، ومَوْتي كَحياتي ، فلا عَدِمْتُ رِضاكُمْ

أَنـا لولاكُمْ لَمَـا لَذَّ عَيْشي وكَـذا مـا كَرِهْتُـهُ لولاكُمْ

كمْ جفَوْني! فقُلْتُ مِنْ فَرْطِ وَجْدي: ما أَمرَّ الجَفَا ! ومـا أَحْلاكُمْ !

وعلى كلِّ حالةٍ مِنْ نعيمٍ وشقاءٍ ما راحـــتي إِلّا كُمْ

إِنْ بَعُدْتُمْ ، لاتعجَبوا مِنْ تَلافي ! واعْجَبُوا: كيفَ عاشَ مَنْ لا يَراكُمْ؟!

إِنَّ عِنْدي مِنْ هَجْرِكُمْ ما كَفاني في جُنوني ، فلَيْتَ هذا كَفاكُمْ

قالَ لي عُذَّلي : مَتَى تُبصرُ الرُّشْـــدَ ، وتَسْلو ؟ فقُلْتُ : يَوْمَ عَماكُمْ !

حاوَلُوا سَلْوتي بِلَوْمي ، فأَغْرَوْ ني ، فَمَنْ ذا بِصدِّكُمْ أَغْراكُمْ ؟

كيفَ أَرْنو إلى سِواكُمْ بطَرْفٍ لا يَرَى الحسْنَ كاملاً في سِواكُمْ ؟

صَدَقَ الواصفونَ لِلْبَدْرِ فيما قد حَكَوْهُ ، لكنَّهُ ما حَكاكُمْ

يا وَجوهاً زانتْ سناهـا فُروعٌ حالكاتٌ أَغْنَتْكُمُ عن حُلاكُمْ[2] ل 77 / و

(١) في الوافي والغيث المسجم : (فسلوه) .

(٢) أورد ابن حجة هذا البيت والذي يليه في شواهـد الطباق ، كما أوردهما النابلسي أيضاً في ذات الموضوع . (الخزانة ص ٨٩ ، والنفحات ص ٥٧ ، ٥٨) .

لِيَ مِنْ حُسْنِكُمْ نَهارٌ ولَيْلٌ أَنْعَمَ اللهُ صُبْحَكُمْ ومَساكُمْ
مَيَّزَ اللهُ ما تَخَيَّرَ مِنْهُ وحَباكُمْ مِنْ صَفْوِهِ ما حَباكُمْ
واهْتَدَى المِسْكُ ، إِذْ تشبَّه منكمْ بِشَذا عَرْفِكُمْ ، وليس هُناكُمْ
سادَتي ، لَيْتَ حُبَّكُمْ لي كَحُبِّيكُمْ ولكنْ مِنْ لَوْعتي حاشاكُمْ
لا تُحيلُوا قَلْبي على حُسْنِ صَبْرٍ[1] أَحسَنَ اللهُ في اصْطِباري عَزاكُمْ
فاكْتُبوا لي مَنْشورَ وَصْلٍ ، وإلّا كاتِبُوا بالوُصولِ عَبْدَ وَلاكُمْ
قد تَعلَّلْتُ بالأَمانيَ فيكُمْ فعَساكُمْ تُحقِّقوها عَساكُمْ
إِنْ مَنَعْتُمْ جَنابَكُمْ ، فبِحَقٍّ يَقْتَضِيهِ ، سُبْحانَ مَنْ أَعْطاكُمْ !

٣١٢

قالَ[2] :

مَلَكْتُ رِقِّي غُلاماً بِهِ سَلَوْتُ الغُلامَهْ
عامَلْتُ فيهِ عَذولي بالكَيْدِ،لابالكَرامَهْ

٣١٣

وقالَ في الطَّرْدِ :

قد أَغْتَدي ، واللَّيلُ مَطْلولُ الدَّمِ

(١) في الوافي : (صبري) .
(٢) الذيل : ١ ، ٢٦١ .

بأهرَتِ[١] الشِّدْقِ[٢] عَريضِ المُقْدِمِ
ملتحفٍ بِمِثْلِ لَوْنِ العَنْدَمِ[٣]
يَعْتَنِقُ اليَعفورَ[٤] إنْ لم يُصْدَمِ
حتى إذا أَرْسَلْتُهُ ، لم أُنْدَمِ
عَنفَتُهُ مِنْ رُسْلِيَ الْمُقَدَّمِ
فجاءني بالصَّيْدِ لم يُكَدَّمِ
كذاكَ لا يَخْدِمُ مَنْ لم يُخْدَمِ
كرَّاتُهُ تَهْزِمُ عُدْمَ الْمُعْدِمِ
فليبقَ في كواسي وَلْيَدُمِ

٣١٤

وقالَ[٥] لزوميةً[٦] :

(١) أهرت : أي بفرس أهرت ، الهرت سعة الشدق ، والهريت واسع الشدقين ، يقال : فرس أهرت وهريت : أي متسع مشقّ الفم .
(٢) الشدق : طفطفة الفم أي زاويته من باطن الخدين .
(٣) العندم : خشب نبات يصبغ به ، يقال له أيضاً البقم أو دم الأخوين .
(٤) اليعفور : الظبي بلون التراب .
(٥) الخزانة : ١ ، ٢ . استشهد ابن حجة بهذين البيتين في معرض ذكر الجناس المركب والمطلق . (الخزانة ، ص ٣٢) .
(٦) في الديوان إشارة إلى حرف الراء الملتزم في القافية .

تَوَلَّى شَبابي ، فوَلَّى الغَرامُ ولازَمَ شَيْبي لُزومَ الغَريمْ
ولو لم يَصِدْني بازِيُّـــهُ[(١)] لَمَا صارَمَتْني مَهاةُ الصَّريمْ[(٢)]

٣١٥

وقالَ فيها[(٣)] :

أَيَمْضي زَمانٌ لا يحلُّ براحتي لوجناءَ مِنْ نَسْلِ الجُـذَيلِ زِمامُ
ولم أستَثِرْ[(٤)] لِلْمَجْدِ كلَّ سَمَيْدَعٍ[(٥)] له القَتْلُ دِينٌ ، والحُسامُ إمامُ
ومَنْ لم يَحُزْ مُلْكاً ، فمُلْكُ قَناعةٍ لها مِنْ صُروفِ الحادثاتِ ذِمامُ
ولم يَجْوَ[(٦)] صَفْوَ العَيْشِ إلّا مُطلَّقٌ لدُنيـاهُ أو مَلْكٌ أَغَرُّ هُمامُ
ولّما رَأَيْتُ الشَّيبَ لِلرَّأسِ شاملاً وناحَ حَمامٌ ، قُلْتُ : حَانَ حِمامُ

ل 77 / ظ

٣١٦

وقالَ في اللُّزومياتِ[(٧)] :

---

(١) بازيّ : ضرب من الصقور .
(٢) الصريم : القطعة من معظم الرمل .
(٣) في الديوان إشارة إلى حرف الميم الملتزم في القافية .
(٤) في الديوان : (أستتر) .
(٥) سميدع : السيد الكريم الشريف أو الشجاع .
(٦) يجوي : جوي الشيء يجواه كرهه .
(٧) في الديوان إشارة إلى حرف السين الملتزم في القافية .

لا ، وبارئ النَسَمِ   وهو غايةُ القَسَمِ
لم أَشِمْ لبُعْـدِكمُ   سَلْوةً ، ولم أَسِمِ
بِنْتُمْ ، فوا حَسَداً   للأَيانُقِ[1] الرُّسُمِ[2]
لَيْتَ لي بصُحْبَتِكمْ   ما لها مِنَ القِسَمِ!



(١) الأيانق : جمع الجمع ، مفردها ناقة .

(٢) الرسم : جمع رسوم ، يقال : ناقة رسوم تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

قافية النون

٣١٧

قالَ يَمدَحُ ٱلمَلِكَ ٱلأَمْجَدَ :

دَعْني أُطِعْ أَمْرَ أَشْواقي وأَشْجاني ... ولا تَسَلْنِيَ سُلْواني ، وسَلْ واني

فلَمْ أُلَبِّ ٱلهَوى لَمّا دَعا عَجِلاً ... حَتّىٰ دَعوتُ ٱلضَّنىٰ غضاً فَلَبّاني

أَفي ٱلثَّلاثينَ في ٱلسُّلْوانِ تَأْمُرُني ؟ ... دَعْني ، فإنْ عِشْتُ ، فٱلسِّتُّونَ تَنْهاني

إنَّ الَّذي أَغْضَبَ ٱلعُذّالَ مِنْ ولَهي[1] ... هُوَ ٱلّذي حينَ أَرْضى ٱلحُبَّ أَرْضاني

هَيْهاتَ صَبْري عَنْ نُعْمٍ[2] ومَسْكَنُها ... « نَعْمانُ »[3] ، لَهْفي عَلىٰ نُعْمٍ و« نَعْمانِ »

مَرابِعٌ هِيَ جَنّاتٌ مُعَجَّلَةٌ ... لَوْ فُزْتُ مِنْ حُورِها يَوْماً بِرِضْوانِ

وظَبْيُ إنسٍ لِظَبْيِ ٱلوَحْشِ أَذْكَرَني ... وزادَ ما فيهِ مِنْ حُسْنٍ فَأَنْساني

إنْ هُنْتُ عَزَّ ، وإنْ أَقْبَلْتُ أَعْرَضَ ، أَوْ ... بَذَلْتُ أَمْسَكَ ، أَو طاوَعْتُ عاصاني

---

(١) في الديوان : (ولي) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) نُعْم : اسم امرأة .

(٣) نَعمان : بفتح النون واد وراء عرفة ، وهو نعمان الأراك ، وواد قرب الكوفة ، وواد بأرض الشام قرب الفرات ، وهو المكان الذي قصده الشاعر ، وواد بالتنعيم ، وموضعان آخران .

تَغَزُّلي في بُحورِ ٱلشِّعْرِ أُظْهِرُهُ وصَدُّهُ عَنْ عُيونِ ٱلخَلْقِ أَخفاني

قالوا : سَيُنْبيكَ عَنْهُ ٱلبَيْنُ ، قُلْتُ لَهُمْ

مَـا ٱليَوْمُ أَوَّلُ تَوْديعي ، ولا ٱلثَّاني

يا غادِراً بِٱلرَّجا وٱليأْسِ غادَرَني مُحَيَّراً بَيْنَ إِسْراري وإِعْلاني

مُنايَ أَنَّكَ بِٱلمَعْروفِ تُمْسِكُني فَإِنْ أَبَيْتَ ، فَتَسْريحٌ بِإِحْسانِ[1]

لَئِنْ أَعَزَّكَ سُلْطانُ ٱلجُهالِ ، فَلا أَذَلُّ وٱبْنُ مُعِزِّ ٱلدّينِ سُلْطاني

اَلمالِكُ ٱلأَمْجَدُ ٱلمُعْدي مُجاوِرَهُ عَلى كِلا ٱلثَّقَلَيْنِ : ٱلإِنسِ وٱلجانِ

مُمَدَّحٌ قُلْتُ فيـهِ إِذْ نَزَلْتُ بِـهِ ما قالَ في ٱلأَزْدِ عِمْرانُ بْنُ حِطَّانِ[2]

---

(١) استخدم الشاعر قوله تعالى : « فإمساكٌ بمعروفٍ ، أو تسريحٌ بإحسانٍ » (سورة البقرة : ٢/٢٢٩) .

(٢) أورد المبرّد في باب الخوارج من كتاب الكامل حديث عمران بن حطان ، وذكر أنه لما أطرده الحجاج كان ينتقل في القبائل ، فكان إذا نزل في حي انتسب نسباً يقرب منه ، حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامي ، فانتمى له من الأزد ، حتى إذا عرف أمره هرب وخلف وراءه رقعة ودّعه فيها بقصيدة ، مطلعها :

يا روح كم من أخي مثوىً نزلت قد ظنّ ظنّكَ من لخم وغسان

أما روح فقد ارتحل حتى أتى قوماً من الأزد ، فلم يزل فيهم حتى مات ، وفي نزوله بهم يقول:

نزلنا بحمد الله في خير منزلٍ نُسرُّ بما فيه من الأنس والخفرْ

نزلنـا بقوم يجمع الله شملهم وليس لهم عودٌ سوى المجد يعتصرْ

فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ أتوني فقالوا : من ربيعة أو مُضرْ

من الأزد إن الأزد أكرمُ أسرة يمانيةٌ طابوا إذا نسب البشرْ =

حِبْرٌ وبَحْرٌ فَإنْ ساءَلتُ أرْشَدَني وإنْ سَألتُ نَوالاً مِنْهُ أغْناني

بَحْرا مَعانٍ وألفاظٍ لَهُ مُرِجا بِلُؤلُؤٍ مِنْ قَوافيهِ ومَرْجانِ[1]

ل 78/و فَتارَةً أحسَبُ ٱلطّائيَّ أنشَدَني وتارَةً أحْسَبُ ٱلطّائيَّ أوْلاني[2]

يا رائِداً لِسَوامِ ٱلشِّعْرِ مُنْتَجِعاً ما كلُّ مَرعىً، وإنْ أرضى، بِسَعْدانِ[3]

لا يَخْدَعَنْكَ سَرابٌ راقَ لامِعُــهُ عَنْ جُودِ مُزْنٍ هَزيمِ[4] ٱلوَدْقِ[5] هَتّـانِ

أم الحيُّ قحطانٍ ؟ فتلكمْ سفاهةٌ كما قال لي روحٌ وصاحبُه زُفَرْ

وما منهـما إلا يُسرُّ بنسبةٍ تقربني منه ، وإن كان ذا نَفَرْ

فنحن بنو الإسلام والله واحـدٌ وأولى عبادِ الله بالله من شكَرْ

وهذه القصيدة هي التي أشار إليها الشاعر في قوله : « ماقال في الأزد عمران بن حطان » (المبرد : الـكامل ج ٣ ص ١٧٢) .

(١) إشارة إلى قوله تعـالى : « مرج البحرين يلتقيان » (سورة الرحمن : ٥٥/١٩) ، و « وهو الذي مرج البحرين » (سورة الفرقان : ٢٥/٥٣ ، وقوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » (سورة الرحمن : ٥٥/٢٢) و « كأنهن الياقوت والمرجان » (سورة الرحمن : ٥٥/٥٨) .

(٢) المقصود بالطائي الأولى هو الشاعر أبو تمام ، وبالطائي الثانية حاتم الطائي .

(٣) السَّعْدان : نبت من أفضل مراعي الإبل ، ومنه : مرعىً ولا كالسعدان ، وله شوك تُشبَّه به حَلَمَةُ الثدي ، فيقال لها سعدانةُ الثندؤة .

(٤) هزيم : الهزيم والمتهزم الرعد الذي له صوت شبيه بالتكسر ، وتهزمت السحابة بالماء واهتزمت : تشققت مع صوت عنه ، ومنه السحاب الهزيم والمتهزم وهو الذي رعده صوت .

(٥) الودق : المطر .

وَٱنظُرْ إلىٰ دَرَجاتِ ٱلْمَجْدِ تَلْقَ بِها بَهْرامَ شاهَ مُقيماً فَوْقَ كِيوانِ[1]
مَنْ كانَ هَنَأَ بِٱلعيدِ ٱلْمُلوكَ ، فَقَدْ هَنَأَتْ عيدي بِسُلْطاني ، وَهَنَّاني
بِناحِرِ ٱلمالِ وٱلأَعداءِ مُلْتَزِماً في نُسْكِهِ قَبْلَ نَحْرِ ٱلْبُدْنِ نَحْرانِ
وكلُّ يَوْمٍ بِهِ عيدٌ نُسَرُّ بِهِ فَإِنْ أَتىٰ فيهِ عيدٌ ، فَهْوَ عيدانِ

٣١٨

وقالَ يَمْدَحُ ٱلمَلِكَ ٱلمُظَفَّرَ(*) :

أَهلاً بِطَلْعَةِ بَدْرٍ مِنْكَ وافاني يا أَوَّلاً ما لَهُ في ٱلْحُسْنِ مِنْ ثانِ
حَبَوْتَ بِٱلحُسْنِ وٱلإِحسانِ مُبْتَدِئاً فَفُزْتُ مِنْكَ بِجَنّاتٍ ورِضْوانِ
وزالَ ما طالَ تَنْكيدُ ٱلزَّمانِ بِهِ مِنْ خَوْفِ واشٍ، ولاحٍ فيكَ يَلْحاني
فَنِلْتُ وَصْلَكَ لا ٱلأَعداءُ تَأْمُرُني بِٱلصَّدِّ عَنْهُ ولا ٱلْعُذّالُ تَنْهاني
وكَيْفَ تَعْرِضُ لي حالٌ أَذُمُّ بِها دَهْري، ومَحْمودٌ ٱلسُّلْطانُ سُلْطاني؟
مَلْكٌ حَمى ثَغْرَنا مِنْ بَعدِ ضَيْعَتِهِ وأَوْجَدَ ٱلعدْلَ فينا بَعْدَ فِقْدانِ
وأَصْلَحَتْ بِٱلنَّدىٰ وٱلْبَأْسِ دَوْلَتُهُ ما أَفسَدَتْهُ ٱللَّيالي مُنْذُ أَزْمانِ
عَمَّتْ لُهاهُ ، فَكُلُّ ٱلعالَمينَ لَهُمْ مِنْها بِكُلِّ مَكانٍ كُلُّ إِمْكانِ

(★) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد .

(١) كيوان : زُحل .

لَهُ عَلى ٱلخَلْقِ رُجحانٌ بِسُؤْدُدِهِ تُمْليهِ أَلسُنُ أَوْزانٍ وميزانِ
والَيْتُـهُ ، ثُمَّ والَيْتُ ٱلمَديحَ لَهُ فَٱخْتارَ ما هُوَ أَوْلَىٰ بي ، فَأَوْلاني
يا رائِداً لِسَوامِ ٱلشِّعْرِ مُنتَجِعاً ما كلُّ مَرعىً، وإنْ أَرْضىٰ، بِسَعْدانِ[1]
قِفْ[2] ذُراهُ فَقَيِّدْ كلَّ شارِدَةٍ خَصْلُ[3] ٱلسِّباقِ لَها في كلِّ مَيدانِ
بَحْرا مَعانٍ وَأَلفـاظٍ لَهُ مُرجا بِلُؤْلُؤٍ مِنْ قَوافيهـا ومَرْجانِ
يَوَدُّ شانِئُهُ عِنْــدَ ٱلنَّشيدِ لَها لَوْ زيدَ في مَوْضعِ ٱلعَيْنَيْنِ أُذْنانِ
إِليْكَ ،يا وارِثَ ٱلمَنْصورِ[4] دَوْلَتَهُ عَذْراءَ وارِثَةً إِحْسانَ حَسّانِ
لا زلتَ بِشْراً لِوَجْهِ ٱلدَّهرِ ناسِمَةً بِكَ ٱلمَواسِمُ مِنْ مَثْنىٰ ووُحْدانِ[5]
وافَيْتَنا بِالأَماني والأَمانُ لَنـا فَتَمَّ لِلنّاسِ قَبْلَ العيدِ عِيدانِ

٣١٩

ل 78 / ظ وقالَ يَمْدَحُ المَلِكَ الأَمْجَدَ(*) :

أَجَبْتُ نَذيرَ الشَّيبِ حِينَ دَعاني وجاذَبْتُ أَطْرابَ الشَّبابِ عِناني

(*) هو الملك الأمجد ، مجد الدين بهرام شاه ، مالك بعلبك .
(١) ورد هذا البيت أيضاً في المدحة الأمجدية السابقة (ص ٤٥٨) م
(٢) في الديوان : (ففي) ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) الخَصْل : إصابة الغرض ، والخطر الذي يخاطر عليه في النضال ، وما يُتقامر عليه ، وتخاصلوا أي تراضوا على النضال . يقال : أحرز خصله وأصاب خصله أي غلب .
(٤) والد الممدوح المنصور الأول محمد .
(٥) في الديوان : (وجدان) ، والصواب ما أثبتناه .

وأقلعتُ عن لهوِ الغرامِ ، ولو بَدَا مَشيبي ، ولم أُجفْ الحبيبَ جَفاني

أَبَعْدَ اعتياضِ السُّودِ بالبيضِ صَبْوَةٌ ؟
وهُنَّ الغَـــواني كاسمِهنَّ غوانِ !

ولم تَبْسُطِ العِشرونَ عُذْري ، فكيفَ بي
ولي بَعْدَهـا تسعٌ ودونَ ثمانِ

فيا صاحِبَيْ حضّي على الغيِّ أمسِكا فَحَسْبِيَ ما أَسْلَفْتُهُ ، وكَفاني

ويا ناصِحِيَّ المستجابينَ طاعـةً وسمعاً ، فإنَّ الرَّأيَ مـا ترَيانِ

وظَبْيٍ كحيلِ الطَّرفِ غيرِ مُكحَّلٍ تَناهَيْتُ في هِجْرانِهِ ، فنهاني

وقُلْتُ لهُ : أنتَ المرادُ لمُبْتَغي ودادٍ ، ولكنْ غيرُ شأنِكَ شاني

فجاوَزَ عنِّي راحـهُ ورُضابهُ[1] أُناساً ، ولو أنِّي شربْتُ سَقاني

كَفَفْتُ يَدي عن وَصْلِهِ ولطالمـا عَمَدْتُ ، ومالي بالصُّدودِ يَدانِ

وكم سامَ مِنِّي مُهْجَتي ، فأطَعْتُهُ ! وكم سُمْتُ قَلْبي تَرْكَهُ فعَصاني !

إلى أنْ ألانَ الشَّيبَ مِنْ ترفِ الصِّبا فَقَرَّ على الأَرْضِ الوَقارِ جِراني[2]

عَفَفْتُ ، فلا وَصْلُ الدُّمى يَسْتَفِزُّني ولا صِلَةٌ تعتـــادُني لِهَوانِ

---

(١) رضابه : الرضاب الريق المرشوف ، أو ما رضبه الإنسان من ريقه كأنه يمتصه ، وإذا قبَّل جارية رضب ريقها ، وقيل هو تقطع الريق أو قطعه في الفم وكثرة ماء الأسنان .

(٢) جران : من البعير مقدم عنقه ، وألقى البعير جرانه أي برك .

ولولا حِباءُ ابْنِ الْمعِزِّ وحُبُّــهُ لَمَا فاهَ يَوماً بالْقَريضِ لِساني

فَتىً ، خَبَّروني عن سِواهُ فَضائلاً فأقْسَمْتُ ما أَخْبارُهمْ كعِياني

وإنْ أَكْسُهُ ما ليس يَبْلَى جَديدُهُ فكَمْ حُلَّةٍ[1] أَبْلَيْتُها فكَساني !

وكمْ ساءَني صَرْفُ الزَّمانِ، فَسَرَّني! وكَمْ راعَني كَيْدُ العِدا ، فَرَعاني !

وأَنْصَفَني مِنْ جَوْرِ دَهْري فَرَدَّني أَراهُ بعَيْنِ القَهْرِ ، وهْوَ يَراني

مَليكٌ كريمٌ فاقَ أَهْلَ زمانِهِ بأَنْعُمِهِ ، بَــلْ أَهْلَ كلِّ زَمانِ

وأَرْوَعَ نَظّامٍ لكلِّ قصيدةٍ يَخِفُّ لإطرابٍ لهــا الثَّقَلانِ[2]

تَناهَتْ بِها الأَلفاظُ لُطفاً ورِقَّةً إلى أنْ حَسِبْنا أَنَّهُنَّ مَعانِ

أَخو عَزْمَةٍ تَبْني الفَخــارَ وهِمَّةٍ تُهدِّمُ رُكْنَيْ «يَذْبُلٍ»[3] و«أَبانِ»[4]

ل 79/و يُضيءُ خَفيّاتِ الَمقاتلِ في العِـدا بخَيْرِ سَناً مِنْ صارمٍ وسِنانِ

---

(١) حُلَّة : إزار ورداء بُرْد أو غيره ، ولا تكون حُلَّة إلا من ثوبين ، وهي من برود اليمن ، وتجمع على حُلَل وحِلال .

(٢) الثقلان : الإنس والجان .

(٣) يَذْبُل : اسم جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها ، وهو لباهلة . (معجم البلدان ، ج ٥ ص ٤٣٣) .

(٤) أَبان : اسم جبل . ذكر ياقوت أن أبان الأبيض شرقيّ الحاجر فيه نخل وماء يقال له أُكرة ، وهو العلم لبني فزارة وعبس ، وأن أبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة وبينه وبين الأبيض ميلان . (معجم البلدان ، ج ١ ص ٦٢) .

عَنَا لكَ ، مجدَ الدِّينِ ، كلُّ مُتَوَّجٍ ... يُباعِدُ في حُبِّ العُلا ويُداني
فَضَلْتَهُمُ جِدّاً برأيٍ ورايـــةٍ ... لأَبْلَجَ لا وانٍ ، ولا مُتَوانِ
كَمُلْتَ ، فأَكْمَلْتَ الفَوائدَ لِلْوَرَى ... نَوالاً وإرْشاداً لكلِّ جَنانِ
فرَغَّبْتَ في الإنعامِ كلَّ مُبَخَّلٍ[1] ... وزَهَّدْتَ في الإحجامِ كلَّ جبانِ
فلا زالتِ النُّعْمى عليكَ التي بِها ... لَنا كلَّ أوقاتِ الزَّمانِ تَهاني
ولا زِلْتَ مشكورَ الفَعالِ ولا يَزلْ ... عَدُوُّكَ مَذْموماً بِكُلِّ لِسانِ

٣٢٠

وقالَ يَمدَحُهُ[2] :

هُوَ ٱلرَّبعُ أَذْهَبَ عَنّا ٱلحَزَنْ ... بِمَغْناهُ وَصْلُ ٱلغَزالِ ٱلأَغَنْ[3]
وأحيا سُروري بِهِ شادِنٌ ... تَنَفَّرَ عَـــنّي ، ثُمَّ ٱطْمَأَنْ
ومـا زالَ يَعْلَمُ أَنّي ٱلوَلِيُّ ... وَأَنّي ٱلوَفِيُّ ، وأَنّي ، وأَنْ
خَليـــلَيَّ مِنْ عامرٍ خَلِّني ... طَليقَ ٱلعِنانِ خَليعَ ٱلرَّسَنْ[4]

---

(١) البَخال والبخّال والمُبخَّل والبَخَل وهو الشديد البخل .

(٢) أي ممدوحه السابق الملك الأمجد بهرام شاه .

(٣) الأغن : هو الذي يخرج صوته من خياشيمه .

(٤) خليع الرسن : من المجاز قولنا خلع فلان رسنه وعذاره ، أي ألقاه عن نفسه ، فعدا على الناس بشرٍ ، وهو على المثل بذلك .

ولا تَخْدَعَنِّي عَنْ مَأْلَفِي ... بِبِيضِ ٱلْعِراقِ ، وسُمْرِ ٱلْيَمَنْ

فَبَيْنَ « سَنيرٍ » و « لُبْنانَ » لي ... غَرامٌ غَذانِي قَبْلَ ٱللَّبَنْ

تَأَمَّلْ بِأَكْنافِ تِلْكَ ٱلْبِقاعِ ... جآذِرَ ، كَمْ لي بِها مِنْ شَجَنْ !

أَخَذْتُ بِكُورِيَ مِنْ « جوشَنٍ »[1] ... وكُورِيَ مِنْ ظَهْرِها في « فَدَنْ »[2]

وكَمْ صاحِبٍ بِـ « حَماةَ » تَرَكْتُ ... بِتَذْكارِ عَهْدِي كَثيرَ ٱلتَّغَنْ

وصاحَبْتُ جَدِّي إلى « بعْلَبَكٍّ » ... فَأَصْحَبَ جَدِّيَ بَعْدَ ٱلْحَرَنْ

فَأَنْزَلْتُ دُونَ ٱلْوَرى حاجَتي ... بِأَزْهَرَ لا يُتْبِعُ بِٱلْمَنِّ مَنْ

بِبَهْرامَ شاهَ بْنِ فَرُّخْشَهَ بْنِ ... شَهَنْشاهَ خَيْرِ مُلوكِ ٱلزَّمَنْ

مَليكٌ يُنَوِّلُ جَمَّ ٱللُّها ... إذا مَلَّ أَيسَرَها مَنْ ومَنْ

طَروبٌ إذا سِيلَ[3] مِنْهُ ٱلْجَدا ... كَأَنْ قَدْ تَغَنَّى لَهُ ذو جَدَنْ[4]

أَعَزُّ ٱلْمُلوكِ حِمىً في ٱلْحُروبِ ... وأَسْهَلُهُمْ جانِباً في ٱلْهُدَنْ

---

(١) جوشن جبل مطل على حلب في غربيّها ، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة ، وقد أكثر شعراء حلب من ذكره جداً (ياقوت : معجم البلدان : ج ٢ ص ١٨٧) .

(٢) أغلب الظن أنها (الفُدين) ذكر ياقوت أنها تصغير الفدن ، وهي قرية على شاطىء الخابور مابين ماكسين وقرقيسيا كانت بها وقعة . (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٤٠) .

(٣) أي سُئل وخَفّفت الهمزة لضرورة الشعر .

(٤) ذو جَدَن : هو عَلَس بنُ يَشْرَحَ بن الحارث بن صيفيّ بن سبأ جَدّ بلقيس ، وهو أول من غنّى باليمن كما يزعم الأقدمون .

أَهانَ مِنَ ٱلرِّفْدِ ما لا يُهـانُ وصانَ مِنَ ٱلْمَجْدِ ما لم يُصَنْ
تَفَرَّدَ في ٱلقَوْلِ وٱلفِعْلِ مِنْـهُ زَكِيُّ ٱلأُصولِ أَصيلُ ٱلزَّكَنْ[1]
أَناظِمَ كلَّ شَرودٍ بِهـا يَهونُ ٱلحَرونُ ، ويُنْهي ٱلحرَنْ
مُفَوَّفَةُ ٱلبُرْدِ لا نَسْتَبينُ أَعدْنُ ،جَنَّتا[2]، بِها أَمْ «عَدَنْ» ؟
أَلا كلُّ عَيْنٍ ومَعْنىً فِدىً لِهٰـذا ٱللِّسانِ وهٰـذا ٱللَّسِنْ
ومَنْ ذا يَقومُ بِعِبْءِ ٱلثَّنـاءِ عَلَيْكَ ، وقَدْ فُقْتَ في كلِّ فَنْ ؟
سَنَنْتَ ٱلتِزامَ عَميمِ ٱلنَّوالِ فَخِلْتُ ٱلفَرائِضَ تِلْكَ ٱلسُّنَنْ
وخَصَّصْتَني بِأَيادٍ بِهِنَّ قَلَبْتُ لِدَهْري ظَهْرَ ٱلمِجَنْ
هَنيئاً لِدَهْرِكَ إِدْراكُـهُ بِطولِ بَقائِكَ أَقْصى ٱلثَّمَنْ
وفيكَ تَنافَسُ أَعْوامُـــهُ فَيَحْسُدُ قادِمُها ما شَطَنْ[3]
فَلازِلْتَ تَبْقى ، وتُفْني ٱلسِّنينَ سَنِيَّ ٱلجَميلِ ، جَميلَ ٱلسَّنَنْ

٣٢١

وقالَ يَمدَحُ ٱلمَلِكَ ٱلمُظَفَّرَ (*) :

(*) هو الملك المظفر الثاني محمود بن المنصور الأول محمد .

(١) الزكن : هو الفهم والعلم والفراسة .

(٢) أي ياجنتي ، فالمعروف في المنادى المضاف لياء المتكلم أنه يجوز قلب يائه ألفاً .

(٣) شطن : بعد ومضى .

لِمَنِ ٱلْمَنازِلُ ؟ عَنَّ لي مِنْ عِينِها ... غِيدٌ ضَنِيتُ صَبابَةً بِضَنِينِها
سَهُلَتْ حُزونُ تَجَلُّدي لِجَآذِرٍ ... يَسْنَحْنَ بَيْنَ سُهولِها وحُزونِها
مِنْ كلِّ ساجِيَةِ ٱللِّحاظِ رَشيقَةٍ ... تُضْنيكَ في حَرَكاتِها وسُكونِها
كَمْ وَقْفَـــةٍ بِرُبوعِها فارَقْتُها ... بِلَواعِجٍ مَقْرونَـــةٍ بِحَنينِها
وكَفَيْتُها مَنَّ ٱلْغَمامِ بِأَدْمُعٍ ... مَدَدُ ٱلسَّحائِبِ مِنْ مِياهِ عُيونِها
وهَنا بِعَقْلي مِنْ عَقائِلِ حُجْبِها ... هَيْفاءُ ثابِتَةٌ عَلَى تَلْوينِها
خُذْ مِنْ أَحاديثِ المَلاحَةِ والأَسَى ... ما شِئْتَ عن لَيْلَى، وعن مَجْنونِها
غَرّاءُ أَبْدَعَ في الغَرامِ بُمْهجتي ... ما أَبْدَعَ الرَّحْمنُ مِنْ تَكْوينِها
عَرَضَتْ فشَبَّتْ في حَشاي بِحُبِّها ... ناراً وشابَتْ جِدَّهـا بِمُجونِها
لو لم يُزَيِّنْها كَمالُ جَمالِهـــا ... غالَى كَمالُ الوَجْدِ في تَزْيينِها
سَفَرَتْ فلم تَفْزِ القَناةُ بِلَوْنِها ... وتَعَطَّفَتْ فَتَخَطَّفَتْ(١) مِنْ لِينِها
مَلَكَتْ نِصابَ الحُسْنِ، وهْيَ بَخيلَةٌ ... بِنَصيبِ إحسانٍ على مِسْكينِها
تَرْنو فتَخْتَرِمُ(٢) النُّفوسَ كَأَنَّما ... سَيْفُ المظَفَّرِ سُلَّ بَيْنَ جُفونِها
ضَرّابُ أَعْناقِ الطُّغاةِ بِصارِمٍ ... يُنْسِي الأُسودَ زَئيرَهـا بِأَنينِها
مَلِكٌ إذا أَمَّ المُلوكُ جَنابَـــهُ ... وَقَفَتْ بِبابِ مُعِزِّهـا ومُهينِها

---

(١) في الديوان : (فتحطفت) .
(٢) فتخترم : أي تهلك وتستأصل .

وَجْدُ القَناةِ بِكَفِّهِ و [يَمينِهِ][1] وَجْـدُ الفَتاةِ بإلْفِها وخَدينِها ل 80/ و

وإذا المُلوكُ عَصَتْ عليهِ لِحينِها قُطِفَتْ ثِمارَ رُؤوسِها في حَينِها

أَظَهِيرَ دَوْلَةِ هـاشِمٍ أَمْدَدْتَهـا مِنْ سَطْوِ مُوساها نُهَىٰ هارونِها

وهَزَزْتَ بالآراءِ أَفْنـانَ العُلا فجَنَيْتَ بالرَّاياتِ كلَّ فُنونِها

ومَمالِكٍ أَنْزَلْتَ صِيدَ مُلوكِها بالقَهْرِ عن صَهَواتِ حِصْنِ حُصونِها

و « حَماةُ » لولم يَسْرِ طالِبُ وَصْلِها سارتْ إليكَ رُبوعُها بقَطينِها

ولقد دَلَفْتَ لِفَتْحِ « آمدَ » بَعْدَما راعَ الوَرَىٰ ما شادَ مِنْ تحصينِها[2]

زاحفتَها سَعْياً كأَنَّكَ ضَيْغَمٌ قَصَدَ الغَزالةَ آخِـذاً بقُرونِها

عَجِزَ المُلوكُ عن القَرارِ بوَهْدِها وعَلَوْتَ مُسْتَوِيـاً على عِرْنِينِها[3]

أَمْكَنْتَ مِنْها ، ثم عُدْتَ مُشَرَّفاً مَغْنَىٰ « حَماةَ » فزِدْتَ في تَمْكِينِها

نُصِرَتْ ودانَ لها الزَّمانُ وأَهْلُه بِسُطا مُظَفَّرِها ابْنِ ناصِرِ دينِها

بِسَحابِ أَزْمَتِها[4] وشمسِ نهارِها وهِلالِ لَيْلَتِهـا ولَيْثِ عَرينِها

(١) في الديوان فراغ ، وقد أثبتنا ما رأيناه مناسباً للمعنى .

(٢) إشارة هامة لفتح آمد ، وقد ساعدتنــــا على تعيين مدحة سابقة لم يذكر فيها اسم الممدوح ، وإنما ورد ذكر المعركة فقط ، كما وردت الإشارة إلى هذه المعركة أيضاً في مدحة ثالثة ص ١٦٤ .

(٣) عرنينهـا : العرنين في الأصل الأنف كلّه أو ما صلب من عظمه ، ومن كل شيء أوله ، والمقصود بهذه الكلمة هنا أعلى مكان فيها .

(٤) الأزمة : يقال سنة أزمة أي ملولة شديدة اشتد فيها القحط .

إنْ تَمَّ فَضْلُ زَمانِهـــا فَلأنَّهـا   حَوَتِ الكَمالَ وعبدُها مِنْ طِينِها

أَلفَيْتَها مِنْ فَوْقِ كلِّ مُقاوِمٍ   لَمَّا رَأَيْتُكَ قائماً مِنْ دُونِها

وأَمِنْتُ دَهْري في جَنابِ مُمَدَّحٍ   لا مُبْطِئُ الجَدْوَى ولا مَمْنونِها

بَحرٍ حَباني بالنَّفائسِ مَحْضَـــةً   وسِواهُ يَخْلِطُ غَثَّها بِسَمِينِها

فخَصَصْتُهُ مِنْ خاطِري بقَلائدٍ   جَلَّتْ ودَقَّ الفِكْرُ في تَثْمِينِها

أَلفاظُهـا والدُّرُّ دُرٌّ إِنَّمـــا   مَعْدودُها فَرْعٌ على مَوْزونِها

وبُنُونُها مِنْ مَجْدِهِ مَنْظومـةٌ   لكنَّني أَحسَنْتُ في تَضْمِينِها

مَلَكَتْ قِيادَ حَسودِهِ ومُعانِدي   حتى تَساوَى النّاسُ في تَدْوِينِها

تَخْتالُ في بُرْدِ الشَّبابِ بِمَدْحــةٍ   تِيهاً ، وقد أَرْبَتْ على سَبْعِينِها

٣٢٢

وقالَ يَمْدحُ المَلِكَ الأَمْجَدَ[*] :

ل 80 /ظ

لَئِنْ نَضَبَ الدَّمعُ مِنْ شانِهِ[١]   فليس التَّصبُّرُ مِن شانِهِ[٢]

مَشوقٌ تَباعَدَ عنهُ الأَسَى   فقَرَّبَهُ بُعْـــدُ جيرانِهِ

(*) الملك الأمجد بهرام شاه ، ملك بعلبك .

(١) شانه : أي شأنه ، بتخفيف الهمزة للضرورة الشعرية ، وهو مجرى الدمع إلى العين.

(٢) شانه : أي شأنه ، بتخفيف الهمزة أيضاً للضرورة الشعرية ، وهو الأمر .

وأغراهُ إغراقُ عُذّالِهِ عليهمْ بسلوانِ سُلْوانِهِ
وكيفَ التَّصبُّرُ عن شادنٍ تَلينُ الأُسودُ لِلَيّانِهِ
تُحدُّ القلوبُ على حُبّهِ بحدِّ صوارمِ أجفانِهِ
بمَنْ أسْتَعينُ على حُبِّهِ وقلبيَ مِنْ بَعْضِ أعوانِهِ
وقد كانَ أقبَرَ قلبي البِعادُ فأنشَرَهُ قُرْبُ سُلْطانِهِ
مليكُ هُدَىً يُمْنُ آرائِهِ أُعيدَ لِتأبيدِ أيْمانِهِ
يُميتُ بعِقْبانِ[1] راياتِهِ ويُحْيي الْعَديمَ بعِقْيانِهِ[2]
ويُغريكَ مجلسُهُ الأمجديُّ بنِسْيانِ كِسْرى وإيوانِهِ
أخو الجودِ زِينَ بتعْجيلِهِ وتحْقيرِهِ وبِكِتْمانِهِ
وذو النَّظْمِ يَحْسَبُ ألفاظَهُ تَمدُّ جواهرَ تيجانِهِ
وإنّي لأشْكُرُ إحسانَه وأسْلو قلائدَ حَسّانِهِ[3]
تسامحَ ديوانُهُ بالقِرى وضَنَّ بإقراءِ ديوانِهِ
وإنّي، وإن كنتُ لم أروِهِ لأمرُجُ في مَرَجِ مَرْجانِهِ
وآمرُ دهريَ أمرَ الغُلامِ لأنّيَ مِنْ بعضِ غِلمانِهِ

(١) عِقبان: جمع عُقاب، وهو طائر من العتاق، وسباع الطير التي تصيد؛ ويطلق لفظ العقاب أيضاً على الراية والعلم الضخم.
(٢) عِقيان: الذهب الخالص.
(٣) حسّانه: أي حسان بن ثابت شاعر الرسول الكريم.

٣٢٣

وقالَ يَمدَحُهُ (*) :

صَحَوْتُ مِنْ سُكْرِ حُبِّ ٱلخُرَّدِ (١) ٱلعِيْنِ (٢)
وَبِعتُ بِٱلْجِدِّ هَزلي غيْرَ مَغبونِ

ولامَ في ذاكَ أَصْحابي فقُلْتُ لَهُمْ : كُفُّوا فَبَعْضُ ٱلّذي فارَقْتُ يَكْفيني

أَطَعْتُ أَمْرَ نَصيحي حينَ أفهَمَني أَنْ لَيسَ يُغْضِبُني إلاّ لِيُرْضيني

وإنْ نَهاني ٱلصِّبا عَمّا أَمَرْتُ بِهِ فَلا أُطيعُ شَباباً سَوْفَ يَعْصيني

وٱلزُّهدُ في ٱلْغيدِ قَبلَ ٱلأَرْبعينَ وفي عَشْرِ ٱلثَّمانينَ أَقليها وتَقْليني

كانَ ٱلتَّغَزُّلُ بِٱلغِزْلانِ يُفقِرُني وٱليَومَ مدْحُ ٱبْنِ مُعِزِّ ٱلدّينِ يُغْنيني

ضَمِنْتُ في خَيْرِ عيدٍ خَيْرَ قافيَةٍ خَيْرَ ٱلتَّهاني إلى خَيْرِ ٱلسَّلاطينِ

بَهْرامَ شاهَ بْنِ فَرُّخْشاهَ أَكْرَمِ مَنْ أعانَ بِٱلنِّعَمِ ٱلأَبكارِ وٱلعُونِ

(*) ممدوحه السابق الملك الشاعر الأمجد بهرام شاه .

(١) الخرّد : جمع الخَريدة والخَريد والخرود ، وهي من النساء البكر التي لم تمسس قط ، وقيل هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة قد جاوزت الإعصار ولم تعنس ، وتجمع أيضاً على خرائد وخُرُد .

(٢) عِين : جمع عَيناء ، وهي الواسعة العين ، وهي في الأصل تطلق على بقر الوحش لأن العَيَن صفة غالبة فيها ، ثم استعملت هذه الصفة للنساء ، فقيل : « حور عين» .

مَلْكٍ إذا قابَلَ ٱلأَمْلاكَ تَمَّ لَهُ فَرْطُ ٱلْعُلُوِّ ورُجْحانُ ٱلْمَوازينِ

صَلْتِ[١] ٱلجَبينِ بِتاجِ ٱلعِزِّ مُعْتَصِبٍ سَمْحِ ٱلْيَمينِ بِثَدْيِ ٱلجودِ مَلْبونِ

تُريكَ حِكْمَتُهُ ٱلمأْمونَ مُشْتَمِلاً بِسَيْفِ مُوسَى نَضَتْهُ كَفُّ هارونِ

يَلْقى ٱلأُلوفَ فَيُلْقيها علىٰ حَدَمٍ[٢] يَرُدُّها ضَرْبُهُ في عِقْدِ تِسْعينِ

يَدُرُّ خِلْفُ ٱلْغِنىٰ لِلنّازِلينَ بِهِ رَبْعُ مَغانيهِ أَوْطانُ ٱلْمَساكينِ ل 81/ و

فكَمْ لَهُ في وُجوهِ ٱلْقاصِدينَ لَهُ مِنْ حاجِبٍ بِهِباتِ ٱلعينِ مَقْرونِ

بَدْرُ تَمامٍ يُريكَ ٱلشَّمسَ كاسِفَةً نُجومُ أَوْلادِهِ ٱلْغُرُّ ٱلْمَيامينِ

إذا لَقُوا جَحْفَلاً تَلْقى خُيولَهُمُ تَحْتَ المَلائِكِ أَمْثالَ الشَّياطينِ

يا أَيُّها الأَمْجَدُ المَلْكُ الذي يَدُهُ يَدٌ على الدَّهرِ أَسْتَعْدي فتُعْدِيني

فعِيشَتي جَنَّةُ الفِرْدَوسِ راضيَةٌ والرِّزْقُ كالرِّزقِ فيها غيْرُ مَمْنونِ

أَدارَ في « بَعْلَبَكَّ » مِنْ نَداكَ لَها
عَمَّتْ ، فضاقَتْ ذَوي الإملاقِ في الصِّينِ[٣]

يا مَنْ أَصولُ وأَسْطو وهو يَمْنَعُني ومَنْ أَقيلُ وأُجْدي وهْو يُغْنيني

قد آذَنَ العيدُ لي بالنُّجحِ حينَ دَنا فاسْمحْ بإذْنٍ[٤] إلى سُؤْلٍ يُؤَدِّيني

---

(١) الصلت : الجبين الواضح والبارز المستوي .
(٢) الحَدَم والحَدْم من النار شدة احتراقها وحميها .
(٣) في الديوان : (الصيني) .
(٤) في الديوان : (بادن) .

أَمَّا السَّعادةُ في الدُّنيا فقد حَصَلَتْ ... لي في ذُراكَ ، فأَسْعِدْني على الدِّينِ

٣٢٤

وقالَ يَمْدَحُ المَلِكَ النَّاصِرَ(*) :

سِرْ مُوَقًّى مِمَّا تخافُ مُهَنَّا ... بفُتوحِ البلادِ سَهْلاً وحَزْنا

هكذا يا أَبا المُظَفَّرِ يا يُو ... سُفُ يا خَيْرَ مَنْ يُسَمَّى ويُكْنى

تُسْتَضافُ البِلادُ أَرْضاً فأَرْضاً ... وتُحازُ القِلاعُ حِصْناً فحِصْنا

أَيُّها النَّاصرُ المَليكُ الَّذي عَمَّ ... جَميعَ الأَنامِ أَمْناً ومَنّا

أَعْجَبَ النَّاسَ ما نقولُ وما تَفْـ ... ـعَلُ حتى رَوَوْهُ عنكَ وعنّا

نحنُ لا نَتْرُكُ المَديحَ ولا أَنْـ ... ـتَ فَعالَ النَّدَى ، ومِنْكَ ومِنّا

٣٢٥

وقالَ يَرثي سابقَ الدِّينِ مَمْلوكَ المَنْصورِ على لِسانِهِ(١) :

بِمَنْ أُسَكِّنُ قلبي عنكَ يا سَكَني؟ ... بِمَنْ أُعلِّلُ آمالي ؟ بِمَنْ ؟ بِمَنِ ؟

(*) هو الناصر الثاني صلاح الدين يوسف بن العزيز غياث الدين محمد .

(١) لوحظ عند شعراء عصور الدول المتتابعة ظهور فن القول على لسان الممدوح في بعض الأغراض الشعرية كالمدح والرثاء ، وقد أورد أبو شامة المقدسي نماذج من الرباعيات التي نظمها العماد الكاتب في معنى الجهاد على لسان الملك العادل نور الدين نفسه . (أبو شامة: الروضتين ، ج ٢ ص ٢١١) .

يا هالكاً عَذَرَتْني فيـــهِ عاذلتي ولو عُذِلتُ لطاشَ[1] العَذْلُ عن أُذُني

إنْ خانني زمني فيه ، فلا عَجَبٌ قد كُنْتُ أَذْخَرُهُ عوناً على زمني

ما راقَ في ناظري مِنْ بعدِهِ أَسدٌ على جوادٍ ، ولا بدرٌ على غُصُنِ

ما كنتُ أحسبُ كفَّ الدَّهرِ قادرةً

أَنْ تُدرِجَ الحُسْنَ والإحسانَ في كَفَنِ

٣٢٦

وقالَ ، رحمَهُ اللهُ :

بروحي غزالٌ أَغَنْ[2] فـؤادي بـــه مُرْتَهَنْ

مِنَ الْحورِ أجفانُـــهُ جفونُ سيوفِ الفِتَنْ

لأعديتُهـــا بالضَّــنَى ولم تُعْـدِني بالوَسَنْ

فَـمَنْ مُشبهي في الهوى ؟ ومَنْ مثلُ حي ؟ ومَنْ ؟ ل 81 / ظ

نَهاري أَسيرُ الجـوى ولـيـلي سميرُ الحَزَنْ

فيـا غافلَ القَلْبِ عن جَوايَ ، إذا اللَّيلُ جَنْ

أَبَثُّـــكَ أنِّي ضَنيتُ وأَنِّي ، وأَنِّي ، وأَنْ ؟

تركْتُ قَبيـحَ المَـــلامِ لِوَجْهِكَ هـذا الحَسَنْ

---

(١) طاش السهم عن الغرض : جاوزه ولم يصبه .

(٢) أغنّ : يقال غزال أغن أي يخرج صوته من خياشيمه .

٣٢٧

وقالَ :

ما كانَ بَيْني وبَيْنَ الدَّهرِ مِنْ إِحَنٍ حتى رَماني مِنَ الإِخْوانِ بالبَيْنِ
خَلَتْ مِنَ الدَّمعِ عَيْني في الدُّنوِّ ومُذْ نَأَيتُ عنهمْ خَلا دَمْعي مِنَ العَيْنِ

٣٢٨

وقالَ يَمْدحُ المَنْصورَ(*) ، ويَذْكرُ وَقْعةَ التَّتارِ سَنَةَ (٦٥٧)[١] :

لَكَ العُلا أعْيَتِ المُبارينـا تَقْرَعُ مِنْها الأَبكارَ والعُوْنا
يا مَلِكاً لم تَزَلْ عزائِمُـهُ تَكُفُّ عنَّا الأذىٰ ، وتَكْفينا
أَنتَ المَليكُ المَنْصورُ أَشْرَفُ مَنْ فاقَ البَرايا عِزّاً وتَمْكينا
والشَّمَّريُّ[٢] الَّذي كِنا نَتُـهُ على جُيوشِ الطُّغاةِ طاعُونا

(*) هو الملك المنصور الثاني محمد بن المظفر الثاني محمود ، ملك حماة .

(١) في الديوان : (سنة ٦٧٥) ، والصواب ماأثبتناه ، إذ إن الشاعر توفي سنة ٦٦٢ هـ ، وجدير بالذكر أن الملك المنصور الثاني ترك حماة وذهب إلى مصر ، وطلب نجدة السلطان قطز ، فلبى طلبه ، وخرج على الفور معه ، فهزم التتار شر هزيمة في معركة عين جالوت يوم الجمعة في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، وقد مرّت معنا قصيدة نظمها الشاعر في ذات المعركة .

(٢) الشَّمَّريّ : هو الرجل المجرِّب والماضي في الأمور .

بعَيْنِ جالوتَ خُضتَ بَحْرَ وَغىً يُخالُ فُلْكاً بالأُسْدِ مَشْحونا

وكُنْتَ للجَيْشِ غُرَّةً شَدَختْ أنوفهـــم ، فانْثَنَوا مُهابينا

أوْسَعتَ فيهِ التَّتارَ ضَرْبَ طُلىً[(١)] هَـدّاً وطَعْناً يُخالُ طاعونا

أَخَذْتَ ثأرَ الإمامِ[(٢)] إذْ فَتَكوا بـهِ ، وصالُوا عليهِ عادينا

دَعا عليهمْ آلُ النبيِّ بأنْ يَرْدَوْا ، فقالَتْ ظُباكَ : آمينا !

أذْكَرْتَهُمْ مـا صَنَعْتَ قَبْلَهُمُ بكَتْبَغا ، فانْثَنَوا مُولِّينا

وما نَجـا مِنْهُمُ سِوى خَبَرٍ أَسْكَنَ قازانَ خُبْرُهُ الصِّينا

يَفْديكَ بذَّالُ عِرْضِهِ سَفَهاً ومانِعٌ مِنْ نَـداهُ ماعُونا[(٣)]

بلْ كلُّ سَمْحِ اليَدَيْنِ يَحْسَبُهُ الـــعافي بجُبٍّ الحِباءِ مَفْتونا

يا ناصرَ الدِّينِ ، يا مُحَمَّدُ ، ما أولىٰ بحَمْدٍ مَنْ يَنْصرُ الدِّينا !

تُفْني الأعاديَ قَتْلاً ، وتُسعِفُ مَنْ والاكَ مِنْ جُودِكَ الأفانينا

---

(١) طُلى : جمع طُلْية وطلاة وهي العنق .

(٢) الإمام : المقصود به خليفة بغداد المستعصم بالله ، وقد أثر عنـــه أنه قال حين نبهه أصحابه إلى الاستعداد لصد جحافل التتار : « إن بغداد تكفيني ، ولا يستكثرونها عليَّ ، فاذا تنازلت لهم عن باقي البلاد لا يهجمون عليَّ ، وأنا بها وهي بيتي ومقامي » ، والمعروف أن هولاكو دخل بغداد واستباحها في الرابع من شهر صفر سنة ٦٥٦ هـ ، والموافق للعشرين من شهر شباط سنة ١٢٥٨ م .

(٣) الماعون : هو المعروف .

تَهَنَّ ما شِئْتَ مِنْ مدائِحِنا كما لَنا ، مِنْ نَداكَ ، ما شِينا[١]

٣٢٩

وقالَ في ذلكَ أيضاً[٢] :

دُمْتَ بالعامِ مُهنَّا نائلاً ما تَتَمنَّىٰ

تَشْهدُ الحرْبُ، فتُفْني صِيدَها ضَرْباً وطعْنا

وتُبيدُ الجوْرَ عَدْلاً وتُعيدُ الخوْفَ أمْنا

وتُعيدُ الجُودَ حتى يَقْرَعَ الباخلُ سِنّا

وتَلَذُّ العَيْشَ في ظِـلِّ شَبابٍ ليس يَفْنىٰ

وتُعاطي راحَ راحا تِلكَ مَنْ تَهْواهُ خِدْنا[٣]

شادنٌ يُغني عن الحلْـيِ وشادٍ يَتَغَنَّىٰ

وحبيبٌ في تَجنِّيـهِ رِضاً يَعْذُبُ مَجْنىٰ

فهو بَدْرٌ يَتَجلَّى وهو غُصْنٌ يَتَثَنَّىٰ

وجليسٌ أكْمَلَ الآ دابَ ألْفاظاً ومَعْنىٰ

ل 82 / و

---

(١) ماشينا : أي ما شئنا بتخفيف الهمز .

(٢) ممدوحه السابق الملك المنصور الثاني ، ملك حماة ، ويؤكد ذلك ما جاء في البيت الخامس عشر (ابن محمود) ، والبيت الرابع والعشرين (المنصور) .

(٣) الخِدْن : الصاحب والحبيب للمذكر والمؤنث .

ثقَّفَتْـهُ الكَأسُ تَثْقِيـــفَ القَنا الخطيِّ لَدْنا

وإلى مَجْدِكَ يُعزَى كلُّ إحسانٍ وحُسْنَى

ما شَهِدْنا فيكَ إلّا بالذي مِنْكَ عَلِمْنا

فُقِدَ الأجوادُ لكنْ حِينَ جَدَّيْنا[1] وَجَدْنا

مُذْ نَزَلْنا بابْنِ محْمو دٍ لَمسْرانا حَمِدْنا

مَلِكٌ يَفْضُلُ أفْـــعالاً على ما فيهِ قُلْنا

ولهُ غُـرٌّ خِلالٍ مَنْ تعاناها تَعَنَّى

حازَ مِنْهُنَّ فُنونـاً إذْ حوَى العالَمَ فَنّا

ظَنُّهُ صِدْقٌ إذا كا نَ يَقِينُ النّاسِ ظَنّا

طَرَفاهُ مِنْ بني أيُّـــوبَ أسماهُمْ وأسْنَى

إرْثُهُ عن عُمَرَيْهِ[2] لِسواهُ ما تَسَنَّى

واحْتَواهُ شَرَفُ المَحْـــتِدِ مِنْ هَذا وهَنَّا

فهو أسْمَى مَنْ تَسَمَّى وهو أبْهَى مَنْ تَكَنَّى

أيُّها المَنْصورُ يا مَنْ شرَّدَ الإعدامَ عنّا

---

(١) أي جددنا ، وقد ألجأ الشاعر لهذا الأسلوب ضرورة شعرية .

(٢) هما جداه : المظفر الأول تقي الدين عمر ، والمظفر الثاني تقي الدين محمود . وهذا من باب التغليب كما في العمرين أبي بكر وعمر .

حَيثُما كانَ يُوافيـــنا نَداهُ حَيثُ كُنّا
فَلَنَا الراحاتُ مِنْهُ وَلَهُ الأَمْداحُ مِنّا

٣٣٠

وقالَ يمدحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ (*) :

لَكَ المُلْكُ مَقْروناً إلى مَجْدِكَ الأَسْنَى فلا زالَ مَحْروساً بآلائكَ الحُسْنَى
وهُنِّئْتَ بالعامِ الَّذي عَمَّ نَفْعُهُ وخَصَّصَ مَنْ والاكَ بالمَنِّ والأَمْنا[1]
فإنَّكَ لَلْمُرْبي بأنْعُمِكَ التي فَرَضْتَ على جَمِّ العَطاءِ[2] الَّذي سَنَّا
ل 82 /ظ وَلاؤكَ غَرْسٌ يُثْمِرُ العِزَّ والغِنَى وجُودُكَ سَيْلٌ يَمْلأُ السَّهْلَ والحَزْنا
لكَ اللهُ جارٌ مِنْ مَليكٍ مُظَفَّرٍ مُبيدٍ إذا أَقصى مُعيدٍ إذا أَدنَى
ويُغْني عن المَرْضيِّ مِنْ لَحْنِ مَعْبَدٍ بِصَوْتِ حُسامِ المَشْرَفيِّ إذا غَنَّى
ويَسْتُرُ عَوراتِ الذُّنوبِ إذا عَفَا ويُبْدي خَفيَّاتِ الغُيوبِ إذا ظَنَّا
أفادَ الأَيادي مِنْ جَداهُ وجَدِّهِ فلم يدَّخِرْ عنَّا يَساراً ولا يُمْنَى
وشرَّفَ أَعوادَ المَنـــابِرِ ذِكْرُهُ بأشْهَرِ مَنْ يُسْمَى ، وأَوْقَرِ مَنْ يُكْنَى

(*) هو الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد .

(١) الأمنا : أي الأمناء ، بقصر الممدود للضرورة الشعرية ؛ جمع المنا ، وهو الكيل أو الميزان الذي يوزن به ، وهو أفصح من المنّ .

(٢) في الديوان (العطا) .

هَدَتْنا سَجاياهُ فسُدْنا ذوي الُهدَىٰ ... ولا نَحْنُ قارَبْناهُ فيها ولا كِدْنا
وخِلْناهُ مُخْتصّاً بفنٍّ مِنَ العُلا ... إلى أنْ رَأَيْنا كلَّ فنٍ لهُ فَنَّا
فكمْ مِنَّةٍ أَسْدَىٰ ، وكم غُلَّةٍ شَفَىٰ ! ... وكم كرْبَةٍ جَلَّىٰ ، وكم غارةٍ شَنَّا!
وجَدْناكَ ، يا محمودُ ، يا بْنَ محمَّدٍ ... أجلَّ بني الدُّنيا وأعلاهُمُ شأْنا
وأرْجحَهم حِلْماً ، وأَسْمَحَهُمْ يَداً ... وأمْضاهُمْ عَزْماً ، وأقواهُمُ رُكْنا
تَوُمُّ إلى الأعداءِ كلَّ عَرَمْرَمٍ ... يُعَدُّ فلا يُحصَىٰ ، ويَمْضي فلا يُثْنَىٰ
قَساطِلُهُ[1] تُخْفي النَّهارَ إذا عَلا ... وأسيافُه تُفْني الظَّلامَ إذا جَنَّا
إذا الحَرْبُ شَبَّتْ نارَها لِمساعِدٍ ... صُدورُ ظُباها يُذْهِبُ الحِقْدَ والضِّغْنا
وأشْبَهَها غِيلُ القَنا فتضايقتْ ... على كلِّ ذِمْرٍ[2] يُوسِعُ الضَّربَ والطَّعْنا
فأنتَ الذي تُصْلي لَظاها وتَصْطَلي[3] ... إذا هابَ فيها القِرْنُ أنْ يَصْدِمَ القِرْنا
وتُعْمِلُ في أبطالِها كلَّ عاملٍ ... فتُعرِبُ عن فعلٍ عليهِ العُلا تُبْنَىٰ
تَجاوَزْ بِنَا وَعْرَ الدُّروبِ إلى العِدا ... فإنْ نحنُ عُدْنا عن لِقاهُمْ فلا عُدْنا
وخَلِّ الظُّبا والسُّمْرَ تعمَلُ فيهمُ ... فعالَ الظِّباءِ السُّمْرِ مِنْ قَلبِيَ المُضْنَىٰ

(١) قساطله : جمع قسطل وقسطال وقُسطول وقسطلان ، وهو الغبار الساطع في الحرب.
(٢) ذمْر : شجاع.
(٣) اصطلى بالنار وتصلاّها أي قاسى حرها ، وكذلك الأمر الشديد ، ويقال : فلان لا يصطلى بناره إذا كان شجاعاً لا يطاق فلا يتعرض لحربه.

فإنَّكَ قَرْمٌ[١] إنْ أَناخَ بَكَلْكَلٍ على دارِهِمْ أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى
ونَحْنُ الأُلى بِعْنا نفائسَ أَنْفُسٍ بِجَنّاتِ عَدْنٍ ، واشْتَرَى اللهُ ما بِعْنا
وبَأْسُكَ يُعْدينا لِنَقْتَحِمَ الوَغَى وأَنتَ الذي لو أَنّهُ وَحْدَهُ أَغْنَى
لَكَ الغَرَضُ[٢] الأَقْصَى مِنَ المَجْدِ شاغلٌ
إذا اشْتَغَلَ الأَمْلاكُ بالعَرَضِ الأَدْنَى
تَفَرَّدْتَ مِنْ دُونِ الوَرَى بِمَكارِمٍ دَنَا الجودُ مِنّا إذْ نَأَيْتَ بِها عنّا
تَوالَى شقانا إذْ تولَّى أُمورَنا سِواكَ ، فلا صارَتْ عِداكَ كما كُنّا[٣]
ولم يُنْجِنا مِمّا جَنَى غيرَ أَنّنا بعَدْلِكَ مِنْ ظُلْمِ الزَّمانِ لنا عُذْنا
ل 83 / و فَرَحَّلْتَ عن ساداتِنا العُدْمَ والأَذَى وأَنْزَلْتَ في ساحاتِنا اليُمْنَ والأَمْنا
بِجُودِ سَحابٍ يُخْصِبُ الوَهْدَ والرُّبا وجِدُّ عَذابٍ يُرْهِبُ الإنسَ والجِنّا
فَدَيْناكَ مِنْ عادٍ على الدَّهْرِ عاذلٍ علينا ومِنْ فَرْدٍ مواهِبُهُ مَثْنَى
أَفادَتْ عطاياكَ البَليغَ فصاحةً ولم تُبْقِ لِلْمِنْطيقِ[٤] لَفْظاً ولا مَعْنَى

---

(١) القَرْم : السيد العظيم .

(٢) في الديوان : (العرص) .

(٣) أشار الشاعر في هذا البيت إلى حكم أخيه الملك الناصر قليج أرسلان ، وقد ذكرنا أنه اغتصب حق أخيه الملك المظفر الثاني ، لكن خاله ملك مصر الكامل أرجع الحق المغتصب إلى ممدوح الشاعر المذكور .

(٤) المِنطيق : البليغ المفوّه .

سَمِعْنا وقُلْنا في المديحِ بَدائعاً وجاوَزْتَ أَقْصَى ما سَمِعْنا وما قُلْنا

٣٣١

وقالَ أيضاً :

ضِمنَ السُّرَى إنْجازَ ما تَعِدِيني فدَعي مَلامَكَ جانباً ودَعيني

سَهْلٌ عليكَ ضياعُ قدري خاملاً إذْ ليس يَعْنيكِ الذي يَعْنيني

إنْ تَبْرِني دُلَجي[1] فإنّي أرتجي أنْ سوفَ يُبْرِئُني[2] الذي يَبْريني

فَتَجَنَّبي حَذَراً عليَّ ، فلم يَكُنْ ليُميتَنِي إلَّا الذي يُحْيِيني

وإذا رَأَيْتِ لِواءَ مَجْدٍ خافقاً فتأَمَّليني تَحْتَهُ تَجِديني

أَسْعَى فإنْ أَظْفَرْ بإحرازِ العُلا فأَنا القَمِينُ[3] بها ، وأَيُّ قَمِينِ ؟

وإنِ اخْتُرِمْتُ فِميتَةٌ أَرْضَى بها إذْ لم أُصادِفْ عيشَةً تُرْضيني

وإذا رأَيْتُ المَرْءَ غيرَ مُخَلَّدٍ فالطَّعْنُ أَشْرَفُ لي مِنَ الطّاعونِ

جَبُنَتْ عن المجدِ المُؤَثَّلِ هِمَّتي إنْ لم أُلاقِ خُطوبَهُ بجَبيني

ولَأَصْرِفَنَّ صُروفَهُ بعَزيمةٍ سَتَرُدُّني بالنُّجْحِ أو تُرْديني

(١) دُلَج : جمع دُلْجة ، وهي سير السحر . والدُّلجة سير الليل كله .

(٢) في الأصل : (يبريني) ، وأبرأه أي شفاه .

(٣) القمين : يقال هو قَمِنٌ بكذا ، وقَمَنَ منه ، وقَمِن وقَمِينٌ أي جدير وخليق وحريٌّ .

وشَكيَّتي شَكّي، فلَسْتُ بآيِبٍ[1] حتى يَقيني مِنْ أذاهُ يَقيني

طالَ انْتِظاري لِلئام ولم أجِدْ فَرَجاً، فرَجّي الخَيْرَ، وانْتَظِريني

وتَيَقّني ظَفَري وعِزّي عاجلاً بأبي المُظَفّرِ نَجْلِ عِزِّ الدّينِ

مَلِكٌ وثِقْتُ بأنَّ جودَ يَمينِهِ أدْنو فيُغْني باليَسارِ يَميني

فلِذاكَ سَلَّ حُسامَ عَزْمي هِمَّةٌ صَحَّتْ مُذِ التَأْمَتْ عليَّ شُؤوني

فطَعَنْتُ في لَبّاتِ[2] كلِّ مَفازةٍ مَرْهوبةٍ بقَناةِ كلِّ أمونِ[3]

ووَلَجْتُ أوكارَ الدَّياجي فاحصاً مِنْ صُبْحِها، عن بَيْضِهِ المَكْنونِ

حتى لَقيتُ الجودَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ[4] والعِزَّ غَيرَ مُشَكَّلٍ بالهُونِ

في ظِلِّ أزْهَرَ تَهْتدي بجَبينِهِ جُونُ الكَواكبِ في اللّيالي الجُونِ[5]

ل 83/ ظ

قَطّاعُ أقرانٍ، قرينُ قواطعٍ صوّانُ مُبْتَذِلٍ، مُذيلُ مَصونِ

يَقْظانُ لا يُلْفَى على غَيْبِ العُلا يَوماً بمُتَّهَمٍ، ولا بِضَنينِ

---

(١) آيب: اسم فاعل من آب، يقال: رجل آيب من قوم أوّاب وأُيّاب. وأَوْب: اسم جمع.

(٢) لبّات: جمع لبّة، وهي هنا ما استرق من الرمل.

(٣) أي ناقة أمون، وهي وثيقة الخَلْق.

(٤) مصرّد: يقال صرّد الشيء قطعه، وصرّد العطاء قلّله.

(٥) أي أبيض الكواكب في الليالي السود، وهي مفرد جَوْن تطلق على الأبيض والأسود.

أعدو إليهِ والسَّماحُ قرينُـــهُ وأروحُ عنـه والرَّباحُ قَريني

ناديهِ عن فَضْلِ البِلادِ يَكفُّني ونَداهُ سيبَ مُلوكِها يَكفيني

وَثِقَتْ بِـه نَفْسي فقَرَّ قرارُها وخَشِيْتُ مِنْ نَقْصٍ فجُنَّ جُنوني

يا مُسْكِنَ المُتَجَبِّرينَ بسَيْفِـهِ دُورَ الهوانِ ، وجابِرَ المِسْكِينِ

يا مَنْ مَناقِبُهُ مُضيفاتٌ إلى خَلْقِ الأَمينِ خلائقَ المأمونِ

أَمَّنْتَني جَوْرَ الزَّمانِ وغَدْرَهُ لـمّا نُصِرْتُ بوَجْهِكَ المَيْمونِ

فأْذَنْ لهُ بالعَدْلِ فيَّ فإنَّمـــا صَرْفُ الزَّمانِ كعَبْدِكَ المَأْذونِ

أَمْكَنْتَني مِنْهُ بدَوْلَةِ رَأْفَـــةٍ مَحْروسةٍ بالعِزِّ والتَّمْكِينِ

ويُمِدُّني لَفظاً وأفْضالاً إلى الحِكَمِ العذارَى والعطايا العُونِ

لك دُرُّ ألفاظٍ ودَرٌّ[1] مواهبٍ مِنْ ذاكَ تُقْرِئُني وذا تَقْرِيني

نُخَبٌ تفوقُ اللؤلؤَ المعدودَ مِنْ أبياتِهـــا باللؤلؤِ الموزونِ

ولَهاً تقرُّ لها البحارُ برُتْبـةِ الـــجمِّ النَّفيسِ على القليلِ الدُّونِ

فاليومَ ليس فضائلي بمُضيعةٍ قَدْري ، وليس الرِّزْقُ بالمَمْنونِ[2]

---

(١) في الديوان : (ود) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) الممنون : المقطوع .

٣٣٢

وقالَ ، وقد اقْتُرِحَ عليهِ [أن يَنْظِمَ][1] أبياتاً[2] تُكْتَبُ في الطَّيَّارةِ[3] :

تَأَمَّلْ يا سَعيدَ الجدِّ مَغْنَىً   لهُ مِنْ جَنَّةِ الفِرْدَوسِ مَعْنَىً
لنازلِ رَبْعِهِ في كلِّ فَصْلٍ   رَبيعٌ فيهِ يُدرِكُ ما تَمَنَّىٰ
وأنهارٌ وأشجارٌ تَلاقَتْ   عليه[و][4]من هُنا وهُنا وهَنَّا
فما أَبْهىٰ إذا ما اليومُ أضحىٰ !   وما أَشْهىٰ إذا ما اللَّيلُ جَنَّا !
لَهُ مِنْ نفْسِهِ حُسْنٌ نَفيسٌ   وبالملكِ المظفَّرِ زادَ حُسْنا
بنــاهُ للمسرَّةِ في مَقَرٍّ   عليهِ مواطنُ العلياءِ تُبْنَىٰ
مليكٌ بالكمالِ غدا فريــداً   فلا خُلْقٌ سواهُ عليهِ يُثْنَىٰ
براهُ اللهُ أشهرَ مَنْ يُسمَّىٰ   وزادَ فكانَ أوقرَ مَنْ يُكَنَّىٰ
وهانَ عليهِ مـا أعْيا عَلَيْنا   وقد فَعَلَتْ مَكارِمُهُ وقُلْنا

---

(١) زيادة اقتضاها توضيح سياق النص .
(٢) هذه الأبيات في مدح الملك المظفر الثاني .
(٣) يطلق اسم الطيارة في بعض بلاد الشام كدمشق وحماة على الغرفة المبنية في المكان المرتفع من المنزل ، وتكون مشرفة على بعض البقاع ذات المناظر الطبيعية الخلابة .
(٤) في الديوان : زيادة اقتضاها سياق الكلام واستقامة الوزن .

٣٣٣

وقالَ يمدحُ الأميرَ سيفَ الدِّينِ بَنِ أبي عليٍّ(*) ، ويُهنِّئُهُ بولدِهِ حسنٍ :

ل 84 / و

أَبْشِرْ بكلِّ فخارٍ دائمٍ وَهَنا[1] وبالمحامدِ فَرْضي مِنْ هُنا وهُنا
فاليومَ حقَّقَتِ الرُّؤيا التي دُعِيَتْ وَحْياً وأدَّى إليكَ الدَّهرُ ما ضَمِنا
وافاكَ بالبَدْرِ يَهْدينا بغرَّتِــهِ في غُرَّةِ الشَّهْرِ فازْدادَ الزَّمانُ سَنا
مَحا بهِ سالفَ الذَّنْبِ القَبيحِ بمَنْ مَضَى فأحسَنْتَ إذْ سَمَّيْتَهُ حَسَنا
يا ماجداً نَجْتَني خَيْرَ الكلامِ لهُ شُكْراً ونَجْنيهِ مِنْ نُعْماهُ خَيْرَ جَنَى
فكلُّ ما راقَ مِن أقوالِنـــا فلَهُ وكلُّ فاقَ مِنْ أموالِهِ فلَنا
لهُ المواهبُ يَزْدادُ الفَقيرُ بما يُغْنيهِ مِنْها ويَزْدادُ الغَنِيُّ غِنَى
يا بْنَ المُلوكِ الأُلَى جاشَتْ جُيوشُهُمُ
في البَرِّ ، واعْتَصبوا في الأَبْحُرِ السُّفُنا
ودمَّرَ الشِّرْكَ مِنْ أَبنائِهمْ بِهِمُ صانوا العِراقَيْنِ[2] والشَّامَيْنِ واليَمَنا

(★) هو الأمير سيف الدين علي بن أبي علي الهذباني ، أحد قواد الملك المظفر الثاني ، ملك حماة ، وقد سبقت ترجمته .

(١) أي : وهناءة .

(٢) العراقان : الكوفة والبصرة .

لا زالَ شِبْلُكَ مَقروناً بضَيْغَمِهِ في الصَّفْوِ مِنْ عِيْشةٍ تَستَغْرِقُ الزَّمَنا

ودُمتَ مِنْ خِدمةِ المَلْكِ المُظَفَّرِ في مَجْدٍ تُؤَثِّلُهُ إِنْ سارَ أَو قَطَنا

فهو المليكُ الذي دانَ المُلوكُ لهُ وعَمَّ جُوداً وبَأْساً مَنْ نَأَى ودَنا

إِنْ قالَ : مَنْ خيرُ مَلْكٍ ؟ قيلَ : أَنْتَ ، وإِنْ

قالَ الوَرَىٰ : مَنْ أَماتَ المَحْلَ ؟ قالَ : أَنا !

٣٣٤

وقالَ ، وقد عَرَضَ عليهِ الأَمْجدُ[*] قصيدةً مِنْ نَظْمِهِ[1] :

فُدِيتَ يا ذا الأَمْجَدُ السُّلطانُ

مِنْ كلِّ سُوءٍ تُحدِثُ الأَزْمانُ

فأَنتَ رُوحٌ والوَرَىٰ جُثْمانُ

وأَنْتَ بَدْرٌ دُونَـهُ كِيوانُ[2]

وأَنْتَ بَحْرٌ مَوْجُـهُ المَرْجانُ

ودُرَّةٌ تَسْمو بهـا التِّيجانُ

خَوَّلَنا جُودُكَ والإِحْسانُ

(*) هو الملك الشاعر الأمجد بهرام شاه ، ملك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .

(١) كنا ذكرنا في ترجمة الملك المذكور أن له ديواناً حسناً .

(٢) كيوان : زُحل .

قافيةً يُنْسَى بهـــا حَسَّانُ
سوابق يُخْلَى لهـــا المَيْدانُ
تَعْنُو لها الأَفراسُ والفُرْسانُ
سُلْطانةٌ قائلُهـــا سُلْطانُ
خَلَّدهـــا تَخْلِيدَكَ الرَّحْمنُ
لولاهُ في الدُّنيا بـــهِ تَزْدانُ
ما راقَ إِنساني[1] بها إِنْسَانُ

٣٣٥

وقالَ[2] :

يا بْنَ مُقْصِي الأَذَى[3] عن المَسجدِ الأَقْـــصَىْ ومَهْوَى الأَنْصابِ والصُّلْبانِ
أَنتَ بَهْرامُ الذي مِنْه كيوا نُ مكانَ الحضيضِ مِنْ كيوانِ

(١) إنساني : أي إنسان عيني ، أي سوادها ، وأراد عينه .
(٢) هذان البيتان في مدح الملك الشاعر الأمجد بهرام شاه .
(٣) أبو ممدوح الشاعر ، وهـو المعز عز الدين فرّوخ شاه ، ذكر ابن تغري بردي أنه « كان من الأماثل والأفاضل ، وكان متواضعاً سخياً جواداً شجاعاً مقداماً ، وكان عمه صلاح الدين قد استنابه بالشام ، وكان فصيحاً شاعراً . ومن شعره :

أقرضـوني زمناً قرَّ بهـــمْ واستعـــادوا بالنوى ما أقرضوا
أنا راضٍ بالذي يرضيهـمُ ليت شعري بالتلاقي هل رضوا ؟ »

مات بدمشق سنة ٥٧٨ هـ (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٩٣) .

٣٣٦

وقالَ ، رحمَه اللهُ تعالى :

أَحبَّتُنا صَدُّوا وقـد عَلِموا أَنَّا　　متى ما صُرِفْنَا عن جنابِهِمُ عُدْنا
مُنِعْنا جَناهُمْ فاغْتَدينا بأَنّنـا　　مَدَى الدَّهرِ ما عُذْنا بغيرٍ ولا لُذْنا
لَنا برَجاءِ القُرْبِ في البُعْدِ راحةٌ　　وقد مَسَّنا ضُرٌّ ، فكيفَ ولو أَنَّا ؟
وكم في ذُراهُمْ مِنْ مَشوقٍ مُتَيَّمٍ　　يَوَدُّ دنوَّ الحَيْنِ مِنهُ إذا حَنَّا !
ومِنْ ذي سَقامٍ مُشْعِرٍ بأَنينِــهِ　　وما شعرُوا مِن ضَعْفِهِ أَنَّهُ أَنَّا !
وأَعينِ عِينٍ رُعْننـــا ورَعَيْننا　　بما أَخذَتْ مِنّا وما صَرَفَتْ عنَّا
تَجافَيْننا حتى ضَنينا صَبابــةً　　ولاطَفْننا حتى سَلِمْنا وما كِدْنا
أَجيرانَنا كُونوا كما كُنْتُمُ لَنـــا　　فإنّا على العَهْدِ القَديمِ كما كُنّا
ولا تَسْمَعوا قولَ الوَشاةِ فإنّهمْ　　لَحَوْنا ولامُونا عليكمْ ولكنّا
سَلُوا إنْ شَكَكْتُمْ عن جُنوني بحُبِّكم　　نَهاري إذا أَضْحَى ولَيْلي إذا جَنَّا
تُبَشِّرُني الأَلطافُ بالقُرْبِ مِنْكمُ　　فصَدْرِيَ ما أَفْضَى ! وعَيْشِيَ ما أَهْنَا !
وأَشْتاقُكمْ في كلِّ وَقْتٍ ولَحْظةٍ　　وإنْ كنتُ مِنكمْ قابَ قَوسينِ أَو أَدْنى[1]

(١) القاب هو ما بين المقبض والسِّية ، ولكل قوس قابان . وقال بعضهم في قوله تعالى : « فكان قاب قوسين أو أدنى » أراد قابي قوسين ، فقلبه .

وأفقِدُ روحَ الأُنسِ طَوْراً فأنْطوي على زَفراتٍ تُقلِقُ الإنْسَ والجِنّا
أؤمِـــل أنْ أغنَىٰ بفقري إليكمُ وكم واهبٍ أسدَىٰ فأغنَىٰ وما أغنَىٰ
وبالجوْهرِ الأعلَىٰ تَعلَّـــقَ مَطلبي
فأصبَحتُ لا ألوي على العَرَضِ الأدْنى

٣٣٧

وقالَ[١] ، رحمَهُ الله تعالى :

بعَينِ اللهِ أحبابٌ جَفَوْني وأعهَدُهُمْ على الأيّامِ عَوْني
[فإنْ أُنكِرْهِمُ أفراحَ قَلْبي فليس بغيرِهِم إقْرارُ عَيني][٢]
وقالوا: كيفَ يُصْبِحُ[٣] مَنْ رآنا ونُعرِضُ[٤] عنهُ؟ قُلْتُ: كما تَرَوْني
فيا مولىً أراهُ بعَيْنِ قَلْبي وآمُلُ أنْ أراهُ بقَلْبِ عَيْني
إليكَ إليكَ أشكو مِنْ أعادٍ بغيِّ العَذْلِ عن رُشدي عَدَوْني
وُشاةٌ قَصْدُهمْ تَفريقَ هَمّي فكيفَ جَمعْتَ بَيْنَهمُ وبَيْني؟
نَهَوْني عن هَوَاكَ ولَستُ أُصغي فأعشَقُ ما أكونُ إذا نَهَوْني

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .
(٢) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل .
(٣) في الذيل (يصلح) .
(٤) في الذيل : (ونعوض) .

لَحَوْا جَهْلاً لُحسْنٍ لو تَبَدَّى ... لأَعْيُنِهِمْ لَحاهُمْ إذْ لَحَوني

كَمُلْتَ إذِ انْفَرَدْتَ بكلِّ زَيْنٍ[1] ... فأنتَ[2] مُنَزَّهٌ عن كلِّ شَيْنِ

عَدِمْتُ لكَ الشَّبيهَ فما احْتفالي[3] ... بوَجْهِ البدْرِ أو قَدِّ الرُّدَيْني

غَلَوْتَ تَعزُّزاً ، ورَخُصْتُ ذُلّاً ... فبِعتُكَ مُهْجتي نَقْداً بدَيْنِ

وثَبَّتَني[4] ، على خَفَقانِ قَلْبي ... غَرامٌ طارَ بي في الخافِقَيْنِ

ألا فامْدُدْ[5] يَدَيْكَ إلى وِصالي ... فمالي ، بالقَطيعةِ ، مِنْ يَدَيْنِ

٣٣٨

وقالَ[6] أيضاً :

ل 85/و

أراكَ بخيلاً بعَوْني فهَبْني ... سُكوتَكَ عَنِّي إذا[7] لم تُعِنّي

---

(١) في الذيل : (مِن) .

(٢) في الذيل : (وأنت) .

(٣) في الديوان : (فما احتفالي) ، وكتب أيضاً تحتها (فما أبالي) ، وقد آثرنا الأولى كما في رواية الذيل .

(٤) في الديوان : (وبينتي) وقد آثرنا رواية الذيل لانسجامها مع مذهب الشاعر الفني .

(٥) في الذيل : (فابسط) .

(٦) الخزانة : ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ .

(٧) في الديوان : (إذ) ، وقد أثبتنا رواية الخزانة .

ذَمَمْتَ الهَوَى ورَجَوْتَ السُّلُوَّ فَأَبْكَيْتَ عَيْني، وأَضْحَكْتَ سِنِّي[1]
ومِنْ خُلُقي بُغْضُ هذا المَلامِ على حُبِّ ذاكَ الغَزالِ الأَغَنِّ
ولي في جُنوني بِـــهِ صَوْلَةٌ يُحاذِرُها كُلُّ إِنْسٍ وجِنِّ
فإِنْ عِفْتَ شُرْبَكَ مِنْ خَمْرَتي فدَعْني ما بَيْنَ كَأْسي ودَنِّي
وإِيّاكَ عَرْبَدَتي فاخْشَهـــا فإِنّي قد أَخَذَ السُّكْرُ مِنِّي[2]
فأَكْتُمُ طَوْراً ، وطَوْراً أَبوحُ وطَوْراً أَنوحُ، وطَوْراً أُغَنِّي
أُسُكّانَ لُبْنانَ ، هلْ تَعْلَمو نَ أَنّي مُقيمٌ على حُسْنِ ظَنِّي ؟
وأَنّي تَرَكْتُ لِهَمِّي بِكُمْ جميعَ الهُمومِ ، وأَنّي ، وأَنّي ؟
سَبَيْتُمْ بأَلْحاظِكُمْ والقُدودِ فُؤادي ما بَيْنَ ضَرْبٍ وطَعْنِ
وبِنْتُمْ فعَـــذَّبْتُمُ مُهْجَتي وأَضْنَيْتُموني ، والبَيْنُ يُضْني
فَمُنّوا بميعـــادِ لُقْياكُمُ لَعَلِّي أَعيشُ بهذا التَّمَنِّي

٣٣٩

وقالَ أَيضاً :

بَيْنَ السُّلُوِّ وبَيْني ما بَيْنَ غَمْضي وعَيْني

(١) أورد ابن حجة البيتين الأول والثاني في شواهد ذكر المطابقة باللف والنشر ، (الخزانة : ص ٨٨ ، ٨٩) .

(٢) أورد ابن حجة أيضاً الأبيات : الأول والثاني والخامس والسادس في شواهد الانسجام (الخزانة : ص ٢٥٠ ، ٢٥١) .

في حُبِّ ظَبْيٍ مِنَ التُّرْ ... كِ قاتِلِ المُقْلَتَيْنِ
خُفوقُ قلبي عليه ... قد سارَ في الخافِقَيْنِ[1]
يا عاذلي في هَواهُ ... ليس الغَرامُ بِهَيْنِ
لا تَلْحَني في حَبيبٍ ... عَرَضْتُ فيهِ لَحَيْني
صَدَّعتَ رَأْسَكَ فارْجِعْ ... عنِّي بِخُفَّيْ حُنَيْنِ ![2]

٣٤٠

وقالَ أيضاً :

سَقْياً لأَوطارٍ[3] وأوطانِ ... بَيْنَ « سَنِيرٍ » لي و « لُبْنانِ »
وعِيشةٍ قَضَّيْتُها وادِعاً ... ما بَيْنَ خِلّانٍ وإِخْوانِ
أَرْكُضُ أَفْراسَ التَّصابي مِنَ الـ ... ـلَّذاتِ في أَرْحَبِ مَيْدانِ
حتى أَحالَ الشَّيْبُ حالي وما ... حالَتْ صَباباتي وأَشْجاني
ولَثَّمَ الشَّيْبُ عِذاري وما ... أَنصلَ صِبْغُ الدَّمعِ أَرْداني
يا جِيرةً حَرُّ تَجَنِّيهِمُ ... أَذْكَرَني النَّارَ ، وأَنْساني
مالي تَوَثَّقْتُ بِأَيمانِكُمْ ... فَرُحْتُ في حُلَّةِ خَجْلانِ

---

(١) الخافقان : هما المشرق والمغرب .

(٢) من أمثال العرب المشهورة قولهم : « رجع بخفي حنين » ، ويضرب هذا المثل في الرجوع بالخيبة .

(٣) أوطار : جمع وطر ، وهو الحاجة والبغية .

وحِلْيتي سَلْمانُ أبياتِكـم فصارَ فيها ألْفُ سَلْمانِ

هذا ، وكم لي عِندكمْ مِنّةً في لَيْلةٍ أثْنَتْ على ماني ![1]

ويوم وَصْلٍ بَيْنَكم نَيِّرٌ أعْقَبني ظُلْمَـــةَ هِجْرانِ

إنْ لم تُعينوني على لَوْعتي وَيْلاهُ مِنْ قِلّةِ أعواني ! ل 85/ ظ

أُبْدي تَناسيكمْ ومُذْ غِبْتُمُ مـا راقَ إنْسانٌ بإنْساني

لا تَقْبَلُوا قَوليَ في سَلْوتي عنكمْ ، فما قولي بقُرآنِ

واعْتَبِرُوا مافاضَ مِنْ عَبْرتي وقلِّدوا شَأْنيَ في شاني

تَغزُّلي فيكـمْ ومَدْحي فما لِغَيْرِكمْ نَفْـــعٌ بدِيواني

٣٤١

وقالَ[2] رحمَهُ اللهُ :

لا تَحْسَبُوا جِدَّ وُلوعي مُجونْ إنَّ حديثي في هَواكمْ شُجونْ

---

(١) هو ماني بن فاتك الحكيم ، وقد ظهر في زمان سابور بن أردشير ، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى بن مريم عليـه السلام ، والمعروف عنه أنه أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح ويرفض نبوة موسى .

أما مذهبـــه فيقوم على الاعتقاد أن للعالم أصلين قديمين : هما النور والظلمة ، وأنهما على الرغم من تضادهما متحاذيان تحاذي الظل والشخص . والمعروف عنـــه اعتقاده بالشرائع والأنبياء ، وأن الله تعالى بعث آدم بالعلم والحكمة ، ثم نوحاً بعده ، ثم إبراهيم ؛ وينتقل إلى ذكر الأنبياء المبعوثين إلى أرض الهند وإلى أرض فارس ، مشيراً إلى زرادشت ... حتى ينتهي إلى المناطق الأخرى .

(٢) الغيث المسجم : ١٢ ، ١٣ .

إنَّ غرامي فيـــكمُ لم يَزَلْ كما سُلُوِّي عنكمُ لا يَكونْ

ولو وَعدتُمْ وَصْلَكمْ في الرَّدَى لَسرَّني أنْ أتَمَنَّى المنونْ

وليس يُنْبيكمْ بِما فيهِ مِنْ عجائبٍ إلّا بِحارُ العيونِ

أَجْعَلُ حَجِّي حُجَّـــةً عَلَّني أراكمُ بَيْنَ الصَّفَا[1] والحجُونْ[2]

عُودوا إلى سُنَّتِكمْ في الرِّضا عنِّي وعُدُّوا كم مَضَتْ لي سُنونْ !

يا صَنَمَ الحُسْنِ الذي دِينُنـــا أنَّا على الوَجْدِ لَهُ عاكفونْ

كُنْ كيفما شِئْتَ فأَنْتَ الذي يَحُقُّ أَنْ يُبْذَلَ فيهِ المَصونْ

فُنونُ أَهْلِ العِشْقِ فَنٌّ إذا ما أَغْرَقُوا فيه ، وفنِّي فُنونْ

قَرْحٌ بجفني ، مِنْ هوىً أَصْلُهُ جُرْحٌ بقَلْبي مِنْ سيوفِ الجفونْ

أَحرَقَني تَفْتيرُ[3] أَلْحاظِهـــا وحَرَّكَ البَلْبالَ ذاكَ السُّكونْ

مَنْ مُنْصِفي مِنْ عاذلٍ جاهلٍ يَخُـــونُ باللَّومِ لِمَنْ لا يَخونْ ؟

إنْ قُلْتُ : ما نُصْحُكَ إلّا أذىً قالَ : وما عِشْقُكَ إلّا جُنونْ !

(١) الصفا : جبل صغير من مشاعر مكة .

(٢) الحجون : جبل بمعلاة مكة مشرف مما يلي شعب الخزازين ، فيـــه اعوجاج عنده مقبرة على بعد فرسخين وثلثين من مكة .

(٣) تفتير ألحاظها : أي ضعفها وانكسارها . يقال : طرف فاتر ، أي فيه فتور وسجو ليس بحاد النظر .

٣٤٢

وقالَ أيضاً :

وَقَفْتُ عليكِ مِنْ قلبي مكاناً فلا يَخْلو إذا خَلَتِ الأَماكِنْ
صِلي ، ودَعي نِفارَكِ عن مُحِبٍّ بذِكْرِكِ آنسٍ واللَّيلُ ساكِنْ
ولا تَسْتَقْبِحي شَمَطاً[1] برأْسي ! فما إنْ شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ ، ولكنْ !

٣٤٣

وقالَ[2] :

[يا غزالاً مِنْ سِرْبِ عبدِ ٱلْمُدانِ ليس لي بالصُّدودِ منكَ يدانِ][3]
يا حَبيباً لَمّـــا وَفَيْتُ جَفاني ونَفـوراً دانَيْتُـــه فنَـآني
بِعْتُكَ الرُّوحَ بَيْعَـــةً لَزِمَتْني فعَـلامَ الفـــراقُ بالأَبدانِ؟

٣٤٤

وقالَ :

تَلَطَّفْتَ في جَذْبِ قلبي إليكَ إلى أَنْ ضَمَمْتَ عليهِ اليَدَيْنِ
وفارَقْتَني فعَرَفْتُ البُكـاءَ وأَنْكَرْتُ بَعْدَكَ إقرارَ عيني

(١) الشَّمَط : محركة ، بياض الرأس يخالط سواده .
(٢) الوافي : ١ ، ٢ .
(٣) استدركنا هذا البيت من رواية الوافي .

٣٤٥

وقَالَ[١] :

[أعِنِّي في المَحَبَّةِ أو أعِذْني ... مِنَ العَذْلِ الَّذي يُغْري ودَعْني

أفرِّقُ بَيْنَ أجفاني وغَمْضي ... وأجْمَعُ بَيْنَ أحشائي وحُزْني

على عَيشٍ ، تَقَضَّى لي ، حَميدٍ ... نَعِمْتُ بـهِ وزايلَني كَأنِّي

رَأيتُ الوصْلَ مِنْهُ في مَنامٍ ... تَصرَّمَ وَقْتُهُ وفَتَحْتُ جَفْني

فلم أرَ غيرَ وَجْدي واشْتياقي ... وأشْجـاني تَبَقَّى وتُعَنِّي

قراري واصطباري فاعتزَلْني ... بضنِّكَ في الوقارِ فإنَّ مِنِّي

مُلازمةَ الخَلاعةِ في غزالٍ ... أغَنَّ إذا نَظَرْتُ إليـه يُغْني

عن القَمَرِ المُنيرِ على قَضيبٍ ... تَمايَلَ في كَثيبٍ فهْوَ يَثْني

إليـهِ عنانَ قلبي بالتَّأنِّي ... ويَسْلُبُ لُبَّـهُ لولا تَمنِّي

وِصالٍ مِنْهُ زادتْ نارُ شوقي ... إلى فوزي بـهِ فبلَلْتُ رُدْني

بدمعٍ كان خوفَ الهجرِ دُرّاً ... فصيَّرَهُ عقيقـاً بالتَّجنِّي

عَليَّ وما جَنَيْتُ إليـه ذَنْباً ... سِوى إفراطِ حُبِّي فلْيزِدني

---

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

عذاباً مُرُّهُ في القَلْبِ عَذْبٌ   يُباعِدُ سَلْوتي عَنِّي ويُدْني][١]
غَراماً[٢] لا يُغيِّرُهُ مَلامٌ   فإنْ قَلَّدْتَني فاعْـلَمْ بأنِّي
صَديقُكَ إنْ عَذَرْتَ على هَواهُ   «وإلّا فاطَّرِحني واتَّخِذْني»[٣]

٣٤٦

وقالَ :

تَعرَّضَ لي بعَيْبِهِمُ رجالٌ   يُنافِرُ فَنَّ جَهْلِهِمُ فُنوني
دَفَنْتُهُمُ خُمولاً واطِّراحـاً   ولو أَجَلي دَنَا لم يَدْفِنوني

---

(١) لم يرد في الديوان غير بيتين من القصيدة المذكورة ، وقد استدركناها كاملة من رواية الذيل ، ولاحظنا أن الشاعر كان يستخدم في قصيدته أسلوب التضمين ، وهو أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كما في قول : « فإن مني .. ملازمة الخلاعة » ، وقوله: « يغني .. عن القمر » ، وقوله : « فهو يثني .. إليه عناني » ، وقوله : « لولا تمني.. وصالٍ منه » وقوله : « فبلت ردني .. بدمع » وقوله : « بالتجني .. عليَّ » ، وقوله : « فليزدني .. عذاباً » ، وقوله : « بأني .. صديقك » .

(٢) في الديوان : (غرام) ، وصوابها ما نقلناه من رواية الذيل وفق ما رأيناه من أسلوب الشاعر في التضمين ، وقد جاء في القافية السابقة « ويدني » أي « ويدني غراماً » .

(٣) جاء في الذيل تعليقاً على البيت الأخير : « وقد ألمَّ بقول القائل :

فإما أن تكون أخي بحقٍ   فأعرفُ منك غثّي من سميني
وإلا فاطرحني ، واتخذني   عـدُواً أتّقيكَ وتتّقيني »

(ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٢٠) . هذان البيتان من قصيدة للمثقب العبدي ، وهي إحدى المفضليات (انظر المفضلية رقم ٥٦ ص ٢٩٢) .

وإنّي، إنْ أَهِجْ أَحْلُمُ، وطَوْراً أُداوَى بالجنونِ مِنَ الجُنونِ
وبَصَّرَني،بعيبِ الحِرْصِ، عِلْمي بأنَّ الرِّزْقَ في كافٍ ونُونِ[1]

٣٤٧

ف 86/و

قالَ:

جَنَحَ اللَّئيمُ إلى العِنا دِ، وغَرَّهُ منِّي السُّكونُ
والرَّاحُ عنْد وَقارِها في الدَّنِّ أنْزَقُ[2] ما تَكونُ

٣٤٨

وقالَ:

يا مَلِكاً ما زالَ إنعامُهُ يَشْمَلُ قاصِينا ودانِينا
يَرْمي مِنَ الأَحداثِ عنّا كما يَرْمي مِنَ الطَّيْرِ أَفانينا
إنْ حَلَّ عقْدُ العشْرِ في قوْسِهِ أحلَّها في عِقْدِ تِسْعينا
صَرَعْتَ في وَجْهٍ ثلاثاً فلم تُبْقِ مَراماً للمُرامينا
وما أراها لكَ بِدْعاً ولو كانَتْ ثَلاثاً وثَلاثينا
طاوعَكَ الدَّهرُ فلا قُدْرَةٌ للطيرِ فيها أَنْ تُعاصِينا
فدُمْتَ والينا، فما أحْسَنَ الـ ـحالَ بِنا ما دُمْتَ والِينا!

---

(١) أي إن الرزق من الله الذي يرزق من يشاء . وقوله : « في كاف ونون » أي في « كن فيكون » .

(٢) أنزق : من النزق ، وهو طيش وخفة في كل أمر وعجلة وجهل وحمق .

قد أَخلصَ اللهُ لَنا عِندَكَ الـــدُّنيـا فأَخلَصْنا لهُ الدِّينا

٣٤٩

وقالَ :

أَقَرَّ عَيني بُعْدُ مَنْ قُرْبُهُ لِعَيْنِ مَنْ يَصْحبُهُ شُحْنَهْ
ما أَنفَقَتْ خَرْدَلَةً كَفُّهُ إِلَّا وأَضحَى قَلْبُهُ دُخْنَهْ

٣٥٠

وقالَ ، في رثاءِ أَبيهِ ، مِنَ اللُّزومِيَّاتِ :

جَرَحَتْ حشايَ رَزِيَّتي ، فلَعلَّني إنْ أَلْقَ شَخْصَكَ في القِيامةِ يَأْسِني[1]
ولقـد تَمَنَّيْتُ المنِيَّةَ شَهْوَةً لِنَعيمِ قُرْبِكَ ، لا لِضُرٍّ مَسَّني
قد كُنْتَ تَكسوني البُرودَ قَشيبةً فإذا كُسِيْتَ مِنَ السَّنادسِ فاكْسُني

٣٥١

وقالَ[2] :

هَزَمَ الهَمَّ عن نَدامـــايَ راحٌ حَظِيتْ[3] مِنْ سَماعِهِمْ بِلُحُونِ[4]

(١) في الديوان : (ياسني) .
(٢) الخزانة : ١ ، ٢٠ .
(٣) في الديوان : (حصرت) ، وقد أثبتنا رواية الخزانة .
(٤) أورد ابن حجة البيت الأول والثاني في ذكر التورية قائلاً : « إنهما من نكته اللطيفة » .

لم تَكَدْ في الكُؤوسِ تَظْهرُ لُطفاً فَبَدَتْ مِنْ خُدودِهِمْ في الصُّحونِ[١]

أَكْثَرَ العالَمُ الثَّشاحُنَ فيهـــا حيثُ نُوحٌ في فُلْكِهِ المَشْحونِ

٣٥٢

وقالَ :

كَمْ لَجَّ عُذَّالٌ عليـــهِ وسِرُّ عُذْري قد عَلَنْ!

قالوا : سلوتَ ، فقُلْتُ : لمْ[٢] قالوا : أَتَسْلو ؟ قُلْتُ : لَنْ[٣]

٣٥٣

وقالَ :

أَخوا سَعْدٍ[٤] وسُعْدَىٰ بِهِا[٥] تُعْمَرُ حانَـــهْ !

أَبْعَدَ اللهُ فُلانـــاً وفُلاناً وفُلانَـــهْ !

---

(١) الصحون : مفردها صحن . ذكر اللحياني أنـــه يقال : جرى الدمع على صحني وجنتيه ، وهذا ضرب من المجاز .

(٢) أي لم أسلُ . ومثل هذا الأسلوب شائع في شعره وسائر في عصره .

(٣) أي لن أسلوَ ، وهذا مثل سابقه في الحذف .

(٤) في الديوان : (سُعدى) ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) في الديوان : (بهم) ، والصواب ما أثبتناه .

٣٥٤

وَقالَ :

أَسْلَفْتُكُمْ قَلْبي ومـا . . . طَلْتُمُ بسالفِ دَيْنِـهِ
هذا ، لَعَمْرُكُمْ ، الصَّغا . . ر[1] بِعَينِـهِ وبِغَينِـهِ

٣٥٥

وقالَ :

أَأَطْلُبُ المـالَ والبنينا مِنْ بَعْدِ إِحْدَىٰ وأَرْبعينا ؟
ما أَبعدَ الفَوْزَ بالأَماني على فتىً قارَبَ المَنونا !
وا عَجَبًا ! كيفَ لم يَعِظْنا ما بانَ عنَّا مِنَ السِّنينا ؟
وكيفَ نَرْجو ثَباتَ فانٍ ؟ لو كان يَبْقَىٰ لمـا بَقينا !
وكيفَ نَعْصي ، وقدعَلِمْنا أَنَّا إلى اللهِ راجعونا ؟

٣٥٦

وقالَ :

سَأَلَ الأَحِبَّةُ عن سيولِ مَدامعي فأَجَبْتُهمْ عنها بوَصْفٍ بَيِّنِ
قُلْتُ : المُلوحةُ في البِحارِ شَهيدةٌ بالذَّوقِ أَنَّ مياهَها مِنْ أَعْيُني !

(١) الصغار : الذل والضيم .

٣٥٧

ل 86/ ظ وقالَ :

لِيَ مَولىً أَقْرَرْتُ بالنُّصْحِ عينَهْ ... حِينَ وَفَّيْتُ مِنْ مَراضيهِ دَينَهْ

كُنْتُ رِدْفَ[1] الرَّويِّ مِنْ بَحْرِهِ الزَّا ... خرِ أَرْوي مِنْهُ وآمَنُ بَيْنَهْ

فثَناني كَأَنَّني أَلِفُ التَّـأْ ... سيسِ[2] حالَ الدَّخيلُ بَيْني وبينَهْ

٣٥٨

وقالَ :

بِما فيكَ مِنْ سُكْرٍ خَفيٍّ ... وفي عَيْنَيكَ مِنْ سِحْرٍ مُبينِ

عَلامَ تَميلُ عن وَصْلي بِـ«لا، لا» ... ومَنْ دوني تَميلُ إليهِ دُوني ؟

٣٥٩

وقالَ[3] :

ما بانَ لي مِنْكَ[4] حَيْنُ ... لو لم يَحِنْ مِنْكَ بَيْنُ[5]

---

(١) هو حرف المد الذي يكون قبل الرويّ ولا فاصل بينهما ، وليس بلازم اتحاد الردف في القصيدة ، بل يكون واواً مرة وياء أخرى ، وهو بالطبع أحد حروف القافية .

(٢) والتأسيس : أحد حروف القافية أيضاً ، وهو الألف التي يكون بينها وبين الرويّ حرف .

(٣) في الوافي : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ؛ والغيث المسجم : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٤) في الوافي والغيث المسجم : (فيك) .

(٥) في الوافي والغيث المسجم : (لو لم يَبِنْ لكَ حَيْنُ) .

يا مَنْ لهُ وعليهِ الـــجَمالُ عَونٌ وعَيْنُ
يا جَنَّتي كُلُّ هُونٍ سِوَى تَجَنُّبِكَ هَيْنُ
تَدينُنا[١] بوَعيـــدٍ ويُبْكِرُ الوَعْدَ دَيْنُ
إنْ كانَ جَفْنُكَ[٢] جَفْناً[٣] فإنَّ عَيْني عَيْنُ

٣٦٠

وقالَ :

مَنْ لي بناءٍ مَزارُهُ دانٍ — أذْكرُهُ ، وهو ليس يَنْساني
ماليَ ثانٍ عن حُبِّهِ أبـــداً — ولا لَهُ في جَمالِهِ ثانِ
ناريَ ماءُ البُـكا لِفُرْقتِـهِ — وجَنَّتي نارُ خَـدِّهِ القاني
إنْ يَنْأَ عنِّي فإنَّ صُورَتَهُ — بالذِّكرِ والفِكْرِ ليس تنآني[٤]
مَنْ ضَلَّ عن عِلْمِـهِ بخالِقِـهِ — رآهُ فيها يَقولُ : سُبحاني!
انْظُرْ إلى وَجْهِهِ الجميلِ فلم — تَخْلَقْ لِمَنْ لا يَراهُ عينانِ!

---

(١) في الديوان : (يدنينا) . وفي الغيث : (تدنيننا) .
(٢) في الغيث : (جفنيك) .
(٣) في الوافي والغيث المسجم : (جفن) .
(٤) في الديوان : (تنأني) .

قافية الهاء

٣٦١

قالَ يَمْدَحُ المَلِكَ النَّاصرَ[*] :

في فِيهِ شَهْدٌ شِفاؤنا فيهِ ... كُدِّرَ عَيشي بِمَنْعِ صافيهِ

لا رِيَّ للصَّبِّ في سِواهُ ولو ... علَّلَهُ بالرَّحيقِ ساقيهِ

مَنْ لي بَلَيْنِ القوام أَهْيَفِهِ ... يُحْيِي مُحَيَّاهُ مَنْ يُحَيِّيهِ

بدرُ دُجاً لاسَرارَ[1] يُنْقِصُهُ ... غصنُ نقاً لاعِتابَ يَثْنِيه

إذا دَنا فالدَّلالُ يُبْعِدهُ ... وإنْ نأَىْ فالخيالُ يُدْنيهِ

ما أَسْهَلَ الصَّعْبَ مِنْ تحكُّمه ! ... وأَعْذَبَ المُرَّ مِنْ تجنِّيه !

غالبْتُ مِنْ عُذَّلي جبابرةً ... فكيفَ عُوقِبْتُ مِنْهُ بالتِّيْه ؟

وهوَ أَحقُّ المِلاحِ بالعُذْرِ إنْ ... تاهَ دَلالاً على مُحِبِّيهِ

والنّاصِرُ بْنُ العَزيزِ أَشْرَفُ مَنْ ... إلى شريفِ النِّجارِ[2] يَعْزِيهِ

(*) الناصر الثاني صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد .

(١) السَّرار والسِّرار : من الشهر آخر ليلة منه .

(٢) النِّجار والنُّجار : الأصل .

مَنَ مِثْلُ غازيهِ بْنِ يُوسُفِهِ؟[١] أو مِثْلُ أَيُّوبِهِ بْنِ شاذيهِ؟[٢]
ويافَخارَ اسْمِهِ وكُنيَتِهِ حينَ نكنيهِ أو نُسمِّيهِ!
مَلْكٌ أقرَّتْ صِيدُ المُلوكِ لما يُعيدُهُ فيهمْ ويُبْديهِ
متيَّمٌ بالعطاءِ يَغرِسُهُ ومُولَعٌ بالثَّناءِ يَجْنيهِ
مُقارِعٌ لِلأُسودِ يُلْجِمُها مُسارِعٌ للجَميلِ يُسْديهِ
كم وَقَّرَ الرَّوْعَ مِنْ جوانبِهِ وَحرَّكَ المَدْحَ مِنْ نواحيهِ!
وكم تعاطَى مِنْ فِعْلِ مَكْرُمَةٍ وأَعْجَزَ النَّاسَ عن تَعاطيهِ!
وكَمْ تَقاضاهُ بالنَّدَى خُلُقٌ يعاجِلُ[٣] الوَفْدَ عن تقاضيهِ!
وكم حُروبٍ أذكَتْ جواحمَها سنابكُ الخيلِ مِنْ مذاكيهِ!
حَذارِ مِنْ يُوسُفٍ سُطاهُ إذا نَهْنَهَهُ عن حِلْمِهِ نَواهيهِ
وَنَزَّقَتْهُ حَمِيَّةُ الخُلُقِ الْوَعْرِ على قَهْرِ مَنْ يُعاديهِ
أَرْوَعُ فَعَّالُ كُلِّ فاقِرةٍ[٤] بِمَنْ نَوَى أَنَّهُ يُناويهِ[٥]

ل 87 / و

---

(١) جدُّه الظاهر غياث الدين غازي الأول ، أحد أبنـاء صلاح الدين ، ملك حلب (المتوفى سنة ٦١٣ هـ) .
(٢) نجم الدين أيوب بن شاذيّ بن مروان ، والد الملوك الأيوبيين (المتوفى سنة ٥٦٨ هـ) .
(٣) في الأصل : (بعاجل) ، والصواب ما أثبتناه .
(٤) فاقرة : داهية عظيمة كاسرة للفقار .
(٥) أي يناوئه بتخفيف الهمز .

طَرَّزَ بُرْدَ الزَّمانِ حينَ حَوَىٰ ماهَزَّ عِطفَيْهِ مِنْ حواشيهِ
يَفْديهِ مَنْ سادَهُمْ وأَوْسَعَهُمْ جوداً ، فكلُّ النُّفوسِ تَفْديه
أَيُّ مـــديحٍ إليهِ أَبْعَثُهُ ؟ أيُّ ثَنـاءٍ عَلَيْهِ أُثْنيه ؟
كم رُضتُ فِكْري حتى رَضيتُ وما رَأَيْتُ ما صاغَ فيهِ يُرْضيه !
قلائداً نُظِّمَتْ لهُ فَغَـــدا حَلْياً لهـا مَنْ أَتتْ تُحَلِّيه
مِنْ كلِّ سَيَّارةٍ مُنَقَّحَـــةٍ مُشْتَقَةِ اللَّفظِ مِنْ مَعانيهِ
لَيْتَ بيـانَ الأَنامِ لي فعَسَىٰ يُمْكِنُني مَدْحُهُ بِمـــا فيهِ

٣٦٢

وقالَ يَمْدَحُ المَلِكَ الأَمجدَ(*) :

يُهيجُ غرامي لَوْعتي عِنْدَ ذِكْراها فإيَّاكما ، يا عاذِلَيَّ ، وإيَّاها !
غُزَيِّلةٌ عَيْناءُ[1] تُبدي إذا رَنَتْ عجائبَ بَحْرٍ مِنْ دَمِ الأُسْدِ عَيْناها
تَناهَىٰ بِها حُسْنٌ كَحُزْنِيَ مُفْرِطٌ فوافَقَهـا شَأْني عُلُوّاً ونافاها
فسِرْبُ مَهاها أَنْجُمٌ هي سَعْدُهـا وحِزْبُ هَواها أُمَّةٌ أَنا أَشْقاها
وِلمْ أَتَلافَ النَّوْمَ لولا خَيالُهـا وما نافَرَتْني لَذَّةُ الغَمْضِ لولاها

(★) الملك الشاعر الأمجد بهرام شاه .

(١) عيناء : مؤنث أعين ، وفعلها عَيِنَ أي عظم سواد عينه في سَعَة .

طَرَقْتُ حِماها وهوَ غِيْلٌ(١) ضَراغمٍ(٢) ولكنْ حَماني الشَّوقُ أنْ أتحاماها
ودُونَ تَغَشّي خِدْرِها(٣) كلُّ باسلٍ يُديمُ عِراكاً بالوَغى حينَ يَغْشاها
يَصُدُّ نَسيمَ الرِّيحِ عنها مِجَنُّهُ مَخافةَ أنْ يَرْوي أحاديثَ رَيّاها
فيا لَكَ ليلاً أنجَدَتْهُ بحُسْنِها ذوائبُها ، لكنْ ثَنَتْه ثَناياها
وما زالَ إدْمانُ التَّلوُّنِ دأبَها إذا وَصَلَتْ كانَ الصُّدودُ قُصاراها
أذلُّ لها ذُلَّ المُلوكِ بأسْرِها لِبَهْرامَ شاهَ الأمجدِ بْنِ فَرُّخشاها
لأرْفعِها قَدْراً ، وأمْتَعِها سَناً وأمْنَعِها كَفّاً لمِجْدٍ ، وأسْخاها
سَحابُ نَكالٍ يُمطِرُ البُؤسَ والرَّدى وبَحْرُ نَوالٍ يزْخَرُ المالَ والجاها
فما طَمَتِ الأموالُ إلّا أبادَها ولا طَغَتِ الأعداءُ إلّا وأرْداها
فداهُ الوَرَى مَلْكاً لنافذِ أمْرِهِ بوادرُ تَرْجوها المُلوكُ وتَخْشاها
يُفَرِّقُها أيدي سَبَا يدُ ماجدٍ عظيمٍ ، حَقيرٌ عِنْدَهُ قَدْرُ دُنْياها
هو المَرْءُ تُصْبيهِ الوَغى وتَصوبُها سُطاهُ وتَهْواه المعالي ويَهْواها
لهُ هِمَّةٌ لم ألْقَ إلّا مُصَدِّقاً لِقَوْلِيَ : ما أدْنَى النُّجومَ وأعْلاها!
وقَلْبٌ مُعاداةُ الهوى مِنْ خلالِهِ ونَفْسٌ مُوالاةُ النَّدى مِنْ سَجاياها

---

(١) غيل : موضع الأسد ، وهو شجر كثير ملتف يستتر فيه كالخيس .
(٢) ضراغم : جمع ضرغام ، وهو الأسد الضاري الشديد المقدام .
(٣) الخدر : ستر يمد للجارية في ناحية البيت .

فَتىً غاضَ أمواهَ الكِرامِ بفائضٍ ... مِنَ الجودِ أقني إنَّهُ هو أقناها

٤/ظ ولا غَرْوَ أنْ يَفترَّ في القَيظِ ثَغرُهُ ... بفَصْلِ ربيعٍ حينَ يَغبَرُّ مَشْتاها

أنالَتْهُ أطرافُ العَوالي مآرباً ... يُقصِّرُ عنها في المُنَى مَنْ تَمنَّاها

وأجرَىٰ إلى سَبْقِ الأفاضِلِ شُرَّداً ... إذا نامَ عنها أسهَرَ الخَلْقَ جرَّاها

قَصائدُكُمْ أهدَى إلينا بها الهُدَىٰ ... بدائعُ فَضْلٍ لَفظُها طِبْقَ مَعْناها

مُصَرَّعُها بابٌ إلى كلِّ حِكْمَةٍ ... ومُصمَتُها مُسْتَفْصَحٌ ومُقَفَّاها

أدَقُّ مَعانيها جَليلُ مآثرٍ ... إذا عارضتْهُ ظُلْمَةُ الشَّكِّ جلَّاها

وكم حاكَ أبرادَ العُلا فأجادَها ! ... وكم حَكَّ أفواهَ القُروحِ فأدْماها!

وكَمْ حُجَّةٍ بالرَّأيِ[1] عنِّي أقامَها ! ... وكم حاجةٍ بالمَشْرَفيِّ[2] تَقاضاها!

ونَعْماءَ أوْلاها فأثْبَتَ أنَّهُ ... بحُسْنِ الثَّنا أحرَىٰ البَرايا وأوْلاها

أقامَ برَبْعي جُودُهُ فقَرَيْتُهُ ... مَدائحَ لا تَسْري الكَواكبُ مَسْراها

لَدَيْكَ فتَى المَنصورِ حُزْنا مِنَ السُّرَىٰ ... فَكاكاً وكُنّا قَبْلُ مِنْ بَعْضِ أسْراها

فكم ثَرْوةٍ بِكْرٍ وَصَلْنا شُموسَها ... وأقْرانِ دَهْرٍ في ذُراكَ قَطَعْناها!

---

(١) في الأصل: (بالرا)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) المشرفيّ: أي السيف المشرفي، والسيوف المشرفية نسبة الى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن، أو قرى من بلاد الشام واقعة بين الريف وجزيرة العرب، قيل لها ذلك لأنها أشرفت على السواد.

وَجدْنا[١] على الدُّنيا فلمَّا رَعيْتَنا أدالَتْ علينا دولةٌ لا عَدِمْناها
لَقَد عزَّتِ الأمْلاكُ أنتَ مَليكُها وشُرِّفتِ الأسْماءُ أنْتَ مُسمَّاها

٣٦٣

وقالَ بَديهاً ، وقد صَرَعَ الأمْجَدُ كَراكيَّ[٢] :

فِـــدىً لَكَ الدُّنيا بأهْلِيها يا آخِذَ الدُّنيا ومُعْطيها
يا مَلِكاً جَلَّتْ سَجاياهُ عن خُلُقٍ مِنَ الأمْلاكِ يَحْكيها
يا مَنْ عطاياهُ لِقُصّـــادِهِ يَنْهَى عن القَصْدِ تَناهيها
يا رامياً ، كلُّ رُماةِ الوَرَى يُعطُونَ مِنْهُ القَوْسَ باريها
إنْ تَقْرِ بالطَّيرِ ، فيا طالمَا كُنْتَ مِنَ الأعداءِ تَقْريها
أو تَرْمِ في وَجْهٍ ثلاثاً فلا بِدْعَ ولا غَرْوَ لِراميها
وإنَّما نَعْجبُ إنْ لم تَكُنْ ثلاثُهـــا بَعْدَ ثَلاثيها !
إنَّ الكَراكيَّ[٣] التي صُرِّعَتْ لم يُرْضِها أنَّكَ تُخْطيها

(١) وجَد على الشيء : غضب .

(٢) في الأصل : (كراكيا) ، والصواب ما أثبتناه لأن صيغتها « فَعالِيّ » وهي ممنوعة من الصرف لأنها على صيغة منتهى الجموع .

(٣) الكراكيّ : مفردهـا الكُرْكيّ ، طائر كبير أغبر اللون ، طويل العنق والرجلين أبتر الذنب ، قليل اللحم يأوي إلى الماء أحياناً .

وإنَّما تَعرِضُ في أَوْجِهــا تَعَرُّضــاً أَنَّكَ تَرْميها

لَعَلَّها تَحْوي مِنَ الفَخْرِ ما تَحْوي مُلوكٌ أَنْتَ مُرْديها

ولَسْتَ مَنْ يَجْهَلُ مِقدارَه خَلْقٌ ولا يُدرَكُ تَشْبيها

كَمَّلَكَ اللهُ بِما حلَّ مِنْ مَناقِبٍ قَــلَّ تَعاطيها

تَرْعى مضاعاتِ المَعالي إذا خاذَلَ مَنْ تَرْعاهُ[1] راعيها

وتَبْعَثُ الغــارَةَ مَبْثوثَةً في الأَرْضِ دانِيها وقاصِيها

وتَبْذُلُ البَدْرَةَ[2] ضُمَّتْ إلى هُنَيدَةٍ[3] فيهــا مَواليها

وتَنْظِمُ الشُّرَّدَ سَيَّــارَةً أَلفاظُها طِبْــقَ مَعانيها

مُحكَمَةَ الوضعِ يُناجيكَ مِنْ صُدورِهــا سُرِّقوا فيها

لا تَعْدَمِ الأُمَّةُ مِنْكَ المُنَى فأَنْتَ مَوْلاهـا ومُوْليها

٣٦٤

وقالَ أيضاً :

فَضَلْتَ بَــدْرَ التَّمامِ لَمَّا أَنْ فَضَلَ البَـدْرُ مُشْبِهيهِ ل 88 / و

---

(١) في الديوان : (مرعاه) .

(٢) البَدْرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار .

(٣) هنيدة اسم للمائة من الإبل خاصة ، أو للمائتين .

فأولِني قُبْلَةً حَيـاتي مِنْ خدِّكَ النَّاضرِ البَهِي[1]، هِي[2]

٣٦٥

وقالَ :

ليسَ لي شافٍ ولا را ... قٍ سِوَى رِيقِ رُقَيَّهْ[3]
لا أُبالي مـا أُلاقي حِـينَ تَلْقـاني لُقَيَّهْ
ولَـئِنْ أَبْلَتْ شَبـابي فلقـد أَبْقَتْ بَقِيَّهْ

٣٦٦

وقالَ يَمْدحُ الأمجدَ(*) :

طَمِعَ العَواذلُ عِنْدَ صدِّكَ أَنْ تَهي مِنِّي قُوَىً طَمَعَ الوِصالِ فانْتَهي
هَيْهاتَ لَسْتُ مُعاصياً لِغَوايتي كَلّاً ، ولَسْتُ مُطاوِعاً لِمُنَهْنِهي[4]

(★) الملك الشاعر مجد الدين بهرام شاه ، ملك بعلبك ، وقد سبقت ترجمته .

(١) أي البَهِيّ بتخفيف الياء المشددة لضرورة الشعر .

(٢) هِيْ: لها وجهان في تفسيرها هنا ، أولها أنها هِيَ ، وقد ذكر صاحب اللسان أن بعض بني أسد وقيس يقول : « هِيْ » : وثانيها ، وهو الأقرب في نظرنا ، أن العرب تقول عند الإغراء بالشيء « هِيْ هِيْ » بكسر الهـاء ، فإذا بنوا فعلاً قالوا : « هَيْهَيْتُ به » ، أي أغريته .

(٣) رُقَيَّة : اسم امرأة .

(٤) المنهنه : النهنهة هي الكفّ عن الشيء ، ونهنهت فلاناً فتنهنه أي كففته فكفّ .

أَتظُنُّني أَصحو وحُبُّكَ مُسْكري   وأَنامُ عن وَجْدي وأَنتَ مُنَبِّهي
لو أَنَّ عُذَّالي هَوُوا لَتَأَسَّفُوا   لتَأَسُّفي وتأوَّهُوا لِتَأَوُّهي
يا أَيُّها الرَّشَأُ الذي في لَحْظِهِ   آياتُ سِحْرٍ بالقُلوبِ مُوَبَّهِ
هاروتُ يَرْوي السِّحْرَ عنهُ كما رَوَى   بَهْرامُشاهَ الفَخْرَ عن فُرُّخْشَهِ[1]
مَلِكٌ هُمامٌ مِدْرَهٌ[2] وَرِثَ السُّطَا   والجودَ مِنْ مَلِكٍ هُمامٍ مِدْرَهِ
هُوَ في تَليدِ المَكْرُماتِ شَبيهُهُ   وطَريفُهُ يَعْلو عن المُتَشَبِّهِ
سَمْحُ اليَمينِ المُسْتَفاضِ نَوالُها الْـ   ـفَيّاضُ وَضّاحُ الجَبينِ الأَجْلَهِ[3]
فَيَمينُهُ بَحْرٌ كَثيرٌ المُعْتَرَى   وجَبينُهُ بَدْرٌ قَليلُ المُشْبِهِ
يُعطي مُؤَمِّلَهُ عِنانَ مُطاوِعٍ   ويُصِمُّ[4] ذِكْرُ نَداهُ سَمْعَ المُكْرَهِ
نَظَمَ الفَخارَ بنَظْمِ شِعْرٍ فاخرٍ   باسْمِ القَريضِ وناظِميهِ مُنَوِّهِ
حِكَمٌ إِذا ما كُرِّرَتْ لم تَعْتَلِلْ   فَريضُ قَلْبِ حَسودِها لم يَنْقَهِ

---

(١) والد الممدوح المعزّ عز الدين فرّوخ شاه داود الأول (المتوفى سنة ٥٧٨ هـ) .

(٢) المِدْرَه : السيد الشريف ، وهو زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأيه ؛ وسمي بذلك لأنه يقوى على الأمور ويهجم عليها .

(٣) الجَلَه في الأصل هو ذهاب الشعر من مقدم الجبين . والأجله : الضخم الجبهة المتأخر منابت الشعر . ورد هذا الاستعمال في شعر رؤبة :

لما رأتني خَلَقَ المموَّهِ   برّاقَ أصلادِ الجبينِ الأجلَهِ

(٤) في الأصل : (ويصر) ، والصواب ما أثبتناه .

لِلّهِ ! أيَّةُ هِمَّـــةٍ أعْمَلْتُهـــا لِنَجيبـــةٍ أعْمَلْتُهـا في مَهْمَهِ

أشْكو إليهِ صُروفَ دَهْرٍ ذو النُّهى مِنْ جَوْرِهِ في أسرِ قَبْضَةِ أوْرَهِ[1]

ونَوائباً أبَداً أُباشِرُ حَرْبَهـــا بِفُؤادِ مُنْتَحِبٍ ووَجْهِ مُقَهْقِهِ

ولَئِنْ شَكَوْتُ لقدْ شَكَوْتُ إلى فَتىً جَـــمٍّ الحيـاءِ بِرَدِّهِ لم يَجْبَهِ

وقَصَدْتُ ساحَتَهُ بِـدُرٍّ قَصائـدٍ سَلِسِ القِيادِ مِنَ العيوبِ مُنَزَّهِ

إنْ لم تَكُنْ مِنْ شاعرٍ هو أشعرُ الْـ أقْوامِ ، فَهْو مِنَ الفَقيهِ الأفْقَهِ[2]

٢٦٧

وقالَ ، رحِمَهُ اللهُ :

عُهودٌ مـــا نَسِيناها قِفا نَبْكِ لذِكْراهـا

فقد هانَتْ علينا ما أضَعْنا مُذْ حفِظْناهـا

ألا لِلّهِ آمـــالٌ نَعِمْنا إذْ بَلَغْناهـا

وكأسٌ مِنْ عيونِ العِيـــنِ باللَّحْظِ شَرِبْناهـا

وعُذّالٌ مِنَ الحسّـا دِ لم نَحْفِلْ بِنَجواهـا

(١) الأوره : الأحمق .

(٢) إشارة هامة جداً إلى منزلته الأدبية إذ « هو أشعر الأقوام » وإلى منزلته الدينية ، « فهو الفقيه الأفقه » شيخ الشيوخ .

شُغِلْنـا بِنَعيم الحـــبِّ لمّا لجَّ أشْقاهـا[1]
وغِزلانٍ لنـا عَنَّتْ فصادَتْنا ، وصِدْناهـا
تُدانينـا ، وتُقْصِينا فَنَرْجوها ، ونَخْشاهـا
صَباحُ الثَّغْرِ يُعْشينـا ولَيْلُ الشَّعْرِ يَغْشاهـا
ولم تُعْرَفْ صفاتُ العِشْـــقِ لولانا ، ولولاهـا
فسلْ عن ساعةِ الفَوْزِ بها « أيَّانَ مُرْساهـا ؟ »[2]
وإيّانا سَبَتْ وَجْداً فإيّاكُمْ ، وإيّاهـا !

٣٦٨

ل 88 / ظ وقالَ ، رحمَهُ اللهُ :

حَسْبي بجَمالِهِ ، فَفِيـهِ ما يُوضِحُ عَذْرَ مُدْنَفِيهِ
بَدْرٌ أَخَذَ النُّفوسَ قَهْراً مِنْ بابِ عُيونِ ناظِريهِ
أَشْتاقُ لِقـاهُ في مَقـامٍ أَخْشاهُ لهُ ، وأَرْتَجِيهِ
يا مُهْجَتِيَ التي مَلامي لا تَسْمَعُهُ ، ولا تَعِيهِ
هذا جَسَدي عليكِ ثَوْبٌ لا يَحْمِلُ أنْ تُمَزِّقيهِ

(١) في الديوان : (لح) ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) اقتبس الشاعر قوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساهـا » (سورة الأعراف ٧/٨٧) . و (سورة النازعات ٧٩/٤٢) .

إنْ لم تَجِدي مُناكِ إلّا في فُرْقَتِـهِ ، ففـارِقيهِ

٣٦٩

وقالَ[١] :

قَسَماً بشَمْسِ[٢] جَبينِهِ « وضُحاها »[٣]

ونَهـــارِ مَبْسِمِـهِ « إذا جَلّاها »[٤]

وبنارِ خدَّيهِ المُشَعْشِعِ نورُهـــا

وبلَيلِ صُدْغَيــــهِ « إذا يَغْشاها »[٥]

لَقَـدِ ادَّعيتُ دَعاوياً في حُبِّـــهِ

صَدَقَتْ و« أَفْلَحَ »[٦] فيه « مَنْ زَكّاها »[٧]

(١) الخزانة : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ . استشهدنا بهذه الأبيات في بحث الاقتباس ، وقلنا : « لاحظنا أن الشاعر استخدم في هذه القصيدة فواصل ست آيات من ست عشرة آية تؤلف سورة الشمس ، وقد صرح بها في شطر بيته الأول ؛ ولاحظنا أيضاً أنه ختم قصيدته ببيتين اقتبس فيهما آيتين من سورة النازعات» (انظر كتابنا أدب الدول المتتابعة ، ص ٦٧٦ ، ٦٧٧).

(٢) إشارة إلى اسم سورة الشمس .

(٣) سورة الشمس : ٩١/١ .

(٤) « « : ٩١/٣ .

(٥) « « : ٩١/٤ .

(٦) « « : ٩١/٩ .

(٧) « « : ٩١/٩ .

فنُفوسُ عُذّالي عليـــهِ وعُذري
قد أُلْهِمتْ بفُجورِها « تَقْواها[1] »[2]

فالعُـذرُ أَسْعَدَهـا يُقيمُ[3] دليلَـــهُ
والعَـــذْلُ مُنْبعِثٌ لهُ « أشْقاها »[4]

يا مَنْ يُخوِّفُني كَلامُ وُشاتِـــهِ
مَهْلاً ، فما أَنْذَرْتَ « مَنْ يَخْشاها »[5]

وأَراكَ مُرْتَقِبـــاً لساعةِ سَلْوتي
دَعْها ، فـ « فِيمَ أنتَ مِنْ ذِكْراها؟»[6]

٣٧٠

وقالَ :

حَبيبٌ تَناهَىٰ بِهِ حُسْنُهُ فعنْ أمرِ حُبِّهِ لا أَنْتَهي

(١) في الديوان : (وتقاها) ، وقد أثبتنا رواية الخزانة .
(٢) سورة الشمس : ٨/٩١ .
(٣) في الخزانة : (مقيم) .
(٤) سورة الشمس : ١٢/٩١ .
(٥) سورة النازعات : ٤٥/٧٩ .
(٦) « « : ٤٣/٧٩ .

بديعُ الجمالِ بَراه[1] الإلهُ كما يَشتهي ، وكما أشتَهي

٣٧١

وقالَ :

ومُغْرَم ٍ قَبَّحَ سُلوانَهُ حَسناءُ تَهواهُ ، ويَهواها

عانَقَها مُرتَشِفاً ثغْرَها يَبكي ، فَحَلَّتْهُ وحَلّاها !



(١) براه : أي برأه بإهمال الهمزة للضرورة الشعرية .

قافية الواو

٣٧٢

وقالَ يمدحُ النَّاصرَ بنَ العزيزِ(*) :

لَوَ انّي بَدِيْنِ الوَصْلِ سَاكِنَةُ اللِّوَى ... تُنَشِّرُ(١) مِنْ أَسْرارِ وَجْدِي مَا انْطَوَى

وهـل نافعي صَمْتي عن النُّطْقِ باسْمِها

إذا نَطَقَ الدَّمْعُ الصَّموتُ عن الهوَى ؟

غُزَيِّلَةٌ لم تَرْعَ ذِمَّـــةَ ضَيْغَمٍ ... لحاهُ عليها العاذلونَ ، فما ارْعَوَى

وقالَ : أقيلُوا صُحْبَتي مِنْ مَلامِكُمْ ... فصاحِبُكُمْ ما ضَلَّ يَوْماً وما غَوَى(٢)

يَميناً بقُرْطِ(٣) النَّجمِ مِنْها إذا سَمَا ... عُلُوّاً وبالنَّجْمِ المُنيرِ إذا هَوَى

لقد حَلَّ فيها عقْدَ صَبْرِيَ والْتَوَى ... فُؤادي إلى أَنْ كِدْتُ أُشْفي على التَّوى(٤)

(*) الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز غياث الدين محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(١) في الديوان : (ونشرت) ، ولا يستقيم الوزن بها ، وصوابها : (تُنشِّرُ) كما أثبتناها لاستقامة الوزن .

(٢) في الديوان : (ولا غوى) ، والأفضل (وما غوى) إذ إن الشاعر توخى استخدام قوله تعالى: « والنجم إذا هوى ما ضلَّ صاحبكم وما غوى » (سورة النجم ٥٣/٢) .

(٣) القُرط : الثريا .

(٤) التَّوى : الهلاك .

ولو وَجدَتْ وَجْدي رَثَتْ لي فَخلَّها تَصُدُّ، ولا تَلْقَ الذي بي مِنَ الجوَى
وكم مِثْلِها غازَلْتُها فحَلَيْتُهـا وفَوْدي لم يُخْلِس[1] وغُصْنِيَ ما ذَوَى
فإنْ شَفَّني مِنْها الشِّفاء فإنَّما هِيَ الدَّاءُ لِلْقَلْبِ المُعَذَّبِ والدوا
إذا ارْتَبَعَتْ عُرْضَ الفَلاةِ وأعْوَزَتْ
معيناً وماعُوناً لَدَى كلِّ مُنْتَوى
فَها أَضْلُعي نِيرانُها لِمَنِ اجْتَرا وها أَدْمُعي طُوفانُها لِمَنِ ارْتَوَى
وها حَلَبُ مِصْرُ لِمَنْ رامَ خِصْبَها وها يُوسُفُ فيها على عَرْشِهِ اسْتَوَى
مَليكٌ هُدَىً يَهْدي الفَضائلَ كلَّما تَصدَّى لِيُمْلي مارَأى عنه مَنْ رَوَى
أَجلُّ مُلوكِ الأَرْضِ جَدّاً ووالِداً
وأَقْرَبُ مِنْ تَقْوىً وأَبْعَدُ مِنْ هَوَى
يَسومُ العُلا عَفْواً ، فيَعْلو سَماءها وما غَيْرُهُ تَرْضاهُ كُفْئاً[2] ولا سِوَى

---

(١) أخْلَسَ الشعرُ : استوى سواده وبيـــاضه ، وقيل : إذا كان سواده أكثر من بياضه .

(٢) في اللسان : يقال هذا كِفاءُ هـذا ، وكِفأته ، وكفيئُه ، وكُفْؤه ، وكُفُؤه ، وكَفْؤه . وقال الزجاج في قوله تعالى : « ولم يكن له كفُواً أحدٌ » . أربعة أوجه ، منهـا ثلاثة : كُفُؤاً بضم الكاف والفاء ، وكُفْئاً بضم الكاف وإسكان الفاء ، وكِفْئاً بكسر الكاف وسكون الفاء ، وكِفاء بكسر الكاف والمد ، ولم يقرأ في اللغة الأخيرة ، وسمعت الروايات الثلاث الأولى .

89/و ويَرْمي فلا يَشْوي[1] بشُهْبٍ قواضبٍ لَظاها مِن الأَعداءِ نزَّاعةُ الشَّوَى[2]
ويَطْعَنُ بالخُرْصانِ فيهمْ كأنَّها مصابيحُ مِنْ عُوجِ الخناجرِ في كُوَا
تراهُ بِما يُرْضي الإلهَ فطالما نَوى للوَرَى خيراً وللمَرْءِ ما نوَى
ألا فاخْلَعَنْ نَعْلَيكَ إنْ زُرْتَ رَبْعَهُ
فأنتَ مِنَ الْوادي الْمُقَدَّسِ في طُوَى
ترامتْ بنا آمالُنا كلُّ مُرْتَمى
طوى مِنْ بسيطاتِ المهالِكِ ما طَوَى
وأفضَى بِها المَسْرَى إلى عَرَصاتِهِ
فألْقَتْ عَصَاها ، واستقرَّتْ بها النَّوَى

٣٧٣

وقالَ :

أيا قَمَراً ، لهُ في الحُسْنِ فَضْلٌ على بَدْرِ الدُّجا عِنْدَ البُدُوِّ !
أَيَجْمُلُ أنَّني أُفْني زَماني بذِكْرِكَ في العَشِيِّ وفي الغُدُوِّ ؟
وتُنْفِقُ مِنْ زمانِكَ في وِصالي كإنْفاقِ الْبَخيلِ على العَدُوِّ
هداكَ اللهُ مِنْ بِرِّي لِخَلْقٍ يُعجِّلُ فيكَ بُرْئي أو هُدُوِّي

(١) فلا يشوي : أي يصيب مقتلاً ، يقال : رماه فأشواه ، أي أصاب شواه ولم يصب مقتلاً ، وقد لاحظنا أن الشاعر استعمل الفعل منفياً متوخياً إيجاب المعنى .

(٢) الشّوى : اليدان والرجلان وقحف الرأس وما كان غير مقتل ، وهي جمع شواة . ضمن الشاعر قوله تعالى : « كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى » (سورة المعارج : ٧/١٥ ، ١٦) .

٣٧٤

وقالَ :

تَواضَعْ إنْ رَغِبْتَ إلى السُّموِّ ... وعَدْلاً في الصَّديقِ وفي العَدوِّ

ودونَكَ في الخُمولِ فخُذْهُ دونَ الـ ... ـنَّباهَـةِ يَحْظَ قَلْبُكَ بالخُلُوِّ

ولا تَزِدِ العِيـالَ على كَفَافٍ ... يَقُوتُهُمُ ، فذاكَ مِنَ الغُلُوِّ

وبادِرْ صالحَ الأَعمالِ ، واعْجَلْ ... وصِلْ فيهـا رَواحَكَ بالغُدُوِّ

فقد وَضَحَ السَّبيلُ بنُورِ شَيْبٍ ... أَضاءَ شِهابُهُ بَعْـــدَ الخُبُوِّ

٣٧٥

وقالَ(١) مِمّا كُتِبَ بهِ على جُرْنٍ في حَمَّامِ السُّلْطانِ [بحماةَ](٢) :

كَمُلْتُ لُطفـاً وَوَقاراً على ... ما حُزْتُ مِنْ أوصافيَ الحُلْوَهْ !

مِنْ أَجلِ هذا صِرْتُ أَهْلاً لأَنْ ... أُجالِسَ السُّلطانَ في الخَلْوَهْ !

٣٧٦

وقالَ :

يا مَنْ وَجْدي فِيهِمْ يَقْوَى ... مَعْنَى صَبْري عنكُمْ أَقْوى

يا مَنْ مـالي عَنْـــهُ مَغْنَىً ... زَوِّدْ نَفْسي زادَ التَّقْوى

---

(١) الخزانة : ١ ، ٢ .

(٢) زيادة غير موجودة في الديوان استدركناها من الخزانة ، وقد أورد صاحبهـا ابن حجة هذين البيتين في معرض حديثه عن التورية ولطائفها (الخزانة ، ص ٣١٦) .

قافيـة اليـاء

٣٧٧

قالَ يمدَحُ سَيفَ ٱلدّينِ بْنَ أَبي عَليٍّ (*) :

غَزالٌ وٱلأُسودُ لَهُ رَمايا	ومَلْكٌ وٱلْمُلوكُ لَهُ رَعايا
يُغيرُ بِلَحْظِهِ في كلِّ قَلْبٍ	فَيَرْجِعُ وٱلأُسودُ لَهُ سَبايا
دَعاني حُبُّهُ فَأَجبْتُ طَوْعاً	لِأَمرٍ ما نَهَتْ عَنْهُ ٱلنُّهايا
أُقَبِّلُ ثَغْرَهُ ، فيقولُ ثَغْري :	« أَنا ٱبْنُ جَلا وطَلّاعُ ٱلثَّنايا » (١)
أُنَزِّهُ مِنْهُ في بُسْتانِ حُسْنٍ	لَهُ ٱلْعُذّالُ مِنْ بَعْضِ ٱلوَشايا
فكَمْ فَدْمٍ يُعَنِّفُني عَلَيْهِ	ويُوْهِمُني ٱلأَماني في ٱلْمَنايا !
عَذولٌ بِٱلْيَمينِ ٱلزّورِ أَسْخى	وأَسْمَحُ مِنْ يَمينِكَ بِٱلعَطايا
فيُغْريني بِمَنْ أَهْوى وتَغْنى	بِما أَهْواهُ يا خَيْرَ ٱلْبَرايا
فقَدْ أَلْزَمْتَماني خَيْرَ حُبٍّ	وكَسْبٍ ، فَٱلْزَما هٰذي ٱلسَّجايا

(★) هو الأمير سيف الدين علي بن أبي علي ، وقد سبقت ترجمته .

(١) هذا هو الشطر الأول من مطلع قصيدة سُحيم بن وَثيل أحد الشعراء المخضرمين وتمامه قوله : « متى أضع العمامة تعرفوني » (الأصمعيات ، ص ١٧) .

أَسَيفَ ٱلدّينِ دُمتَ لَنا مَليكاً   مَنيعَ ٱلمَجدِ مَنصورَ ٱلسَّرايا

فَإِنَّكَ أَشرَفُ ٱلأُمَراءِ قَدْراً   وأَسعدُ رايَةً وأَسَدُّ رايا[1]

مُذالُ ٱلمالِ كَسّابُ ٱلمَعالي   عَزيزُ ٱلجارِ أَبّاءُ ٱلدَّنايا

ل 89 / ظ

يَجورُ عَلى خَزائِنِـهِ يُجاري   مَواهِبَهُ، ويَعْدِلُ في ٱلقَضايا

مَتى تَغزُ[2] ٱلفِرَنجَ تَعُدْ بِغُنْمٍ   وإِنْ وافَوْا رَدَدْتَهُمُ خَزايا

حَدَوْتَهُمُ بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ لَمّا   أَتَوْكَ بِأَكْبُدِ ٱلإِبلِ ٱلبَلايا[3]

وَقَفْتُ عَلَيكَ يا ٱبْنَ أَبي عَلِيٍّ   ثَنائي بِٱلغَدايا وٱلعَشايا

وَجودُكَ عَمَّ كُلَّ ٱلنّاسِ لكِنْ   لِيَ ٱلمِرْباعُ[4] مِنْهُ وٱلصَّفايا[5]

وإِنْ كانَ ٱلذي أَهدَيتَ نَزْراً   فَإِنَّ مَدائِحي أَسنى ٱلهَدايا

---

(١) أي رأيا بتخفيف الهمز .

(٢) في الأصل : (تغزو) ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) البلايا : جمع بليّة ، يقال : ناقة بلية ، وهي التي يموت صاحبها فيحفر لها حفرة ، وتشدّ رأسها إلى خلفها وتبلى ، أي تترك هناك لا تعلف ولا تسقى حتى تموت جوعاً وعطشاً. ذكر صاحب اللسان أن الجاهليين كانوا يزعمون أن الناس يحشرون يوم القيامة ركباناً على البلايا ، أو مشاة إذا لم تعكس مطاياهم على قبورهم .

(٤) المرباع : ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الزعيم في الجاهلية .

(٥) الصفايا : جمع الصفية ، وهي ما اختاره الزعيم لنفسه من الغنيمة .

٣٧٨

وقالَ[١] :

لا تُعاتِبْني ، فلا عَتْبَ عَلَيْ ... خَرَجَ ٱلأَمْرُ وعَقْلي مِنْ يَدَيْ

لَيسَ لِلنُّصْحِ قَبولٌ يُرْتَجى ... عِنْدَ شَيْخٍ هامَ وَجداً بِصُبَيْ

ولَقَــدْ أعجَزَتْ راقي عِلَّتي ... فَكَوى قَلْبيَ بِٱلْهُجْرانِ كَيْ

وأرى لَوْمَكَ يُغْريني بِــهِ ... لا تَزِدْني، أَوْ فَزِدْني ، يا أُخَيْ

أنا في ٱلحُبِّ إمـامٌ ، فإذا ... صِرْتَ مِنْ أبنائِه ، فَٱخضَعْ لَدَيْ

لا تَسَلْ غَيْرِيَ عَنْ[٢] شَرْعِ ٱلهَوى ... وخُذِ ٱلتَّنْزِيلَ فيـهِ عَنْ أُبَيْ

وبِلُبنانَ لُباناتٌ لنـا ... عِندَ حَيٍّ ذِكْرُهُمْ في ٱلقَلْبِ حَيْ

خُلُقي أَنِّي شَحيحٌ بِهِمُ ... وبِروحي لَهُمُ حاتِمُ طَيْ

فَٱغنَ عَنْ لَوْمِيَ فيهِمْ ، وإذا ... جُزْتَ مَغْنى ذٰلكَ ٱلحَيِّ فَحَيْ

وٱختَصِرْ[٣] في شَرْحِ أشواقي ، فإنْ ... رُمْتَ إسهـاباً فَوَكِّلْ مُقْلَتَيْ

---

(١) الخزانة : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ؛ والنفحات : ١٦ ، ١٧ .

(٢) في الخزانة : (في) .

(٣) في الخزانة : (فاختصر) .

سادَتي ! فارَقْتكُمْ فاَسْتُلِبَتْ بِنَواكُمْ راحَتي مِنْ راحَتَيْ
فاَجْبُروا قَلْبي بِشَيْءٍ مِنْكُمُ فلَقَدْ أُوتيتُمُ مِنْ كلِّ شَيْ
سَنَحَتْ مِنكُمْ ظِباءٌ أثبَتَتْ داءَقَوْمٍ،وَهْيَ تَطْوي ٱلأَرْضَ طَيْ
أيّ آسادِ عَرينٍ نَظَرَتْ فَسَبَتْهـا أيّ غُزْلانٍ ؟ وأيْ ؟
صادَني مِنْهـا غَريرٌ أَغْيَدٌ فيهِ ما يَشْغَلُ عَنْ هِنْدٍ ومَيْ
أغضَبَ ٱلعـاذِلَ فيـــهِ أنَّني لمْ أَبعْ في حُبِّهِ رُشْدي بِغَيْ

قُلْتُ : قدْ أَضنَيْتَ جِسمي ، قالَ : قدْ !
قُلْتُ : كَيْ تَذْهَبَ رُوحي؟ قالَ : كَيْ ! [١]
قُلْتُ : أفديكَ بِنَفْسي ، قالَ : مَهْ !
مـا إِليكَ ٱلأَمرُ فيها ، بَلْ إِلَيْ !

٣٧٩

وقالَ :

لا وُفِّقَتْ بِنْتُ ٱلحُمَيْصِيَّـهْ دانِيَةَ ٱلدّارِ ومَقْصِيَّهْ !
صُوفِيَّةُ ٱلمَذْهَبِ ، لٰكِنَّها ناعِمَةُ ٱلجِسْمِ حَريرِيَّهْ !

(١) أورد النابلسي البيت السادس عشر والسابع عشر في معرض شواهد الاكتفـاء . (النفحات ص ١١٩) .

٣٨٠

وقالَ :

سَقَتْنِيَ ٱلرَّيِّ رَيَّا[1] بَعْدَ ٱللَّتا[2] وٱللُّتَيَّا[3]

مِنْ كَأْسِ ثَغْرٍ حَلالٍ يُنْسِي حَرامَ ٱلْحُمَيَّا[4]

حَنَّتْ عَلَيَّ بِعَهْدٍ وافٍ ، وحَنَّتْ إِلَيَّا

فصارَ لي كلُّ شيْءٍ مِنْها ، ولَمْ أَكُ شَيَّا

أَحْبَبْتُها مُنْذُ كنّا صَبِيَّةً وصَبِيّا

يا هذِهِ ! أيَّ عَقْلٍ سَلَبْتِ مِنّي ؟ وأَيّا ؟

دَخَلْتِ قَلْبِيَ حَتّى أَخْرَجْتِهِ مِنْ يَدَيَّا

شَفَيْتِ مِنّي عَليلاً كَوى فُؤادِيَ كَيّا

ولَوْ تَمَسّينَ مَيْتاً لأَصبَحَ ٱلمَيْتُ حَيّا !

---

(١) أورد ابن حجة القصيدة المذكورة في معرض شواهد الانسجام (الخزانة ، ص ٢٥٠).

(٢) المعروف عند النحويين عن (التي) أن لها ثلاث لغات : هي (التي) و (اللتِ) و (اللتْ) ؛ وثلاث لغات أيضاً في تثنيتها : هي (اللتان) و (اللتانّ) و (اللتا) وهذه اللغة الأخيرة هي التي استعملها الشاعر .

(٣) المعروف عند النحاة أن تصغير التي واللاتي هو (اللتيا واللتيا) .

(٤) الحميّا : من الكأس سورتها وشدتها ، أو إسكارها أو أخذها بالرأس ، وتطلق على الخمر نفسها .

ل 90 / و

إنْ فُقْتِ مَيّاً [١] ، فَإنّي قَدْ فُقْتُ غَيْلانَ مَيًّا [٢]

ماذا فَعَلْتِ بِرُوحي ؟ إذْ قُلتِ بِالْقَلْبِ: هَيًّا !

٢٨١

وقالَ :

مَنْ مُجيري مِنْ عُلَيَّهْ ؟ مَلَكَتْ قَلْبي عَلَيَّهْ

سارَ قَلْبي حينَ سارَتْ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ إلَيَّـــهْ

مَلأَتْ صَدْري سُروراً إذْ بَدَتْ لي في ٱلْبَلِيَّهْ

أَذْكَرَتْني لَفْظَةَ ٱلوا رِدِ إذْ أَدْلَىٰ دُلَيَّـــهْ [٣]

ما عَلَىٰ مَنْ حَجَبوها لَوْ جَلَوْهـا لي جُلَيَّـهْ ؟

لَيْسَ لي حَظٌّ لَدَيْها وَهْيَ أَحظَى مَنْ لَدَيَّهْ

ما أَمَرَّ ٱلصَّبْرَ عَنْها ! وَهْيَ في قَلْبي حُلَيَّـهْ !

---

(١) هي ميَّة بنت عاصم بن طلبة ، وعند ابن خلـكان : ابنة مقاتل بن طلبة ، صاحبة ذي الرُّمة الشاعر ، أحد عشاق العرب المشهورين .

(٢) غيلان بن عُقْبة بن بُهيش ، ويكنى أبا الحارث ، وهو من بني صعب بن مِلْـكان ابن عدي بن عبد مناة ، وهو صاحب مية السابق ذكرها .

(٣) استخدم الشاعر في تعبيره قوله تعالى « وجاءت سيّارة ، فأرسلوا واردهم ، فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام ، وأسروه بضاعة والله عليم بما يفعلون » (سورة يوسف ١٢/١٩).

٣٨٢

وقالَ[١] :

سُروري[٢] بسَاقيـةٍ جـاريهْ ووَجْدي بجَاريةٍ ساقِيَهْ
أَهُزُّ بهاتيكَ[٣] عِطفَ القَريضِ لِيُثْني على هـذهِ الثانِيَهْ
[مَهاةٌ نَشأتُ على حُبِّهـا كما هي في حُسْنِها ناشِيهْ][٤]
سَبتْني كاسيـةٌ بالجمـالِ فرُوحي عِنْدي لَهـا عارِيَهْ
على الجِسْمِ حاكمةٌ بالضَّنَى وفي القَلْبِ آمِرَةٌ ناهِيَهْ
[تعالَىْ عنِ النَّدِّ نَشْرٌ لَها يَطيبُ بِـهِ النَّدُّ والغَالِيَهْ][٥]

---

(١) الذيل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٢) أشار اليونيني إلى المناسبة التي أوحت للشاعر نظم هذه القصيدة ، فقـال : وعمل القاضي تاج الدين علي بن الشهرزوري في بعض ولاة الجور ، وقد سقط من الفرس :

إلى النّارِ يا ولدِ الزانيه وهذا الهويُّ إلى الهاويه
وقَعْتَ فيابردَها في القلوب فياليتَهـا كانتِ القاضيَه

فنظم الشيخ شرف الدين ، رحمـه الله ، أبياتاً ألم فيها بهذه القافية ، وإن كان معنى الأبيات غير متحدٍ ، وهي : سروري ... (الذيل ، ورقة ١٢٨) .

(٣) في الذيل : (هاتيك) .

(٤) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل .

(٥) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعُود ودُهن .

وأَوْلَتْ مِنَ الوَصْلِ أَضعافَ ما رَجَوْتُ ولم تكفني كافيَهْ

فُؤادي عليَّ رَقيبٌ لهـا يُطالِعُها عَيْنَهُ الصَّافِيَهْ][1]

تَراني إذا لم أزُرْ بيتَها كأنِّيَ بَيْتٌ بلا قافِيَهْ

تُواصِلُني[2] فأحوزُ المُنَى[3] وأَجلِسُ في الدَّسْتِ والحاشِيَهْ

وتَنْأى فأَجْلِسُ[4] في مَسْجدي وَحيداً وأَلْتَفُّ[5] بالبارِيَهْ[6]

[فطَوْراً بخُفِّي[7] حُنَيْنٍ أعودُ وطَوْراً بقُرْطَيْنِ مِنْ مارِيَهْ

فهل مِنْ مُعينٍ على عاذِلي فيأُخُذَهُ «أَخْذَةً رابِيَهْ»؟[8]

تَحَسَّرَ إذا لم أُطِعْ أَمْرَهُ فَ«يا ليْتَها كانتِ القاضِيَهْ»![9]

ولَسْتُ أُبالي بسُخْطِ العَذولِ إذا أنا ألفيتُها راضِيَهْ][10]

---

(١) استدركنا الأبيات الثلاثة من رواية الذيل .

(٢) في الذيل : (تقربني) .

(٣) في الذيل : (العلا) .

(٤) في الذيل : (فأخنس) .

(٥) في الذيل : (في البارية) .

(٦) البارية : أي البارياء أو . صاحب اللسان ذكر الباريّ والبارياء ، وفسرهما بالحصير المنسوج ، وهما من أصل فارسي معرّب .

(٧) في الذيل : (خفي) .

(٨) سورة الحاقة ٦٩/١٠ .

(٩) سورة الحاقة ٦٧/٢٧ .

(١٠) استدركنا الأبيات الأربعة من رواية الذيل .

ولمّا شَكَوْتُ إليها الجوَىٰ وَعَتْهُ لها أُذُنٌ واعِيَهْ

فقالَتْ : بِعينيَ هذا السَّقامُ فقُلْتُ : على عَينِكِ الواقِيَهْ !

أَضاحكةَ السِّنِّ لو زُرْتِني عَجِبْتِ لِمُقْلَتيَ الباكِيَهْ !

[وأَنْقَذْتِني مِنْ أَسىً زادَني فلم يَبْقَ في جلَدي باقِيهْ] [1]

وإنِّي ، وإنْ نالَ مِنّي الأَذَىٰ مُعافىً إذا كُنْتِ في عافِيَهْ

٣٨٣

وقالَ :

في خدِّكَ اللَّهِيِّ الأُرْجوانيِّ [2] وَرْدٌ بغَيْرِ لِحاظي غَيْرُ مُجْنيِّ

مَلَكْتَني بجمالٍ ضَمَّ جُمْلَتَهُ قَضيبُ بانٍ عن الأَدْناسِ مَثْنيِّ

وسَرَّني حُسْنُ خَلْقٍ فيكَ دَقَّ وكم للهِ في الخَلْقِ مِنْ سِرٍّ إلٰهيِّ !

أَفْدي بِرُوحي أَبا بَكْرٍ وإنْ عَلِقَتْ كَفَّايَ مِنْهُ بوَعْدٍ غَيْرِ مَأْتيِّ

واليتُهُ بِبَراءٍ مِنْ سِواه ، فقُلْ ما شِئْتَ في حالِ سُنِّيٍّ لِشيعيِّ

واتْرُكْ تَوَقُّعَ بُرْئي بالأُساةِ ، فما يَشْفُونَ مِنْ سُقْمِ أَوْسيٍّ [3] بتُرْكيِّ

(١) استدركنا هذا البيت من رواية الذيل .

(٢) الأرجوان : شجر له ورد أحمر ، وصبغ أحمر ، وهو فارسي معرب ، أصله « أرغوان » ، ويطلق هـذا اللفظ في الأصل على شجر ينبت في التلال المرتفعة ، ويزرع للزينة أيضاً .

(٣) إشارة إلى نسبه ، وقد تكرر ذكره في الديوان .

٣٨٤

وقالَ :

إذا حَمِدَ الإنْسانُ شَرْخَ شَبَابِهِ فإنِّيَ ساعٍ في مَذَمَّتِهِ سَعْيَا
ليالي غرامٍ زوَّدتْني أثامَهـــا ووَلَّتْ ، فلا سَقْياً لهنَّ، ولا رَعْيَا

٣٨٥

وقالَ :

قَلَعْتُ ثَنِيَّتي[1] كِبْراً وَوَهْناً وقِدْماً كنتُ « طلَّاعَ الثَّنايا »[2]
فلا يَرْكُنْ إلى الدنيا لَبيبٌ فنائلُهـــا مَشوبٌ بالبَلايَا

* * *

(١) ثنيتي : الثنية من الأضراس الأربعة التي في مقدم الفم ثنيتان من فوق وثنيتان من أسفل .

(٢) انظر الهامش رقم ١ ، ص ٥٢٢ .

نَجَزَ ديوانُ شَيْخِ الشُّيوخِ
الصاحبِ شرفِ الدِّينِ عَبْدِ العَزيزِ الحَمَويّ الأَنْصاريِّ
رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ

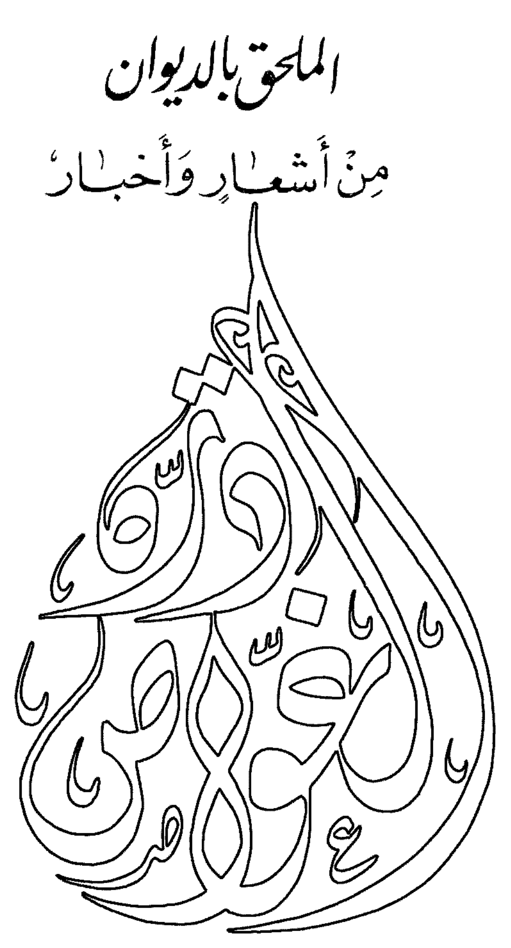
ل 91/ و

فَرَغَهُ اخْتياراً مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ الرَّحْمٰنِ الأَنْصاريُّ
عَفَا اللهُ عَنْهُ في شُهورِ سَنَةِ
(٨١٢)

الملحق الاول

الملحق بالديوان

مِنْ أَشْعارٍ وَأَخْبارْ





٣٨٦

« وقالَ أيضاً مِنْ قَصيدةٍ طويلةٍ يَمْدَحُ بِها النَّبيَّ ، ﷺ ، ويذكُرُ بعضَ مُعْجِزاتِهِ ، وأَوَّلُها :

تَشَرَّفْ بذِكْرِ حَميدِ الثَّناءِ على أَحْمدَ أَشْرَفِ الأَنْبياءِ
على مُوضِحِ الرُّشْدِ بَعْدَ العَمَى على مُظْهِرِ الحقِّ بَعْدَ الخَفاءِ
على خاتِمِ الرُّسُلِ السَّابقينَ وأَوَّلِهِمْ في قَديمِ القَضاءِ
فكانَ نَبِياً نَبيهَ المُقامِ وآدمُ ما بَيْنَ طِينٍ وماءِ

ومِنْ آخرِها :

تَشَفَّعْ بِهِ فَهْوَ نِعْمَ ٱلشَّفيعُ وَسَلْهُ ٱلْمُنىٰ ، فَهْوَ بَحْرُ ٱلسَّخاءِ
وقُلْ : عِنْدَكَ ٱلْقِنُّ عَبْدُ ٱلْعَزيزِ[1] رَهينَ ٱلبِلىٰ ، وقَرينَ ٱلْبَلاءِ
أَماتَ ٱلْعَمىٰ قَلْبَهُ ، فَٱغْتَدىٰ ذَليلَ ٱلْمُقامِ ، عَزيزَ ٱلْعَزاءِ
فَعَطْفاً عَلىٰ مَنْ تَناهَتْ بِهِ ٱلْـخَطايا ، وما عَطَفَتْ لِٱنْتِهاءِ

---

(١) القِنُّ : العبد الذي ملك هو وأبواه ، وهو يلفظ واحد للواحد والجمع ، وعبد العزيز هو اسم الشاعر .

يُحَقِّقُ[1] إخلاصَهُ في رَجاءِ عُلاكَ وتَحْقيقِ ذاكَ ٱلرَّجاءِ
وَبِٱلعَفْوِ عَنْهُ ، وعَنْ والِدَيْهِ وإعفـائِهِمْ[2] مِنْ أَليمِ ٱلشَّقـاءِ
فَأَنتَ ٱلنَّبِيُّ ٱلوَجيهُ ٱلذي حَوى في ٱلشَّفاعَةِ فَضْلَ[3] ٱلجَزاءِ
فَشَرَّفَـــهُ ٱللهُ مُخْتـارَهُ بِخَيْرِ صَلاةٍ ، وأَزْكى ثَناءِ
وصَلّى ٱلإلٰهُ عَلى ٱلأَكْرَمينَ وأَصْحابِهِ ٱلصَّفْوَةِ ٱلأَتْقِياءِ
وخَصَّ ضَجيعَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ بِأَلطافِ رِضْوانِـهِ وٱلحِباءِ
ومَنْ لَهُما كانَ مُلْكاً مُطاعاً وكـانا لَدَيْهِ خَليلَيْ صَفاءِ
وحَيّـا ٱبْنَ عَفّانَ صِهْرَ ٱلنَّبِيِّ وخِدْنَ ٱلسَّماحِ وتِرْبَ ٱلحَياءِ
وزادَ بِأَحسَنِ زُلْفى [عَلِيٌّ][4] عَلى مَجْـــدِهِ ٱلهاشِمِيِّ ٱلبِناءِ
شَقيقُ ٱلرَّسولِ ، وزَوْجُ ٱلبَتولِ[5] ومُرْدي ٱلعِدا ، ومُزيلُ ٱلعَداءِ
وأَعْنِ ٱبْنَ عَوْفٍ بِإحسانِهِ وأَلْحِفْ مُبْغِضَهُ بِٱلعَفاءِ

---

(١) في الأصل : (تحقيق) .
(٢) » » : (واعقانهم) .
(٣) » » : (خضل) .
(٤) في الأصل : (زلفى على مجده) وقد أضفنا لفظة عليّ لاستقامة الوزن وسلامة المعنى .
(٥) البتول : هي فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ لانقطاعهـا عن نساء زمانها ونساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً ، والمنقطعة عن الدنيا إلى الله تعالى . والبتول أيضاً مريم العذراء .

وَصَلّىٰ عَلىٰ طَلْحَةٍ وٱلزُّبَيْرِ كَمَا أغْنَيا عَنْـــهُ حينَ ٱلْغَنَاءِ
وأوْلىٰ سَعيداً وسَعْداً يَـــداً عَلىٰ بَسْطِ أيديهما بٱلوَلاءِ
وأرْضىٰ أمينَ ٱلْبَرَايا أبا عُبَيْدَةَ رَبُّ ٱلتُّقىٰ وٱلوَفاءِ
وأعقَبَ عَمَّيهِ[١] أصْفىٰ ٱلنَّعيمِ بِمَا أسْلَفا مِنْ جَميلِ ٱلْبَلاءِ
وسِبْطَيْهِ[٢] ، عَمْري[٣] ، وأُمَّهُمَا وأزْوَاجَهُ مِنْـــهُ أسْنىٰ عَطاءِ
سَيرْفعُ عَنّيَ عِبْءَ الذُّنوبِ هَوى الخَمْسةِ الغُرِّ أهْلِ العَباءِ[٤]
أُعُـــدُّ وَلاءَهُمُ عُـــدَّتي وأَبْرأُ مِنْ قائـــلٍ بالبَراءِ
وإنْ أنَا قَصَّرْتُ في مَدْحِهِمْ فقد بالَغَتْ هِمَّتي في هِجائي »[٥]

٣٨٧

وَقَالَ ، رَحِمَهُ اللهُ ، في الزُّهْدِ :

كُلُّ هذا[٦] ، لَكَ داءٌ مـا لِبَلْواكَ انْتِهـاءُ!

---

(١) عماه : هما حمزة والعباس .
(٢) سبطاه : هما أبو محمد الحسن ، وأبو عبد الله الحسين .
(٣) في الأصل : (عمر) .
(٤) أهل العباء : هم الخمسة من أهل البيت الذين ألقى النبيّ عليهم عباءته .
(٥) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٦) نص التفعيلة الأولى من الشطر الأول (كل ذا) ، وبها يفسد الوزن ، وصوابها كما أثبتناه ، ولعل ذلك سهو من الناسخ .

طُولُ آمالٍ وحِرْصٌ وِنفاقٌ ورِياءُ

وذُنوبٌ جَلَّ فيها الـ خَطْبُ، إذْ عزَّ العَزاءُ

فتَنَصَّلْ مِنْ خَطيئا تٍ لهـا النَّارُ جَزاءُ

واسْلَ عَنْ دنيا يُقَضِّيـ ـها صَباحٌ ومَسَاءُ

وابْغِ أُخْرى، دائمٌ فيـ ـها نَعيمٌ وشَقاءُ

لا يُقَنِّطْكَ، ولا يُؤْ مِنْكَ خَوْفٌ ورَجاءُ

سابقِ الفَوْتَ إلى الفَوْ زِ، فقد جَدَّ الحَزاءُ[1]

وانْفَرِدْ، فهو على دِيـ ـنِكَ والعِرْضِ وِقاءُ

واعفُ عن كلِّ الوَرَى إنْ أَحسَنُوا أوْ إنْ[2] أَساؤوا

فبَنُو حَوّاءَ، فيما دُونَ تَقْواهُمْ، سَواءُ

فازَ بالرَّاحةِ ذو الفَهْـ ـمِ، وللغِرِّ العَناءُ

---

(١) الحَزَاء: نبات مشهور عند العرب، يشبه الكرفس، ولريحه خمطة، تستخدمه النساء للخافية (الجن) والإقلات (موت الولد)؛ ولا يرعى هذا النبات حيوان، فإن غلط به البعير وذاق ورقه في أضعاف العشب قتلته على المكان، وكان العرب يتدخنون به للأرواح.

ويقال: «ريح حَزَاء فالنَّجاء»، أي اهرب إن هذا ريح شرٌّ، وهكذا.

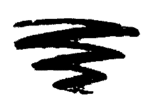
(٢) في الذيل: (وإن)، والصواب ما أثبتناه.

وإذا صَحَّ لَكَ القُـو ت ، «على الدُّنيا العَفاءُ»[١]

جَفَّتِ الأَقلامُ بالكا ئنِ ، وانْبَتَّ القَضاءُ

كُلُّ ما في هذِهِ الدُّنـــيا ، قُصاراهُ الفَنـاءُ

ولأَهلُ الخُلْدِ في الخُلْـــدِ ، وللهِ البَقَـــاءُ»[٢]



(١) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف : « إذا كان عندك قوت يومك ، فعلى الدنيـا العفاء » . وفي حديث صفوان بن محرز « إذا دخلتُ بيتي فأكلت رغيفاً ، وشربت عليه ماء ، فعلى الدنيا العفاء ». والعفاء : الدروس والهلاك وذهاب الأثر . قال الليث : يقال في السبِّ : « بفيه العفاء » و « عليه العفاء » .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣١ .

قافية الباء

٣٨٨

« وقالَ ، رَحمَهُ اللهُ :

إذا رُمْتَ أَمراً فاعْتَمِدْ في بُلوغِهِ ... على صاحبٍ ذي حكمةٍ وتَجاربِ

ولا تتَّخذْ فيما يَنوبُكَ مُسْعِداً ... سِوَى عزماتٍ كالنُّجومِ الثَّواقبِ[1]

وكُنْ كأَبي الأَشبالِ[2] غيرَ مُصاحِبٍ ... صِحاباً سِوَى أَنيابِه والمخالبِ

ولا تَغْتَرِرْ بالخِلِّ إنْ لاحَ بِشْرُهُ ... فإنَّ الأَفاعي لَيِّناتُ الجوانبِ »[3]



---

(١) أسعده : أعانه ، والمسعد : هو المعين .

(٢) أبو الأشبال : هو الأسد ، والشبل : ولد الأسد إذا أدرك الصيد .

(٣) اليونيني · ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٦ .

قافية الجيم

٣٨٩

« وقالَ شَرَفُ الدِّينِ ، شيخُ الشُّيوخِ بحَماةَ :

فاقَتْ بيُوسُفِها[١] الدُّنيا وفاحَ لَها   طِيبٌ طَوَى المِسْكَ في نَشْرٍ ، لها ، أرِجِ
فإنْ يُشارِكْهُ في اسْمِ المُلْكِ طائفةٌ   فإنَّ شَمْسَ الضُّحا مِنْ جُمْلَةِ السُّرُجِ »[٢]

٣٩٠

« وقالَ : كَتَبْتُ إلى والدي مُلْغِزاً للبابِ :

ما قائِمٌ[٣] في المَخْرَجِ ؟   يَذْهَبُ طَوْراً ويَجي !
لَسْتَ تَخافُ شَرَّهُ[٤]   ما كانَ غيرَ مُرْتَجِ !»[٥]

---

(١) في الأصل المطبوع : (بسيوفها) ، وقد اعتمدنا على مخطوطـــة الظاهرية لضبط البيتين المذكورين (ورقة ٢٩٧) ، ويوسف هذا هو الملك الناصر الثاني صلاح الدين ، وقد سبقت ترجمته .

(٢) الصفدي : الغيث المسجم ، ج ٢ ص ١٩٩ .

(٣) في الخزانة : (ماواقف) .

(٤) في الخزانة : (لست أخاف) .

(٥) في الغيث المسجم : (مالم يكن بمرتج) .

فكَتَبَ لي في ظَهْرِ الوَرَقَةِ : ذَهابٌ ومَجيءٌ ، وخَوْفٌ وشرٌّ ، هذا (بابُ)[١] خُصُومةٍ ، ولو قُلْتَ : (لَسْتَ بخاف مَنْعَهُ) لكانَ أَجودَ وأَلْيَقَ ، وخَيْراً من الشَّرِّ وأَصْدَقَ ، [والسَّلامُ][٢] »[٣] .



(١) هذا هو جواب الإلغاز ، عرّض به في ظهر الورقة ضمن عتاب أبوي ناصح .

(٢) استدركنا السلام في الختام من روايتي الغيث المسجم والخزانة .

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٣ ، ١٣٤ ؛ وابن حجة : خزانة الأدب ، ص ٤٨٤ ؛ والصفدي : الغيث المسجم ، ج٢ ص ٢٦٥ ؛ وقد علق على ذلك قائلاً : « وعلى ذكر الباب فما أحسن ما كتب به شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة إلى والده ملغزاً في ذلك ، وهو ... » .

قافية الحاء

٣٩١

« وقالَ الشَّيخُ شرفُ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللهُ : مِنْ طريفِ الاتِّفاقِ أَنِّي نَظَمْتُ أَبياتاً في زَمنِ الصِّبا ، في بَعْضِ رَحْلي عن « حَماةَ » ، مِنْها :

أآملُ كِتمانَ الهوى ، وهو واضحُ ودمعيَ يومَ البَيْنِ بالسِّرِّ بائحُ ؟

لَعَمري ، لقد حاولتُ ما لا أنالُهُ كما حاولَتْ إمساكَ قلبي الجوارحُ[1]

لعلَّ بِعادي عن « حَماةَ » يُعيدُني تُخافُ السُّطا مني وتُرجَى المنائحُ

لأَهزِمَ جيشَ المالِ ، وهو عَرَمْرَمٌ

وأَدْفَعَ صَدْرَ الخَطْبِ ، والخَطْبُ فادحُ[2]

على أَنَّني قد كنتُ فيها مُكَرَّماً تُراعُ لِكَرَّاتي القُرومُ الجَحاجحُ[3]

مقيماً بربعِ الدَّيرِ جِسْمي وصُحْبَتي وقَلْبي برَبْعِ القَفْرِ غادٍ ورائحُ

---

(١) الجوارح : جوارح الإنسان أعضاؤه وعوامل جسده كيديه ورجليه ، واحدتها جارحة ، لأنهن يجرحن الخير والشر أي يكسبنه .

(٢) العَرَمْرَم : الجيش الكثير .

(٣) القُروم : جمع القَرْم ، وهو السيد . والجحاجح : جمع الجَحْجاح ، وهو السيد الكريم أيضاً .

يُهَيِّجُ أَشجاني بِــهِ كلَّ ليلةٍ وتَصْرِفني عَمَّا يقولُ ، النَّواصحُ
بدورٌ مِنَ البابِ المُصَرَّعِ طُلَّعٌ ومِسْكٌ مِنَ البابِ المُصَرَّعِ فائحُ[(١)]

فَحفِظَ الأبياتَ بعضُ السَّفَّـارةِ ، وحُفِظَتْ عنهُ في الشَّرقِ ، ثم قَـدِمَ شاعرٌ مِنْ أهلِ الموصل ، يُقـال له : البـدرُ مُحَمَّدُ بنُ روضةَ ، وكانتْ والدتُه تتردَّدُ إلى دارنا ، أيَّامَ مَقامِنا بالمَوْصلِ ، فأَنْزَلَهُ والدي وأَكْرَمَهُ ، وكانَ يجلِسُ على حانوتِ الفخْرِ عبدالرَّحمنِ بنِ الصَّيَّادِ بسُوقِ العِطْرِ في كثيرٍ مِنْ أوقاتِهِ ، يذاكرُهُ ويناشدُهُ ، ويَخْرجُ مَعَهُ في آخرِ النَّهـارِ إلى ظاهرِ البلَدِ للتَّنزُّهِ والرِّياضةِ ؛ فاتَّفقَ أنَّـــه خَرَجَ مَعَهُ يوماً يريدانِ المَوْصليَّ ، فاجتازا ببابٍ ذي مِصراعين، وقد وَلِدَ في الدَّار مولودٌ ، والطِّيبُ يَنْفَحُ ، والبَخُّور يَتَضوَّعُ ، وفي البابِ صِبيانٌ كالبُدورِ الطُّلَّعِ ، وأَصواتُ القِيانِ[(٢)] في باطِنِ الدَّارِ ، وظاهِرُها يُطرِبُ السَّامعَ ، فوقَفَ مَعَ النَظَّارةِ ، فلمَّا رأى ابنُ روضةَ ذلكَ أنْشَدَ مُتَمثِّلاً :

بدورٌ مِن البابِ المصرَّعِ طلَّعٌ ... ...

فضَحِكَ الفَخْرُ بنُ الصَّيَّـادِ ، وقالَ لهُ : أَتعرِفُ هـذا الشِّعرَ لِمَنْ ؟

---

(١) المصرَّع : يقال صرّع الباب أو الشعر أي جعله مصراعين .
(٢) القيان : جمع القينة ، وهي المغنية .

فقالَ : لا واللهِ ! بل هذهِ أبياتٌ سَمِعْتُها في الشَّرقِ ، لا أعرِفُ قائلَهـا ، فلمَّا رأيتُ الصُّورةَ تمثَّلْتُ بالبيتِ ، فقالَ لهُ : إنَّ البيتَ لفلانٍ الَّذي أنتَ نَزيلُهُ ، ونَزِيلُ والدِهِ ، وهـــذا البابُ بعَيْنِهِ هو الذي عَنـاهُ بهذا البَيْتِ »[1] .



(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٠ ، ١٣١ .

قافية الدال

٣٩٢

« وفي سَنَةِ سبعٍ وخمسينَ وستِّمائةٍ ، في الساعةِ العاشرةِ مِنْ ليلةِ الأَحدِ خامسَ عَشَرَ المُحرَّمِ ، وثانيْ عَشَرَ كانونِ الثَّاني ، وُلِدَ محمودُ ابْنُ المَلِكِ المنصورِ مُحمَّدٍ ، ولقبوهُ الملكَ المظفَّرَ ، بلَقَبِ جدِّهِ ؛ وأُمُّ المَلِكِ المظفَّرِ محمودٍ المذكورِ عائشةُ خاتونُ بنتُ المَلِكِ العزيزِ ، صاحبِ حلبَ ؛ وهَنَّأَ الشَّيخُ شرفُ الدِّينِ عَبْدُ العزيزِ ، المعروفُ بشَيخِ الشُّيوخِ ، المَلِكَ المنصورَ ، صاحبَ حماةَ ، بقصيدةٍ طويلةٍ ، منها :

أَبْشِرْ على رَغْمِ العِدا والحُسَّدِ ... بأَجلِّ مولودٍ وأَكرمِ والدِ

بِالنِّعْمَةِ الغَرّاءِ ، بَلْ بِالدَّوْلَةِ الـ ... ـزَّهراءِ ، بَلْ بِالمَفْخَرِ المُتَجَدِّدِ

وافاكَ بَدْراً كاملاً في لَيْلَةٍ ... طَلَعَتْ عَلَيْكَ نُجومُها بِالأَسْعُدِ

ما بَيْنَ محمودِ المُظَفَّرِ[1] أَسْفَرَتْ ... عَنْهُ وما بَيْنَ العَزيزِ[2] مُحَمَّدِ »[3]

---

(١) الملك المظفر الثاني ، تقي الدين محمود بن المنصور الأول محمد .

(٢) الملك العزيز ، غياث الدين محمد بن الظاهر الأول غازي ، صاحب حلب ، وابنته عائشة خاتون ، زوج الملك المنصور الأول محمد ، ملك حماة (انظر الملحق الثالث) .

(٣) أبو الفداء : المختصر ، ج ٣ ص ٢٠٨ .

٣٩٣

« وقالَ :

أسرَفتَ في ذا الصُّدودِ ، فاقتَصِدِ ... إنْ لَمْ تَعُذْني بِما مَضى ، فَعِدِ
لا تَبْخَلَنْ بِالمَقالِ مِنْكَ إذا ... كُنتَ بِبَعْضِ الفِعالِ لَمْ تَجُدِ
وقُلْ : غداً مَوْعِدُ الوِصالِ ، ولا ... تَقْصِدْ لإِنْجازِهِ ، ولا تَكِدِ
عَلَّكَ تَحْنو عَليَّ بَعــدَ غَدٍ ... أوْ فَعَسى [أَنْ][1] أموتَ بَعْدَ غَدِ »[2]



(١) في الذيل : (أو فعسى أموت) ، وقد أضفنا (أن) لاستقامة الوزن .
(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٦ ، ١٣٧ .

قافية الراء

٣٩٤

« وقالَ ، رحِمَهُ ٱللهُ :

نادَمتُ مَنْ أَهوى عَلىٰ قَهْرِ خلتُ سُرورَ ٱلقَلْبِ في أَسرِ

بَدْرٌ لِشمْسِ ٱلرّاحِ في وَجْهِهِ أَضْعافُ نورِ ٱلشَّمسِ في ٱلبَدْرِ

وريقُهُ ٱلعَذْبُ إذا صَحَّ لي سَلَوْتُ عَنْ رائِقِها ٱلمُرِّ »[1]

٣٩٥

« وقالَ ، رحِمَهُ ٱللهُ ، مُلْغِزاً في ٱسمِ (عَبْدِ ٱلقادِرِ) :

ما ٱسمٌ تَعَلَّقْتُهُ مُضافاً إلى ٱنْفِرادي وطُولِ فِكْري؟

فَشَطْرُهُ عِنْدَ مَنْ نَعاهُ مُصَحَّفاً بالَهُ بِخَيْرِ

فَلا تَظُنَّهُ وَصْفَ خِمْعٍ[2] مِنْ سُنُحٍ في ٱلفَلاةِ عُفْرِ

ولا نَظيراً لِيَوْمِ وَصْلٍ أَمِنْتُ فيهِ عِنادَ دَهْري

وشَطْرُهُ ٱلآخَرُ ٱلمُرَجّىٰ لِكُلِّ عَفْوٍ وكُلِّ غَفْرِ

قِسْمانِ : فِعْلٌ مَضىٰ[3] وحالٌ بِغَيْرِ أَمْرٍ وفِعْلِ أَمْرِ

رائِيُّهُ حائِزُ ٱلقِلىٰ إذْ قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِ هَجْري

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٧ .

(٢) خِمْع : ذئب .

(٣) في الأصل : (ماض) ، والصواب ما أثبتناه .

وإنْ تُلَخّصْ فَشَطْرُ وَصفي ... وٱلشَّطْرُ وصْفٌ عَليهِ يَجْري»[١]

٣٩٦

« وقالَ في شاعِرٍ، رَديءِ ٱلنَّظْمِ، قَبيحِ ٱلوَجْهِ :

وَجهُم ٱلوَجْهِ رَذْلِ ٱلشِّعْرِ ، مِنهُ ... رَجَوْتُ ٱلنَّفعَ حيثُ ضَرىً وَضَيْرُ[٢]

بَدا لي وَجْهُـــه فَخَشيتُ شَرّاً ... وأَنشَدَني، فقُلْتُ : خِراً وخَيْرُ[٣]

أَخذَهُ مِنْ قَولِ دِعبِلٍ ٱلخُزاعيِّ :

رَكِبْتُ مُبَكِّراً مِنْ « سُرَّ مَنْ را » ... أُبادِرُ حاجَـــةً ، فإِذا عُمَيْرُ[٤]

فَلَمْ أَدَعِ ٱلطَّريقَ ، وقُلْتُ : أَمْضي ... فَإِنَّكَ ، يا عُمَيْرُ ! خِراً وخَيْرُ »[٥]

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) في الذيل كتبت هكذا : (حيث غاوضير) والصواب ما تحققنا منه وأثبتناه لاستقامة الوزن وصحة المعنى ، ووفق مذهب الشاعر البديعي . يقال : ضري الكلب بالصيد ضَرىً أي تعوده وأولع به وتطعم بلحمه ودمه .

(٣) يقال خَرِئَ . خِراءة وخُرُوءة وخُرْءاً أي سلح ، والاسم الخِراء بكسر الخاء ، وهي مستخدمة هنا بقصر همزتها .

(٤) ذكر ياقوت في معجمه أن (سامَرَّاء) لغة في (سُرَّ من رأى) وفيها لغات : (سامَرَّاء) ممدود ، و (سامرّا) مقصور ، و (سُرَّ من رأ) مهموز الآخر ، و (سُرَّ من را) : وهي مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة . والمهجوُّ هو عُمير الكاتب . (شعر دعبل ص ١٠٧) صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر .

(٥) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٢٣ .

قافية السين

٣٩٧

«وقالَ :

مَوْلايَ ! لا بِتَّ مَبيتي عَلىٰ … إخلافِ ميعـادِكَ كَٱلأَمسِ
فَأَسْعِفِ ٱليومَ بِإِنْجـــازِهِ … فُديتَ بِٱلمالِ وبِالنَّفْسِ
فإنْ مَضىٰ حِينٌ عَلىٰ جَفْوَتي … مَضى بِيَ ٱلحَيْنُ إلىٰ رَمْسي
ما لي سِوىٰ هَجْرِكَ مِنْ مَأْتَمٍ … ولا سِوىٰ وَصْلِكَ مِنْ عُرْسِ
سَلَّطَكَ ٱلحُسْنُ عَلىٰ مُهْجَتي … وَٱلقَلْبُ في ٱلإِطْلاقِ وٱلحَبْسِ
فكَيفَ تَلْبيسي عَلىٰ عاذِلي … وليسَ في حالِيَ مِنْ لَبْسِ؟
ما نورُ عَيْني في ٱلدُّجا وٱلضُّحا … غَيْرَكَ ، يا بَدْري وَيا شَمْسي
يُخْرِسُني خَوْفُكَ عَنْ حُجَّتي … وأَنَّـــني أفصَحُ مِنْ قُسٍّ[1]
وتَظْهَرُ ٱلحَيْرَةُ في مَنطِـــقي … حَتّىٰ كَـأَنِّي حَسَنُ ٱلبِرْسي»[2]

---

(١) قُسّ بن ساعدة الإيادي ، أسقف نجران ، وهو أحد حكماء العرب المشهورين .

(٢) ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٧ ، ١٣٨ .

٣٩٨

« وقالَ : كَتَبْتُ إلىٰ والِدي مُلْغِزاً (ٱلسِّراجَ) :

وليِ صاحِبٌ أَخْتـارُهُ [فَيُطيعُني][1] ويُؤْنِسُني إنْ أَوْحشَتْني ٱلْوَساوِسُ
يَدينُ بِطَوْعي مِنـهُ رَبٌّ هِدايَةٍ عَلى ٱلْعَرْشِ وٱلْكُرْسيِّ لِلْخَلْقِ جالِسُ
أُراجِعُـهُ مَحْضَ ٱلْفَوائِدِ جاهِداً فَأَقْبِسهُ طَوراً ، ولي مِنْهُ قابِسُ[2]
لَهُ مِنْ يَدي جُودٌ ، ولي مِنْ لِسانِهِ هُدًى كُلّما ٱلتَفَّتْ عَلَينا ٱلْمَجالِسُ
أَغارُ مِنَ ٱلأَنفاسِ صَوناً لِنَفسِهِ فَأَحْرِصُ في إحرازِهِ وأُنافِسُ
إذا نامَ عَنّي أُسْرَتي ، فَهْوَ ساهِرٌ وإِنْ ضَيَّعَتْني صُحْبَتي ، فَهْوَ حارِسُ
فَصَحِّفْهُ وٱعْكِسْهُ ، تَجِدْهُ مُفَسَّراً وفي ٱلوَصفِ كافٍ إنْ تَفَطَّنَ حادِسُ[3]

فكَتَبَ إلَيَّ جَواباً :

فَدَيْتُكَ يا وَتْراً لِشافِعِـــهِ عَمّا فَلَمْ أُبقِ خالاً في ٱلعِذارِ ولا عَمّا

---

(١) زيادة غير موجودة في أصل الذيل يظهر أن الناسخ أسقطها سهواً ، وقد استدركناها مما يناسب سياق البيت وسلامة الوزن .

(٢) القابس : طالب النار ، وقبس منه النار أخذها شعلة ، وقبس العلمَ : تعلمه واستفاده .

(٣) حادس : يقال حدس في الأمر أي ظنَّ وخمَّنَ وتوهَّم .

تَنازَلْتُما نَجْمَيْ ضِياءٍ تَرَكْتَهُ بِما خَصَّ مِنهُ ، وٱنفَرَدْتَ بِما عَمّا

أَتَتْرُكُه نَهْباً لِفَهْمي بِحارِسٍ يُبيحُ حِماهُ ، ثُمَّ تَسْأَلُني عَمّا

فَإِنْ عَبَسَ ٱلإِظْلامُ عِندَ ٱبتِسامِهِ كَفاكَ بِإِيضاحٍ لِمُشْكِلِهِ عَمّا

يُريدُ (عَمّا يَنالونَ)[1] ، لِما في (ٱلسُّورَةِ)[2] مِنْ ذِكْرِ ٱلسِّراجِ[3] »[4].



---

(١) فهم الشاعرُ ما رمز إليه والده في بيته الأخير لحل اللغز ، وقد شرح ما قصده في قوله (عما) أي (عما ينالون) مشيراً إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب ليعيّنها له ، وهو : « وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً » ، فالذين كفروا هم الأحزاب وهم الذين لم ينالوا مرادهم من الظفر بالمؤمنين (سورة الأحزاب ٣٣/٢٥) .

(٢) أي في سورة الأحزاب المذكورة .

(٣) ورد ذكر السراج في هذه السورة ، وهو قوله تعالى : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » (سورة الأحزاب ٣٣/٤٥ ، ٤٦) .

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٥ .

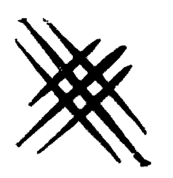
قافية الشين

٣٩٩

«أنشَدَ عبْدُ ٱللهِ بْنُ أبي عَصْرونٍ مِنْ شِعْرِ شَرَفِ ٱلدّينِ قَولَهُ :

أُؤَمِّلُ أَنْ أَحيا وفي كلِّ ساعةٍ ... تَمُرُّ بِيَ ٱلمَوتى تُهَزُّ نُعوشُها

وهَلْ أنا إلاّ مِثْلُهُمْ ، غَيْرَ أَنَّ لي ... بَقايا لَيالٍ في ٱلزَّمانِ أَعيشُها »؟[1]



(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٤ .

قافية القاف

٤٠٠

• قال[١] :

• كَبِدٌ تَلْتَظي[٢] وجَفْنٌ غَريقٌ[٣] ... هكَذا هكَذا يَكونُ ٱلمَشوقُ!

نَفِّسوا عَنْ خِناقِ نَفْسٍ كَئيبٍ ... كُلِّفَتْ في ٱلغَرامِ ما لا يُطيقُ

ما لَنا في ٱلهَوى عَلَيكم حُقوقٌ ... بَلْ لَكمْ ، سادَتي ، عَلَينا ٱلحُقوقُ

مِثْلُكمْ في ٱلجَمالِ لَيسَ يُلْفى ، ... وغَرامي بِغَيْرِكُمْ لا يَليقُ[٤]

عَقَّني لُؤلُؤُ ٱلمَدامِعِ فيكُمْ ... وَوَفى لي دَمْعٌ حَكاهُ ٱلعَقيقُ

فَبِعَيْني أَفدي سُيوفَ جُفونٍ ... لِدَمي مِنْ جُفونِ عَيْني تُريقُ

يا حَبيباً لَهُ بِصَدْري وِدادٌ ... رَحْبُ صَدْرِ ٱلفَضاءِ عَنهُ يَضيقُ

دَقَّ مَعْنايَ[٥] فيكَ مُذْ كُنتَ طِفْلاً ... لسْتُ أَدْري بِكَمْ يُباعُ الدَّقيقُ ؟[٦]

---

(١) الفوات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ؛ والوافي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٢) في الفوات : (يلتظي) .

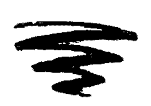
(٣) « « : (دمع غريق) .

(٤) « « : (ليس يلقى) .

(٥) « « : (رقَّ معناي) .

(٦) « « : (يباع الرقيق) .

إنّي رَبُّ غِلْظَةٍ لِعَـــذولي ولِداعي هَواكَ عَبْدٌ رَقيقُ[1]
جَنَّتي خدُّكَ الّذي لَيْسَ يَصْلَىٰ نارَهُ كافِرٌ ولا زِنديقُ
بَهَرَتْ منكَ مُقْلَتي عَيْنُ شَمْسٍ يَتَهادىٰ فيها قَضيبٌ وريقُ[2]
فَبِتَفْريقِ حاجِبَيْكَ افْتِتاني كلّما ماسَ قَدُّكَ المَمْشُوقُ[3]
وبتَعليقِ ذَا العذارِ اشْتِغالي[4] عن درُوسي، والضَّرْبُ والتَّعْليقُ»[5]



(١) في الفوات : (رب غبطة) .
(٢) قضيبٌ وريق : أي ذو ورق ، أو كثيره ، أو حسنه .
(٣) في الفوات : (فبتفويق حاجبيك) .
(٤) في الوافي : (اشتغال) ، وقد أثبتنا رواية الفوات .
(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات (ج ١٥ ل ١٦) ؛ وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات : (ج ١ ص ٦٠٢) .

قافية الكاف

٤٠١

« ومدحَ الصَّاحبُ شرَفُ الدِّينِ عبدُ العزيزِ ، شَيخُ الشُّيوخِ ، رَحِمَهُ اللهُ ، المَلِكَ المَنْصورَ ، صاحبَ حماةَ ، وهَنَّأَهُ بهذا الفتحِ[١] بقصيدةٍ ، مَطْلَعُها :

لكَ في النَّدىٰ وردَى ذوي الإشراكِ شيمٌ تفوقُ بها على الأملاكِ

ومنها :

لمّا شَكا دينُ الهدَىٰ أشْكَيْتَهُ[٢] بشَديدِ بأْسِكَ والسِّلاحِ الشّاكي[٣]

دَعَتِ المعالي يا أَباها دَعْوةً لزِمَتْ عليكَ فقُلْتَها : لبّاكِ !

جرَّدْتَ يومَ الأَرْبِعاءِ عَزيمةً خَفِيَتْ عواقِبُها عن الإدْراكِ

وأقَمْتَ في يومِ الخميسِ مُبالِغاً في الجمْعِ بَيْنَ طوائفِ الأتراكِ

ووَقَفْتَ في يومِ العُروبةِ مَوْقِفاً أوْسَعْتَ فيهِ الفَتْكَ بالفُتّاكِ

---

(١) أي الفتح الأغر في وقعة « عين جالوت » بالغور ، وقد انهزم فيها التتار .

(٢) أشكيته : أي أزلت عنه ما يشكوه وأرضيته .

(٣) يقال رجل شاكي السلاح إذا كان ذا شوكة وحدّ في سلاحه . قال الأخفش هو مقلوب من شائك ، قال : والشكيّ في السلاح معرب وهو بالتركية (بش) .

قَيَّدْتَ أبطالَ التَّتارِ بصَوْلَةٍ تَرَكَتْهُمُ كالصَّيدِ في الأَشْراكِ
وأَطَرْتَ مِنْهمْ هامَ كلِّ مُدَجَّجٍ لِلهِ كلُّ مُوحِّـــدٍ سَفَّاكِ !
فالطَّعْنُ والطَّاعونُ أَسْلَمَهُمْ إلى حَرْبٍ كأَشْداقِ المخاضِ، دِراكِ
بَرَّدْتَ أكبادَ الورَى بقواضبٍ قُذِفَتْ عليهمْ كالضِّرامِ الذَّاكي
أَضْحكْتَ سِنَّ ثُغورِنا منْ بَعْدِ ما ظَفِرُوا بها فبكَى عليها الباكي
غادَرْتَهُمْ صَرْعَى كأَنَّ كماتَهُمْ في المَرْجِ صَرْعَى مِنْ سُلافِ «حُناكِ»[(١)]
ثم ارْتَحَلْتَ إلى «دِمَشْقَ» مُوَضِّحاً سُبلَ الرَّشادِ المَحْضِ للسُّلَّاكِ
ورَجَعْتَ في غُرَرِ الجيوشِ مُعاجلاً مِنَّا رِهانَ نفوسِنا بِفَكاكِ
فلقد أَمِنَتَ المُحْصَناتِ أَوامِناً ولقـد أَقَمْتَ شعائرَ النُّسَّاكِ
سَلَّمْتَ مُهْجَةَ كلِّ بَرٍّ مُسْلِمٍ وهَزَمْتَ كلَّ مُعانِـــدٍ أَفَّاكِ
نَوَّهْتُ باسْمِكَ في سَماءِ مدائحٍ أَعْلَيْتُـــهُ فوقَ مَجَرَّةٍ وسِماكِ
يَسْبي العَقائلَ والعُقولَ جميعَها مِنْ صائغٍ لِنُضارِهـا سَبَّاكِ
فلَكَ الهَناءُ بِما مَنَحْتَ ولا يَزَلْ يَجْري بِسَعْدِكَ دَوْرُ الأَفلاكِ»[(٢)]

---

(١) في الأصل : (حباك) ، والصواب ما أثبتنـاه ، وهناك حصن كان بمعرة النعمان ، ورد في شعر ابن أبي حصينة كما مرّ معنا ، وقد ذكر ياقوت أن « شعراء المعرة يكثرون من ذكره في غزلهم » (معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٠٩ ، وديوان ابن أبي حصينة ص٣٥٥،٣٥٦).

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ٥٨ ، ٥٩ .

قافيــــة اللام

٤٠٢

« وقالَ الشَّيخُ شرَفُ الدِّينِ ، رحمَهُ اللهُ ، يَمْدَحُ سَيِّدَنا المُصْطَفى رسولَ اللهِ ، ﷺ ، وهْيَ أوَّلُ مِدْحَةٍ قالَها فيهِ ، وأَنْشَدَهُ إِيَّاها تِجاهَ حُجْرَتِهِ الشَّريفةِ ، بكْرَةَ الجمعةِ خامسَ عَشْريَّ ذي القعدةِ ، سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وسِتِّمائةٍ ، وفي طُرَّتِها[1] :

(مَدَحَهُ العَبْدُ الضَّعيفُ عن حُسْنِ تَدْبيرِه ، القَوِيُّ في سوءِ تَقْصيرِهِ ، المُسْتَوحشُ مِنْ انْفِرادِهِ بذَنْبِهِ ، المستأْنسُ إلى شفاعة نَبيِّهِ المَشْفوعــةِ برَحْمَةِ رَبِّهِ ، عبدُ العَزيزِ بْنُ مُحمَّدٍ الأَنصاريُّ ، جَعَلَ اللهُ عاجِلَةَ جائزتِهِ مُواصلةَ صالحِ العَمَلِ ، ومقاطَعَةَ كاذِبِ الأَمَلِ ، والغِنَى عن الضَّراعــةِ بالقَناعةِ ، والتوفيقَ لتَلَقِّي أوامرِهِ بالسَّمْعِ والطَّاعةِ ، وآجلَها استقامتَهُ على الصِّراطِ المستقيم ، وإقامتَه في جنَّاتِ النعيمِ المقيمِ ، وإدخالَهُ برحمتِهِ في عبادِهِ الصَّالحين ، والمغفرةَ لهُ ولوالديه ولجميعِ المُسلمينَ ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدنا مُحمَّدٍ سيِّدِ المُرسَلينَ ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ ، وعلى أزواجِهِ الطاهراتِ أُمَّهاتِ المُؤمنينَ ، وعلى التَّابعينَ لهمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ ، اللَّهُمَّ آمين) :

---

(١) أي مقدمتها وحاشيتها ، وطرة الثوب علمه ، وقيل طرة الثوب موضع هدبه ، وهي حاشيته التي لا هدب لها .

هُوَ مَوطِنُ الشَّرَفِ العَريضِ الأَطْولِ

فَأَرِحْ قِلاصَكَ[١] مِنْ رُكوبِكَ وانْزِلِ

ياصاحِ ،ها بَحْرُ الهُدَى، فتَمَلَّ مِنْ ذِي ، وهْوَ بَدْرٌ للهُدى[٢] فتأَمَّلِ

فَلَطالما أَرْسَلْتَ دَمْعَكَ ساخنــاً شَوْقاً إلى هــذا النَّبِيِّ المُرْسَلِ

عفِّرْ جَبينَكَ في صَعيدِ وَصِيدِهِ[٣] فتَراهُ أطيبُ مِنْ رَطيبِ المَنْدَلِ[٤]

واحْطُطْ ذُنوبكَ في رحيبِ جَنابِهِ وادْخُلْ ، وأيْقِنْ أنَّها لم تَرْحَلِ

وَدَعِ القُنوطَ ، فقد سَأَلتَ شَفاعةً مَنْ ليس يُهْمِلُ أَمْرَ مَنْ لَمْ يَسأَلِ

أَمَرَتْنِيَ الهِمَمُ الدِّفــاعَ بقَصْدِهِ فأَطَعْتُها ، وعَصيتُ عَذْلَ العُذَّلِ

وغَريرةٍ باتَتْ تُغَمْغِمُ رأيَهـــا فتَرَكْتُهُ ، وأخَذْتُ بالأَمْرِ الجَلي

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني أعاريبَ الفَلَا وتخالُ أرحامــاً ثَنَيْنَ تَوَكُّلي

وتَقولُ لي : إنِّي لَأَوْجَلُ إنْ تَسِرْ عنَّا ، فقُلْتُ : الأَمْنُ لي أنْ تَوجَلي

---

(١) قِلاص : جمع الجمع لقلائص وقُلُص ، والمفرد قلوص ، وهي من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تثني ، ثم هي ناقة .

(٢) في الأصل : (الهدى) ، ولا يستقيم به الوزن ، فأضفنا اللام الساقطة سهواً .

(٣) وصيده : الفِناء والعتبة .

(٤) المندل والمندليّ : عود الطيب الذي يُتَبَخَّرُ به ، والمندل في الأصل اسم علم لموضع في الهند يجلب منه العود . ذكر ابن بري أن الأصل أن يقال : المندليّ نسبة إلى الموضع المذكور على إرادة ياء النسب المشددة ، وحذفت هنا ضرورة .

لا بُدَّ مِنْ حَرَمِ الإلهِ ، ولو بَدَا مِنْ دونِ ذاكَ الشَّهْدِ مُرُّ الحَنْظَلِ
إنِّي ، وقد قَطَعتْ إليهِ عِقالَها خَوضُ الرِّكابِ ، ومِثْلُها لم يُعْقَلِ
تُخْدَى بأوصافِ النَّبيِّ مُحمَّدٍ فتَكادُ تَسْبقُ أيْدياً بالأَرْجُلِ
وتَبيتُ يَهْديها سَناهُ سَبيلَها والليلُ أليلُ[1] كالرِّداءِ المُسْبَلِ
ويُعينُها الحادي بذِكْرِ حَبيبِها فتَظَلُّ تقذفُهُ بصُمِّ الجَنْدَلِ
قَبَّلْتُ أخفافَ المَطيِّ كرامةً لمَّا نَزَلْتُ بِهِنَّ أكْرَمَ مَنْزِلِ
وشَفَى سُراها غُلَّتي فشَغَلْنَني عَنْ كلِّ ذاتِ مُسوَّرٍ ومُخَلْخَلِ
إنِّي لأُصْفيها الوِدادَ ورُبَّما غادَرْتُ مِنها مَعْلَماً في مَجْهَلِ
ولِسُرْعَتي في قَصْدِهِ أوْرَدْتُها مِنْ مَنْهَلٍ ، وعَلَلْتُها مِنْ مَنْهَلِ
يا ناظمَ الدُّرِّ الثَّمينِ ومُهْدِيَ النَّظْمِ الرَّصينِ لفاضلٍ أو مُفْضِلِ
جانِبْ مُخادَعَةَ المُلوكِ عن اللُّها[2] فالمالُ يَذْهَبُ ، والخَصاصةُ[3] تَنْجَلي
واصرِفْ مَديحَكَ عن كثيرِ تَطاولٍ بزَخارفِ الدُّنيا بليلٍ مُطْوِلِ
وامْدَحْ نبيَّاً آخِراً فَخَرتْ بِهِ الشُّمُّ الأُنوفُ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ

---

(١) أليل ، يقال : ليل أليل ، وليلة ليلاء : أي طويلة شديدة ، وهي أشد ليالي الشهر ظلمة ، أو ليلة الثلاثين منه .

(٢) اللُّها : جمع اللُّهوة كاللُّهية ، وهي العطية ، أو أفضل العطايا وأجزلها ، والحفنة من المال ، أو الألف من الدراهم أو الدنانير .

(٣) الخَصاصة : الفقر .

مَنْ جودُهُ وافٍ بكُلِّ مُؤَمِّلٍ ورَجاؤهُ كانَ لكلِّ مُؤَمِّلِ

ومَنِ اصْطفاهُ اللهُ مِنْ دونِ الوَرَىٰ فأَجَلَّهُ فَوقَ الكواكبِ مِنْ عَلِ

وحباهُ بالقُرْبِ الّذي أَضْحَىٰ لَهُ جبريلُ عن حُجُبِ الجلالِ بمَعْزِلِ

وعَلا عن الأَمثالِ ، فهْوَ لِمنْ علا في الوَصْفِ أَقْصَى غايةِ المُتَمثِّلِ

وغَزا العِدا مِنْ نَفْسِهِ وصِحابِهِ ومِنَ الملائكةِ الكرامِ بجَحْفَلِ

كَمْ لِمَّةٍ[1] صَبَغَ العِذارُ سَوادَها يَقَقاً[2] ، فأَنْصَلَ[3] صَبْغَها بالمُنْصُلِ

ولَكَمْ أَبادَ بِنكالِه في مَأْزِقٍ ولَكَمْ أَفادَ نَواله في مَحْفِلِ

ولَكَمْ أَبانَ هُدىً بخُطْبَةِ فيصلٍ[4] ولَكَمْ أَبادَ عِداً بطعنةِ فَيْصَلِ[5]

ما زالَ فوقَ المِنْبرِ السّامي الذُرا يَبْري القَنا ، ويَسيرُ تَحْتَ القَسْطَلِ[6]

---

(١) لِمَّة : شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة ، أو يجاوز شحمة الأذن ، فاذا بلغت المنكبين فهي جمة .

(٢) يَقَق : محركة أي شديد البياض .

(٣) أنصل : يقال أنصل السهمَ ونصَّله : جعل فيه نصلاً ، أو أزاله عنه ، كلاهما ضد ، وقد استخدم الشاعر المعنى الثاني . والمُنصُل (بضمتين) والمُنصَل : السيف .

(٤) فيصل الأولى أي الحاكم الذي يقضي بين الحق والباطل .

(٥) فيصل الثانية بمعنى السيف . يقال : طعنةٌ فيصلٌ أي تفصل بين القرنين .

(٦) القسطل : الغبار الساطع .

حتى اسْتَقامَ الدِّينُ وانْتَصرَ الْهدَىٰ ... فَنَهَىٰ الكَمِيَّ عن اضْطِهادِ الأَعْزلِ

يا خاتَمِ الرُّسْلِ الكِرامِ وفارجَ الـ ... ـكُرَبِ العِظَامِ بفِعْلِهِ والمِقْوَلِ[1]

بكَ أَكْمَلَ اللهُ السُّنَنَ الأُلَىٰ ... كَمَلَتْ، وخصَّكَ بالفَخارِ الأَكْمَلِ

أَظْهَرْتَ فينا الْمُعْجزاتِ فَحَقَّقَتْ ... صِدْقَ الرَّسولِ بلُطْفِ مَنْعِ الْمُرْسِلِ

فأطاعَ مَنْ سَبقَتْ له الْحُسْنَىٰ ومَنْ ... جادَ القبولُ له بجَدٍّ[2] مُقْبِلِ

وعصاكَ مَنْ كَتَبَ الإلهُ شَقاءَهُ ... فطَغَىٰ، وأَمْهَلَهُ، ولما يُهْمِلِ

زَحْزَحْتَ عن طُرُقِ المَظالمِ عادلاً ... فينا، ومَنْ لِلْعَدْلِ إِنْ لم تَعْدِلِ؟

وقَرَنْتَ بالشَّرسِ اللَّيانَ فأتْرَبَتْ ... كَفُّ الْمحقِّ، وخابَ سَعْيُ الْمُبْطِلِ

تلكَ النُّبوَّةُ لا سِيادةُ مالكٍ ... أَمرَ الأَنامِ بِمَشْرَبٍ أو مَأْكَلِ

ولَطالما مَلَكَ البَسيطةَ مَعْشَرٌ ... خَمَلُوا، وذِكْرُكَ نابهٌ لم يَخْمُلِ

سِرْنا نَشُقُّ إِليكَ أَجوازَ[3] الفَلا ... ونسوقُ نَحْوكَ كُلَّ حَوْفٍ[4] يَعْمَلِ[5]

---

(١) المِقول: اللسان.

(٢) في الأصل: (بجد).

(٣) أجواز: جمع جَوْز، وجَوزُ كل شيء وسطه. قال سيبويه: لم يكسر على غير وزن أفعال كراهة الضمة على الواو.

(٤) حوف: في اللسان أن الحوف كالهودج وليس به، تركب به المرأة البعير. وقيل: الحوف: مركب للنساء ليس بهودج ولا رَحْل.

(٥) في الأصل (معمل). يقال: اليعملة أي الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة، والجمل يعملٌ، ولا يوصف بهما إنما هما اسمان.

فالعِيس[١] بَيْنَ مُجَعْجِـعٍ[٢] ومُجَرْجِرٍ[٣] والقومُ بَـيْنَ مُكَبِّرٍ ومُهَلِّلِ
حتّى وَرَدْنا مِنْ ضَريحِكَ مَـوْرِداً نُشْفَى بِـهِ مِنْ كلِّ داءٍ مُعْضِلِ
أدْعوكَ لِلْجُلّى[٤] وتلكَ شَفاعـةٌ لم تَرْضَ لي أنّي أخافُ وأنتَ لي
إنْ لم يكُنْ عَمَلي زَكيّاً ، فادْعُ لي قطعَ الفَـــلا ، فتَلَذّذي بتَذَلُّلي
أحسِنْ وأجْمِـــلْ بي لعلّي أنّني في الفِعْلِ لم أُحسِنْ ولَمّا أُجْمِلِ
وانْظُرْ إليَّ بعينِ عونِكَ نَظْرَةً أُهْدَى بها سَنَنَ[٥] الطَّريقِ الأمْثلِ
فلقـد ضَلَلْتُ عن الرَّشـادِ وإنّني بكَ أسْتَنيرُ ، وأنتَ هادي الضُّلَّلِ
وإليكَ ، مِنْ دونِ الأنامِ ، تَوجُّهي وعليكَ، مِنْ بينِ الكِرامِ ، مُعوَّلي
ولقد أتيْتُكَ مادحـــاً لِتُجيزَني في الحَشْرِ كاساتِ الرَّحيقِ السَلْسَلِ
وإذا مَدَحْتُكَ مُجْمِلاً ففَتَرْتُ في وَصْفي ، فكيفَ تعرُّضي لِمُفَصَّلِ ؟
فلَئِنْ غَدَوْتُ ببعضِ وصفِكَ قائماً فبِهُداكَ والتَّوفيقِ أنْطَقَ مِقْوَلي
ولَئِنْ عَجِزْتُ فإنَّ فضلَكَ مُكتَفٍ ثُبْنا بآياتِ الكِتابِ المُنْزَلِ»[٦]

(١) العيس : بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، وهو أعيس وهي عيساء .
(٢) مجعجع : من الجعجعة ، أصوات الجمال إذا اجتمعت .
(٣) مجرجر : من الجرجرة ، وهي صوت يردده البعير في حنجرته .
(٤) الجُلّى : الأمر العظيم .
(٥) سنن الطريق : مثلثة وبضمتين أي نهجُه وجهته .
(٦) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٢٥ ، ١٢٦ .

٤٠٣

« وقالَ :

ما لِطَرْفي حينَ أُعذَلْ يُطْلِقُ الدَّمعَ المُسَلْسَلْ ؟
أَدبَرَ العــاذلُ عنِّي مُوقناً أَنْ لَسْتُ أَقْبَلْ
وَجِـدَ الصَّبرَ جَميلاً ووَجدْتُ الوَجْدَ أجمل
فَتَنَتْ عــينُ غزالٍ بَعثَرَتْ مَنْ يَتَغَزَّلْ
مَنَعَ العاشقَ خَـداً يَتَعالَى أَنْ يُقَبَّلْ
حَسَدَ الصُدْغَ عليـهِ فتلَوَّى وتَبَلبـل
خِلْتُ فيهِ الخالَ قَلْبي إِذْ غدا في النّارِ يُشْعَلْ
كيفَ أَسلوهُ ولَيْلي جَعَلَ الآخرَ أَوَّلْ
فاعْذِروا فيهِ عَذولي فهْوَ مِنْ بابٍ مُحوَّلْ »[1]

٤٠٤

« وقالَ[2] :

أَعْجَمَ السُّكرُ لفظَهُ فغَدا مُعرِباً عن الْ

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٣٠ .

(٢) يلاحظ أن القصيدة تعتمد في قافيتها على رويّ هو جزء من أول التفعيلة التي استهل الشاعر بها البيت التالي . على هذا الشكل بعد الوصل : « عن الـ...عذر » و « للـ...عاذل » و « بالـ...مستهام » و « إلـ...جاح » و « إلـ...زامك » و « لذي الـ...عقل » و « في الـ...حب » .

عُذرِلي في تَهَتُّكي بِهَواهُ فقلتُ لِلْ
عاذلِ المُسْتَطيلِ : وَيْــحَكَ،ماذا صَنَعْتَ بالْ
مُسْتهامِ الَّذي يَزيــدُ بِهِ الوَجدُ عندَ إلْ
حاحِ لُوّامِهِ فلا يَلْــزَمُ العَذْلُ بَعْدَ إلْ
زامِكَ الحُجَّـةَ التي لاحَ بُرْهانُها لِذي الْ
عَقْلِ فاعْذِرْ فلا تَلُمْ أوفلُمْ إنْ أردْتَ في الْ
حُبِّ لِلشّادنِ الَّذي شَفَّني طَرْفُهُ الثَّمِلْ »[1]

٤٠٥

« وقالَ رَحِمَهُ اللهُ :

أحبابَنا ، هل عَلِمْتُمْ بَعْدَكُمُ كيفَ حالي ؟
قَلْبي وطَرْفي جميعاً لبينِكُمْ في قِتالِ
لا بُـدَّ قلبيَ حـالٍ بكُمْ وطَرْفيَ حـالِ
فجَفِّفوا عن جُفوني مِنْ دَمْعِها الهَطّالِ
في يَقْظتي بِكتابٍ وفي الكَرى بِخَيالِ »[2]

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٢٠ .
(٢) » : » » » » ، » ١٢٣ .

٤٠٦

« وقالَ :

تَنَقَّلْتُ ذُلّاً في غزالٍ تَأسَّدتْ … لهُ لَحَظاتٌ بصَّرَتْ بالتَّغزُّلِ
وكَمْ نَظْرةٍ في نَضْرَةٍ[1] مِنْ نعيمهِ … رَأَيْتُ بِها مِنْ مُقلتي عينَ مَقْتلي »![2]

٤٠٧

« وقالَ :

أَغراهُ إِفْراطُ إقبالي بِجَفْوَتِهِ … وما دَرَى أَنْ إِعْراضي كإِقبالي
إِنَّ الصُّدودَ لَعَذْبٌ مُرٌّ مَوردِهِ … عِنْدي لِمَنْ لم يُوافِقْ حالَهُ حالي »[3]

٤٠٨

« وقالَ ، يُعرِّضُ بَراجحٍ الحِلِّي وعزِّ الدِّين بْنِ مَعْقِلٍ ، مِنْ أَبياتٍ :

وما زالَ جُودُ ابْنِ المُعزِّ يمدُّني … فيَرْحَلُ في رَكْبي ويَنْزِلُ منزلي
إلى أَنْ غدا مالي كَنُقْصانِ « راجحٍ » … وأَعْهَدُهُ قِدْماً كَعَقْلِ « ابْنِ معْقِلِ »[4]

---

(١) في الأصل : (وكم نظره في نصره ...) والصواب ما أثبتناه لاستقامة المعنى .
(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٢٩ .
(٣) » : » » » » » ، » ١٣٧ .
(٤) » : » » » » » ، » ١٢٢ .

قافية الميم

٤٠٩

« وقالَ : كَتَبْتُ إلى والدي ، رَحِمَهُ اللهُ ، مُلْغِزاً لِـ (الْبَلَح) في أَوائلِ ما نَظَمْتُ :

مـا بالُـكمْ في مَأْكلٍ طَيِّبٍ ... ومَشْرَبٍ عَذْبٍ يُزيلُ الأُوامْ ؟
نَضْرِبُـهُ مِنْ فَرْطِ إشفاقِنا ... عليهِ إذْ يُسْلَبُ ثَوْبَ الدَّوامْ
ودفنُهُ فيـــهِ صَلاحٌ لهُ ... معْ أنَّه مِنْ نَجْلِ قَومٍ كِرامْ
وإنْ تُصَحِّفْـهُ فَتَصْحيفُـهُ ... مَدينةٌ مِنْ بَعْدِها لا تُرامْ
وهْوَ إذا صَحَّفْتَهُ ثانيـــاً ... جِنْسٌ مِنَ الأَثْمارِ قَبْلَ التَّمامْ
وعَكْسُهُ مِنْ بَعْدِ تَصْحيفِهِ ... بَلْدَةُ مَلْكٍ مِنْ بلادِ الشَّامْ

فكَتَبَ تَحْتَها ، وأَعادَها إليَّ ، ولم يَجِفَّ الخَطّان لسُرْعـــةِ النَّظْمِ وقُرْبِ المكانِ :

يا مُلْغِزاً في شِعرِه سِعْرَهُ ... حَسْبُكَ قد أَثْلَغْتَنا[1] يا غُلامْ !

---

(١) ثلغه بالعصا : ضربه ، وثلغ الشيء شدخه ، والمُثلَّغ من الرُّطب : ما سقط من النخلة فانشدخ ، وقيل المثلغ من البُسر والرطب الذي أصابه المطر فأسقطه من النخلة فدقه ، والمُثلَّغة الرُّطبة المعرَّقة ، وهي المعدة . وهـذا المعنى هو الذي أشار إليه أبوه في الرمز إلى حل اللغز فاستعمل فعل ثلَّغ .

وقـــد فَطِنّا وأَجَبْناكَ عن تَفْسيرِهِ فافطَنْ لهذا الكَلامْ »[(١)]

٤١٠

« وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ ، مُلْغِزاً في (خَمْرَةٍ) :

مَنْ لي بِمَنْ سَمِيُّهُ سَمَا بِهِ سَفْكُ دَمِهْ
تَصْحيفُهُ في خَدِّهِ وفي فُؤادي وفَمِهْ »[(٢)]



(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٣٣ .
(٢) » : » » » » ، » ١٢٣ .

قافيـة النون

٤١١

« وقالَ في الزُّهدِ :

نَلْ فوقَ ما نالَهُ سَيفُ بْنُ ذي يَزَنِ[١] وافْخَرْ بما شئتَ مِنْ قَيسٍ ومِنْ يَمَنِ

أعْطِ لنفسِكَ أقصَىٰ ما تَلَذُّ بِهِ مِنْ مَرْكبٍ فارهٍ[٢] أو مَلْبَسٍ حَسَنِ

أليس غايةُ هــذا قعرَ مُظلمَةٍ تَفري أديمَكَ بينَ القُطْنِ والكَفَنِ؟

فابْتُتْ علائقَ دُنيـا أنتَ مُنتَقِلٌ عنها ولا تَسْكُنَنْ فيها إلى سَكَنِ

لا تَغْلُوَنْ في تمنّي رُتبـةٍ عَظُمَتْ قَدْراً فكم مِنحٍ أنْكَىٰ مِنَ الحَسَنِ

واثْبُتْ على سَنَنِ الإخلاصِ مُنْتَهياً إلى الفَرائضِ تقفوهنَّ بالسُّنَنِ

واحْكُمْ ولا تَسْتَشِرْ في حالةٍ غَضَباً فإنّـــه مُسْتَشارٌ غيرُ مُؤتَمَنِ

واركُنْ إلى واجبِ التَّفويضِ مُتَّكلاً ولا تُفيضَنَّ في عَتْـــبٍ على الزَّمَنِ»[٣]

---

(١) ذو يَزَن : ملك من ملوك حمير ، أحـــد ملوك الأذواء من اليمن ، تنسب إليه الرماح اليزنية .

(٢) فاره : حسن .

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٢٢ .

٤١٢

« وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ :

أَلا مَوْتٌ يُباعُ ، أَلا حِمامُ فأَبْذُلُ فيهِ ما مَلَكَتْ يَميني ؟

فإنَّ المَوْتَ خَيْرٌ مِنْ حياةٍ تَواضعُ رُتْبتي فيها قَريني

إِذا ما نالَ مَنْ دُوني مِراراً أُحاولُ دُونَه فيُحالُ دُوني »[1]

٤١٣

« .. فكَّرْتُ أنه في يومِ مَوْلدي كانَ قد أَكْمَلَ والدي عِشرينَ سنةً ، فنَظَمْتُ بيتين ، وكتبتُ بهما إليه ، وهما :

يا ربِّ قد أَوجَدْتَ قَبْلي أَبي في هذِهِ الدُّنيا بعشرينا

فاجعلْهُ بعدي باقياً مِثلَها وارْحَمْ مُحبّاً قالَ : آمينا »[2]

٤١٤

« ومِنْ لَطائفِ شَيخِ شُيوخِ حَماةَ في هذا النَّوعِ[3] :

صِلي ودَعي نِفارَكِ عن مُحِبٍّ بذِكْرِكِ آنسٍ واللَّيلُ ساكِنْ

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٣٧ .

(٢) » : » » » ، » ١٣٨ .

(٣) أي نوع الاكتفاء ، وقد ذكر ابن حجة قوله فيه ، وهو « أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف ، فلم يفتقر إلى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظه عليه ، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى ، وهو نوع ظريف » .

ولا تَستَقْبِحي شَيْباً بِرَأْسي فما إنْ شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ ولكنْ »[1]

٤١٥

« ومِنَ الذي[2] يُستَطْرَفُ هنا[3] إلى الغايَةِ قَولُ شَرَفِ الدِّينِ عبدِ العَزيزِ الأَنْصاريِّ ، شيخِ شُيوخِ « حماةَ » :

أَفْنَيْتُ عُمْرِيَ في دَهْرٍ مكاسِبُهُ تُطيعُ أَهواءَها فينا[4] وتَعْصينا
تِسْعاً وعِشْرينَ مَدَّ الهَمُّ[5] شِقَّتَها حتى تَوَهَّمْتُها عَشْراً وتِسْعينا »[6]

٤١٦

« واتَّفَقَ أنَّ المَلِكَ النَّاصِرَ المذكورَ[7] [أَنْشَدَهُ شَرَفُ الدِّينِ] :

أَفْدي حَبيباً مُنْذُ واجَهْتُهُ عن وَجْهِ بَدْرِ التِّمِّ أَغْناني

---

(١) ابن حجة : الخزانة ، ص ١٥٨ .

(٢) الوافي : ١، ٢ ؛ والخزانة : ١، ٢ ؛ والفوات : ١، ٢ .

(٣) أي ذكر العكس ، وهو ردّ آخر الشيء على أوله ، ويقال له : التبديل ، وفي الاصطلاح تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره ، ويقع على وجوه كثيرة .

(٤) في الخزانة : (أهواءنا فيها) .

(٥) في الوافي : (الدهر) .

(٦) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٠٢ .

(٧) أورد الخبر المذكور الملك المؤيد أبو الفداء في تاريخه :

« وللشيخ شرف الدين المذكور أشعار فائقة قد تقدم ذكر بعضها : وكان مرة مع =

في خَدِّهِ خالانِ لولاهما ما بِتُّ مَفْتوناً بعَمَّانِ

فأعجبا المَلِكَ النّـاصرَ المذكورَ ، وطَرِبَ بهما ، وكرَّرَ إنشادَهُما ، وطَلَبَ كُتَّابَ الإنشاءِ ، وقالَ : مِثْلَ هذا يكونُ معاني الشِّعْرِ ، فقالَ : كمالُ الدِّينِ بْنُ العَجَميِّ أحدُ كُتَّابِ الدَّرجِ : يا مولانا هذانِ البَيْتانِ ما تَخْدمُ فيهما التَّوريةُ ، ولا يَتَّفِقُ أَنْ يكونَ المرادُ إلا اسْمَ المكانِ ، ودخولُ حرفِ الجرِّ مانعٌ مِنْ غَرَضِهِ ، وإلَّا قالَ : (بعمَّيْنِ) ، فلمَّا كانَ مِنَ الغَدِ اجْتَمَعَ السُّلطانُ بشيخِ الشُّيوخِ ، وأَخْبَرَهُ بمـا قالَ ابْنُ العَجَميِّ ، فقالَ لهُ : يا مولانا ، هذا إنكارُ مَنْ لم يَعرِفِ القرآنَ ، ولا

= الملك الناصر يوسف ، صاحب الشام ، بعمان ، فعمل الشيخ شرف الدين :

أفدي حبيباً منذ واجهتـه عن وجه بدر التِّم أغنـاني

في وجهه خالان لولا هما ما بِتُّ مفتـونـاً بعمّان

وأنشدها للملك الناصر ، فأعجبته إلى الغاية ، وجعل يردِّدُ إنشادها ، وقال لكاتبه كمال الدين بن العجمي هكذا تكون الفضيلة ، فقـال ابن العجمي : إن التورية لا تخدم هنا لأن عمـان مجرورة في النظم ، فلا تخدمه في التورية ، فقـال الملك الناصر للشيخ شرف الدين ما قاله ، فقال شرف الدين : إن هذا جائزٌ : وهو أن يكون المثنى في حالة الجر على صورة الرفع ، واستشهد شرف الدين بقول الشاعر :

فأطرق إطراق الشُّجاع ولو رأى مساغاً لنـاباه الشجـاع لصمَّما

واستشهد بغير ذلك ، فتحقق الملك الناصر فضيلته » .

(أبو الفداء : المختصر ، ج ٣ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩) .

يَعْرِفُ كلامَ العَرَبِ ، قال اللهُ تَعالىٰ : « إنْ هذانِ لساحرانِ »[١] ، وقالَ بعضُ العَرَبِ : « إنَّ أباها . . »[٢].

وهذا جائزٌ أَنْ تنوبَ ألفُ المُثَنَّىٰ في الأَحوالِ الثَلاثةِ عند بني الهُجيمِ وبني العِشْيرِ وبني الحارثِ . فسُرَّ المَلِكُ النَّاصرُ بذلكَ »[٣] .



(١) سورة طه ٢٠/٦٣ .

(٢) إشارة إلى الشاهد النحوي المشهور :

إنَّ أباها وأبا أباهـــا قد بلغا في المجد غايتاهـــا

نسب هذا البيت إلى رؤبة بن العجاج ونسب إلى أبي النجم بن قدامة العجلي ، ونسب عند بعض النحاة إلى بعض أهل اليمن .

(٣) ابن تغري بردي : المنهل الصافي (مخطوط) ، مجلد ٢ ورقة ٣٢٨ .

قافية الهاء

٤١٧

« وأنشدَ لشَرَفِ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبي عَصْرون :

ومِروَحَةٍ تُفرِّجُ كلَّ كَرْبٍ ثَلاثَــةَ أَشْهُرٍ لا بُدَّ مِنْها
حُزيرانٌ وتَمُّــوزٌ وآبٌ ويُغْــني اللهُ في أيلولَ عَنْها »[1]



(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٣٤ .

قافيــة اليــاء[1]

٤١٨

« وقالَ :

سِتٌّ عُيونٍ مَنْ تَأَتَتْ له   كانَتْ له شافيــةً كافِيَهْ

العِلْمُ والعَلْياءُ والعَفْوُ والـ   ـعِزَّةُ والعِفَّــةُ والعافِيَهْ »[1]



(١) الصفدي : الوافي ، ج ١٩ ل ١٧ ؛ وابن شاكر : الفوات ، ج ١ ص ٦٠٣ .



الملحق الثاني

تذكار الواجد بأخبار الوالد





تذكار الواجد بأخبار الوالد

قال قطب الدين اليونيني في كتابه (ذيل مرآة الزمان)[1] :

ووقفت على كتاب[2] جمع فيه الشيخ شرف الدين المذكور ، رحمه الله، [ق/١٣٨] أشياء من أخبار والده القاضي زين الدين محمد بن عبد المحسن المشار إليه ، رحمه الله ، فما علّقت منه :

« قالَ الشيخُ شرفُ الدِّينِ : حَضَرْتُ بينَ يَدَيْ والدي ، رحِمَهُ اللهُ ، وقد قاربْتُ خمسَ عشرةَ سنةً ، فسألتُهُ عن عُمْرِهِ ، فقالَ : خُذْ في شأنكَ ! هكذا وَرَدَ في حديثٍ مُسَلْسَلٍ ، فألْحَحْتُ عليهِ ، فأمَرَني ، فأحضَرْتُ كتاباً مِنْ كُتُبِ القِراءاتِ ، فأراني صَفْحَةً في آخِرِهِ مكتوباً عليها بخَطِّ جَدِّي ، رحِمَهُ اللهُ :

(وُلِدَ الوَلَدُ المبارَكُ مُحمَّدٌ في الثَّاني والعشرينَ مِنْ جُمادَى الأولى سنةَ ستٍّ وستينَ وخمسِمائةٍ) . وتحتَهُ بخطِّ والدي ، رحِمَهُ اللهُ :

(وُلِدَ الوَلَدُ المبارَكُ عبدُ العزيزِ ضَحْوَةَ نهارِ الأربعاءِ في الثَّاني والعشرينَ مِنْ جُمادَى الأولى سنةَ ستٍّ وثمانينَ وخمسِمائةٍ) .

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، ورقة ١٣٨ — ١٤٨ .

(٢) أي كتاب (تذكار الواجد بأخبار الوالد) .

فأخذنا نتعجّبُ مِن هذا الاتّفاقِ في السّنةِ والشّهرِ والجُزْءِ مِن اليومِ! ثم انصرفتُ مِنْ بينِ يديهِ إلى حُجْرةٍ كُنْتُ أخلو فيها بنفسي، [وأتفرَّدُ بأُنسي، وأتفرّغُ للاشتغالِ بدَرْسي][1]، ففكَّرْتُ أنَّهُ في يومِ مولدي كانَ قد أكمَلَ والدي عِشرينَ سنةً، فنَظَمْتُ بيتينِ، وكتَبْتُ بهما إليه وهُما:

يارَبِّ قد أوجَدْتَ قبلي أبي ... في هـذه الدُّنيا بعِشرينا
فاجْعَلْهُ بَعْدي باقياً مثلَها ... وارْحَمْ مُحِبّاً قالَ: آمينا!

فكتَبَ إليَّ في الحالِ:

لا بل أموتُ وتحْيَا ... في غِبْطَةٍ خيرَ مَحْيا
حتى تُصرِّفَ صَرْفَ الزَّ ... مانِ أمراً ونَهْيا

ثم كَتَبَ إليَّ بَعْدَها[2]:

لا بل أَموتُ وتَبْقَى ... مِن الزَّمانِ موقّى
ويَرْحَمُ اللهُ خِلّاً ... يقولُ: آمينَ حَقّا!
ومـا عَهِدتَكَ مِمَّنْ ... أرادَ بِرّاً فَعَقّا

(١) زيادة ساقطة من الأصل استدركناها من الوافي، ج ١٩ ل ٢٠.

(٢) في الوافي: (وكتبت بعدها)، ج ١٩ ل ٢٠.

وكَتَبَ تحتَها :

إنَّما أَرَدْتُ بقافيةِ البيتِ الثّاني أَنَّ دُعائي حقيقةٌ بخلافِ دُعائِكَ ، وجَعَلْتَ قَدْحي في ادِّعائكَ عقوبةً على اعتدائِكَ .

ثم باتَ تلك اللَّيلةَ ، فلمّا أَصبحَ كتبَ إليَّ :

لِيَعْلمِ الوَلَدُ ، أَسلَكَهُ / اللهُ الجَدَدَ ، وهَيَّأَ لهُ الرَّشَدَ ، أَنَّني فَرِقْتُ [ق/٣٩ اللَّيلةَ فأَرِقْتُ ، واستَشْعَرْتُ مِنْ مضمونِ شعرِهِ فَنَظَمْتُ :

أَيُّهـــا النَّجلُ الشَّفيقُ ! كَيفَ أخطاكَ الطَّريقُ ؟
راعَني منكَ دُعـــاءٌ لم يَسُغْ لي مِنْهُ ريقُ
قَدْكَ[1] قد كَلَّفْتَ سَمْعي مِنْهُ مـــا ليسَ يُطيقُ
لم أَخَلْكَ الدَّهرَ تَلْقـا ني بشَيْءٍ لا يَليـــقُ
أعـــدوٌّ أَنْتَ أَخْبِرْ ني بِصِدْقٍ أَم صديقُ ؟
مَسَّني مِنْ شعرِكَ البا رِدِ حرٌّ بل حَريقُ
مالَهُ لفـــظٌ جَليلٌ لا ، ولا معنًى دقيقُ
لم يفُحْ لي مِنْهُ إلاّ مِقةٌ[2] مِنْـــهُ ومُوقُ
أَعْفِ مِنْ بِرِّكَ هـــذا فَمِنَ الـــبِرِّ عُقوقُ !

---

(١) قدك : أي حسبك .
(٢) مقة : محبة .

وقالَ الشيخُ شَرَفُ الدِّينِ ، رحمَهُ اللهُ :

حَفِظَ والدي القرآنَ العظيمَ ، وعمرُهُ تسعَ سنينَ ، وصلَّى التَّراويحَ بجامعِ دمشقَ بِرِواقِ الحنابلةِ ، وتَلَقَّنَه مِنْ صالحٍ المقرئ ، وتأدَّبَ على الشيخِ يُوسُفَ البونيِّ ، ثم على الشَّيخِ العالمِ الحليمِ أبي محمَّدٍ عبدِ المنعمِ ابنِ عُمَرَ بنِ حسَّانَ الغسَّانيِّ الأَندلسيِّ ، على شيخنا تاجِ الدِّينِ أبي اليُمْنِ زيدِ بنِ الحسَنِ الكِنْدي ، وتفقَّهَ على الشَّيخِ شرفِ الدِّينِ عبدِاللهِ بن أبي عصرونَ ، ثم على الشَّيخِ ضياءِ الدِّينِ الدولعيُّ ، ونَظَمَ الشِّعرَ ، وأنشأ الرَّسائلَ ، وعمرُه عشرُ سنينَ وما حَوْلَها . وممَّا نَظَمَهُ في صِباهُ :

وذاتِ قوامٍ إذا ما انْثَنَىٰ ... رأَيْتَ القُلوبَ بهِ في عنَا[1]

تَراءتْ لنا كهِلالِ السَّماءِ ... وظَبْيِ الفَلاةِ إذا ما رَنا

كشَفْنا لها بِلِسانِ الجُفونِ ... ونُطْقِ الحواجِبِ ما عِنْدَنا

فأَفْهَمَنا لَحْظُها أنَّها ... تَرومُ التَّواصلَ لو أَمكَنا

ولازَمَنا طَرْفُها ناظِراً ... يُخَبِّرُ أَنَّ بِها مِثْلَنا

ولولا مُحاذرةُ الكاشحينَ[2] ... وشرُّهُمُ نَوَّلَتْنا المُنَىٰ

أَلَمَّ بِها ما بِنا مِنْ هوىً ... أَلَمَّ فيتَّمَنا كُلَّنا

(١) عنا : أي عناء بقصر الممدود للضرورة الشعرية .

(٢) الكاشح : العدو الذي يطوي كشحه على العداوة ، أو الذي يتباعد عنك ويوليك كشحه.

ومِنْ ذلك :

كَأَنَّ الهِلالَ ، هلال السَّماءِ وقد لاحَ في قُمُصٍ[١] مِنْ سَوادِ
حبيبٌ أماتَ بِهِجْرانِهِ مُحِبّاً ، ودارَىْ بلُبْسِ الحِدادِ

وقالَ مُلْغِزاً للبيضةِ :

ها أنا السَّابقُ أو واضعتي خَبِّروا سابقَنا بالتَّبْدِيهْ !
إنْ تكُنْ مِنّي ، فمِنْ أينَ أنا ؟ أو أكُنْ مِنْها فمِنْ أين هِيَهْ ؟

وقال في السِّواكِ :

ومصحوبٍ بِهِ أمَرَ الرَّسولُ لهُ لَوني المُغَيَّرُ والنُّحولُ
تنعَّمَ في مكانٍ ما لِخَلْقٍ سِواهُ إلى تَقَحُّمِهِ سبيلُ

★ ★ ★

وقالَ الشّيخُ شرفُ الدّينِ : أنْشَدَني شيخُنا تاجُ الدّينِ الكِنْدِيُّ في التَّضمين :

يا ذا الّذي في الحُبِّ يَلْحَىْ أمَا واللهِ لو حَمَلْتَ مِنْهُ كما
حَمَلْتُ مِنْ حُبِّ لِرِيمٍ[٢] لَمَا لُمْتَ على الحُبِّ فذَرْني وما

---

(١) قُمُص : جمع قميص .
(٢) في الأصل : (رخيم) ، وهذا تصحيف الناسخ .

[ق/١٤٠]

أَطلْتَ إنِّي لستُ أَدْري بمـا قَتَلْتَ ، إلّا أَنَّــني بينَمَا
أنا ببابِ القَصْرِ في بَعْضِ ما أَطْلُبُ مِنْ قصرِهِمْ إِذْ رَمَى
شِبْهُ غَزالٍ بسِهامٍ فمـــا أخطأً سَهْـــماهُ ولكنَّما
عَيْناهُ سَهْمانِ لهُ كُلَّما أَرادَ قتـــلي بِهِـــما سَلِما

قال : فأَنْشَدْتُها والدي ، فقالَ : أَحسنُ منها أبياتٌ حَفِظْتُها مِنْ أبي مِنْ شِعْرِ ابْنِ المُعْتَزِّ ، وهيَ :

يا نَفْسُ ، وَيْحكِ[1] طالَما أَبصَرْتِ مَوْعظةً ومـا
نَفَعَتْكِ ، فاخْشَيْ وانْتَهي وعليكِ بالتَّقوى كما
فَعَـلَ الأُناسُ الصالحونَ وبـــادري فـلرُبَّمـــا
سَلِمَ المُبـــادرُ فاحذَري يا نَفْسُ مِنْ شرٍّ كما
خُدِعَ[2] الشَّقيُّ بمِثْلِهـــا إيّاكِ مِنْهـــا كُلَّما
باحتْ مكائدُها ضَمـــيرَ كِ إِنَّمــــا هيَ إِنَّمـــا
خَطَـرٌ وكم قَتَلَتْ وأَهْـــلَكَتِ النُّفوسَ وقلَّمـا
تَفْنَى أمانيهـــا[3] إذا حَضَرَ الرَّدَى وكأَنَّمـــا

---

(١) في الأصل : (وحيك) .
(٢) في الأصل : (بأخدع) .
(٣) تخفيف الياء لضرورة الشعر .

لم تُمْنِ مَنْ لاقى منيَّـــتَهُ ، فيا عجباً أَمَــا

في ذاكَ مُعْتَـــبَرٌ ولا شافٍ يُقَصِّرُ عن عَمَى !

يا ذا المُنَى ، يا ذا المُنَى عِشْ ما بدا لكَ ثُمّ ما[1]

ولجمالِ الدِّينِ همامِ الدَّولةِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ بنِ نصرِ بنِ عقيلِ بنِ أحمدَ ابنِ عليٍّ العبديِّ الأَمير الموصليِّ :

وَهَبَ المُدامــةَ للَّمَى واعتاضَ عن كَأْسٍ فَمَا

ظامٍ إلى رَشَفاتِ ما لولاهُ ما عَرَفَ الظَّمَا

يا بَرْدُ ، ما أذكى الجَوَى بَيْنَ الضُّلوعِ ، وأَضرَمَا !!

فكَتَبَ زينُ الدِّينِ محمدُ بنُ عبدِ المحسنِ المذكورُ إلى شَمْسِ الدَّولةِ ابْنِ جَميلٍ ، وقد أهدَى له وَرَقاً :

حبَّذا يا بْنَ جَميلٍ حبَّـذا وَرَقٌ[2] أَهدَيْتَهُ لكنْ إذا

كانَ مِنْ خطِّكَ مَوْشِيّاً بما تَبْتَدي[3] أَلطفَ شَيْءٍ بَعْدَ ذا

(١) القصيدة المذكورة غير موجودة في ديوان ابن المعتز المطبوع في بيروت سنة ١٣٣٣هـ بتحقيق محي الدين الخياط ، والمطبوع في بيروت أيضاً سنة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م بتحقيق كرم البستاني .

(٢) في الأصل : (ورقاً) .

(٣) تبتدي : أي تبتدئ .

لِنفُوسٍ تَتَمارَى فيهِ هل عِنْديَ [شكٌّ بهِ][1] أوغَيَّذا[2]

وكَتَبَ إلى الشَّيخِ تقيّ الدِّينِ أبي الحَسَنِ عليِّ بنِ أبي بكرٍ الهَرَويِّ الخرّاطِ الموصليِّ نزيلِ حَلَبَ ، يَطْلبُ مِنْهُ ثَوْباً مِن مَلْبوسِهِ يَتَبَرَّكُ به، فأَنْفَذَ إليهِ ، وكتبَ مَعَهُ :

قَميصُ عَبْدٍ مُذْنِبٍ غافلٍ زَمانُهُ في صَفْقَةٍ خاسِرَهْ
فابْكِ على مَنْ ظَلَّ في غَفْلَةٍ قد خَسِرَ الدُّنيا مَعَ الآخِرَهْ

ثم كَتَبَ الهَرَويُّ إلى زَينِ الدِّينِ يَطلُبُ مِنْه ثوباً ، فأَنفذَهُ إليهِ ، وكَتَبَ مَعَهُ :

قُلْ لتقيِّ الدِّينِ : يا مَنْ هَدَى إلى العُلا مِنْهاجُهُ الواضِحُ
وافاكَ ثوبي فاطَّرِحْهُ فما يَجْتمِعُ الصَّالحُ والطَّالحُ
أَلْبِسْهُ أَدْنَى خادمٍ مثلَ ما يطْعمُ كَسْبَ الحاجمِ النَّاصحُ

وقالَ زينُ الدِّينِ المذكورُ :

اقْنَعْ بأَيْسرِ مَيسورٍ مِنَ الزَّمنِ واشْكُرْ لربِّكَ ما أولاكَ مِن مِنَنِ

(١) زيادة غيرموجودة اقتضاها تمام البيت وسلامة وزنه ومعناه ، وأصلها : (عندي أو غيذا) والصواب ما أثبتناه .

(٢) في الأصل : (عيَّذا) ، وصوابها (غيَّذا) من الغيذان الذي يظن فيصيب بالغين والذال المعجمتين .

[ق/١٤١]

واذْكُرْ ملابسَ مِنْ عَدْنٍ[1] يُخصُّ بها
ذوو التُّقى واهجُرِ الأَبرادَ مِنْ عَـدَنِ[2]

إنْ شئْتَ أنْ تدخلَ الجنَّاتِ مُجْتَنِياً   قُطوفَهـا فَتَوَقَّ النَّـارَ بالجُنَنِ

وعاشرِ النَّاسَ بالمعروفِ مُجْتهداً   وراقبِ اللهَ في سِرٍّ وفي عَلَنِ

وقالَ أيضاً :

يا مُولَعـاً بالأماني غيرَ مُعتَبِرِ   كيفَ الإقامةُ والدُّنيا على سَفَرِ؟

لا تَرْكُنَنَّ إلى دارِ الغرورِ ولا   تَسْكُنْ إلى وطنٍ فيها ولا وَطَرِ

وسالمِ النَّاسَ تَسْلَمْ مِنَ مكائدِهِمْ   مُسلِّمـاً لِقَضاءِ اللهِ والقَدَرِ

كم مِنْحَةٍ بَدَرَتْ ما كنتَ تأْمُلُها !   ومِحْنَةٍ لم تكُنْ مِنْهـا على حَذَرِ !

وقالَ أيضاً :

أبناءُ دَهْرِكَ مَوْتَى   فأَعْظَمَ اللهُ أَجرَكْ

---

(١) عَدْن : أي جنّات عدْن ، أي جنات إقامةٍ لمكان الخُلْد .

(٢) عدَن : ذكر اللسان أنها موضع باليمن ، ويقال : (عدَن أبين) الساحلية نسبة إلى رجل من حمير يُدعى أبين . وذكر صاحب القاموس (عدن أبين) ، وقال : إنها جزيرة باليمن أقام بها (أبين) . وذكر مكاناً آخر يدعى (عدن لاعة) ، وقال : إنه قرية لطيفة بقربه في جبل صبر من أعمال صنعاء . يقول ياقوت : إنها أول موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن بعد المصريين . وذكر الأزهري أنها بلد على سيف البحر في أقصى بلاد اليمن . كما ورد ذكر عدن في الحديث الشريف .

لا تَرْجُ مِنْهمْ حَرَاكاً فالمَيْتُ لا يَتحرَّكْ
لا تَعْجَبَنْ لِمسيءٍ واعْجَبْ لِمَنْ كانَ سَرَّكْ !
فانفِرْ مِن النَّاسِ تُمْهِدْ عِنْدَ الإلهِ مَقرَّكْ
وإنْ تصادَفْتَ[١] عنهمْ فإنَّ لِلّهِ دَرَّكْ !

وقالَ :

لو نَفَرْنا عن السُّكونِ إلى الدُّنْيا هُدينا إلى سَواءِ السِّراطِ
دارُ غَدْرٍ وحَسْرَةٍ وانْقِطاعٍ وبَلاءٍ وفرْقَةٍ[٢] واشْتِطاطِ
أبداً تَسْتَرِدُّ[٣] ما وَهَبَتْهُ كخليلِ بْنِ يُونسَ الخيّاطِ

ومَعْناه أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ مُحمَّدِ بنِ سالمِ بنِ يونسَ الخيّاطِ كانَ له خليلٌ يدعوهُ لمنادمتِهِ ، فإذا سكرَ خلَعَ عليهِ ثوباً ، فإذا صَحَا في الغَدِ بَعَثَ إليهِ فاسْتَعادَهُ مِنْهُ ، وكانَ ابنُ الخيّاطِ هذا مُنْقَطِعاً إلى زيْنِ الدِّينِ فقالَ في ذلك :

كَساني قَميصاً مرَّتينِ إذا انْتَشَى ويَنْزِعُهُ عنّي إذا كانَ صاحيا

(١) في الأصل : (تصادنت) .
(٢) في الأصل : (وقلقة) .
(٣) في الأصل : (أسترد) .

فَلِي فَرْحةٌ في سُكْرِهِ بقَميصِهِ [ولي رَوْعةٌ مِنْ صَحْوِهِ في صَباحيا][1]

فيا لَيْتَ حَظْي مِنْ سُروري ورَوْعتي يكون كَفافاً لا عَليَّ ولا ليا!

★ ★ ★

وكَتَبَ ضياءُ الدِّينِ الشَّهرزوريُّ إلى زينِ الدِّينِ المذكورِ رُقْعَةً في مُتَّهمٍ، وطَلَبَ كَتْبَ جوابِها في ظهرِها، فكَتَبَ في غيرِها، وسَيَّرَ ورقةَ ضياءِ الدِّينِ عَطفَها، وكَتَبَ في البيت الجوابَ بديهةً:

ضِياءَ الدِّينِ كم أنهضتَ جَدِّي فلم أَنْهَضْ بأَنْعُمِكَ الجَسيمَهْ

أتاني خَطُّكَ المرسومُ نوراً بمرسومٍ عظيمٍ في عظيمَهْ

ورُمْتَ جوابَهُ في الظُّهرِ مِنْهُ لتَأْمَنَ فيهِ غائلةَ النَّميمَهْ

فلم أَرَ أَنْ أُطيعكَ في ابْتِذالي له والرَّقْمُ في طِرْسِ الرَّقيمَهْ

فأرْسَلْتُ الإجابةَ في سُطورٍ عُطِفْنَ على المُشَرَّفَةِ الكَريمَهْ

وللفَقيهِ عُمارةِ اليَمَنيِّ[2] مُقَطَّعاتٌ في طَلَبِ الأَجوبةِ في الظُّهورِ، منها:

---

(١) الشطر الثاني من البيت هو في الأصل: «وروعتي يكون كفافاً لا علي ولا ليا» وهو مشطوب أيضاً بالقلم الأحمر من الناسخ، لأنه كتب خطأً بعض البيت الثالث، وقد استدركنا هذا الشطر نظماً اعتماداً على سياق القصة والأبيات.

(٢) أبو حمزة عمارة بن أبي الحسن بن زيدان بن أحمد، ولد في مدينة مرطان من تهامه سنة ٥١٥ هـ، كان موالياً للفاطميين، وقد نسب إليه مكاتبة الفرنجة، وائتمر على صلاح الدين، فقبض وشنق مع جماعة من الموالين للفاطميين سنة ٥٦٩ هـ وهو أحد شعراء الخريدة (انظر الخريدة ج ٣ ص ١٠١ — ١٤١) تحقيق الأستاذ الدكتور شكري فيصل.

أعِدْ لي جوابي في ظُهورِ رِقاعي ... ليَرْجِعَ سِرِّي وهو غيرُ مُذاعِ
وإنْ عفتَها عنّي لتُصبِحَ حُجّةً ... عليَّ فقد عامَلْتَني بخِداعِ[1]

ولعُمارةَ أيضاً :

إنْ شئْتَ أنْ أكتبَ مُسترْسِلاً ... إليكَ فيما عنَّ مِنْ أمْري
فاكتُبْ على الظَّهرِ ولا تعتَذِرْ ... فإنّهُ أكتَمُ للسِّرِّ[2]

[ق/١٤٢]

ولعُمارةَ :

أتاني جَوابُكَ على رُقعتي ... على غَيْرِها فأسأتُ الظُّنونا
فلا تَعْتَذِرْ عن جَوابِ الظُّهورِ ... فبَعْضُ الظُّهورِ يَفوقُ البُطونا
ولا تَرْتَهِنِّي بإمْساكِها ... فلَسْتُ بتاركِ خطِّي رَهينا[3]

ولعُمارةَ :

لم أرُدَّ الجوابَ في الظَّهرِ إلّا ... عامِداً في إخفاءِ شكواكَ حالَكْ
ولِئلّا تَبْقَى فيكسِفَ بالي ... مِنْ خطوبٍ كَسَفْنَ بالفقْرِ بالَكْ[4]

---

(١) هذان البيتان واردان في مصورة ديوان عمارة الموجودة في حوزة الدكتور شكري فيصل ، وهو يقوم الآن بتحقيقها ، وقد تفضل مشكوراً بالتأكد من وجودها في المصورة المذكورة . اللوحة ٢١٤ .

(٢) هذان البيتان موجودان في المصورة المذكورة اللوحة رقم ٢١٥ .

(٣) هذه الأبيات موجودة في المصورة المذكورة اللوحة رقم ٢١٥ .

(٤) هذان البيتان غير موجودين في المصورة المذكورة .

وقالَ زينُ الدِّينِ :

كُنْتُ جالساً بسوق الخوّاصين بدِمشقَ في حــدودِ سنةِ ثمانٍ وثمانينَ وخَمسِمائةٍ ، وأنا إذْ ذاكَ أجمعُ بين التجارةِ ونيابةِ ضياءِ الدِّينِ بنِ الشَّهرزُوريّ في الأَوقافِ ، فوقَفَ عليَّ شابٌ رثُّ الحالِ والثِّيابِ ، ظاهرُ الاكتئابِ ، عليهِ أَثرُ المرضِ والفاقةِ ، مائلُ السُّمرةِ إلى السَّوادِ ، فناولَني ورقةً فيها أَبياتُ شعرٍ ، يشكو فيها حالَهُ ، فقُلْتُ : هذا شعرُكَ ، فقالَ : نَعَمْ ! فرَحِمْتُهُ ، وقُلْتُ لهُ : انظمْ أبياتاً في ضياءِ الدِّينِ بنِ الشَّهرزُوريّ[1] لأَحملَها إليهِ ، وأَستَمْنِحَهُ لكَ وخُذْ هذا الدِّينارَ ، لتنفِقَ بهِ في العاجلةِ ، فسُرَّ سروراً ظَهَرَ عليهِ ، ثم مَضَى وأتاني في اليومِ الثَّاني بأبياتٍ رائعةٍ في ضياءِ الدِّينِ ، فأوصلْتُهُ إليهِ ، فسلَّم عليهِ ، ولم أُكَلِّفْهُ إنشادَ الأَبياتِ لمــا هو عليهِ من الضَّعفِ وسوءِ الحالِ ؛ ثم أَخذْتُ له مِنْ ضياءِ الدِّينِ خمسةَ دنانيرَ ، وانْصَرفَ فَرِحاً مَسروراً ، ثم لم أَرَهُ بعْدَها ، ولا علمتُ له نَسَباً ولا اسْماً ، ومَضَتْ على ذلك مُدَّةٌ طويلةٌ ، وانْتَقَلْتُ إلى حماةَ ، ووليتُ بهــا نَظَرَ الأَوقافِ ، وقَدِمَ حماةَ الرَّشيدُ المِصْريُّ المعروفُ بـ (الصَّفويِّ) بعد

(١) هو أبو الفضائل القاسم بن يحيي الشهرزوري ، وقد ولد سنة ٥٣٤ هـ ، وتوفي سنة ٥٩٩ هـ وهو أحد شعراء الخريدة (انظر خريدة القصر ، ج ٢ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤) تحقيق الأستاذ الدكتور شكري فيصل .

انْصِرافِهِ عن خِدْمَةِ المَلِكِ الأَشْرَفِ ، فَتَعَصَّبَ له جماعةٌ مِن الدولةِ المَنْصوريَّةِ حتى وُلِّيَ وِزارةَ المالِ للمَلِكِ المنصورِ الكبيرِ[1] ، فرامَ مِنِّي الحضورَ عندَهُ ، فامْتَنَعْتُ ، فشكاني إلى المَلِكِ المنصورِ ، فقالَ له : هذا ليس لكَ عليه اعْتِراضٌ ؛ وما وَلَّيتُهُ إلّا بالإِكراهِ ليكونَ ناظرُ أوقافِ الخليفة ناظرَ أوقافي ، فتَرَكَ الرَّشيدُ مُعارَضَتِي ، ثم أَخَذَ في اسْتِمالتي ومُباسَطتي المَودَّةَ ، فلم أَنْبَسِطْ إليهِ وفاءً لزينِ الدِّينِ بنِ فريجٍ[2] لأنَّ أُمورَ الدِّيوانِ كانتْ إليهِ قَبْلَ وِلايةِ الرَّشيدِ ، فلمّا تَغَيَّرَ المَلِكُ المنصورُ على الرَّشيدِ وعَزَلَهُ واعتقَلَهُ بجامعِ القلعةِ[3] أَنْفَذْتُ وَلَدي عبدَ العزيزِ إليهِ ، فَعَرَضَ عليهِ مِنَ المعونةِ والمساعدةِ على نكبَتِهِ بكلماتٍ تليقُ بالحالِ ، فشكَرَ وأثنى والْتَمَسَ التَّلطُّفَ في خَلاصِهِ ، فسَعَيْتُ بما أَمكنَ ، ولم يكنْ عليهِ تعلُّقٌ ، بل خَدَمَ في مكانِهِ بجُمْلَةٍ كثيرةٍ ، فتَحيَّنَ لهُ المَلِكُ المنصورُ دَيْناً ، وقالَ : إنَّكَ لم تَخْدُمْنا خِدْمَةً تَستحقُّ عليها مَعْلوماً ، فارْدُدْ ما أَخَذْتَهُ في مُدَّةِ وِلايتِكَ فَرَدَّهُ ، ثم حبَسَ نُوّابَهُ ، وطلبَ أَنْ

---

(١) أي المنصور الأول محمد ، وقد سبقت ترجمته .

(٢) في الأصل : (فرنج) . انظر هامش الصفحة (٧٢) خلال ترجمة المظفر الثاني تقي الدين محمود بن المنصور الأول .

(٣) أي جامع قلعة حماة ، وهي الآن خراب ، ولم يبق منها غير رابية عالية يحتضنها نهر العاصي .

يَسْتَرجِعَ ما أَخذوهُ مِنْ مَعاليمِهِمْ ، فقالَ الرَّشيدُ : إنَّ هؤلاءِ حُبِسُوا بسَبَبي ، وأنا الذي عَوَّقتُهمْ عن مكاسبِهِمْ ، وأنا أقومُ بما يُطلَبُ مِنْهمْ ، فأدَّى عنهم نيِّفاً عنْ أربعةِ ألفِ دِرهمٍ ، وأخرَجَهُمْ ، وكانتْ هذهِ الفعْلَةُ مِن مكارِمِهِ /التي تَمَّتْ ، فزُرْتُهُ ، وصادفتُهُ ، وهادَيْتُهُ ، وباسَطْتُهُ ، فقالَ لي في خَلْوةٍ : [ق/ ١٤٣] واللهِ يا مولايَ ، ما كانَ طلبي لكَ عِنْدَ ولايتي لِما تَوَهَّمْتَهُ من اسْتِضاقتِكَ إليَّ ولا للتَّحكُّمِ عليكَ في عملِكَ ، بل لأَتَعرَّفَ إليكَ ، وأتَشرَّفَ بكَ ، وأُكافِئَكَ على جميلِكَ ، فشكَرْتُهُ وقُلْتُ : وأيُّ جميلٍ كانَ مِنِّي إليكَ ؟ فقالَ : أما[1] تعرِفُ ذلكَ الأسودَ الفقيرَ الأهيفَ والرَّثَّ الحالِ والهَيْئةِ الذي وقَفَ عليكَ بالخوّاصينَ ، وأعطاكَ ورَقَةً ، فيها أبياتٌ ، مِنْها :

يا أجملَ النّاسِ في خَلْقٍ وأَخْلاقِ ... عليكَ مُعتمدي مِنْ بَعْدِ خَلّاقي

أَسْعِدْ مَريضاً غَريبَ الدّارِ مُفْتَقِراً ... أَبْكَى أعادِيَهُ مِنْ ضُرٍّ وإمْلاقِ

فأحْسنْتَ إليه ، وأعطيتَهُ ، وأَمَرْتَهُ بمدحِ [ضياءِ الدِّينِ] [2] بْنِ الشَّهرزوريِّ ، فنَظَمَ فيهِ [مِدْحَةً] [3] مِنْها (شعر) :

غُرَّةُ الظَّبْيِ الغَريرِ[4] مِنْ هواها مَنْ مُجيري ؟

---

(١) في الأصل : (ما تعرف) .

(٢) زيادة اقتضاها توضيح اسم الممدوح لكثرة الشهورين من هذه الأسرة .

(٣) زيادة غير موجودة في الأصل ، أسقطها الناسخ سهواً .

(٤) في الأصل : (العزيز) .

فَلَئِنْ صَــدَّ حبيبي ونَفَى عنِّي سُروري
فحيــاتي بأخي الجُو دِ ابْنِ يَحْيى الشَّهرزُوري
أيُّهــا المَولىٰ ضِياءَ الــدِّينِ ، ياصَدْرَ الصُّدورِ
مَسَّني الضُرُّ فأَسْعِدْ ني على مَشْيِ أُموري

فأوْصَلْتَهُ إليه ، وأَخَذْتَ لهُ جائزَتَهُ مِنْهُ ؟ ؟ أنا ـ واللهِ ـ ذلكَ الشَّخْصُ ! !

فَذَكَرْتُ القِصَّةَ ، وأَطْرَقْتُ خَجَــلاً ، واسْتَحْيَيْتُ غايةَ الحياءِ ، فقالَ لي : لا تُطرِقْ ، ولا تَخْجَلْ ، فَمَنْ كانتْ حاجتُهُ إلى مِثْلِكَ ماعليهِ عارٌ ولا غَضَاضةٌ ، وأُعرِّفُكَ أَنَّني بعــدَ ذلكَ ما وَقَعتُ في فاقةٍ ، ولا احتَجْتُ إلى بذلَةٍ ، ولا رَأَيتُ أَبرَكَ مِمّا صارَ إليَّ مِنْ مالِكَ وجاهِكَ ، فَنَبُلَ في عَيني غايةَ النُّبلِ ، وصــارَ بَيْني وبَيْنَهُ مِن المودَّةِ ما أَرْبَى على مَوَدّاتِ غالبِ مَنْ تقدَّمَهُ من الأصدقاءِ بهـذا السَّببِ ، ولو لم يعرِّفْني بنفسِهِ ما عَرَفْتُهُ البتَّةَ ! !

★ ★ ★

وكانَ يُصلِّي الجُمُعَةَ في المقصورَةِ التي أُصلِّي فيها ، فانْقَطَعَ في بَعْضِ الجُمَعِ لِعُذْرٍ عَرَضَ [له] (١) ، فكَتَبْتُ (٢) إليهِ :

ياماجِداً أَلْسُنُ الوَرَىٰ أبداً بِشُكْرِهِ المُسْتَفاضِ مَنْطلِقَهْ

(١) زيادة غير موجودة في الأصل .
(٢) في الأصل : (فكتب) .

وَمَنْ مُداناتُهُ مُرَوِّحَةٌ إذْ هو رُوحُ الفؤادِ والحَدَقَهْ
وَمَنْ أكُفُّ الزَّمانِ تكتبُ ما أُمْليهِ مِنْ شُكْرِهِ على الطُّرُقَه
ومَنْ أغاثَ العافينَ ، مَنْ يدُهُ سَحَابَةٌ بالنَّوالِ مُنْبَعِقَهْ (١)
إذا سَحابُ السَّماءِ جادَ لهمْ بالقَطْرِ جادتْ بعَسْجَدٍ ورِقَهْ
وَمَنْ معاني مديحِ حَضرتِهِ مَأْخوذةٌ مِنْ عُلاهُ مُسترَقَهْ
تُوصِلُ سُرَّاقَها إذا وَصَلُوا إليهِ والقَطْعُ مُقتضَى السَّرِقَهْ
كانَ لنا كلَّ جُمْعَةٍ مِنحٌ بَيْنَ المَعادِ والطُّولِ مُفْتَرِقَهْ
نَقومُ بالفَرْضِ ثم يُلْطِفنا بحُسْنِ خُلْقٍ سبحانَ مَنْ خَلَقَهْ!
فلِمْ (٢) قَطَعْتَ الإيناسَ عن نَفرٍ أهواؤهمْ في هواكَ مُتَّفِقَهْ؟
فعُدْ إلى العادةِ القديمةِ كي تَجْمَعَ بَيْنَ الصَّلاةِ والصَّدَقَهْ
واسْلَمْ ودُمْ في سَعادةٍ وعُلا تَشْمَلُ هذي الشَّمائلَ العَبِقَهْ

فكَتَبَ الجوابَ ، وكانَ أُعيدَ برَغْمي إلى المَلِكِ المنصورِ في أمرٍ [ق/١٤٤] ليس عليه ، فأشارَ إليه :

جادَتْ عليكَ السَّحائبُ الغَدِقَهْ بكلِّ نبتٍ عُلاهُ مُتَّفِقَهْ
وأنتَ ذو فِطْنَةٍ لها حِكَمٌ عَزيزةٌ لا تَبيدُ بالنَّفَقَهْ

(١) انبعق المطر وتبعّق : أي هطل مفاجئاً بوابل ، وقطر بُعاق وبِعاق : مندفع بالماء .
(٢) أي : فلِمَ ، وقد سكنت الميم لضرورة شعرية .

وليس شعري كُفواً لشِعْرِكُمُ بل هو شكْرُ الإنعام بالصَدَقةْ
ومـا تَكَلَّفتُ باعتـذاريَ عـمّا كَذَبَ المُدَّعي ومـا صَدَقَهْ

(ما الثانيةُ في معنى النَّفي)

فكتبْتُ إليهِ :

يا ذا الأَيادي الغُرّ والمَنْبِتِ الـمُلْقَىٰ الجَنَىٰ والمَنْهلِ المُسْتطابْ
ومَنْ حوَىٰ مِنْ كلِّ فَنٍّ فقد ناطَ إلى الحِكْمَة فَصْلَ الخِطابْ
إنْ قُمْتَ بالمُعضِلِ فينا وقد غابَ عن الخِدْمَةِ كلُّ الصِّحابْ
فليس بالبِدْعِ الذي جئتَـهُ مُنْفرِداً فيـهِ ولا بالعُجابْ
مِثْلُكَ مَنْ ساسَ عظيماً ومَنْ قامَ بأعباءِ الأُمورِ الصِّعابْ
وهل لدَفْعِ الخَطْبِ مهما عَرَا جليلُهُ إلّا الجَليـلُ اللُّبابْ
شرَّفَـني شِعْرُكَ لمّا أَتَى مُنْتَظِماً نَظْمَ لآلي السِّخابْ(١)
فَراقَـني مِنْ لَفظِـهِ رِقّـةٌ يَقْضي لِعُليـاكَ بِرِقِّ الرِّقابْ
فلَمْ أُؤخِّرْ خِدْمتي هـذِهِ تَأْخيرَ جانٍ يستَحِقُّ العِقابْ(٢)
وإنَّمـا الشّـاميُّ مِنْ بيتِهِ يأْتي إذا كلَّمْتَهُ بالجوابْ

(١) السِّخاب : قلادة تُتخذ من قرنفل وسُكٍّ ومحلب ، ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء .
(٢) في الأصل : (العتاب) .

فاسْمَعْ ثَناً عليكَ ، ألفاظُــــهُ أَعْذَبُ مِنْ رَشْفِ الثَّنايا العِذابْ[١]
وعِشْ سعيدَ الجَدِّ حتى تَرَى غُرابةَ الشَّيْبِ وشَيْبَ الغُرابْ!

فكتبَ إليَّ مجيباً عَنْها :

رأيتُ أبياتاً قُصوراً ومــا فيها قُصورٌ لا ولا ما يُعابْ
سَكَنْتُ منها جَنَّةً زُخْرِفَتْ بطيبِ ألفاظٍ حِسانٍ عِذابْ
وقُلْتُ : مَنْ أنْشَا[٢] لنا هذِهِ لقد أتى مِنْ كُلِّ شيءٍ عُجابْ!
قالتْ : أنا أنشأني سَيِّــدٌ يأخُــذُ مِنَ المعاني اللُّبابْ
لهُ رِياضاتٌ وأخلاقُـــهُ أَعْذَبُ مِنْ رَشْفِ اللَّمى والرُّضابْ[٣]
يَسْتَفْتِحُ الأَمْرَ بتَدْبـــيرِهِ فيفتَحُ المُغْلَقَ مِنْ كُلِّ بابْ
يَميسُ مَنْ يَسْمَعُ ألفاظَـــهُ حتى كأنَّ اللَّفظَ مِنْهُ شرابْ
فقلتُ : هذا وَصْفُ زينِ الدُّنا والدِّينِ أعلى كُلِّ مَوْلى نِصابْ
إنْ عاقَ سوءُ الحظِّ عن قُرْبِهِ فإنَّ قَلبي عندَهُ في اقترابْ
أو خانَهُ الدَّهرُ فلا يكْتَرِثْ فكلُّ[٤] ما فوقَ التُّرابِ[٥] تُرابْ!

---

(١) الثنايا : جمع ثنيـــة ، وهي من الأضراس أول ما في الفم ثنيتان من فوق وثنيتان من أسفل .

(٢) أي أنشأ ، خفف الهمزة لضرورة الشعر .

(٣) في الأصل : (اللمّا) .

(٤) في الأصل : (كلما) .

(٥) في الأصل : (تراب) .

وكانَ لزينِ الدِّينِ المذكورِ اليدُ الطُّولىٰ في التَّرسُّلِ ، فمِنْ إنشائِهِ ، مِمَّا كتَبَ بِهِ عن نَفْسِهِ :

« كانَ الخادمُ ، أدامَ اللهُ سعاداتِ المجلسِ دواماً يستَنْفِدُ مَــدد الأيّامِ ، ويَسْتَمِدُّ دواعيَ الإنعامِ ، ويَسترقُّ لهُ أحرارَ الأنامِ ، ويَستَحِقُّ بأنوارِ سَعْدِهِ أنْ يمحوَ آياتِ الظُّلمِ والإظلامِ ، أنْهى ما أحاطتْ بِـــهِ العلومُ المولويّةُ ، مِنْ تلزُّمِهِ بأستارِ كعبةِ المكارمِ الأكرميَّةِ ، [ق/١٤٥] واكتفائِهِ الأخطارَ في تعلُّقِـــهِ بأذيالِ المفاخرِ المُضَرّيةِ ، واسْتيرائِهِ زِنادَ العَزائمِ الوَزيريةِ ، واسْتمطارِهِ سُحُبَ الهممِ الأفْضَليَّـةِ المفضَّليَّةِ ، مستجيراً بقِبْلَةِ إقبالِها ، ومُستَعيذاً بحومةِ جَلالِها ، مِنْ عُدوانِ دَهْرٍ ، وانْهضامِ[1] وَفْرٍ ، وانْقسامِ فكْرٍ ، وشَتاتِ أمْرٍ ، وثِقَلِ ظَهْرٍ ، وحَرَجِ صَدْرٍ ، ومِنْ حادثاتٍ كلَّما قُلْتُ : أقْصَرَتْ عظائمُها عنّي ووَلَّتْ توالَتْ ، وما قولي كذا ومَعي الصَّبْرُ ؛ ثم وَقَفَ بَعْـدَ ذلك مُخفِّفاً عن الخواطرِ مِن التَّكرارِ ، وعالماً أنَّ المولى بألْمعيَّتِهِ مُسْتَغْنٍ عن التَّذْكارِ ؛ ثم قـد جـدَّدَ الآنَ تَعلُّقَهُ بأذيالِ كَرَمِهِ ، وتمسُّكَهُ وتعبُّدَهُ في مشاعرِ حَرَمِهِ ، وتنسُّكَهُ شاكياً مِنْ نَبْوةِ الدَّهرِ وكرّاتِ اللّيالي ؛ ولَعَمْري إنَّ الشَّكوى عنوانُ الخَوَرِ[2] ، وسِمَةُ الضَّجَرِ ، وتَظَلُّمٌ على القَضاءِ والقَدَرِ ، ولكنْ لا بـدَّ مِنْ شَكْوىٰ

(١) انهضام : انتقاص .

(٢) الخور : الضعف والانكسار .

إلى ذي حَفيظةٍ يُواسيكَ أو يُسليكَ أو يتوجَّعُ ؛ ومَنْ شَكا إلى غَيْرِه فقد مَلَّكَهُ مِنْ نفسِهِ رِقّاً ، وأوجَبَ لها عليهِ حقّاً ، فالشَّكوىٰ على هـذا القِياسِ عليهِ حَقٌّ يَجِبُ لأجلِهِ اخْتيارُ السَّيِّدِ ، وموجِبةُ حَقٍّ يَتَعَيَّنُ بسَبَبِهِ ازْديادُ العَزْمِ الجيِّدِ ، وقـد اخْتارَ الخادمُ لرِقِّهِ سيِّداً حَفيّاً ، وارْتادَ لحقِّهِ مليّاً وفيّاً . (شعر) :

فشَكا إلى الماءِ الزُّلالِ أُوامَهُ وشَكا السِّقامَ إلى الطَّبيبِ الماهِرِ

وأحَلَّ شكواهُ مِن المَوْلَىٰ بصَدْرٍ واسعِ الصَّدْرِ ، ناصعِ الفَخْرِ ، قادرٍ على النَّفعِ والضُّرِّ ، مَبْسوطِ اليَدِ بالخَيْرِ ، وحاشاهُ مِن الشَّرِّ ، فردَّ الحادثاتِ عن الموالي ، ونَفَّرَ بها بادرَ المُعادي ، تَصرَّفَ في صُروفِ الدَّهرِ حتى غَدَتْ وخروفُها سَلِسُ القِيادِ ، مُقْتضياً منْهُ وَعْداً هو عليهِ دَيْنٌ ، قضاؤهُ واجبٌ ، وحقٌّ لهُ مِنْ أدعيتِهِ مُطالبٌ ، إذا أهملَ اقْتَضاهُ الطّالبُ ، وقد عَلِمَ المَوْلىٰ مِنْ طريقِهِ إيثارَ العُزْلَةِ[1] في العُزْلَةِ ، والنِّفارَ عمَّا يَقْضي بذُلِّهِ مِن البِذْلةِ ؛ والآنَ فقد نَزَلَ بِهِ مِن الضَّروراتِ ما أباحَ له ركوبَ المحظوراتِ ، فإنْ رَأَىٰ المولَىٰ تَصْريفَهُ في بَعْضِ الخِدَمِ اللائقةِ ، وإن لم تكنِ[2] الفائقةَ ولا الرائقةَ ، فقد اسْتُكْتِبَ في مِثْلِ بَغْدادَ فكَتَبَ ،

---

(١) جاء في اللسان أنه يقال : العزلة عبادة .

(٢) في الأصل : (يكن) .

ورَسَلَ فأنجبَ ، ووليَ بهـا وبغيرِها الولاياتِ الجليلةَ ، وحَذِقَ[1] نظرُهُ فيهـــا وفي سواها حِفْظَ الأَموالِ الجزيلةِ . فنَهَضَ في الولايةِ النَّهْضةَ المَرْضيَّةَ ، وسَعَى في الكفايةِ على الطَّريق المُضْنيَّة ، فالمُشيرُ بهِ آمنٌ منْ أنْ يُخْطِي ، والشَّفيعُ له مُعْطٍ سُلْطانَه أَضعافَ ما أَسْتَعْطي ؛ و [أمّا][2] الخادمُ فقد خَرَجَ منْ لائمةِ العَقْلِ والعقلاء ، وقامَ بوَظيفةِ الفَضْلِ عنـد الفُضلاءِ ؛ وسَلَكَ بمُلْتَمسِهِ جَـدَدَ[3] التَّوفيـقِ ، وتَوَخَّى لمَقْصودِهِ أَسْهلَ طريقٍ ، وجرَّدَ لمطلوبِهِ حُسامَ النَّجاحِ منْ قِرابِهِ ، وأَبَى سِعايةً لمحبوبِـهِ منْ بابِهِ ، واسْتَسْقَى لظَمَئِهِ الزُّلالَ العَذْبَ ، واسْتَرْهَفَ لنُصْرَتِهِ الجُزارَ العَضْبَ ، واسْتَنْهَضَ لهمَّتِهِ الهُمام النَّدْبَ ؛ فإنْ ظَفِرَ بمرامِهِ ، وانْتَصرَ على أيّامِهِ ، فغيرُ بعيدٍ أنْ ينالَ [أَقْصَى[4]] مرادِهِ ، مَنْ اتَّخذَ المَوْلَى وسيلةَ قَصْدِهِ ، وإنْ اسْتَمَرَّ حؤولُ حالِهِ التي شُرِحَتْ ، ودامتْ عليـهِ عُقْلَةُ أُمورِهِ التي جَنَحتْ / وجَمَحَتْ ، وطاشَتْ كِفَّةُ حَظِّهِ التي كانتْ قد تَأَرْجَحَتْ ، واستَعْجَلَ فسادَ حركاتِهِ التي طالمـــا استقامَتْ وصُلُحَتْ ؛ [ق/١٤٦]

---

(١) في الأصل : (وعذق) .

(٢) زيادة غير موجودة في الأصل اقتضاها سياق النص .

(٣) الجدد : الأرض الغليظة ، وقيل الصلبة ، وقيل المستوية ؛ وفي المثل : « من سلك الجدد أمن العثار » .

(٤) زيادة اقتضاها التزام تصنُّع السجعِ وسياق النص .

فذاك لحظّي لا لعجزٍ محكمٍ ، إذْ أمرُ الأيّام في إطاعةٍ ، ووجْهُ الشُّكرِ مُتوجّهٌ إلى المولى في الحالين ، وأيدي الدُّعاءِ بدوامِ أيّامهِ مَبْسوطةٌ على كِلا التّقديرين ، وبالغايةِ المتعيّنةِ والكفايةِ المُتبيّنةِ يَرْتفِعُ المَنُّ من البيْنِ، والرَّأْيُ أسْمَى إنْ شاءَ اللهُ تعالَىٰ » .

★ ★ ★

ونُدِبَ لعقْدِ نكاحٍ ببغدادَ لبعضِ مماليكِ الخَليفةِ على بَعْضِ جواريهِ[1] فقالَ بديهاً :

« الحمدُ للهِ الذي خلَقَ من الماءِ بَشراً ، فجعَلهُ نَسَباً وصِهْراً ، وشَرَعَ النّكاحَ لعبادِهِ وأثابَهُمْ ؛ أحْمَدُهُ على نِعَمِهِ التي أوجبَ التَّوفيقُ بحَمْدِهــا شكراً ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ شَهادةً أُعِدُّها للمَعادِ ذُخْراً ، وأشدُّ بهـا للرّشادِ أزْراً ، وأشْهَدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ المبعوثُ إلى العالمِ طُرّاً[2] ، الموروثُ عنهُ من الحِكَمِ ما يُطبّقُ الآفاقَ برّاً وبَحْراً ، ويَدعو إلى التّناكحِ والتّناسلِ ليعودَ قَلُّ المُؤمنينَ كثيراً ، صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبِهِ صَلاةً هُمْ بها أحقُّ وأحْرَىٰ ، وعلى عمِّهِ العباسِ بنِ عبدِ المطّلبِ

(١) في الأصل : (جواره) .

(٢) في الأصل : (ظرا) .

الذي فاقَ الأعمامَ شَرَفاً وقَدْراً ، وأَوْلَدَ من الأئمَّةِ المُهْديينَ نُجوماً زُهْراً ، جَدِّ مولانا وسيِّدِنا الإمامِ النّاصرِ لدينِ اللهِ أميرِ المؤمنينَ الذي أوسعَ الإسلامَ جِهاداً[1] ونَصْراً ، ووَسِعَ الأنامَ إرْفاداً وبِرّاً ، وقَمَعَ أهلَ الكُفْرِ والعِنادِ إرغاماً وقَهْراً ، وصلَّى اللهُ عليهِ صلاةً تَرْفعُ لهُ في الدّارينِ رُتَباً وذِكْراً .

وبعدُ : فالنِّكاحُ مِن السُّنَنِ المنوَّهِ بها شَرْعاً وعَقْلاً ، والأعمالِ المفضّلةِ عند الحاجةِ إليها على أفْضلِ العِباداتِ إذا كانتْ نَفْلاً ، وبهِ تمَّتْ الحِكمةُ الإلهيّةُ ، ووَرَدَتْ الشَّريعةُ المُحمَّديّةُ ، ونُسِخَتْ المُسافحةُ الجاهليَّةُ ، ورَسَخَتْ أقدامُ المناسبِ الطّاهرةِ الزكيّةِ ، وقد رَسَمَ - أعلاهُ[2] اللهُ - المراسمَ وأمْضاها ، وأنفذَها في أقصى الأرْضِ وأدْناها ، إنشاءَ عُقْدةِ النِّكاحِ بينَ فُلانٍ وفُلانةٍ مَملوكَيْ الخِدْمةِ الشَّريفةِ ، المُكْتَفِيَيْن[3] بهذهِ العُبوديّةِ في التَّلقُّبِ شَرَفاً ، وبهذهِ المملوكيّةِ[4] مُلْكاً عظيماً مُؤْتَنفاً ، على صَداقٍ مَبْلَغُهُ كذا وكذا ، فخارَ اللهُ لأميرِ المؤمنينَ ، صَلواتُ اللهِ عليهِ

(١) في الأصل : (عادا) .

(٢) في الأصل : (أعلا) .

(٣) في الأصل : (المكتفين) .

(٤) في الأصل : (الملوكية) .

صلاةً دائمةً إلى يومِ الدِّينِ ، في هذا المرسومِ المُبينِ ، ولمملوكِه في هذا العَقْدِ المتينِ ، وجَعَلَه مقروناً لأَميرِ المؤمنينَ بالنَّصْرِ والتَّمكينِ ، ولمَمْلوكيهِ المذكورينِ بالرِّفاءِ[1] والبنينَ[2] .

أَقولُ قولي هذا ، وأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ لي ولكمْ ولسائرِ المسلمينَ » .

★ ★ ★

وكانَ لزينِ الدِّينِ أَخٌ يُدْعَى نجمَ الدِّينِ أحمدَ ، وعِنْدَهُ سقوطُ هِمَّةٍ ، ففارقَهُ وصارَ وكيلاً عنْدَ القاضي زكيِّ الدِّينِ الظاهرِ بدِمَشْقَ ، وبَلَغَ زينَ الدِّينِ رِعايةُ القاضي لهُ بسَبَبِهِ ، وسَأَلهُ النَّجمُ أنْ يكتُبَ إلى القاضي لِشُكْرِهِ على إحسانِهِ إليهِ ، فكتَبَ :

« أولى الإنعامَ ، أَدامَ اللهُ سعاداتِ المجلسِ العالي الزَّكَويِّ ، وجدَّدَها ، ومدَّ مدَّةَ أيامِهِ وأمدَّها[3] ، وبَسَطَ يدَ اقتدارِهِ وأيَّدها ،

---

(١) في الأصل : (بالوفا) .

(٢) الرِّفاء بالمد في الأصل : الالتئام والاتفاق ، وفي الدعاء للمُمْلاك : (بالرِّفاء والبنين) أي بالالتئام والاتفاق وحسن الاجتماع . وفي حديث النبي ﷺ أنه يقال : (بالرِّفاء والبنين) ، وإنما نهى عنه كراهية ؛ لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سُنَّ فيه غيره ، فقد رُوي عن الرسول ﷺ قوله : « بارك الله لك ، وبارك الله عليك ، وجمع بينكما في خير » .

(٣) في الأصل : (وأيدها) .

وأَنْعَمَ على أوليائِهِ مواهبَ الآيةِ وخَلَّدَها ، وحَرَسَ الشَّريعةَ المُطهَّرةَ بحُسْنِ نَظَرِهِ[١] وعَضَدَها ، وهَيَّأ[٢] واضحَ هَدْيِهِ وأَرْشَدَها ، بأَنْ يُذْكَرَ ويُشْكَرَ ، ويُظْهَرَ ويُشْهَرَ ، ويُذاعَ ويُنْشَرَ ، ويعترفَ/ بعوارفِهِ ؛ [ق/١٤٧] ولا يُنكر إنعامٌ لم يُخدَمِ المُنْعِمُ به على ابْتدائهِ بسالفِ خدمةٍ ، ولا تَقَدَّمَتْ له نَهْضةٌ في مُهِمَّةٍ ، وكانَ فاعِلُهُ مُتبرِّعاً بفِعلِهِ مُتطوِّعاً بما فَرَضَهُ على مَكارِمِهِ مِنْ فَضْلِهِ[٣] ، كإنعامِ المولى على مملوكِهِ أحمدَ ، أخي الخادمِ ، فإنَّ المولَى ، أَسْبَغَ اللهُ ظِلَّه ، شَمِلَهُ بإنعامِهِ ، ورعاهُ بلُطوفِ[٤] عنايتِهِ واهْتمامِهِ ، مِنْ غيرِ تقدُّمِ خِدْمةٍ يُرْعَى لأَجلِها ، ولا سابقِ موالاةٍ تَمَّتْ لِمِثْلِهِ[٥] بمِثْلِها . وهكذا[٦] إنعامُ ذَوي الأُصولِ الكَريمةِ والمَكارمِ الأَصيلةِ ، ما زالَ عارياً عن الأسبابِ المُوجبةِ المُسبِّبَةِ ؛ وقد كانَ الخادِمُ قاطعَهُ مُقيماً عليهِ ما اخْتارَهُ لِنَفْسِهِ من الحِرْفةِ التي هي كاشْتقاقِها ، والمِهْنَةِ التي تُفْضِي إلى إغرامِ الحُرْمةِ وإغراقِها ، حتى وَرَدَ بابَهُ ، ذاكراً أَنَّه يَبِيْنَ

(١) في الأصل : (بحسن) .
(٢) » » : (وهيء) .
(٣) » » : (نعله) .
(٤) » » : (بطوق) .
(٥) » » : (مثله) .
(٦) » » : (وهكذي) .

يـــديْ المولى محفوظاً بعِنايتِهِ ، ومَلْحوظاً برعايتِهِ ، ومُنْتَظِماً في سلْك خدَمِهِ ، ومُعْتَصِماً برُكْنِ حَرَمِهِ ، ومُلازماً لبابِهِ ، ومَعدوداً مِنْ جُمْلَة خَدَمِهِ وأَصحابِهِ ، فَعَدلَ الخادمُ عن اسْتِقْباحِ اخْتيارِه إلى اسْتِحْسانِهِ ، وعلى اسْتيهانِ رَأْيِهِ إلى اسْتِمْنانـــهِ ، فإنَّ مَنْ جَمَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ ما جَمَعَهُ لِلْمَولى مِنْ كَرَمِ المولِدِ ، وشَرَفِ المَحْتِدِ ، وطَيِّبِ الأُصولِ ، والتَّفنُّنِ في علمِ الفُروعِ والأُصولِ ، ومُواظَبَةِ إقباسِ العِلْمِ ، وإيناسِ الأَتباعِ بالتَّواضعِ والحِلْمِ ، إلى غيرِ ذلكَ مِن الفَضائلِ التي يَضيقُ عنها العَدُّ ، ولا يَحْصرُها الحدُّ ، كانَ للمتعلِّمِ مِنْهُ فضيلةُ العالِمِ ، ولِلْوكيلِ بينَ يديْهِ رُتبةُ الحاكِمِ ، ولِلْقائمِ في خِدْمتِهِ مَنْزِلَةُ القاعدِ المُتَصدِّرِ ، ولِلْماشي في رِكابِهِ مكانةُ الرَّاكبِ المُتَأَمِّرِ ، فإنَّه لا يُقَصِّرُ في خِدْمـةِ كاملٍ ، ولا وَهَنَ في قُبولِ الإِفضالِ مِن فاضلٍ ، ولقـد أَصبـح إِنْعامُ المولى عليهِ مُسْترِقّاً للخادمِ ، وجالباً لولائِهِ[1] ، وباسطاً لِسانَ دُعائِهِ وثنائـــهِ ؛ وما سُمِعَ قَبْلَ المَوْلَى بِمُسْتَرَقٍّ سَرَى الرِّقُّ إلى أَخيهِ ، ولا بِعَبْدٍ انْجرَّتِ[2] [العُبوديَّةُ][3] إلى مولاهُ وأَقارِبِهِ[4] وذَويهِ ؛ وإِنَّما المَعْهودُ في مواضعِ

(١) في الأصل : (وجات الولاية) .

(٢) في الأصل : (انجر إلى) .

(٣) زيادة غير موجودة في الأصل اقتضاها سياق الكلام ، وهي من سهو الناسخ .

(٤) في الأصل : (ولا أقاربه) .

الوِفاقِ ، العَمَلُ بالسِّرايةِ في العُتوِّ لا في الاستراقِ ، وَجدٌّ مِنْ جِهـــةٍ مَخْصُوصَةٍ بَعْدَ وُجودِ الحرِّيَّةِ ، لا مَعَ لَقاءِ العُبوديّةِ . فلا زالَ المَوْلَىٰ بِما يُوليــهِ[(١)] مِنَ الرَّغائبِ ، مَخْصوصاً بفَضائلِ الغَرائبِ ، ولقد وَصَفَ[(٢)] الخادِمُ في كِتابِهِ ما تواتَرَتْ بِـهِ الأَخْبارُ على كلِّ لسانٍ مُجْمَلاً[(٣)] مِنْ خَصائصِ فَضائلِ المَوْلَى وحُسْنِ سِيرَتِهِ ، وغَزارَةِ[(٤)] إحسانِهِ ومُروءَتِهِ، ما تَمَنَّى مَعَهُ الكونَ في الخِدْمَةِ المَوْلَوِيَّةِ ، مُتَشَرِّفاً بمُشاهدتِها ومُتَمتِّعاً[(٥)] بمُرافَدتِها ، ومُستَعيناً بمُعاضَدتِها ، ومُستَديلاً مِن الأَيّامِ بمُساعدتِهـا ؛ واللهُ تَعالَىٰ يُقَرِّبُ مِنْ ذلكَ ما يَقومُ للخادِمِ برَفْعِ قَدْرِهِ ، والمخدومِ بواجبِ شُكرِهِ ، إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَىٰ »

* * *

(١) في الأصل : (توليه) .

(٢) » » : (وصل) .

(٣) » » : (محملاً) .

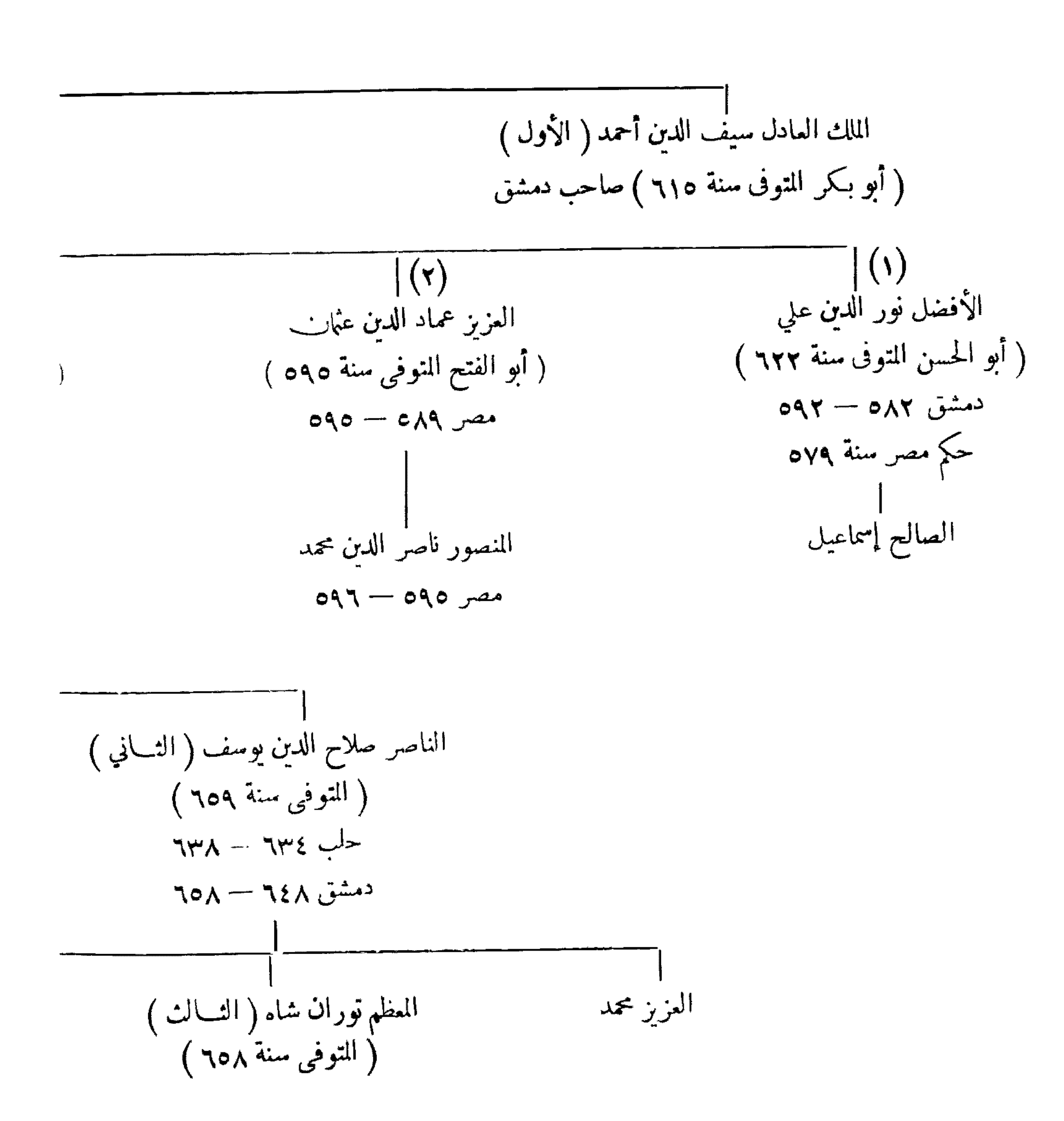
(٤) » » : (وعذاره) .

(٥) » » : (ومنحنا) .

الملحق الثالث والملحق الرابع



(أ



الملك العادل سيف الدين أحمد (الأول)
(أبو بكر المتوفى سنة ٦١٥) صاحب دمشق
(١)
الأفضل نور الدين علي
(أبو الحسن المتوفى سنة ٦٢٢)
دمشق ٥٨٢ — ٥٩٢
حكم مصر سنة ٥٧٩
الصالح إسماعيل
(٢)
العزيز عماد الدين عثمان
(أبو الفتح المتوفى سنة ٥٩٥)
مصر ٥٨٩ — ٥٩٥
المنصور ناصر الدين محمد
مصر ٥٩٥ — ٥٩٦
الناصر صلاح الدين يوسف (الثاني)
(المتوفى سنة ٦٥٩)
حلب ٦٣٤ — ٦٣٨
دمشق ٦٤٨ — ٦٥٨
العزيز محمد
المعظم توران شاه (الثالث)
(المتوفى سنة ٦٥٨)

الملحق الثالث

(أبناء صلاح الدين يوسف)

مروان

شاذي

نجم الدين أيوب

(أبو الشكر المتوفى سنة ٥٦٨)

الناصر صلاح الدين يوسف (الأول)

(أبو المظفر المتوفى سنة ٥٨٩)

د (الأول)

صاحب دمشق

(٢) العزيز عماد الدين عثمان

(أبو الفتح المتوفى سنة ٥٩٥)

مصر ٥٨٩ — ٥٩٥

المنصور ناصر الدين محمد

مصر ٥٩٥ — ٥٩٦

(٣) الظاهر نور الدين أحمد

(أبو العباس المتوفى سنة ٦٢٧)

في حران

الظا

(

العزيز غياث الدين محمد

(أبو المظفر المتوفى سنة ٦٣٤)

حلب ٦١٣ — ٦٣٤

الصالح

(المت

صاحـ

الناصر صلاح الدين يوسف (الثـاني)

(المتوفى سنة ٦٥٩)

حلب ٦٣٤ — ٦٣٨

دمشق ٦٤٨ — ٦٥٨

الظاهر غازي

(المتوفى سنة ٦٥٩)

غازية خاتو

(تزوجها كيخسر

المعظم توران شاه (الثـالث)

(المتوفى سنة ٦٥٨)

نصرة الدين

زهير

أسد الدين

(المتوفى سنة

أبناء صلاح الدين يوسف

مروان

شاذي

نجم الدين أيوب
(أبو الشكر المتوفى سنة ٥٦٨)

الناصر صلاح الدين يوسف (الأول)
(أبو المظفر المتوفى سنة ٥٨٩)

(٣)
الظاهر نور الدين أحمد
(أبو العباس المتوفى سنة ٦٢٧)
في حران

(٤)
الظاهر غياث الدين غازي (الأول)
(أبو منصور المتوفى سنة ٦١٣)
حلب ٥٨٢ — ٦١٣

العزيز غياث الدين محمد
(أبو المظفر المتوفى سنة ٦٣٤)
حلب ٦١٣ — ٦٣٤

الصالح صلاح الدين أحمد
(المتوفى ٦٥٠)
صاحب عينتاب

ضيفة خاتون

الظاهر غازي
(المتوفى سنة ٦٥٩)

غازية خاتون
(تزوجها كيخسرو الثاني)

عائشة خاتون
(تزوجها المنصور الثاني
صاحب حماة)

نصرة الدين

زهير

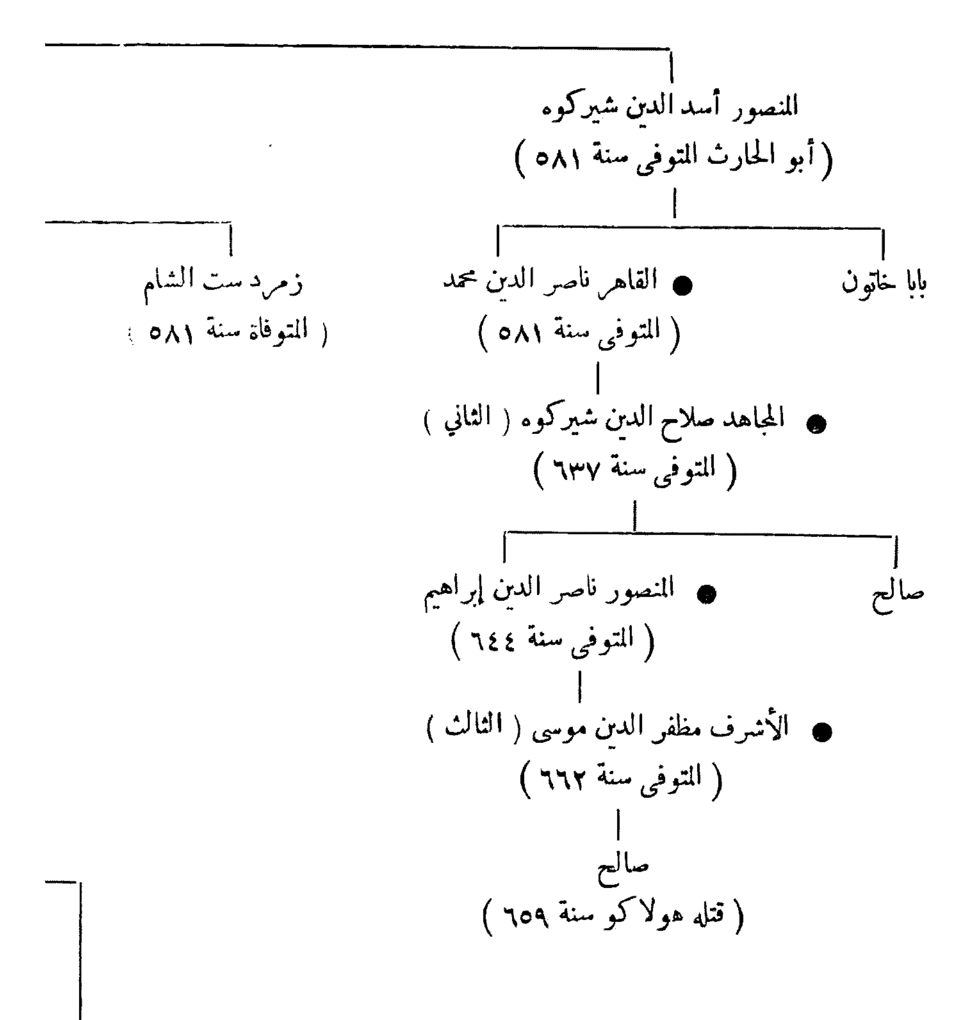
أسد الدين
(المتوفى سنة ٦٥٨)

(٥)

العزيز فتح الدين إسحق
(أبو يعقوب المتوفى سنة ٥٧٠)
(٦) الوليد نجم الدين مسعود
(أبو الفتح المتوفى سنة ٦٠٦)
(٧) الأعز شرف الدين يعقوب (أبو يوسف)
(٨) الزاهر محي الدين داود
(أبو سليمان المتوفى سنة ٦٣٢)
(٩) الفضل قطب الدين موسى (أبو المظفر)
(١٠) الأشرف عزيز الدين محمد (أبو عبد الله)
(١١) المحسن ظهير الدين أحمد (أبو العباس)
(١٢) المعظم فخر الدين توران شاه (الثاني)
(أبو منصور المتوفى سنة ٨٥٦)

(١٣) الجواد ركن الدين أيوب (أبو سعيد)
(١٤) ناصر الدين غالب ملك شاه (أبو الفتح)
(١٥) المنصور عز الدين (أبو بكر)
(١٦) إمام الدين شاذي
(١٧) نصرة الدين مروان
(١٨) الخضر مظفر الدين المشمر
صاحب بصرى (المتوفى سنة ٦٢٧)
(١٩) مؤنسة خاتون (تزوجت الكامل محمد بن العادل)
(٢٠) فلانة (تزوجت حسام الدين لاجين عمر)





المنصور أسد الدين شيركوه
(أبو الحارث المتوفى سنة ٥٨١)
بابا خاتون
القاهر ناصر الدين محمد
(المتوفى سنة ٥٨١)
زمرد ست الشام
(المتوفاة سنة ٥٨١)
المجاهد صلاح الدين شيركوه (الثاني)
(المتوفى سنة ٦٣٧)
صالح
المنصور ناصر الدين إبراهيم
(المتوفى سنة ٦٤٤)
الأشرف مظفر الدين موسى (الثالث)
(المتوفى سنة ٦٦٢)
صالح
(قتله هولاكو سنة ٦٥٩)

(أبناء نجم الدين

شاذي بن مرو

ربيعـــة خاتون
(المتوفاة سنة ٦١٦)

العزيز سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين
(أبو الفوارس المتوفى سنة ٥٩٣)

الناصر أيوب

معز الدين إسماعيل

المعظم فخر الدين توران شاه (ال
شمس الدولة المتوفى سنة ٥٧)

★ المظفر تقي الدين
(أبو سعيد المتوفى

شاهنشاه سعد الدين (الثـاني)

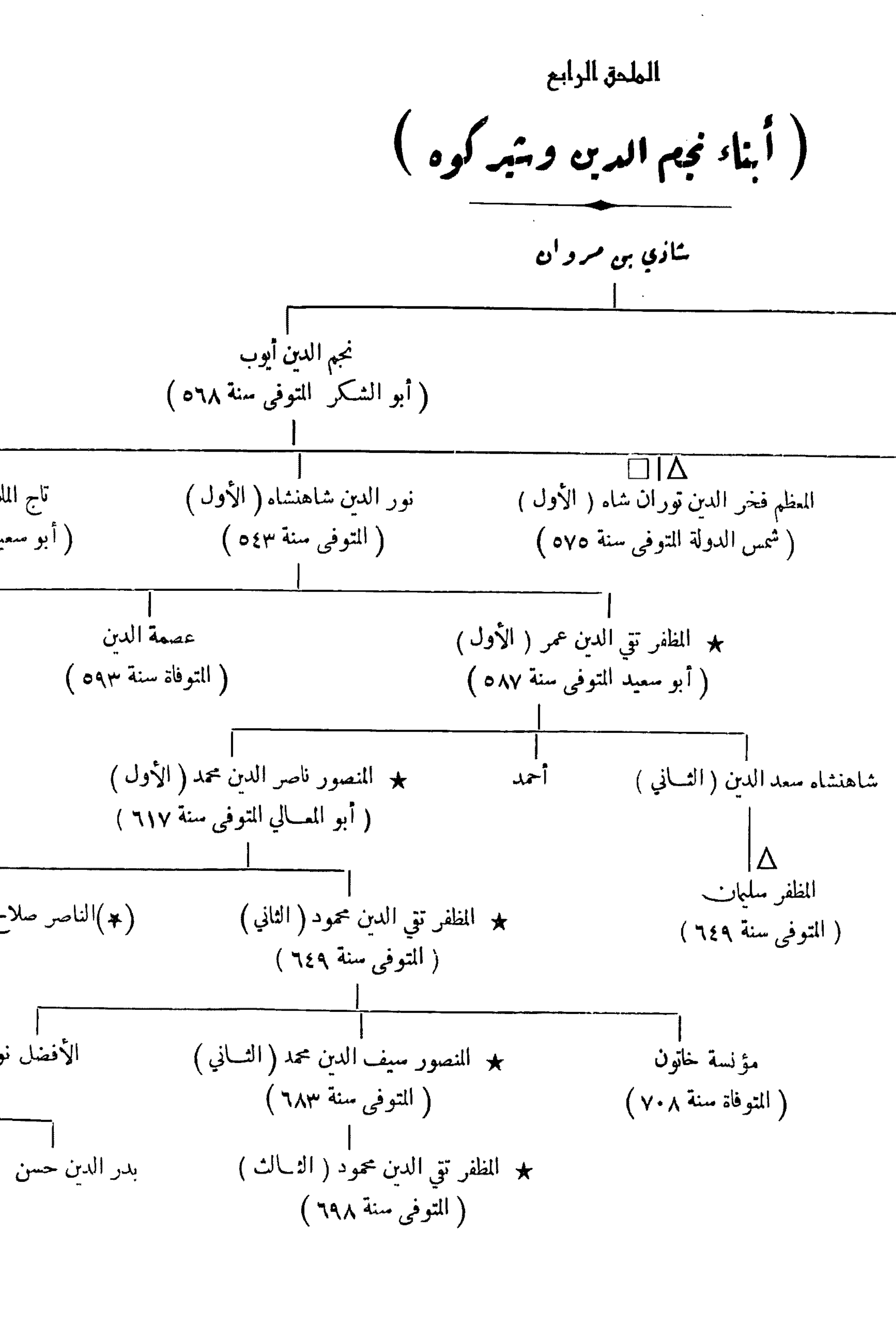
المظفر سليمان
(المتوفى سنة ٦٤٩)

مؤنسة خاتون
(المتوفاة سنة ٧٠٨)

ـات □ ، □ ، □	: ملوك بعلبك
وم ★ ، ★ ، ★	: ملوك حماة
ـات △ ، △ ، △	ملوك حمص
ائر ● ، ● ، ●	: ملوك اليمن

الملحق الرابع

(أبناء نجم الدين وشيركوه)



ك مجد الدين بوري
(المتوفى سنة ٥٧٨)

العادل سيف الدين أحمد (الأول)
(أبو بكر المتوفى سنة ٦١٥)

الناصر صلاح الدين يوسف (الأول
(أبو المظفر المتوفى سنة ٥٨٩)

المعز عز الدين فروخ شاه داود (الأول)
(المتوفى سنة ٥٧٨)

فلان

الأمجد مجد الدين بهرام شاه
(المتوفى سنة ٦٢٨)

الدين قليج أرسلان

الدين علي

(*) الصالح المؤيد عماد الدين إسماعيل
(أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢)

(*) الأفضل محمد
(المتوفى سنة ٧٤٢)

أسد الدين عمر

الفهارس



تم طبع هذا الديوان

في

المطبعة الهاشمية

بدمشق

١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م



فهرس مصادر التحقيق ومراجع البحث

القسم الأول

المصادر المخطوطة والمصورة

١ ــ **الأمجد** (الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه ، المتوفى سنة ٦٢٧ هـ) .

● ديوان الملك الأمجد .

مصورة المخطوطة في مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢١٥ .

٢ ــ **الأنصاري** (شرف الدين ، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن المتوفى سنة ٢٦٢ هـ) .

● ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري .

مصورة مخطوطة مكتبة ولي الدين المضمومة إلى مكتبة بيازيد الثاني رقم ٢٦٦٩ .

٣ ــ **ابن تغري بردي** (أبو المحاسن ، جمال الدين ، يوسف بن تغري بردي ، المتوفى سنة ٨٨٤ هـ) .

● المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي .

مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ١١١٣ تاريخ ، وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء طبع منه القسم الأول من الجزء الأول .

٤ ــ **الذهبي** (أبو عبد الله ، شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) .

● سير النبلاء .

مصورة المخطوطة في مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ .

٥ — **الصفدي** (صلاح الدين . خليل بن أيبك الصفدي ، المتوفى سنة ٧٦٧ هـ) .

● الوافي بالوفيات .

مصورة المخطوطة في مجمع اللغة العربية بدمشق .

● الغيث المسجم في شرح لامية العجم .

مخطوطة دار الكتب الظاهرية رقم ٢ شعر .

٦ — **عمارة اليمني** (أبو حمزة عمارة بن أبي الحسن المتوفى سنة ٥٦٩ هـ) .

● مصورة ديوان عمارة الموجودة في حوزة الدكتور شكري فيصل .

٧ — **اليونيني** (قطب الدين ، موسى بن محمد بن أبي الحسين البعلبكي ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ) .

● ذيل مرآة الزمان في معرفة الخلفاء والأعيان .

مخطوطة المكتبة الأحمدية المضمومة إلى مكتبة الأوقاف بحلب رقم ١٢١٣ .

● مختصر مرآة الزمان وذيله .

مصورة المخطوطة في مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٥ .

* * *

القسم الثاني

المصادر والمراجع المطبوعة

٨ — **ابن الأثير** (جمال الدين ، علي بن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) .

● الكامل في التاريخ .

مطبعة التحرير ، سنة ١٣٠٣ هـ بالقاهرة .

٩ — **الأشتر** (الدكتور عبد الكريم) .

● شعر دعبل بن علي الخزاعي . شاعر آل البيت .

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . المطبعة الهاشمية سنة ١٩٦٤م –١٣٨٤ هـ .

١٠ — **الأصفهاني** (علي بن الحسين بن محمد القرشي ، المتوفى سنة ٣٠٦ هـ) .

● كتاب الأغاني .

مطبوعات دار الثقافة ببيروت ١٩٥٥ م — ١٣٧٤ هـ .

١١ — **الأصمعي** (أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك ، المتوفى سنة ٢١٦ هـ) .

● الأصمعيات .

تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون .

نشر دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م – ١٣٨٣ هـ .

١٢ — **بدوي** (الدكتور أحمد أحمد بدوي) .

● الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام .

طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة .

١٣ — **بهاء الدين زهير** (أبو الفضل زهير بن محمد بن علي ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) .

● ديوان بهاء الدين زهير .

طبع دار صادر ودار بيروت ، بيروت سنة ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٤م .

١٤ — **ابن تغري بردي** (جمـــال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، المتوفى سنة ٨٧٤ هـ) .

● النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م .

الطبعة الأولى .

١٥ — **أبو تمام** (حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة ٢٣١ هـ) .

● ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي .

تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام . طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥١ م و ١٩٦٤ م .

١٦ — **ابن حجة** (تقي الدين أبو بكر المعروف بابن حجة ، المتوفى سنة ٨٣٧ هـ)

● خزانة الأدب .

طبع المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٠٤ هـ ، الطبعة الأولى .

١٧ ـ **ابن أبي حصينة** (أبو الفتح الحسن بن عبد الله المعروف بابن أبي حصينة المعري، المتوفى سنة ٤٥٦ أو ٤٥٧ هـ).

● ديوان ابن أبي حصينة.

مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م.

١٨ — **ابن خلكان** (شمس الدين أبو العباس أحمد، المتوفى سنة ٦٨١ هـ).

● وفيات الأعيان.

طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٠ هـ.

١٩ — **ابن أبي ربيعة** (أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، المتوفى سنة ٩٣ هـ).

● شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي.

تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد.

مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م.

٢٠ — **زامباور** (إدوارد فون زامباور).

● معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي.

جزءان. الطبعة الأولى. مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٥١ م.

٢١ — **الزركلي** (خير الدين الزركلي).

● الأعلام.

طبع مطبعة كوستاتوماس بمصر سنة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٤ م.

٢٢ — **السبكي** (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي السبكي، المتوفى سنة ٧٧١ هـ).

● طبقات الشافعية الكبرى.

طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م.

٢٣ — السكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله السكري ، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ) .
● شرح ديوان كعب بن زهير .
طبع الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

٢٤ — السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ) .
● بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
الطبعة الأولى . مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ .

٢٥ — ابن شاكر (محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ) .
● فوات الوفيات .
مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٨٨١ م .

٢٦ — أبو شامة (شهاب الدين ، أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم القدسي الملقب بأبي شامة ، المتوفى سنة ٦٦٥ هـ) .
● تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين .
الطبعة الأولى . طبع في القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م .

٢٧ — ابن شداد (عز الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد ، المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) .
● الأعلاق الخطيرة .
طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٥٣ ، وصدر عن المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية .

٢٨ ـ **الشنتمري** (يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري ، المتوفى سنة ٤٧٦ هـ) .

● أشعار الشعراء الستة الجاهليين .

تحقيق عبد المنعم الخفاجي .

الطبعة الثالثة . طبع بالقاهرة سنة ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م .

٢٩ — **الصابوني** (أحمد الصابوني ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ) .

● تاريخ حماة .

الطبعة الثانية . المطبعة الأهلية بحماة سنة ١٩٥٦ .

٣٠ — **الصفدي** (صلاح الدين ، خليل بن أيبك ، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ) .

● الوافي بالوفيات .

الطبعة الأولى . تحقيق هـ . ريتر . مطبعة الدولة باستنبول سنة ١٩٣١ م .

● الغيث المسجم في شرح لامية العجم .

جزءان . الطبعة الأولى . المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هـ .

٣١ — **الضبي** (أبو عكرمة عامر بن عمران بن زياد الضبي المتوفى سنة ٢٥٠ هـ) .

● المفضليات .

تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون .

الطبعة الثالثة . طبع دار المعارف . القاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٣٢ — **عزاوي** (عباس عزاوي) .

● تاريخ الأدب العربي في العراق .

الطبعة الأولى . مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦١ م — ١٣٨١ هـ .

٣٣ — **ابن عساكر** (ثقة الدين ، أبو القاسم ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين بن عساكر ، المتوفى سنة ٥٧١ هـ) .

● التاريخ الكبير المعروف بتاريخ دمشق . الأجزاء الخمسة الأولى منه بتحقيق الأستاذ عبد القادر بدران ، والجزءان السادس والسابع بتحقيق الأستاذ أحمد عبيد .

مطبعة روضة الشام بدمشق سنة ١٣٢٩ هـ .

● تاريخ مدينة دمشق .

تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

الطبعة الأولى . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٤ هـ .

٣٤ — **ابن العماد** (أبو الفلاح ، عبد الحي بن العماد ، المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ) .

● شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ، سنة ١٣٥١هـ .

٣٥ **العماد الكاتب** (عماد الدين محمد بن محمد بن محمد بن حامد ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ).

● خريدة القصر وجريدة العصر .

تحقيق الدكتور شكري فيصل .

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . المطبعة الهاشمية سنة ١٩٥٥ — ١٣٧٥ هـ .

٣٦ — **ابن عنين** (أبو المحاسن ، شرف الدين ، محمد بن نصر الله بن نصر بن عنين ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) .

● ديوان ابن عنين .

تحقيق المرحوم الأستاذ خليل مردم .

صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٦٥هـ — ١٩٤٦ م مطبعة دمشق .

٣٧ — **أبو الفداء** (المؤيد ، عماد الدين ، إسماعيل بن أيوب ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ).

● المختصر في أخبار البشر .

دار الطباعة العامة باستنبول . سنة ١٢٨٦ هـ .

٣٨ — **القزويني** (جلال الدين ، محمد بن عبد الرحمن القزويني ، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ) .

● الإيضاح .

تحقيق المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي .

مطبعة جامعة دمشق . سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

٣٩ — **القلقشندي** (أبو العباس ، أحمد القلقشندي ، المتوفى سنة ٨٢١ هـ) .

● صبح الأعشى في صناعة الإنشا .

المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ — ١٩١٥ م .

٤٠ — **ابن كثير** (أبو الفداء ، عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ) .

● البداية والنهاية .

مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٩هـ .

٤١ — **المتنبي** (أبو الطيب ، أحمد بن الحسين ، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ) .

● ديوان المتنبي . شرح أبي البقاء العكبري .

تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي .

الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م .

٤٢ — ابن المعتز (أبو العباس ، عبد الله بن المعتز بن المتوكل ، المتوفى سنة ٢٩٦ هـ) .

● ديوان ابن المعتز .

الطبعة الأولى . تحقيق محي الدين بن الخياط .

مطبعة الإقبال في بيروت سنة ١٩٣٣ هـ .

الطبعة الثانية . طبع دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

٤٣ — المقريزي (تقي الدين ، أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد ، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ) .

● السلوك لمعرفة دول الملوك .

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م .

٤٤ — ابن منظور (أبو الفضل ، جمال الدين ، محمد بن مكرم بن منظور ، المتوفى سنة ٧١١ هـ) .

● لسان العرب .

طبع دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٥٥ م — ١٣٧٤ هـ .

٤٥ — موسى باشا (الدكتور عمر بن محمد علي موسى باشا) .

● ابن نباتة المصري . أمير شعراء المشرق .

طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م .

● أدب الدول المتتابعة . عصور الزنكيين والأيوبيين والماليك .

طبع دار الفكر الحديث بلبنان سنة ١٩٦٦ م .

٤٦ — الميداني (أبو الفضل ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني ، المتوفى سنة ٥١٨ هـ) .

مجمع الأمثال .

المطبعة الأميرية ببولاق ، سنة ١٢٨٤ هـ .

٤٧ — **النابلسي** ؛ عبد الغني النابلسي ، المتوفى سنة ١١٤٣ هـ) .

● نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار المعروفة ببديعية النابلسي .

مطبعة نهج الصواب بدمشق ، سنة ١٢٩٩ هـ .

٤٨ — **ابن نباتة** (جمال الدين محمد بن محمد بن محمد ، المتوفى سنة ٧٦٨ هـ) .

● ديوان ابن نباتة المصري .

مطبعة التمدن بعابدين ، القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥م .

٤٩ — **النعيمي** (عبد القادر بن محمد النعيمي ، المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) .

● الدارس في تاريخ المدارس

تحقيق الأمير العلامة الأستاذ جعفر الحسني .

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة الترقي سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

٥٠ — **ياقوت** (شهاب الدين ، أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) .

● معجم البلدان .

طبع دار صادر ودار بيروت ، بيروت سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

* * *

القسم الثالث

المصادر الأجنبية

51 – R. Dozy :

٥١ - ر . دوزي

- Dictionnaire detaillé des noms des vetements chey les Arabes. Amesterdame 1815.

- Supplement aux dictionnaires Arabes. Leide 1927.



القسم الرابع

المجلات والدوريات والأبحاث

٥٢ — مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق :

مقالة الدكتور عمر موسى باشا (الشرف الأنصاري .

المجلد ٠ ؛ الجزء ٣ و ٤ . سنة ١٩٦٥ م .

٥٣ — مجلة (المجلة) :

مقالة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف (عصر إحياء التراث العربي وتجديده) .

القاهرة . العدد ١٢٢ . شهر شباط (فبراير) . سنة ١٩٦٧ م .

٥٤ — مجلة (العربي) :

مقالة الدكتور حسين مؤنس (أبو المحاسن ابن تغري بردي أمير المؤرخين في القرن التاسع الهجري) .

الكويت العدد ٩٩ ، شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٦٧ .



فهرس اللزوميات الواردة في الديوان

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الابيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
(بِ)					
هي الدنيـــا تحب ولا تحـابي	بالصِّحابِ	الحاء	٥	٢٢	٨٢
زارني شيبي وولى شبـــابي	والرِّبابِ	الباء	٧	٢٤	٨٣
قف بنجـــد وهضابـهْ	غِضابِهْ	الضاد	٣	٢٥	٨٤
لا تنس وجـدي بك يا شادنـاً	أحبابي	الباء	٢	٢٩	٨٨
جرّرت أَعشار العُـــلا	والرَّقيبِ	القاف	٢	٣٩	٩٨
(بَ)					
شمخت على زمـاني في شبـابي	غَضَبا	الضاد	٢	٣٣	٩٠
يا أيهـــا النـاصر يا	مُرْهَبَهْ	الهاء	٤	٣٢	٩٠
(بْ)					
صبابتي إنْ شككت فيها	الُمصَبّْ	الباء	٥	٣٦	٩٤
أعدّ لرحلتك الأُهب	ذَهَبْ	الهاء	٥	٣٨	٩٨

م ٤٠

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الأبيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
(تِ)					
حقٌّ لدنياك أَنْ تُعاف إِذا	جنايتِها	النون	٢	٤٧	١٠٧
(ثْ)					
ولي صاحب لست أَكفي أَذاه	الجدثْ	الجيم	٢	٥٠	١٠٩
(جِ)					
فاقت بيوسفها الدنيا وفاح لها	أَرجِ	الراء	٢	٣٨٨	٥٤١
(جْ)					
عذبٌ شربي في حياتي أجاجْ	احتجاجْ	الجيم	٥	٥٤	١١٥
(حُ)					
ويحك يا ليل ألا تصبحُ	يَسْبَحُ	الباء	٥	٧٢	١٤١
(دُ)					
مرضت ولي جيرة كلُّهمْ	حائدُ	الهمزة	٢	٨٩	١٦٩
قد طال بالحلم عن أعدائك الأمد	عمدوا	الميم	٤	١٠٦	١٨٢
عمري لئن بخات سعاد لشقوتي	المَسْعودُ	العين	٤	١٠٨	١٨٣

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الأبيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
(ضِ)					
أفنَيتُ عمري بإعناتٍ وإعراضِ	بإقراضِ	الراء	٦	١٨٥	٢٨٧
وددْتُ لَو كانَ شُربُ الراحِ مُفترَضاً	مُفترَضِ	الراء	٤	١٨٨	٢٨٩
تَقَرَّبْ إلى رَبٍّ ٱلسَّماءِ بما يُرضي	العِرضِ	الراء	٤	١٩٢	٢٩١
(طَ)					
لا تَندب الجزعَ ولا سِقْطَهْ	سَقْطَهْ	القاف	٣	١٩٧	٢٩٩
زمانٌ مُوَطّأٌ أكنافِهِ	خُرِطْ	الراء	٢	١٩٩	٣٠٠
(عِ)					
دَعاني لِلسِّباقِ شَقيقُ رُوحي	وسَمْعي	الميم	٢	٢١٧	٣٢٠
أكملتُ سِتّاً وأربعينَ بِها	رَبْعي	الباء	٢	٢١٩	٣٢٢
(فِ)					
كتابُكَ يا شَمسُ لما أتىٰ	صَرْفِهِ	الراء	٥	٢٣٧	٣٤٣
(كْ)					
رِفقاً بِروحي فهيَ لَكْ	مَلَكْ	اللام	١٧	٢٥٧	٣٧٨

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الأبيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
أيا يوسُفُ بنَ ٱلمَليكِ ٱلعَزيز	مَلَكْ	اللام	٢	٢٥٨	٣٧٩
مُتيَّمٌ وَدَّ في عَيْنيهِ لَوْ خَبَّأَكْ	نَبَّأَكْ	الهمزة	١٠	٢٦١	٣٨٢
ضَحِكَ ٱلعَواذِلُ إذْ بَكَيْتُكْ	فَدَيتُكْ	التاء	٩	٢٦٣	٣٨٤
عارَضَتْني غَريرَةٌ	أرَكْ	الراء	٦	٢٦٤	٣٨٥
عَدِّ عن عَذْلي و بَسَّكْ	تمَسَّكْ	السين	١٥	٢٦٥	٣٨٦
لَكَ الأَمنُ يا نابحَ الزِّبرقانِ	أخْسَأكْ	السين	٣	٢٦٦	٣٨٧

(لِ)

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الأبيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
يا رَبِّ إنَّ سُؤالَ ٱلباخِلينَ ثَنى	مالِ	الميم	٢	٢٨٥	٤٢٤

(مُ)

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الأبيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
أَيمضي زَمانٌ لا يَحُلُّ بِراحتي	زِمامُ	الميم	٥	٣١٥	٤٥٤

(مَ)

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الأبيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
مَرَرْتُ و بَدْرُه في عَقْرَبِهِ	النَّجامَهْ	الجيم	٣	٢٩١	٤٣٣
دَعِ ٱلمُدَّعي في هَواه التُّقى	كلاَمَهْ	اللام	٢	٢٩٥	٣٣٤
لامَني لؤْماً فلا جَرَما	كرما	الراء	٤	٣٠٥	٤٤٦

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الابيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
هِيَ الأَرزاقُ مَقسومَهْ	مَحتومَهْ	الواو	٥	٣٠٦	٤٤٧
(مِ)					
جَهلٌ تَجانَفَ بي عنِ ٱلحِلْمِ	عِلْمِ	اللام	٢	٣٩٥	٤٣٣
ولقدْ عَجِبتُ لِعُذَّلي في حُبِّهِ	ٱلمُظْلِمِ	الظّاء	٢	٢٩٦	٤٣٥
ولكنَّها حَوْباءُ أَعدَدْتُ حِلْمَها	اضطرامِهِ	الراء	٢	٢٩٣	٤٣٣
اِرْمِ شَيطانَ ٱلهوى مِنْ	برجومِ	الجيم	٣	٣٠٧	٤٤٧
جَهلٌ تَجانفَ بي عنِ ٱلحِلْمِ	عِلْمِ	اللام	٦	٣٠٨	٤٤٧
قَدأَغْتَدي والليلُ مَطْلولُ الدَّمِ	الدَّمِ	الدال	١٠	٣١٣	٤٥٣
لا وبارِئِ ٱلنَّسَمِ	ٱلقَسَمِ	السين	٤	٣١٦	٤٥٥
(مْ)					
تولّى شبابي فولّى الغَرامُ	الغريمْ	الراء	٢	٤١٤	٤٥٤
(نِ)					
جرحت حشايَ رزيتي فلعلني	يأسني	السين	٣	٣٥٠	٤٩٩
هزم الهمَّ عن نداماي راح	بلحونِ	الحاء	٣	٣٥١	٤٩٩

صدر البيت	كلمة القافية	حرف الالتزام	عدد الأبيات	رقم اللزومية	رقم الصفحة
(وَ)					
كملتُ لطفاً ووقـــاراً على	الخُلْوَهْ	اللام	٢	٣٧٥	٥٢١
يا من وجـدي فيهم يقوى	أقْوىٰ	القاف	٢	٣٧٦	٥٢٢
(وِ)					
أيا قمراً له في الحسن فضلٌ	البدوِّ	الدال	٤	٣٧٣	٥٢٠
(يَ)					
إذا حمد الإنسان شرخ شبابه	سعيا	العين	٢	٣٨٣	٥٣١
ست عيون من تأتّت له	كافيَهْ	الفاء	٢	٤١٨	٥٧٥

* * *

فهرس أعلام الأشخاص

ـ أ ـ

الصفحة

— ب —

— ت —

الصفحة

— ث —

— ج —

— ح —

— غ —

— ف —

فهرس الأعلام الجغرافية

* * *

فهرس القبائل والطوائف والأمم



فهرس التصويبات والاستدراكات

الصفحة والسطر	الخطأ	التصويب المستدرك
١٦ / ١٤	عرفه	عرفة
٢٣ / ٨	المشتوق	المشنوق
٢٣ / ١٤	مـثَّلك	مثَّلك
٦٢ / ٦	بآلاءِ	بآلاء
٦٣ / ٥	فوا عَجَبا	فوا عُجْبا
٦٤ / ٨	ما نصبا	ما نعبا
١١٨ / ها ٢	أقدي	أقدى
١٢٢ / ١٣	المليح	الصبيح
١٤٧ / ها ٥	(ص ٣١٤)	(ص ٣١٤) ، والغيث المسجم: ١٥، ١٦(ص ١٢٢)
١٤٩ / ها ٣	(الوافي ج ١٩ ل ١٩)	(الوافي ج ١٩ ل ١٩) ، وقال أيضاً : « انظر إلى حسن هذا المخلص ولطفه ، وجنى الجنان وقطفه ، مع ما فيه من التورية الحسنة ، والبلاغة التي تبيت لها الجفون وسنة » (الغيث المسجم ، ج ١ ص ١٢٢)
١٨٥ / ها ١	محمد	محمد
١٨٥ / ها ٨	الصيف	الصين
١٩٠ / ها ٥	وكمثيلا	وتمثيلا

الصفحة والسطر	الخطأ	التصويب المستدرك
١٩٢/ ٢	دوحةُ	دوحةٌ
٢٠٤/ ٧	وضقتُ	وضقتِ
٢٠٤/ ٧	فأوسعتُ	فأوسعتِ
٢٠٤/ ٧	واعتددت	واعتددتِ
٢٢١/ ٤	القرين	العَرين
٢٢٦/ ها ١	سبقب	سبقت
٢٧٤/١	إهمال الترقيم	١٧٧
٢٧٥/٨	١٧٧	١٧٨
٢٧٥/٨	١٨٨	١٧٩
٢٧٧/٨	١٧٩	١٨٠
٢٨٠/٢	١٨٠	١٨١
٢٨٢/٢	١٨١	١٨٢
٢٩٦/ ١	يزُّ	يَزُّ
٣٥٢/ ١	وأوجدَني	وأوجَرَني
٤٢٦/١١	غَلَّة	غُلَّة
٤٢٩/ ١	تَجَرَّمْتُ	تجرَّمَتْ
٤٣١/ ٢	لا تُسميني	فلا تُسَمِّني

فهرس محتويات الديوان

قافية الهمزة

٨ – وقالَ أيضاً : ٦٢

لَمْ أَنسَ طَيْفَ خيالٍ مِنْكَ صالَ عَلىٰ همّي ولَيْـــلي بآلاءٍ ولَأْلاءِ

٩ – وقالَ أيضاً : ٦٢

نَفْسي فِـــداءُ مُحَمَّدٍ مَلْكاً ، وقَلَّ لَهُ فِدائي

قافيـــة البـــاء

١٠ – وقالَ يَمْدحُ المَلِكَ الأَمْجَد ، ويُهَنِّئُهُ برجب : ٦٣

أَمَّلْتُ مِنْ طَيْفِها إلمامةً ، فَأَبَى طائيَّـةٌ لم يُناسِبْ فِعْلُها النَّسَبا

١١ – وقالَ أيضاً يمدحُهُ : ٦٦

أَنِسْتُ بِوَجْدي ، وهْوَ ذُلٌّ مُحبَّبُ ونافَرْتُ عَذْلي،وَهْوصِدْقٌ مُكَذَّبُ

١٢ – وقالَ يمدحُهُ : ٦٩

لولا مُغازَلَةُ البيضِ الرَّعابيبِ غالبْتُ هَزْلي بجدٍّ غيرِ مَغْلوبِ

١٣ – وقالَ يمدحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ ، ويَذكُرُ نصرتَه للملكِ الصَّالحِ : ٧٢

لَكَ الهَناءُ بِمُلْكٍ غَيرِ مسلوبِ ونيْلُ كلِّ المُنى مِنْ كُلِّ مَطلوبِ

١٤ – وقالَ يمدحُهُ : ٧٥

مشيبٌ زارَ في شرخِ الشَّبابِ حسبتُ بهِ صِباي مِنَ التَّصابي

أفدي حبيباً رُزِقتُ منهُ عطفَ مُحبٍّ على حبيبِ

٢٤ ـــ وقالَ لزوميةً في المديدِ : ٨٣

زارَني شَيْبي وَوَلَّى شَبابي مُسلياً عنْ زَينَبٍ والرَّبابِ

٢٥ - وقالَ أيضاً في اللُّزومِ : ٨٤

قِفْ بِنَجدٍ وَهِضابِهْ وَابغِ رِضوانَ غِضابِهْ

٢٦ ـ وقالَ رحمَهُ اللهُ : ٨٥

لي في وَلهي عليكَ مَذْهَبْ بالصَّونِ وَبالوفاءِ مُذْهَبْ

٢٧ — وقالَ ، وكتبَ بِها إلى شيخِهِ السيفِ الآمديِّ : ٨٦

لَئِنْ تَقَدَّمَ قَوْمٌ عَصْرَ سَيِّدِنا فكمْ تَقدَّمَ خَيْرَ الْمُرْسَلينَ نبي

٢٨ — وكتبَ إلى القاضي صدرِ الدِّينِ ، قاضي بعلبكَّ : ٨٧

ربَّ النَّدى عبدَالرَّحيمِ استَمِعْ شِكايَةً مِنْ مُغْـــرَمٍ صَبِّ

٢٩ ـــ وقالَ : ٨٨

لا تَنْسَ وَجْدي بِكَ يا شادِناً بِحُبِّــــهِ أُنْسيتُ أَحْبـابي

٣٠ ـــ وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : ٨٨

قَضَيْتُ لَكُمْ في الهَوى ما وَجَبْ بِصَبْرٍ قَضى وَبِقَلْبٍ وَجَبْ

٣١ ـــ وقالَ : ٩٠

دَخَلْتُ حَمّامَـــكُمْ فَجاشَتْ بِأَلْفِ كَرْبٍ لِكَشْفِ كُرْبَهْ

قافية التاء

قافية الثاء

٤٨ ــ وقالَ : ١٠٨

إنَّ قوماً يلحونَ في حُبِّ لَيْلَى لا يَكادُونَ يَفْقَهون حَديثا

٤٩ ــ وقالَ : ١٠٨

رَشَأٌ مِنْ آلِ يافِثْ لحظُهُ للسحرِ نافِثْ

٥٠ ــ وقالَ لُزوميةً : ١٠٩

وَلي صاحِبٌ لَسْتُ أُكْفَى أَذا هُ إلّا إذا ما حَواهُ الجَدَثْ

٥١ ــ وقالَ : ١١٠

وَمهَفهَفٍ غَنِجِ اللحاظِ مُكَحَّلٍ بالسِّحرِ في عِقْدِ التورُّعِ نافِثِ

قافية الجيم

٥٢ ــ وقالَ ، وكَتبَ بها إلى تلميذِهِ ابنِ الموفقِ البعلبكيِّ : ١١١

صَبٌّ إلَيْكَ عَنِ الأنامِ مَعاجُهُ بِهوىً عَلَيْكَ تَزاحَمَتْ أفْواجُهْ

٥٣ ــ وقالَ رحِمَهُ اللهُ : ١١٤

مَلامُكَ في الهَوى يُغري وَيُشْجي فَهَلْ مِنْ عاذِرٍ لي مِنْكَ يُنْجي؟

٥٤ ــ وقالَ لُزوميةً : ١١٥

عَذْبُ شُرْبِي في حَياتي أُجاجْ فَزَماني والْعُلا في احْتِجاجْ

قافية الحاء

٧٠ ــ وقالَ أيضاً : ١٣٩

لا تلْحَ صَبّاً عن حُبّهِ أَفْصَحْ فدَمْعُهُ مِنْ لسانِـهِ أَفْصَحْ

٧١ ــ وقالَ في جاريةٍ ، في فِمِها زَهْرٌ : ١٤٠

أَجْنَيْتَنِي مِنْ لَماكِ نَوْراً سَقَيْتُ رَيحانَـهُ بِراحِ

٧٢ ــ وقالَ لزوميّةً : ١٤١

وَيْحَكَ ، ياليلُ ، ألا تصبحُ ! بَحْرُكَ قَدْ أغْرَقَ مَنْ يَسْبَحُ

قافيـــة الخـــاء

٧٣ ــ قالَ رحمهُ اللهُ : ١٤٢

ذكرْتُكَ ، يا رسولَ اللهِ ، ذِكْراً شُغِلْتُ بِـهِ عَنِ الماءِ النُّقاخِ

٧٤ ــ وقالَ أيضاً : ١٤٣

أَلَمَّ ، وجُنْحُ اللَّيلِ مِنْ صُدْغِهِ مُرْخى خيالُ بخيلٍ ، ما أبرَّ ، وما أَسْخَى

٧٥ ــ وقالَ أيضاً : ١٤٥

المَجْدُ مَشدودُ الأَواخي فانْهَضْ لهُ وَدَعِ التَّراخي

٧٦ ــ وقالَ مِنْ أُرجوزةٍ : ١٤٦

سَبِّحْ بِحَمْدِ مُنقِعِ النُّقاخِ

قافيــة الدّال

٨٤ ــ وقالَ يمدحُهُ ويُهنِّئُهُ بأخذِ «بارينَ» : ١٦٢

يومٌ، نَصَرْتَ بِهِ العلياءَ والجودا وساعةٌ، غادرْتَ صَيْداً لكَ الصِّيدا

٨٥ ــ وقال يمدحُ الملكَ الأمجدَ : ١٦٥

قَلْبٌ أَبِيٌّ ليسَ ينقادُ إضلالُهُ في الحبِّ إرشادُ

٨٦ ــ وقالَ يَمدَحُ الملكةَ عِصْمَةَ الدِّينِ مُهَنِّئاً بولدِها محمودٍ : ١٦٦

يا عِصْمَةَ الدِّينِ والعَلْياءِ والجودِ لكِ الهناءُ بعزٍّ غيرِ محدودِ

٨٧ ــ وقال في سَنَةِ ٦٦٠ يَمدحُ المَلِكَ المنصورَ صاحبَ «حماة» : ١٦٧

قلبي بهجرِكَ مُكمَدْ وجَفْنُ عَيْني مُسَهَّدْ

٨٨ ــ وقالَ مُجيباً المَلِكَ المَنْصورَ : ١٦٩

بَرْقٌ سرى مِنْ غوادي جِلَّقٍ، فغدا لنورِهِ مثلُ قدحِ النَّارِ في كبدي

٨٩ ــ وقالَ : ١٦٩

مَرِضْتُ، ولي جيرةٌ كلُّهم عن الرُّشْدِ في صُحبتي حائدُ

٩٠ ــ وقالَ : ١٧٠

إنْ دامَ حُبِّيكُمْ على بُغْضِكُمْ فإنَّنا في مَنْصِبٍ واحِدِ

٩١ ــ وقالَ : ١٧٠

إنْ حادَ عنْ وُدِّي، فإنِّي عن مودَّتِهِ حَيودُ

٩٩ ـــ وقالَ أيضاً : ١٧٧

قُلْ لي ، مَتى أحظى بِوَصْـــلٍ مِنْكَ ، لَوْ أشفي فُؤادي ؟

١٠٠ – وقالَ يمدحُ المَلِكَ المُظَفَّر ، ويُهَنِّئُهُ بالظَّفرِ عَلى الفِرَنْجِ : ١٧٨

بِمَجْدِكَ فُقْتَ أملاكَ العِبادِ فَأَذْعَنَ حاضِرٌ مِنْهُمْ وبادِ

١٠١ ـــ وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالى : ١٧٩

حَليفُ هَوىً ، صَبُّ الفُؤادِ ، عَميدُهُ يُريدُ بِهِ العُذّالُ ما لا يُريدُهُ

١٠٢ – وقالَ في اللُّزومِيات : ١٨٠

عَهْدي بِسُعْدى ، لَمْ تَحُلْ عَنْ عَهْدي وَكَيْفَ عاضَتْ عَنْ رُقادي سُهْدي ؟

١٠٣ ـــ وقالَ ، مِنْ مَرْثيَّةٍ ، في التّاجِ الكِنْديِّ : ١٨١

لَوْ كانَ عِنْدَكَ مِنْ ذا الشَّجْوِ ما عِنْدي لَمْ تَبْكِ لَيْلى ، وَلَمْ تَطْرَبْ إلى هِنْدِ

١٠٤ ـــ وقالَ : ١٨١

بُليتُ بِصاحِبٍ ، أرْدى سُروري بِشَرِّ خَلائِقٍ ، خُلِقَتْ ، وَأرْدا

١٠٥ – وقالَ لزومِيَّةً : ١٨٢

قالوا : فُلانٌ مِنَ القُضاةِ ، فَما بالُكَ في ثَلْبِ عِرْضِهِ جاهِدْ ؟

١٠٦ ـــ وقالَ لزومِيَّةً أيضاً : ١٨٣

قَدْ طالَ بالحِلْمِ عَنْ أعدائِكَ الأَمَدُ فاعْمِدْ لِعَزْمٍ مُزيلٍ ما لَهُ عَمَدوا

قافية الذال

قافية الراء

١٢٩ ــ وقالَ ، يمْدحُ الملكَ النَّاصرَ ، ويَصِفُ دِمَشْقَ : ٢٢١

نَوالُ الزَّمانِ لَنا غامِرُ　　ومَغْنى السُّرورِ لَنا عامِرُ

١٣٠ ــ وقالَ : ٢٢٣

عانَقْتُهُ ، فانْتَشَيْتُ طِيباً　　يَزيدُ عن طيبِ كلِّ نَشْرِ

١٣١ ــ وقالَ ، مِنْ أبياتٍ ، يَفْتَخِرُ : ٢٢٣

نُفَّـرٌ كالحُمُرِ المُسْتَنْفِرَهْ　　أجفَلَتْ هارِبةً مِنْ قَسْوَرَهْ

١٣٢ ــ وقالَ يَمدحُ الملِكَ المظفَّر ، ويُهنِّئُهُ بفتْحِ « آمِدَ » وقُدومِهِ : ٢٢٤

قُدومٌ بِما أمضاهُ مِنْ حُكمِكَ الدَّهرُ　　يَتِمُّ بعُقْباهُ لكَ الفَتْحُ والنَّصْرُ

١٣٣ ــ وقالَ يَمدحُ المَلِكَ الأَمْجَدَ : ٢٢٦

هُوَ الحبُّ،لا وَصْلٌ يدومُ،ولا هَجْرُ　　ولا حُلوُهُ حُلْوٌ ، ولا مُرُّهُ مُرُّ

١٣٤ ــ وقالَ يَمدَحُهُ ، ويُهنِّئُهُ بالعِيدِ : ٢٢٨

في كلِّ يَومٍ مَوسمٌ يَتَكَرَّرُ　　بفخارِكَ الأَسْنَى ، وعيدٌ أَنْوَرُ

١٣٥ ــ وقالَ ، وقَدْ اقْترحَ عليهِ قَصيدَةً عاطِلَةً : ٢٣٠

مُولَّهٌ لِعُهودِ اللَّهوِ مُدَّكِرُ　　لولا مدامعُهُ ما أُهمِلَ المَطَرُ

١٣٦ ــ وقالَ ، وقد حُجِبَ : ٢٣٠

يا مَلِكاً ، تَخْضعُ المُلوكُ لَهُ　　إنْ غابَ عنْ دارِها،وإنْ حَضَرا

١٤٥ ــ وقالَ بَديهاً : ٢٣٩

حُزْتَ الفَخـارَ بأَمْرِهِ يا ذا الفَخـارِ الظّـاهرِ

١٤٦ ــ وقالَ ، رَحِمهُ اللهُ تَعالى : ٢٣٩

حَبيبٌ لهِجْتُ بتَذْكاره فأَضْنَى فُؤادي بأَفْكارِهِ

١٤٧ ــ وقالَ : ٢٤٠

سَأَلْتُهُ مِنْ ريقِهِ شَرْبَةً أُطْفي بِهـا مِنْ ظَمَئي حَرَّهْ

١٤٨ ــ وقالَ : ٢٤٠

قَالُوا لنا : في جِلَّقٍ نُزْهةٌ تُنسيك مَنْ أَنْتَ بِهِ مُغْرَى

١٤٩ ــ وقالَ : ٢٤١

صَبْراً على البَلْوى ، ومثْلي مَنْ صَبَرْ لي أُسوةٌ بِمَنْ مَضَى ومَنْ غَبَرْ

١٥٠ ــ وقالَ : ٢٤١

لا تُكبِرُوا وَجْدي بطفْلٍ ، وقد تَمَّ لهُ الحُسْنُ على صِغَـــرِهْ

١٥١ ــ وقالَ ، رَحِمهُ اللهُ تَعالى : ٢٤٢

طاوَعْتُكُمْ ، فَعَصَيْتُمُ أَمْري وحَفِظْتُكُمْ ، فأَضَعْتُمُ عُمْري

١٥٢ ــ وقالَ ، رَحِمهُ اللهُ تَعالى : ٢٤٣

عُجْ بالكَثيبِ الفَرْدِ مِنْ حاجِرِ وَحَيِّ ذاكَ الحَيَّ مِنْ عامِرِ

قافيـــة الزاي

١٦٠ ــ وقالَ مُجيباً للضِّياءِ جُنْدي البَعْلَبكّيّ : ٢٥٠

سَقى اللهُ عَهْدَ اللِّوى بالَحريز سَحاباً مَرَتْهُ الصَّبَا بالْهَزيزِ

١٦١ – وقالَ : ٢٥٢

انْظرْ بصائبِ رأيٍ مُستَكْسَبٍ وعَزيزِ

قافيـة السين

١٦٢ ــ وقالَ يَمدحُ المَلِكَ النَّاصرَ ، رَحِمَهُما اللهُ تَعالىٰ : ٢٥٣

خُذْ في وَقارِكَ، واتْرُكْني ووَسْواسي فليسَ في وَلَهي بالحُبِّ مِنْ باسِ

١٦٣ ــ وقالَ ، يَمدحُ المَلِكَ الأَمْجَدَ : ٢٥٦

أَمَغْنَى اللِّوى ، مَهْما نَسيتُ ، فما أنْسَى زماناً ، بهِ غازَلْتُ غِزلانَكَ اللُّعْسَا

١٦٤ ــ وقالَ أيضاً : ٢٦٠

أأُسودُ غيلٍ ، أمْ ظِباءُ كِناسِ هَدَمتْ رَجايَ ،وأَسَّستْ وَسْواسي؟

١٦٥ ــ وقالَ ، رحِمَهُ اللهُ : ٢٦٢

فَطَمْتَني مِنْ رَضاعِ كاسي لقد تعسَّفْتَ في مِراسي

١٦٦ - وقالَ ، وقد سُئلَ ذلكَ : ٢٦٣

يا جِيرةً ، لَمّا نَبَذْتُ جِوارَهُمْ رَحَلُوا بِراحةِ قَلْبيَ المَخْلوسِ

قافية الشين

١٧٤ ــ وقالَ يمدحُهُ ، ويَذْكُرُ كَسْرَةَ التتارِ : ٢٦٩

رُعْتَ العِدَا ، فضَمِنْتَ ثلَّ عروشِها ولَقيتَها ، فأخذْتَ فلَّ جيوشِها

١٧٥ ــ وقالَ : ٢٧٢

قَسَماً بِراقِمِ عارضَيْهِ ومـا وَشَى لا رَدَّ سَمْعي فيهِ مقولُ مَنْ وَشَى

١٧٦ – وقالَ ، وقد وَصَلَ النّاصِرُ إلى العَريشِ : ٢٧٢

أيا مَلِـكاً ، لم يشِنْ مُلكَهُ بظُلْمِ الرَّعايا ، ولا غِشِّها

١٧٧ ــ وقالَ يَمْـدَحُهُ : ٢٧٤

مَلَكَ الوَرَى بالحِـلْمِ والبَطْشِ سَاري المَواهِبِ ، ثابتُ الجأْشِ

قافيـة الصـاد

١٧٨ – قالَ في الزُّهْدِ : ٢٧٥

قُـــلْ باعتِزالِكَ ، وانْتَهِزْ إصلاحَ حالِكَ ، فهو فُرْصَهْ

١٧٩ ــ وقالَ يَمْدحُ المَلكَ المَنْصورَ : ٢٧٥

أيرومُ قلبي مِنْ هواكَ تخلُّصا إنْ زادَ لَومي لائمي ، أَو نقَّصا

١٨٠ ــ وقالَ في مُسْمِعٍ روميٍّ اسْمُهُ « مَوزونٌ » : ٢٧٧

روحي فِداؤكَ يا مَوْزونُ مِنْ قَمَرٍ تَهَتُّكي فيـهِ مَعْدودٌ مِنَ الفُرَصِ

قافيــة الضـــاد

١٨١ ـــ وقالَ يمدحُ المَلِكَ الأَمجدَ ، ويُهنِّئهُ بعيدِ الفِطْرِ : ٢٨٠

شَيْبٌ قَراهُ العَيْشُ ناعِمَ خَفْضِهِ وحَباه جَفْنُ العَيْنِ لَذَّةَ غَمْضِهِ

١٨٢ ـــ وقالَ يمدحُهُ ، ويُهنِّئهُ بكَسْرِ الفِرَنْج : ٢٨٢

أهلاً بإقبالِ سُعدَى بعدَ إعْراضِ وبُرءِ جِسْمي بها مِنْ بَعْدِ إمْراضِ

١٨٣ ـــ وقالَ : ٢٨٤

أَعرَضْتُمُ ، ثُمَّ تَعرَّضْتُمُ فكَفَّرَ المُستَقْبلُ الماضي

١٨٤ ـــ وقالَ : ٢٨٥

أرِقْتُ لبـارقِ مُزْنٍ أَضا على الأَثلاتِ بِذَاتِ الأَضَا

١٨٥ ـــ وقالَ في اللُّزومياتِ : ٢٨٧

أَفنيتُ عُمْري بإعْناتٍ وإعراضِ فهل مُعينٌ أَخا عُدْمٍ بإقْراضِ ؟

١٨٦ ـــ وقالَ أَيضاً : ٢٨٨

النَّذْلُ مَفْروضٌ له يُسْرُهُ والحُرُّ بالإعسارِ مَرْفوضُ

١٨٧ ـــ وقالَ فيها أَيضاً : ٢٨٨

لا ، وثناياكِ ، فهي إغْريضُ ما في اشْتياقي إليكِ تمريضُ

١٨٨ ـــ وقالَ فيها أيضاً : ٢٨٩

وَدِدْتُ لَوْ كانَ شُرْبُ ٱلرّاحِ مُفْتَرَضاً عَلى ٱلوَرى أوْ مُباحاً غَيْرَ مُفْتَرَضِ

١٨٩ ـــ وقالَ يَمْدَحُ ٱلمَلكَ ٱلمَنْصورَ : ٢٨٩

حاطَكَ ٱللهُ ، أيُّها ٱلمَلِكُ ٱلمَنْصورُ ، حِفظاً مِنْ سائِرِ ٱلأَعراضِ

١٩٠ ـــ وقالَ : ٢٩٠

تَفَقَّهْ ، وٱعْتَزِلْ ، وَدَعِ ٱلبَرايا يُهارِشُ بَعْضُهُمْ ، في ٱلسُّحْتِ بَعْضا

١٩١ ـــ وقالَ لُزومِيةً : ٢٩١

وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذي فَطَرَ » ٱلسَّماءَ ، وأَرْضَها

١٩٢ ـــ وقالَ في ٱللُّزومِيّاتِ أيضاً : ٢٩١

تَقَرَّبْ إلىٰ رَبِّ ٱلسَّماءِ بِما يُرْضي وَدَعْ عَرَضَ ٱلدُّنيا ، تَعِشْ وافِرَ ٱلعِرضِ

قافية الطاء

١٩٣ — قالَ في المَدائحِ النَّبَوِيَّةِ ، مِنَ الأَراجيزِ : ٢٩٢

أُخيَّ ! عُذْ بِٱلقابِضِ ٱلبَسَّاطِ

١٩٤ — وقالَ أيضاً ، رحِمَهُ اللهُ : ٢٩٤

لائمي في العِشْقِ مُخْطِي وعَليَّ العِشْقُ يُخْطِي

قافية الظاء

٢٠٢ ــ وقالَ : ٣٠٣

مَوْلايَ ! إنْ خانَكَ ذُو غِرَّةٍ فَإنَّني ذاكَ ٱلْحَفِيُّ ٱلحَفِيظْ

٢٠٣ ــ وقالَ في الأَراجيزِ : ٣٠٣

يا رَبِّ ! تَوْفِيقاً لَنـا ، وحِفْظا

قافيــة العيْن

٢٠٤ ــ وقالَ يَمدحُ ٱلْمَلِكَ الأَمْجَدَ : ٣٠٥

هِيَ ٱلدَّارُ مِنْ ذاتِ ٱلجَمالِ المُمَنَّعِ فَلا تَعْدِلا عَنْ رَبعِها قَبْلَ أَرْبعِ

٢٠٥ ــ وقالَ أَيضاً يَمْدَحُه : ٣٠٧

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ ، مِنْ دِيارِكِ ، لامِعِ أَذَلْتُ لِمَرْآهُ مَصونَ ٱلْمَدامِعِ

٢٠٦ ــ وقالَ يَرْثِي ٱلْمَلِكَ ٱلْمُعَظَّمَ : ٣٠٩

اُنْظُرْ إلى حَدَثانِ ٱلدَّهْرِ ماصَنَعا ؟ فَأَيُّ رُزْءٍ لِأَكْبادِ ٱلْعُلا صَدَعا ؟

٢٠٧ ــ وقالَ في رِثاءِ أَخيهِ : ٣١٠

جَهْدُ فُؤادي عَلَيْكَ أَنْ يَجْزَعْ وحَظُّ عَيْني لَدَيكَ أَنْ تَدْمَعْ

٢٠٨ ــ وقالَ ، رحمهُ اللهُ : ٣١١

إنْ أَنْجَدَتْ مُقْلَتي بِدَمعِ وغارَ صَبْري ، فَغَيْرُ بِدْعِ

٢١٧ ـــ وقالَ : ٣٢٠

دَعاني لِلسِّباقِ شَقيقُ رُوحي فَقابَلَ أمرَهُ طَوْعي وسَمْعي

٢١٨ ـــ وقالَ ، رحمهُ اللهُ : ٣٢٠

شَمْلٌ شَتيتٌ ، وغَرامٌ جَميعْ ، وسَلْوَةٌ تَعْصي ، ودَمعٌ يُطيعْ

٢١٩ ـــ وقالَ : ٣٢٢

أَكْمَلتُ سِتّاً وأَرْبَعينَ بِها أَخْلَتْ هُمومي مِنْ راحَتي رَبْعي

قافية الغين

٢٢٠ ـــ قالَ في المَدائحِ النَّبَوِيَّةِ : ٣٢٣

أيُّ بَدْرٍ مِنْ قُرَيشٍ بَزَغا ؟ فاضِحاً شَيْطانَ كُفرٍ نَزَغا

٢٢١ ـــ وقالَ ، رحمهُ اللهُ : ٣٢٣

شَيطانُ عَذْلٍ نَزَغا في بَدْرِ تِمٍّ بَزَغا

قافية الفاء

٢٢٢ ـــ قالَ في المَدائِحِ النَّبوِيَّةِ اللُّزومِيَّةِ : ٣٢٧

أمرُ عَلْياكَ في الوَرى غيرُ خافِ فَإليكَ انتَهى مَدى الأَوْصافِ

٢٣١ — وقالَ يمدحُ المَلِكَ النَّاصرَ : ٣٣٨

أَحلَّتْ عليكَ ابنَ العَزيزِ بَني سُرى ... بَضائعُهمْ تُزْجى إليكَ وتُصرَفُ

٢٣٢ — وقالَ : ٣٣٨

يا شادِناً أيْسرُ وَصْفٍ لهُ ... مُستغرِقٌ أكمَلَ أوْصافي

٢٣٣ — وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ : ٣٣٩

رعاكَ اللهُ ، يا إلْفِ ... وإنْ بالَغْتَ في عَسْفي

٢٣٤ — وقالَ أيْضاً ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ : ٣٤٠

قَلْبي إلى غَيرِكِ لا يُصْرَفُ ... وطَرْفُ عَيْني عنكَ لا يَطْرِفُ

٢٣٥ — وقالَ ، وقد غُنِّيَ بمِثْلِها بَيْنَ يَديهِ : ٣٤٢

لا بُدَّ لي مِنْهمْ ، وَفوا أولم يَفُوا ... أو بَخِلُوا بالوَصْلِ ، أو تَعطَّفُوا

٢٣٦ — وقالَ : ٣٤٣

ومُهَفْهَفٍ قَسمَ الفُتونَ جَمالُه ... بَيْنَ البرِيَّةِ قِسْمَةَ الإنْصافِ

٢٣٧ — وقالَ : ٣٤٣

كِتابُكَ ، يا شَمْسُ ، لمّا أتى ... صَرَفْتُ بِهِ الدَّهرَ عن صَرْفِهِ

٢٣٨ — وقالَ في الزُّهدِ : ٣٤٤

أينَ القلوبُ الرَّواجفْ؟ ... أينَ الدُّموعُ الذَّوارفْ؟

قافية القاف

٢٤٦ ـــ وقالَ يَمْدحُ المَلِكَ المُظَفَّرَ : ٣٥٨

نَصائحُ عَذْلٍ لا تُؤَدَّى حقوقُها لو أنَّ بِحارَ الحُبِّ يَنْجو غَريقُها

٢٤٧ – وقالَ ، يمدحُ المَلِكَ الأَمجدَ : ٣٦٠

يا دارَ ذاتِ الخَالِ بالأَبرَقِ جادَكَ صَوْبُ العارضِ المُغْدِقِ

٢٤٨ ـــ وقالَ ، يَمدحُ الملكَ المُظفَّرَ : ٣٦٤

أَهْدَى إليَّ لواعجَ الأشواقِ نَظَرُ الفَريقِ ، وقد أَجَدَّ فراقي

٢٤٩ ـــ وقالَ يمدحُ النَّاصرَ بنَ الظَّاهرِ ، رَحِمَهُما اللهُ : ٣٦٦

طَرِبْتُ لِبَرْقٍ راقَ طَرْفاً فأَرَّقا فأَلَّفَ شَمْلَ الوجْدِ لَمَّا تأَلَّقا

٢٥٠ ـــ وقالَ يمدحُ النَّاصرَ يُوسُفَ بْنَ العَزِيزِ : ٣٧٠

لكَ الخيرُ كمْ زَحْزَحتَ شرّاً عن الخَلْقِ! ولله ما قَسَّمْتَ في الخَلْقِ مِنْ رزْقِ !

٢٥١ ـــ وقالَ ، وقد أُهديَ خِلْعةً حمراءَ : ٣٧١

يا أيُّها المَلكُ الذي لِبيانِهِ قَولٌ بأَلْسِنَةِ الفَعالِ يُصدَّقُ

٢٥٢ ـــ وقالَ ، رَحمهُ اللهَ تعالى : ٣٧٢

ومَعْشرٍ حاولُوا ذُلِّي لِعزِّهِمُ فلمْ أُجِبْهمْ ، وبالرَّحمٰنِ توفيقي

٢٥٣ ـــ وقالَ : ٣٧٣

ما لَم يُغيِّرْ عكسُهُ لفظَهُ ؟ مثالُهُ « قَدْ نَبلَ البُنْدُقُ »

قافية الكاف

٢٦١ ــ وقالَ : ٣٨٢

مُتَيَّمٌ وَدَّ في عَيْنَيْــــهِ لَوْ خَبَّأَكْ ما كانَ ضَرَّكَ لَوْ عَرَّفْتَهُ نَبَّأَكْ ؟

٢٦٢ ــ وقالَ يَمدَحُ ٱلنَّاصِرَ ٱلثَّاني : ٣٨٤

يا صَلاحَ ٱلدِّينِ ! يا مَلِكاً صَلَحَتْ أحوالُ مَنْ مَلَكَهْ

٢٦٣ ــ وقالَ ، رحِمَهُ اللهُ : ٣٨٤

ضَحِكَ ٱلعَواذِلُ إذْ بَكَيْتُكْ فَشَغَلْتَهُمْ عَنّي ، فَدَيْتُكْ

٢٦٤ ــ وقالَ في ٱللُّزومِ : ٣٨٥

عارَضَتْــــني غَريرَةٌ بَيْنَ «عُرضٍ» إلى «أرَكْ»

٢٦٥ ــ وقالَ ، رحِمَهُ اللهُ تعالى : ٣٨٦

عَدِّ عنْ عَذْلي ، وبَسَّكْ إنَّ ناري لنْ تَمَسَّكْ

٢٦٦ ــ وقالَ : ٣٨٧

لَكَ ٱلأَمْنُ ! يا نابحَ ٱلزِّبْرِقانِ كَفَتْكَ ٱلخَساسَةُ أنْ أخْسَأَكْ

قافيــــة اللام

٢٦٧ ــ قالَ يَمدَحُ سَيِّدَنا رَسولَ اللهِ ﷺ : ٣٨٩

أوْهَمْتَ نُصْحاً لَوَ آنَّ النُّصْحَ مَقْبولُ لا أُلْهِيَنَّكَ ، إنّي عَنكَ مَشْغولُ

٢٧٦ ـــ وقالَ في الزُّهديّاتِ : ٤١٣

أفِقْ مِنْ سِنَـةِ آلغَفْلَهْ وَصُنْ نَفْسَكَ ، يا أَبْلَهْ !

٢٧٧ ـــ وقالَ أيضاً : ٤١٤

تَذَكُّرِ آلمَوْتَ وأهوالَهُ يُنْسِ بِـــهِ قَلْبَكَ آمالَهُ

٢٧٨ ـــ وقالَ مِنَ أنسجاماتِهِ آلغَرامِيَّةِ : ٤١٤

خَبِّروهُ تَفصيلَ حالي جُمْلَهْ فَعَساهُ يَرِقُّ لي ، ولَعَلَّهْ

٢٧٩ ـــ وقالَ في الزُّهدِ : ٤١٦

مُلْكُ القَناعةِ عِزٌّ يُذْهِبُ الذِّلَّهْ فَمَنْ حَوَى كَنْزَهُ ، لمْ يُؤْتَ مِنْ قِلَّهْ

٢٨٠ ـــ وقالَ يَمدَحُ آلمَلِكَ الأمجدَ : ٤١٨

أتُطْمِعُني لَيْلَى بتَقْبيلِ خالِها غُروراً ، وقَدْ ضَنَّتْ بِطَيْفِ خَيالِها ؟

٢٨١ ـــ وقالَ يَمدَحُ آلمَلِكَ النّاصِرَ : ٤٢٠

مَليحةٌ صَيَّرَتْ مِثْلي بِها مُثْلَهْ مالي إلى وَصْلِها مِنْ دُونِها وَصْلَهْ

٢٨٢ ـــ وقالَ مِنْ أبياتٍ : ٤٢٣

جُدْ لي بِها ، يا سَيِّدي ، حُلَّةً تُحْلي بِها عاطِلَ أحوالي

٢٨٣ ـــ وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ : ٤٢٣

ألا يا مالِكي ما لي إلى غَـــيْرِكَ مِنْ مَيْلِ

قافية الميم

٢٩١ ــ وقالَ لزوميةً أيضاً : ٤٣٣

مَرَرْتُ وبـــدرُهُ في عَقْرَبِيْهِ فَصَدَّ ، فبانَ لي صِدقُ النِّجامَةْ

٢٩٢ ــ وقالَ لزوميةً : ٤٣٣

جَهْـــلٌ تَجانَفَ بي عنِ الحِلْمِ وهَوىً ضَلَلْتُ بِـهِ على عِلْمِ

٢٩٣ ــ وقالَ ، مِنْ أبياتٍ ، لُزوميةً : ٤٣٣

ولكنَّها حَوْباءُ أعدَدْتُ حِلمَها لإطفاءِ جَمْرِ الغَيْظِ عِنْدَ اضْطِرامِهِ

٢٩٤ ــ وقالَ : ٤٣٤

بي لَمَمٌ مِنْ وَضَحِ اللِّمَّةْ وفَرْطُ هَمٍّ أَضعفَ الهِمَّةْ

٢٩٥ ــ وقالَ : ٤٣٤

دَعِ المُدَّعي في هواهُ التُّقَىْ وتَرِّبْ عليه ، وكذِّبْ كَلامَهْ

٢٩٦ ــ وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ : ٤٣٥

ولقـد عَجِبْتُ لعذَّلي في حُبِّهِ لَّمـا دَجا لَيْلُ آلعِـذارِ المُظْلِمِ

٢٩٧ ــ وقالَ يمدحُ الأَمجدَ بنَ المعِزِّ : ٤٣٥

سَلِّمْ على الدَّارِ إنْ أَعْياكَ تَسْليمُ أنّىٰ ؟ وقد بانَ عنها ذلكَ الرِّيمُ

٢٩٨ ــ وقالَ أيضاً يمدحُهُ : ٤٣٨

لَكُمْ مِنْ وِدادي خَيْرُ نائِلِهِ آلجَمِّ ولي في هَواكُمْ شَرُّ قِسْمٍ مِنَ السُّقْمِ

قافية النون

٣٢٢ ــ وقالَ يَمدحُ المَلِكَ الأمْجَدَ : ٤٦٨

لئنْ نَضَبَ الدَّمعُ مِنْ شانِهِ فليس التَّصبُّرُ من شانِهِ

٣٢٣ ــ وقالَ يَمدَحُهُ : ٤٧٠

صَحَوْتُ مِنْ سُكْرِ حُبِّ الخُرَّدِ العِيْنِ وَبِعْتُ بِالْجِدِّ هَزْلِي غَيْرَ مَغْبونِ

٣٢٤ ــ وقالَ يَمدَحُ المَلِكَ النَّاصرَ : ٤٧٢

سِرْ مُوقَّىً مِمَّا تخافُ مُهَنَّا بفُتوحِ البلادِ سَهْلاً وحَزْنا

٣٢٥ ــ وقالَ يَرثي سابقَ الدِّينِ مَمْلوكَ المَنْصورِ على لِسانِه : ٤٧٢

بِمَنْ أُسكِّنُ قلبي عنكَ يا سَكَني؟ بِمَنْ أُعلِّلُ آمالي؟ بِمَنْ؟ بِمَنِ؟

٣٢٦ ــ وقالَ ، رحمهُ اللهُ : ٤٧٣

بروحي غزالٌ أَغَنْ فؤادي بـه مُرتَهَنْ

٣٢٧ ــ وقالَ : ٤٧٤

ما كانَ بَيْني وبَيْنَ الدَّهرِ مِنْ إِحَنٍ حتى رَماني مِنَ الإخْوانِ بالبَيْنِ

٣٢٨ ــ وقالَ يَمدحُ المَنْصورَ ، ويَذْكرُ وَقْعَةَ التَّتارِ سَنَةَ (٦٥٧) : ٤٧٤

لَكَ العُـلا أَعْيَتِ المُبارينا تَقْرَعُ مِنْها الأَبْكارَ والعُوْنا

٣٢٩ ــ وقالَ في ذلكَ أيضاً : ٤٧٦

دُمْتَ بالعامِ مُهنّا نائـلاً مـا تَتَمنَّى

٣٣٨ — وقالَ أيضاً : ٤٩٠

أراكَ بخيلاً بعَوْني فهَبْني سُكوتَكَ عَنِّي إذا لم تُعِنِّي

٣٣٩ ــ وقالَ أيضاً : ٤٩١

بَيْنَ السُّلوِّ وبَيْني ما بَيْنَ غَمْضي وعَيْني

٣٤٠ ــ وقالَ أيضاً : ٤٩٢

سَقْياً لأوطارٍ وأوطانٍ بَيْنَ «سَنِيرٍ» لي و«لُبْنانِ»

٣٤١ ــ وقالَ رحمهُ اللهُ : ٤٩٣

لا تَحْسَبُوا جِدَّ وُلوعي مُجونْ إنَّ حَديثي في هَواكُمْ شُجونْ

٣٤٢ ــ وقالَ أيضاً : ٣٩٥

وقَفْتُ عليكِ مِنْ قلبي مكاناً فلا يَخْلو إذا خَلَتِ الأماكِنْ

٣٤٣ — وقالَ : ٤٩٥

يا غزالاً مِنْ سِرْبِ عبدِ الْمُدانِ ليس لي بالصُّدودِ منكَ يدانِ

٣٤٤ — وقالَ : ٤٩٥

تَلَطَّفْتَ في جَذْبِ قلبي إليكَ إلى أنْ ضَمَمْتَ عليهِ اليَدَيْنِ

٣٤٥ ــ وقالَ : ٤٩٦

أَعِنِّي في المَحبَّـــةِ أو أَعذْني مِنَ العَذْلِ الَّذي يُغْري ودَعْني

٣٤٦ ــ وقالَ : ٤٩٧

تَعرَّضَ لي بعَيْبِهِمُ رجالٌ يُنافِرُ فَنَّ جَهْلِهِمُ فُنوني

٣٥٦ – وقالَ : ٥٠١

سَأَلَ الأَحِبَّةُ عن سيولِ مَدامعي فأَجبْتُهمْ عنها بوَصْفٍ بيِّنِ

٣٥٧ – وقالَ : ٥٠٢

ليَ مَوْلىً أقْرَرْتُ بالنُّصْحِ عينَهْ حينَ وَفَّيتُ مِنْ مَراضيهِ دَينَهْ

٣٥٨ – وقالَ : ٥٠٢

بِمـا فيكَ مِنْ سُكْرٍ خَفيٍّ وفي عَيْنيكَ مِنْ سِحْرٍ مُبينِ

٣٥٩ – وقالَ : ٥٠٢

ما بانَ لي مِنْكَ حَيْنُ لو لم يَحِنْ مِنْكَ بَيْنُ

٣٦٠ – وقالَ : ٥٠٣

مَنْ لي بناءٍ مَزارُهُ دانِ أذكُرُهُ ، وهو ليس يَنْساني

قافيــة الهاء

٣٦١ – قالَ يمدَحُ المَلِكَ النَّاصرَ : ٥٠٤

في فِيهِ شَهْدٌ شِفـاؤنا فيهِ كَدَّرَ عَيشي بِمَنْعِ صافيهِ

٣٦٢ – وقالَ يمدَحُ المَلِكَ الأَمجدَ : ٥٠٦

يُهيجُ غرامي لَوْعتي عِنْدَ ذِكْراها فإيَّاكما ، يا عاذِليَّ ، وإيَّاها !

قافية الواو

٣٧٢ ـــ وقالَ يمدحُ النَّاصرَ بنَ العزيزِ ٥١٨

لَوْ تني بَدْيِنِ الوَصْلِ سَاكِنَةُ اللِّوَىٰ   تُنَشِّرُ مِنْ أَسْرارِ وَجْدي ما انْطَوىٰ

٣٧٣ ـــ وقالَ : ٥٢٠

أيا قمراً ! لَهُ في ٱلحُسْنِ فَضْلٌ   عَلىٰ بَدْرِ ٱلدُّجا عِنْدَ ٱلبُدُوِّ

٣٧٤ ـــ وقالَ : ٥٢١

تَواضَعْ إِنْ رَغِبْتَ إِلَى ٱلسُّمُوِّ   وعَدْلاً في ٱلصَّديقِ وفي ٱلعَدُوِّ

٣٧٥ ـــ وقالَ مِمّا كُتِبَ بِهِ عَلىٰ جُرْنٍ في حَمَّامِ ٱلسُّلْطانِ بِحَماةَ : ٥٢١

كَمُلْتُ لُطْفاً ووَقاراً عَلىٰ   ما حُزْتُ مِنْ أَوْصافِيَ ٱلحُلْوَهْ !

٣٧٦ ـــ وقالَ : ٥٢١

يا مَنْ وَجْدي فيهِمْ يَقْوىٰ   مَغْنىٰ صَبْري عَنْكُمْ أَقْوىٰ

قافية الياء

٣٧٧ ـــ وقالَ يَمدَحُ سَيْفَ ٱلدّينِ بْنَ أَبي عَليٍّ : ٥٢٢

غَزالٌ وٱلأُسودُ لَهُ رَمايا   ومَلْكٌ وٱلمُلوكُ لَهُ رَعايا

٣٧٨ ـــ وقالَ : ٥٢٤

لا تُعاتِبْني ، فَلا عَتْبَ عَلَيَّ   خَرَجَ الأَمْرُ وعَقْلي مِنْ يَدَيْ

تَشَرَّفْ بِذِكْرِ حَميدِ الثَّناء عَلىٰ أحمدَ أشرَفِ ٱلأنبياءِ

٣٨٧ — وقالَ ، رَحمهُ اللهُ ، في الزُّهدِ : ٥٣٧

كلُّ هـــذا ، لَكَ داءٌ ما لِبَــــلْواكَ انتِهاءْ

٣٨٨ — وقالَ ، رَحمهُ اللهُ : ٥٤٠

إذا رُمْتَ أمْراً فَاعْتَمِدْ في بُلوغِهِ عَلىٰ صاحِبٍ ذي حِكْمَةٍ وتَجارِبِ

٣٨٩ — وقالَ شرَفُ ٱلدِّينِ ، شَيخُ ٱلشُّيوخِ بِحَماةَ : ٥٤١

فاقَتْ بيوسُفِها الدُّنيا وفاحَ لَها طِيبٌ طَوى المِسْكَ في نَشْرٍ لَها أرِجِ

٣٩٠ — وقالَ : كَتَبْتُ إلىٰ والِدي مُلْغِزاً لِلْباب : ٥٤١

مـا قائِمٌ في المَخْرَجِ ؟ يَذْهَبُ طَوْراً ويَجي !

٣٩١ — وقالَ ٱلشَّيخُ شَرفُ ٱلدِّينِ : ٥٤٣

أَآمُلُ كِتْمانَ ٱلهَوىٰ ، وهْوَ واضِحُ ودَمعِيَ يَوْمَ ٱلبَيْنِ بِٱلسِّرِّ بائحُ ؟

٣٩٢ — هَنَّأَ الشَّيخُ شَرفُ الدِّينِ عَبدُ ٱلعَزيزِ المَلِكَ المَنصورَ ، بِقَصيدَةٍ طَويلَةٍ ، مِنْها : ٥٤٦

أَبْشِرْ ، عَلىٰ رَغْمِ ٱلعِدا وٱلحُسَّدِ بِأَجلِّ مَوْلودٍ وأكْرَمِ والِدِ

٣٩٣ — وقالَ : ٥٤٧

أَسْرفْتَ في ذا الصُّدودِ ، فَاقْتَصِدِ إنْ لَم تَعِدْني بِما مَضىٰ ، فَعِدِ

٣٩٤ — وقالَ ، رَحمهُ اللهُ : ٥٤٨

هُوَ مَوطِنُ الشَّرَفِ ٱلْعَرِيضِ الأَطوَلِ فَأَرِحْ قِلاصَكَ مِنْ رُكوبِكَ وٱنْزِلِ

٤٠٣ ـــ وقالَ : ٥٦٤

مَا لِطَرْفِي حِينَ أُعْذَلْ يُطْلِقُ الدَّمعَ المُسَلْسَلْ ؟

٤٠٤ ـــ وقالَ : ٥٦٤

أَعْجَمَ السُّكْرُ لَفظَهُ فَغَدا مُعرِباً عَنِ الْ

٤٠٥ ـــ وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ : ٥٦٥

أَحبابَنا ! هَلْ عَلِمْتُمْ بَعْدَكُمْ كَيفَ حالي ؟

٤٠٦ ـــ وقالَ : ٥٦٦

تَثَقَّلتُ ذُلّاً في غَزالٍ تَأَسَّدَتْ لَهُ لَحَظاتٌ بَصَّرَتْ بِٱلتَّغَزُّلِ

٤٠٧ — وقالَ : ٥٦٦

أَغراهُ إِفراطُ إِقْبالي بِجَفْوَتِهِ وما دَرَى أَنَّ إِعراضي كَإِقْبالي

٤٠٨ ـــ وقالَ يُعرِّضُ بِراجِحٍ الحِلِّي وعزِّ الدين بْنِ مَعْقِلٍ ، مِنْ أَبياتٍ : ٥٦٦

وما زالَ جُودُ ابْنِ الْمعزِّ يمدُّني فيَرْحَلُ في رَكْبي ويَنْزِلُ منزلي

٤٠٩ — وقالَ مُلْغِزاً لِلْبَلَحِ : ٥٦٧

ما بالُكُمْ في مَأكَلٍ طَيِّبٍ ومَشرَبٍ عَذْبٍ يُزيلُ الأُوامْ

٤١٠ — وقالَ ، رَحِمَهُ اللهُ مُلْغِزاً في خَمْرَةٍ : ٥٦٨

مَنْ لي بِمَنْ سَمِيُّهُ سَمَا بِهِ سَفْكُ دَمِهْ



مؤلّفــــاته

١ ـــ ابن نباتة المصري ـ أمير شعراء المشرق

دراسة مفصلة وبحث عميق عن أديب كبير ظهر في القرن الثامن الهجري .
صدر هذا الكتاب عن دار المعــارف ضمن سلسلــة (مكتبة الدراسات الأدبية) في القاهرة سنة ١٩٦٣

٢ ـــ أدب الدول المتتابعة ـ عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك

اول دراسة علمية واوسع بحث منهجي لعصر هام خلد لنا اجل الملاحم والأحداث ، وخلف اهم المذاهب الأدبية في تاريخنا الأدبي .
وجدير بالذكر أن مجلس جامعة دمشق اتخذ قراراً رقم ١٣٩ وتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٩ باعتباره مرجعاً اساسياً مقرراً لطلاب السنة الرابعة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب .
صدر عن دار الفكر الحديث في لبنان سنة ١٩٦٧

٣ ـــ ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري

حقق المؤلف هذا الديوان اعتماداً على النسخة الوحيدة الموجودة في استنبول ، ونشره لأول مرة ، وجدير بالذكر ان الشاعر المذكور كان بإجماع القدماء رائد الشعراء الأول في القرن السابع الهجري .
قام مجمع اللغة العربية بدمشق بنشر هذا الديوان الهام ، وتم طبعه في المطبعة الهاشمية سنة ١٩٦٧ .

٤ ـــ آداب المؤاكلة للشيخ بدر الدين الغزي

حقق المؤلف هذه الرسالة ، ونشرها مجمع اللغــة العربية في سلسلة منشوراته سنة ١٩٦٧ .

٥ ـــ آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة للشيخ بدر الدين الغزي

حقق المؤلف هذه الرسالة ، وسوف يتم نشرها في وقت قريب

٦ ـــ الزبدة في شرح البردة للشيخ بدر الدين الغزي

حقق المؤلف هذه الرسالة عن نسخة وحيدة موجودة في حوزته، وسوف يتم نشرها أيضاً في وقت قريب .

Publications de L'Academie Arabe de Damas



Diwan

AS-SAHEB CHARAF AD-DINE AL - ANSARI

Dr. Omar Mousa Pacha

PROFESSEUR A LA FACULTÉ DES LETTRES UNIVÉRSITÉ DE DAMAS